

د. أحمد حجازى السقا

الصابئين

الأمة المقتضدة

في —————
التوراة والإنجيل والقرآن



مكتبة النافذة

الصَّابئين

(الأمة المقتضدة)

في التوراة والإنجيل والقرآن

تأليف

د/ أحمد حجازي السقا

أستاذ مقارنة الأديان

جامعة الأزهر

تقديم

د/ عوض الله جاد حجازي

رئيس جامعة الأزهر الأسبق

الناشر

مكتبة الراشفة

**الصابئين الأمة المقتضدة
في التوراة والإنجيل والقرآن**

تأليف: د/أحمد حجازي الصقا

الطبعة الأولى : (٢٠٠٣)

رقم الإيداع: ٢٠٠٣ / ٥٨٠١

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزه

كل الحقوق
محفوظة

الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسؤول: سعيد عثمان

◆
الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي
الثلاثيني (ميدان الساعة) - فيصل

Tel: 37241803 Fax: 37827787

Mob: 012 3595973

Email: alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

- ١ - **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِرِينَ مِنْ أَئْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا قَلِيلُهُمْ أَجْرُهُمْ عِدَّةٌ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة ٦٢**
- ب - **﴿فَوْلَوْا إِنَّهُمْ أَقَامُوا السُّرُورَةَ وَالْأَنْجَلَ وَمَا أَنْزَلَ لِنَّهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كَثُرُوا مِنْ فَوْلَيْهِمْ وَلِنَّ**
نَفْتَ أَرْجُلَهُمْ بِنَهْمٍ أَمَّةٌ مُّتَعَبِّدَةٌ وَكَبِيرٌ بِنَهْمٍ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة ٦٦
- ج - **﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَمَّةٌ قَابِلَةٌ﴾ آل عمران ١١٣**

تقديم الكتاب

الأستاذ الدكتور

حوض الله جاد حجازي

رئيس جامعة الأزهر الأسبق

الحمد لله رب العالمين .. والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الكريم،
وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بالخير إلى يوم الدين.

وبعد

فإن ملة الصابئين قد حار العلماء في شأنها، وفي عقائدها، وشرائعها. وقد هدى الله
مؤلف هذا الكتاب إلى القول الحق فيها، إذ بين أن يحيى - عليه السلام - كان يصبح في الماء
من ينبع من اليهود ويقبل أن يدخل في ملكوت السموات، الذي سيوسسه محمد ﷺ وهو
بالطبع يكون مبشرًا بسيدنا محمد المصطفى من الله رحمة للعالمين. وتكون هذه الملة
مبشرة به من قبل مجئه - والمبشرون به على تقوى من الله ورضوان - وأظهر المؤلف
مقارنة حسنة بين المؤثر عن هذه الملة في العقائد والشائعات والعادات والتقاليد وبين الذي
هو مدون في التوراة والإنجيل، وخلص من المقارنة إلى أنهم طائفه من بني إسرائيل
آمنت بدعوة يحيى - عليه السلام - فانفصلت بإيمانها عن اليهود الذين رفضوه.

ووضع في كتابه هذا ما يمت إلى موضوعه بصلة، وما كان يجب.

كرده على الدكتور طه حسين.

ونسر قرأتنا بكلام من التوراة والإنجيل أرى أنه أصاب في بعض تفسيره **﴿يَا**
يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَبِنْاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال: إن الكتاب هو التوراة، وهذا يدل
على أن شريعة يحيى كانت هي كل ما في التوراة، أعني أنه كان مصدقاً لما بين يديه من
التوراة. وقال: إن **﴿الْحُكْمُ﴾** هو أنه حكم على من يكفر بالنبي ﷺ أنه سيعاقب منه
عقاباً أليماً، من النبي نفسه.

«يا أولاد الأفاغي . من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ؛ فاصنعوا أنمارا تلقي بالترية ، ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم : لنا إبراهيم أبو . لأنني أقول لكم : إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم . والآن قد وُضعت الفاس على أصل الشجرة ؛ فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ؛ تقطع وتلقى في النار . أنا أعمدكم بماء للترية . ولكن الذي يأتي بعدي ؛ هو أقوى مني ، الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذي رفعه في يده ، وسينقى بيده ، ويجمع قممه إلى المخزن . وأما البن فيحرقه بنار لا تُطفأ»

وذكر المؤلف من حكم يحيى - عليه السلام - : «من له ثوبان ، فليعطي من ليس له . ومن له طعام ، فليفعل هكذا» ومن حكم عيسى - عليه السلام - : «ليس التلميذ أفضل من معلمه ، بل كل من صار كاملاً يكون مثل معلمه»
ولم يشرح قول زكريا عن ابنه : «وأنت أيها الصبي ؛ نبي العلي تُدعى ؛ لأنك تتقدم أمام وجه رب ؛ لتعد طرقه» أي يهين الطريق لنبي الرب الآتي .

وفسر قوله **﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةِ مِنَ اللَّهِ﴾** بقوله : إن اصطلاح «الكلمة» في التوراة والإنجيل يدل على النبي العربي وهو محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأن يحيى - عليه السلام - صدق بالكلمة ويشير بها من بعده ، خلافاً لقول من قال إنه كان مصدقاً بعيسى - عليه السلام ..

ومؤلف الكتاب يحمل الليسانس من كلية اللغة العربية في النقد الأدبي ، وخبرته به ؛ طبقه على نقد النصوص ، فالنص على أن إبراهيم - عليه السلام - هاجر من بلده إلى الشام ، نقهء بقوله : إنه خرج مهاجراً وهو لا يعلم أين يذهب ، وهداه الله إلى مكة فهاجر إليها ، ثم سار منها إلى بلاد الله للدعاء إلى دينه ، واستخرج من التوراة أن إسحق - عليه السلام - ولد بمكة وتزوج فيها ثم ارتحل منها إلى أرض كنعان . فكيف مع هذا ينفي الدكتور طه حسين وجود إبراهيم في مكة ؟ وبين أن اليهود وصفوا الصابئين بعادة النجوم للحط من شأنهم حتى لا يصدقونهم فيما يقولون عن رسول الله ﷺ

وأرجع كلمة صبا إلى «صبيغ» فقال: إن اللغة العبرانية ليس فيها حرف الغين المعجمة، وينطقون الغين ألفا أو عينا فيقولون في صبيغ: صبا، والصابعون هم الصابيون في اللغة العربية، ووصف اليهود العرب بما وصفوا به الصابئين، فدافع عن العرب كما دافع عن الصابئين.

قال: إن اليهود هم الذين عبّلوا الأصنام، صنم البعل في أيام إلياس - عليه السلام - وأصناماً كثيرة في غير زمانه، ووأنوا البنين والبنات للأصنام، وقدموا للأصنام فبائع بشرية وحيوانية.

وامتنع المؤلف بكتاب علماتنا في الرد على أهل الكتاب، وتلذ شواهده من كلامهم على أنه تعلم منهم ولم ينفرد عنهم بمميزات، إلا بزيادة بيان. هذا قد قيل في حقه. ولكنني أرى مع ذلك أنه تخطئ هنا القراءة قليلاً. فقوله إن يحيى - عليه السلام - لم يقتل وإنما مات موتاً عادياً يدل على أنه تخطئ هنا القراءة قليلاً، ويعجبني هذا من طلابي الأذكياء.

يعجبني أن يتعلموا من كتب علمائنا، وأن يكون لهم اجتهاد ولو في مسألة واحدة من مسائل العلم طول حياتهم.

وريادة البيان تدل على اجتهاد، وصياغة العلم بلغة يفهمها الناس تدل بالتأكيد على اجتهاد، فكلنا نعلم أن أنبياء بنى إسرائيل معدّون للتوراة. وقول الله تعالى: ﴿يَا يَحْمَنْ خُذِ الْكِتَابَ﴾. ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَأْنِي الْكِتَابُ﴾ مما قولان يدلان على أن الكتاب كان مع كل واحد منهما، وهو التوراة، فكيف مع هذا يكون أحدهما مبشر بالآخر؟ إذاً مما معاً يشران بن حفظ الهيئة على الكتاب، وليس هو إلا محمد ﷺ فهل هذا الاستبطاط يدل على ما لم يكن معروفاً من قبل؟ إنه ريادة بيان وإنه من باب الاجتهاد.

وقد استفاضت الكتب بأن الصابئين دفعوا الجزية لل المسلمين في بدء الإسلام . ولم يستتبط أحد من دفعهم الجزية أنهم طائفه من طوائف أهل الكتاب . إذ الجزية لا تؤخذ

إلا منهم، ولو كان هذا الاستبطاط ظاهراً للكل؛ لما اختلفوا في أصلهم على عشرة آقوال.

وما في كتب علمائنا عن جدال المخالفين: أننا من كلامهم الذي لا يشكون في صحته؛ نحاورهم باليه هي أحسن. وقد قال المؤلف وهو يجادل أهل الكتاب: إن في شريعة الناس في زمان إبراهيم الخليل - عليه السلام - أن «السيدة» تعطي زوجها جاريتها لينجب لها منها، وهاجر جارية سارة، وقد أعطتها سارة لإبراهيم؛ فولدت لها إسماعيل، ويتحقق الشريعة تكون أمه ويرث فيها. ومن قبل أن تنجب إسحق - عليه السلام - كان إسماعيل - عليه السلام - وحيد أبيه، فإذا قال في التوراة: إن الذبيح هو الابن الوحيد؛ فإنه يكون إسماعيل لا إسحق ، ويترتب على كونه وحيداً أن إسحق - عليه السلام - **﴿نَافِلَةٌ﴾** وليس أصلاً تم المواعيد فيه.

وبين المؤلف أن الإنجيل مبني على التوراة، فإن عيسى - عليه السلام - كان إذا تكلم في مجتمع من مجتمع اليهود عن رسول الله ﷺ يذكر من التوراة كلاماً عنه. ومثال ذلك: أنه لما قال لعلماء بنى إسرائيل: إن النبي المتظر لن يكون من اليهود، استدل على ذلك بأيات من الزبور، فصار في الإنجيل أثنا هما: كلامه، ودليله عليه من التوراة، وقد يكون الدليل منهوما معناه للسامع وهو في موضع منها، ولم يذكر في النص.

ففي الإنجيل لبرنابا يقول المسيح - عليه السلام -: «وكما أن الخمر الجديدة تتوضع في أووية جديدة؛ هكذا يترب عليكم أن تكونوا رجالاً جددًا إذا أردتم أن تعوا التعاليم الجديدة التي ستخرج من فمي» وهذا المعنى في الإنجيل متى وهو: «متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده، عند تجديد كل شيء» ما هو دليله - عليه السلام - على أن محمداً ﷺ سيأتي، وسيكون له عرش عظيم، وسيجدد الشريعة اليهودية؟ إن موسى - عليه السلام - يقول لبني إسرائيل: سيرسل الله إليكم نبياً من بين إخوتكم مثلي، ويجب عليكم أن تسمعوا له في كل ما يكلمكم به، ومعنى أنهم يسمعون له هو أنه سيجدد الشريعة.

وقد بشر المسيح - عليه السلام - بهذا المجد، وسماه «محمدًا» في رواية برنابا عنه، وهو «الفارقليط» في رواية يوحنا، وفي الطبعات المعاصرة «المعزى» «إن كتم تحبوني؛ فاحفظوا وصايني، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لن يطبق العالم أن يتقبله؛ لأنه ليس يراه ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه؛ لأنه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم»

هذا هو نص من طبعة قديمة فيه «فارقليط» والنص اليوناني فيه «فِيرَقْلِيْطُ» وبعد الطاء سين، وليس في اللغة اليونانية تشكيل حروف، والسين في نهاية الكلمة يضمنونها لتتل على اسم.

واستطرد فقال: «والفارقليط روح القدس الذي يرسله الآب باسمِه هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم».

وذكر المؤلف من التوراة كلاما يدل على أن اليهود كانوا يحجون إلى الكعبة مع المؤمنين بالله من سائر الأمم والشعوب، وأن اليهود انصرفوا عن الكعبة إلى جهتين جعلوا كل واحدة منها قبلة، من بعد رجوعهم من سين بابل، وما في التوراة: «طوبى لمن يسكنون في بيتك؛ فإنهم يسبحونك دائمًا» المزמור ٨٤ «وإذ يعبرون في وادي البكاء» وهو «بكة»

وتحدث عن كتاب «في الشعر الجاهلي» للدكتور طه حسين. ورد عليه بهجة إبراهيم الخليل - عليه السلام - إلى مكة، فإن التوراة أفصحت عنها بأرض الجنوب، وأن المسيح - عليه السلام - قال: إن محمدًا ﷺ سيظهر من أرض الجنوب «ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله، الذي سيأتي من الجنوب بقوة، وسيبيد عبادة الأصنام» وما يلفت النظر في منهج المؤلف: أنه يراجع كلام المفسرين على مثله في كتب أهل الكتاب، ففي قوله تعالى: ﴿لَعْرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ رجع إلى اللغة العبرية فيها ووجدها محتملة لمعنى، إما الضم وإما القطع.

وكيف يتهلل إبراهيم ويفرح بمجيء المسيح، الذي هو بلغة أهل الكتاب محمد ﷺ

وهو لم يجيء بعده؟ إن شيخ الإسلام محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ له رأى في التهلل والفرح، وهو أن التهلل والفرح بمجيء عيسى - عليه السلام - ورد عليه بقوله: إن عيسى مبشر بالمسيا.

وفي مجيء يحيى وعيسى بالحكمة ذكر خواطر شيخ جليل القدر فيها وناقشه مناقشة جادة وهادفة، وبين أن الروحانيات عند أهل الانجيل هي نفسها الروحانيات عند أهل التوراة، فما هو الجديد عند أهل الانجيل؟ إن كل الحكم والمواعظ التي هي في الانجيل منقولة من التوراة. لكن المؤلف قصر إذ لم يعقد فصلاً عن الحكمة.

وتعرض لتفسير قوله تعالى: «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَاتِلَةٌ» - «أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ» - «وَعَلَى الْثَّالِثَةِ الدِّينِ حَلَفُوا» فنقل أولاً كلام المفسرين وركز على «قاتلة» بمعنى أنها موجودة في العالم. وتساءل من هي هذه الأمة الموجدة في العالم؟ وخلص إلى أنها لما كانت من أهل الكتاب وهي أمة مملوكة واليهود والمسيحيون مذمومون، فإنها لا تكون غير أمة الصابئين، وقد أطالت النفس في هذا. وفيه نظر. وفسر قوله تعالى: «وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنُنَا» بمعنى أنه عبد وليس حراً، ورد على قولهم بسفر الزبور. وليس في هذا نظر. ووضح أن في كتب التفسير عند أهل السنة والشيعة إسرائيليات، إن قرأت، تقرأ للعلم بالشيء، وهذا متافق عليه بين الأئمة. وليس فيه نظر. أما قوله إن «المهدي المتظر» لن يكون من علامات يوم القيمة؛ فاته محل خلاف؛ ويجب إعادة النظر فيه.

ونقل المؤلف عن اليهود قولهم في نشأة عبادة الأصنام، والسنجوم والكواكب، وتغليب العبادة بأنها من أجل نزول المطر للزراعة وخصب الأرض، وقولهم: إن الصابئة كانوا يبعدون الأصنام والكواكب لثلا ينقطع المطر وتخرب البلاد.

ورد عليهم بأن نقل من كتب الصابئة عقيدتهم في الخالق جل جلاله، وهو أن الله وحده هو الخالق الرازق وليس معه من إله، وأن اليهود هم الذين الصقوا هنا العيب بالصابئة لأنهم كانوا يبشرون بمحمد ﷺ: «وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» وهم الذين كانوا يبعدون الأصنام «وَذَبَحُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ لِلأَوْثَانِ، وَأَهْرَقُوا

دما ركيا، دم بنיהם وبناتهم الذين ذبحوهم لاصنام كنعان»

ونقل عن الصابئين قولهم في القضاة والقبر. وهو أن فاعل الخير والشر هو الإنسان. ونقل عن يحيى وعيسي - عليهما السلام - أن الله قد خلق الإنسان حرا، وهذا النجدان.

وتكلم عن المندننة والحرانية، وذكر اختلافهم في بناء المعابد، وفي طقوس الصلاة، وكيفية عmad الأطفال، وعقيدة الحشر والمعاد، وفي الدفن وتوجيه القبور، وفي قدم العالم، وذكر عادات وتقالييد للحرانية منها شعائر الزواج والطلاق، واللباس والزينة.

وما لفت المؤلف النظر إليه هو : «إن أتباع يوحنا كانوا يرثضون نسبة «المسيح» إلى يسوع، ويعتبرون الدعوة لذلك؛ دعوة باطلة» ومعنى ذلك: أن «المسيح المتظر» عند اليهود ليس هو النبي المكرم عيسى - عليه السلام .. وهذه حقيقة أظهرها الجميل برنيابا.

ولكن ما هو السبب في خلو الجميل برنيابا من الحديث عن يوحنا العمدان ودعوته؟ وجاء في كتب الصابئة عدة أصحاب النار، ونقل المؤلفون عنهم قولهم، كما نقله المؤلف، وخطر على باله أن قولهم هذا يفسر: «ومَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَقِيقَ الَّذِينَ أَتُوا الْكِتَابَ وَغَيْرَ ذَادَ الَّذِينَ آتَيْنَا إِيمَانًا» وهو خاطر حسن، شاء الله إظهاره على يديه.

ويتجلي في هذا الكتاب هدف المؤلف من تأليفه كتبه: وهو إلزام الناس بصحة نبوة محمد ﷺ وإصلاح عادات المسلمين، فهو يقول: إن المسلمين يعتقدون في السحر والرقى، وفي أن الأموات يسمعون وينفعون أو يضررون، ويعزّمون على الجان ويستشرون الموتى، وهذا لا يصح في دين الله.

وأخيرا. عمل فصلا في أن الله رفض اليهود من السير أمامه، أي لا يكون لهم من بعد محمد ﷺ ملك في العالم ولا نبوة، واستدل على الرفض بسفر إشعياه وتوراة موسى - عليه السلام - وقال: إن اليهود كانوا أمة مختارة، تأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر بشرعية موسى، ولما ظهر محمد ﷺ نزع الله منهم الملك والشريعة، فأصبحت الأمة المختارة لقيادة الأمم إلى الله هي أمة محمد ﷺ وطابق نبوة نشيد موسى - عليه السلام - على القرآن الكريم فقال: إن الأمة الآتية التي سيغيب الله بها اليهود هي أمة بنى إسماعيل لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَعْثُثُ فِي الْأَمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وحق هذا الفصل الأخير أن يوضع في كتاب البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، وإنني وأنا أناقشه فيها؛ نقدته في الكلام عن الأمة الآتية إذ قلل الكلام فيها.

والمؤلف ابن بار من أبناء الأزهر الشريف، وقد تخرج من كلية اللغة العربية وتقدم لامتحان العادلة في كلية أصول الدين، وانتظم في دراسة الماجستير، وقدم بحثاً ممتازاً عن «المسيح عيسى ابن مريم حياته ودعوته» وسجل للدكتوراه في موضوع «البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل» وكتت أنا عضواً مناقشة فيها، وبعد ما حصل على الدكتوراه؛ استمر في قراءة كتب أهل الكتاب معتقداً أنه ربما يأتي بزيادة، وحقق كتاباً قديمة، وألف كتاباً أتى فيها بزيادات مفيدة، واجتهد في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ بشهادات من تسلمه من الأنبياء، وكرر كثيراً من المحتوى في كتابه بغية أن يفهم أهل الكتاب بدون عناء. وليس من كتاب له إلا وفيه جديد.

وكتاب «ملة الصابئين» من الكتب التي سيكون لها أثر كبير في إعادة النظر في مناهج المفسرين، وأنا أوصي بقراءاته وتناوله، وأدعو الله لنا ولكل المسلمين بال توفيق والسداد.

الأستاذ الدكتور

عوض الله جاد حجازي

رئيس جامعة الأزهر السابق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقدير

إن أبرز ما في هذا الكتاب عن الصابنة : أنهم كانوا يدعون الناس إلى الدخول في دين الإسلام . ودعوتهم هذه محمودة ومشكورة .

وقد شوش اليهود عليها . وأبي الله إلا أن يظهرها ولو كره المشركون .

واجتهد المؤلف في تفسير آيات من القرآن ليدل على هذه الطائفة . والتفسير حمال وجهين . وما من آيات إلا والاجتهد ظاهر في تفسيرها من قدام المفسرين ، والمعاصرين ، وكل يدل بحججه على ما توصل إليه . وما أمرنا الله بالشقليد الأعمى ، وإنما أمرنا بالاستبطاط . وهو الاجتهاد . يقول الله تعالى : **«أَمْ أَتَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونْ؟ بَلْ قَالُوا إِنَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مَهْتَدِونْ. وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْبَةٍ مِنْ نُذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا : إِنَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مَقْتَدِونْ. قَالَ : أَوْ لَوْ جَشَّتُمْ بِأَهْدِي مَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ؟ قَالُوا : إِنَا بِمَا أَرْسَلْتَ بِهِ كَافِرُونْ. فَاتَّقُمُنَا مِنْهُمْ. فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ»**

ويقول الله تعالى : **«وَلَوْ رَدَهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ؛ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَطِعُونَهُ مِنْهُمْ»**

ومن مميزات الدين الإسلامي : أنه يدعو إلى إعمال العقل والتوصيل به إلى الحق . وهي ميزة لا تجد لها عند أهل الكتاب ؛ فإنهم يؤمدون بما أفوا عليه آباءهم .

مع أن أباهم إبراهيم - صلوات الله عليه - خرج على ذلك ، وجادلهم في عبادة الأصنام والكواكب ، وبين لهم أن كل ذلك لا ينفع ولا يضر . وأن الإله الذي يجب عليهم أن يعبدهم ؛ هو الله تعالى وحده .

وقد نقل أهل التفسير في تفاسيرهم آراء المفسرين السابقين عليهم . وقالوا بعد النقل : والله أعلم . ليظل باب الاجتهاد مفتوحاً لمن سيأتون من بعدهم . ولقد أحسنوا فيما فعلوه وترتب على ما فعلوه : التقريب بين أهل السنة والشيعة . بإظهار أن علماء الطائفتين علماء مسلمون يبغون رضا الله والنار الآخرة . وأن اختلاف الرأي لا يُخرج أى عالم من علماء الطائفتين من الإسلام .

ففي التفسير الكبير للإمام الرازى - رحمه الله - أن أكثر أهل السنة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، وقالت المتعزلة : بل الملائكة أفضل من الأنبياء - وهو قول جمهور الشيعة - واختاره ابن البارقيانى ، وأبى عبد الله الحليوى . وهما من أهل السنة . واحتاج القائلون بأن الملائكة أفضل من البشر بقوله تعالى : « وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يُسْكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ » ووجه الدليل : أنه ليس المراد من هذه العندية ؛ عندية المكان والجهة ؛ فإن ذلك محال على الله تعالى بل عندية القرب والشرف ؛ ولما كانت هذه الآية واردة في صفة الملائكة ؛ علمنا : أن هذا النوع من القرب والشرف حاصل لهم ، لا يغيرهم .

ويرى الإمام الرازى أن الله تعالى في السماء والأرض . وليس في مكان دون مكان . ولذلك فسر العندية بعندية القرب والشرف ، وهو بهذا يرد على القائلين بأن الله على العرش بناته ، وأنه ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا نزول نقلة وحركة وصعود وهبوط . وقد أحسن في رده ؛ لقوله تعالى : « وَاسْجُدْ وَاقْرُبْ » ومن يسجد على الأرض لا يقترب من ذات الله . وإنما يقترب من رحمته .

ومن المؤثر عن نبى الله يحيى - عليه السلام - أنه كان يشير بمحمد عليهما السلام ويقول : « يأتي بعدي من هو أقوى مني . الذى لست أهلاً أن أنحنى ، وأحمل سبور حذائه » { مر ١ : ٧ } .

ولم يأت من بعده إلا محمد عليهما السلام ولكن محرفى الإنجيل كتبوا على لسان بولس : أن الآتى من بعده هو المسيح عيسى عليه السلام . وهذا هو نص كلامه :

« أيها الرجال الإسرائييليون والذين يتلون الله . اسمعوا : إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا ورفع الشعب في الغربة في أرض مصر . وبلغ مرتفعة آخر جهم منها . ونحو مائة أربعين سنة احتمل عوائلهم في البرية . ثم أهلك سبع أمم في أرض كنعان ، وقسم لهم أرضهم بالقرعة . وبعد ذلك في نحو أربعين سنة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي . ومن ثم طلبوا ملكا فأعطاهم الله شاول بن قيس ، رجلا من سبط بنiamين أربعين سنة ، ثم عزله وأقام لهم داود ملكا ، الذي شهد له أيضا إذ قال : « وجدت داود بن يس رجلا حسب قلبي ، الذي سيصنع كل مشيتي » من نسل هذا حسب الرعد ؛ أقام الله لإسرائيل مخلصا ، يسوع . إذ سبق يوحنا فكرر قبل مجده بعمودية التوراة لجميع شعب إسرائيل . ولما صار يوحنا يكمل سعيه ؛ جعل يقول : من تظلون أنت أنا ؟ لست أنا إيه . لكن هو ذا يأتي بعدى ، الذي لست مستحفا أن أحلى حناء قدميه . . . { ١٣ - ٢٥ }

وقد رد المؤلف على هذا التعريف بقوله : أنهم كانوا معا ، ودعوا معا باقتراب ملوكوت السموات . فلا يكون عيسى هو الآتي من بعده ، ويكون الآتي من بعدهما محمد رسول الله ﷺ .

وجاء في الأنجليل : أن سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام نفى أنه « المسيح » الذي يتظره اليهود في زمانه . يقول لوقا : « فإذا كان الشعب يتضرر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح . أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعدكم بهاء ، ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أنا أهل سيور حذاته » { لو ٣ : ١٥ - ١٦ }

ويجمع أهل الاديان على أن لقب « المسيح » هذا على النبي الآتي من بعده ؛ يدل على النبي الذي سيختلف موسى عليه السلام في إقامة الدين . والمسيح في لغتهم هو المسيح بالزيت أو الدهن ، ومن بعد انقطاع هذه العادة ، دلت كلمة المسوح على أنه معين من الله ومصطفى ومختار ليؤدي رسالة مهمة ، لغاية سامية . وبهذا المعنى يكون الأنبياء في بنى إسرائيل والعلماء والملوك مسوحون حقيقة أو مجازا . فنبى الله موسى ؛ مسيح وهرون مسيح وبالباس مسيح

ويحيى مسيح وعيسى مسيح . ويحسب لسانهم يكون النبي الذى سيأتى وهو محمد عليه الصلاة والسلام مسيح . وفي القرآن الكريم عن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام : «إِنَّمَا الْمُسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمٍ؛ رَسُولُ اللَّهِ» فالمسيح عيسى بن مريم ؛ مبتدأ . وخبره رسول الله «اسمه ؛ المسيح عيسى بن مريم» فاسمه مبتدأ . وخبره المسيح عيسى بن مريم . وبهذا التفسير لا يكون عيسى هو المسيح المتظر الذى كان يتظاهر اليهود فى زمان سيدنا يحيى والذى بادر إلى نفي هذه الصفة عنه بقوله لست أنا إِيَاه ولكن يأتى بعدي من هو أقوى منى . ثم تواضع لرسول الله محمد عليه الصلاة والسلام فقال : لست أهلاً أن أحل سبور حذائه .

وفي كتب علم الأديان : أن «المسيح المتظر» وهو نفسه في اللغات الحالية من الحاء «السيء المتظر» يُعرف أيضاً بالمهدي المتظر - بضم الميم - ويزعم اليهود أن «المهدي» سيكون من نسل داود عليه السلام ويزعم السامريون أنه سيكون من نسل يوسف عليه السلام ، وقد جاء في الجليل برتابا : أن «المهدي» سيكون من نسل إسماعيل عليه السلام وسيكون اسمه «محمد» وهو نبي الإسلام عليه السلام ومن العقائد اليهودية : أنهم يتظاهرون مجيئ «المهدي» إلى هنا اليوم ، ويزعمون أنه إذا جاء سيقيم لهم مملكة عظيمة .

وقد وضع المؤلف معنى هذا الكلام ، وبين أن الله رفض اليهود من السير أمامه ، واستدل على ذلك بتصوص من سفر إشعيا النبي ، وأسفار موسى الخمسة ، ورد على بولس في قوله : «أَعْلَمَ اللَّهُ رَفَضَ شَعْبَهُ؟ حَاشَا وَكَلَا»

والمؤلف لم يجمع في كتابه هذا عادات هذه الأمة المقتصدة ، ومعتقداتهم وشعرهم ونثرهم ، ولم يعرف بعلمائهم ، كما هو حال الذين كتبوا حول هذه الطائفة . بل أحال في هذه الأمور إلى المكتوب . وركز اهتمامه بعد ذكر كلام قليل في هذه الأمور على ذكر بعض ما جاء في التوراة والزبور والإنجيل عن سيدنا محمد عليه السلام خاصة ما استدل به يحيى - صلوات الله عليه - من هذه الأسفار . وفي اعتقادى : أنه يريد أن يفعل كما كان يفعل الصابئة الاتدمون . في تشhirهم بسيدنا محمد عليه السلام ولأول مرة بنشر نبوءة نشيد موسى - صلوات الله وسلامه عليه - وتهلل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بسيدنا محمد عليه السلام وكان حفهما أن يوضعا في كتاب البشرة . ويرد على الدكتور طه حسين بردود مفحة .

وعلى الجملة . فالكتاب مفيد ، وصالح للتعليم ، ومؤلفه اجتهد اجتهادا
عظيما في رد الحق إلى نصاته ، بعد نحو ألفي سنة من التشوش عليه . وقد سدَّ
فراغا هائلا في علم مقارنة الأديان .

تمهيدات

التمهيد الأول : تصديق أئماء وعلماء بنى إسرائيل للتوراة

أنزل الله تعالى التوراة على موسى عليه السلام في جبل طور سيناء وكتب له فيها : أن جميع علماء أمنه وأئيائها يقرون بها إلى أن يظهر نبي ماثل له من وسط إخوتهن أمى لا يقرأ ولا يكتب . وأى عالم أونبي من أمنه يتجرأ عليها ويخالفها في أى حكم ، فإنه يقتل .

ولم يؤثر عن النبي صادق أنه تجرأ عليها وخالفها في أى حكم . فآخر نبي فيهم وهو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كان مصدقا لما بين يديه من التوراة .

ذلك قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل آتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس »

وقد ظهر يحيى وعيسى عليهما السلام في عصر واحد ، وكل منهما كان مصدقا لما بين يديه من التوراة لا يزيد عليها ولا ينقص منها .

وكان كل منهما يحل لبني إسرائيل بعض ما حرمه العلماء من تلقاء أنفسهم .

أما عن يحيى عليه السلام فإن زكريا أباه كان في المحراب في « أورشليم » التي هي « القدس » على شريعة التوراة ، وطلب من الله ولدًا يرث علمه الذي علمه من التوراة ويرث من آن يعقوب ، فاستجاب الله له وقال لأبته : « يا يحيى خذ الكتاب » أى التوراة « بقوة » ثم قال : « وآتيناه الحكم » والحكم : هو أنه حكم على اليهود الذين لن يتبعوا محمدا عليهما عليهما السلام في حال ظهوره بأنهم سيهلكون على يديه في حرب لا قبل لهم بها . وقد كان يحيى « مصدقا بكلمة من الله » أى موافقا على التبشير بمجيء محمد رسول الله عليهما السلام اللقب من إشعيا النبي بالكلمة ، وكان « سيدا » أى فقيها على شريعة التوراة « وحصورا » أى راهبا متذورا لله من البطن « ونبيا من الصالحين » وأما عن عيسى عليه السلام فإن أمه كانت متذورة لله في المحراب ، في « أورشليم » على شريعة التوراة وبشرها ملاك الله به وكان مصدقا لما بين يديه من التوراة ، كيحيى بن زكريا وكان يبشر بمجيء محمد عليهما السلام

كان بنو إسرائيل يجاهدون في سبيل الله لمحو عبادة الأوثان ونشر شريعة التوراة وقد أخبر القرآن الكريم بذلك وبين أنهم فتحوا أرض فلسطين في زمان طالوت وداود عليهما السلام ، وأن سليمان قد هدد ملكة اليمن بالحرب إذا لم تدخل في الإسلام على شريعة التوراة .

وأنها **﴿فَقَالَتْ رَبِّيْنِيْ ظُلْمَتْ نَفْسِيْ ، وَأَسْلَمْتْ مَعَ سَلِيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** وفي التوراة : أن جهاد بنى إسرائيل في سبيل الله يتوقف في وقت ظهور محمد رسول الله عليه صلوات الله عليه وسلم لأنّه هو الذي سبّاجاً مع أمته على شريعته بدل بنى إسرائيل . ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر الشّتنة : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلّي له تسمعون »

وإذا ظهر هذا النبي فإنّ بنى إسرائيل يسلّمون له ملوكهم على الأمم لأن الدّعوة انتقلت منهم إليه . وهذا يعزّ عليهم كما يعزّ الميت على أهله .

ولأنّه يعزّ عليهم أمر الله أنبياء بنى إسرائيل بأن يعزّوا بنى إسرائيل في ضياع ملوكهم ونسخ شريعتهم ، أن يقولوا لهم : إن جهادكم قد كمل مع الله والله يغفر لكم وهذه هي إرادته ولا راد لإرادته وهذا هو حكمه ولا معقب لحكمه .

واعلموا : أن الله وعد بمجني هذا النبي ليقيم الدين . ووعده غير عنّه بكلام منه ، ووعده لا يتخلّف ، وكلمة وعلمه ثبتت إلى الأبد حتى تصدق الموعيد في حينها . أما أحجار الناس فإنّها تفنى كما أن عشب الحقل يفنى . وجمال الأجسام كجمال الزهور . والزهور تفنى ، لأن الله أمر بذلك .

أما كلمة الله وهي وعد بمجني النبي الأمي المائل لموسى ، فإنّها ثبتت إلى الأبد . والأصحاح الأربعون من سفر إشعياه يتكلّم عن تعزية شعب الرب وهم اليهود بمواعيد منه ، وعن تهيئة الطريق لمجيء المسيح ^(١) وعن عظمة الله وبطالة الأوثان ، وعن أن حكمة الرب وقدرته ظاهرةتان في أعماله ، وعن تشجيع شعبه بذلك .

(١) المسيح بلسان بنى إسرائيل هو محمد رسول الله . وسيأتي البيان

ومن الذين عَزُوا بني إسرائيل في ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم : نبي الله يحيى عليه السلام ، ونبي الله عيسى عليه السلام ففي إنجيل متى : أن يحيى صرخ في البرية بقوله : « أعدوا طريق الرب » أى هيئوا أنفسكم للإيمان برسول الرب الآتى وهو محمد عليه السلام وفي إنجيل يوحنا يقول المسيح لتلاميذه : « إن كتم تمحونى فاحفظوا وصاياتى وأنا أطلب من الآب ، فيعطيكم معزيا آخر »

نص نبوة كلمة الله :

« عَزُوا عزوا شعبي يقول إلهكم . طَبِّوا قلب أورشليم ، ونادوها بأنَّ جهادها قد كمل . أن إيمانها قد عُفى عنه . أنها قد قبلت من يد الرب صحفين عن كل خططياتها . صوت صارخ في البرية ، أعدوا طريق الرب فَوْمُوا في القفر سبيلاً لإلهانا . كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير الموج مستقيماً ، والعراقيب سهلاء ، فَيُعلن مجد الرب ويراه كل بشر ، معاً : لأنَّ فم الرب تكلم . صوت قاتل : ناد . فقال : يمَاذا أنا دى ؟ كل جسد عشب ، وكل جماله كزهر الختل .

يس العشب ، ذيل الزهر : لأن نفحة الرب هبت عليه . حقاً الشعب عشب .
يس العشب ، ذيل الزهر . وأما كلمة إلهانا فثبت إلى الأبد .

على جبل عال اصعدى يا بشارة صهيون . ارفعى صوتكم بقوه يا بشارة أورشليم . ارفعى لا تخافى قولى لى لدن يهودا : هو ذا إلهك . هو ذا السيد الرب بقوه يأتى وذراعه تحكم له . هو ذا أجتره معه ، وعملته قدامه . كراعى يرعى تعبيه ويدرائعه يجمع الحملان ، وفي حضنه يحملها ، ويقود المرضعات الخ {إش . ٤ : ١} .

البيان : فسر صوت الصارخين بأنهم سباقون : أعدوا طريق رسول الرب ، وبين أن الملك لله يعز من يشاء . وينذل من يشاء وأشار بقوله : « هو ذا السيد الرب بقوه يأتى » إلى أن النبي المتظر سيأتي بقوه من الله وسيحارب اليهود ويتصدر عليهم وأن التواضعين من خلق الله والضعفاء سيحميهم ويرعاهم .

تصديق يحيى بكلمة من الله :

ولما ظهر يحيى عليه السلام صرخ كما صرخ الذين كانوا من قبله بالإعداد لطريق رسول الرب وقال : إن دانيال النبي قد حدد زمن ظهوره بنهاية أمة الروم ، وها

نحن في بدايتها . وقد عبر عن زمن ملكه وشريعته بملكت السموات . ذلك قوله في الأصحاح السابع من سفره : إن أربع ممالك مستشأ على الأرض ، وأن « ابن الإنسان » في حلم الليل قد قريره إلى الله فأعطاه سلطاناً ومجدًا وملكتا . ولما صرخ يحيى عليه السلام باقتراب ملكت روسول الرب وهو محمد ﷺ استدل على عمله هذا بالتوراة ، ليكسب منهقه قوته . يقول متى في الأصحاح الثالث من إنجيله : « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا ، لأنه قد اقترب ملكت السموات فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي القائل : « صوت صارخ في البرية : أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة »

التمهيد الثالث : « وآتياه الحكم صيام » :

يقول الصابئون أتباع يحيى عليه السلام : إن يحيى في ابتداء دعوته كان في نحو العشرين من عمره ، وأنه حكم على اليهود الذين لن يؤمّنوا بمحمد في حال ظهوره بالهلاك على يديه . ويقول لهم قال النصارى القدماء . ففي الأصحاح الثالث من إنجيل متى : « فلما رأى كثيern من الفريسيين والصدوقين يأتون إلى معموديته قال لهم : يا أولاد الأفاغى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتني ؟ فاصنعوا أشعاراً تليق بالتسوية ، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم : لنا إبراهيم أبا ، لأنى أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم والأآن قد وضع الفاس على أصل الشجر نكل شجرة لا تصنع ثمراً جينا ، تقطع وتلقى في النار . أنا أعمدكم بماء للتسوية ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني ، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاء » .

هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذي رفعه في يده وسينقى بيده ،
ويجمع قمحة إلى المخزن وأما البن فيحرقه بنار لا نطفأ »

التمهيد الرابع : المعمودية :

فرض الله الجهد على إبراهيم عليه السلام وما كانت المعركة الحربية يسقط فيها قتلى من المؤمنين والكافرين ، ففرض الله الختان على المؤمنين ليتميزوا بالختان عن الكافرين في أرض المعركة .

واستمر هذا الحكم إلى ظهور محمد ﷺ وليس له في القرآن من ذكر .

والسبب فى عدم ذكره: هو أن من أعداء المؤمنين يهودا ونصارى مختوئين؛ لص
شريعة التوراة عليه . فلو حدثت معركة فإن أتباع محمد ﷺ لن يتميزوا فيها عن
أعدائهم لأن الكل مختوئون . وقد أبقى اليهود على هذا الحكم إلى هذا اليوم . أما
المسيحيون فإنهم الغرء ووضعوا العمودية موضعه . وهى الرش بالماء على مذهب ،
والتنطيس فى الماء على مذهب . والعمودية عند المسيحيين معناها : أنهم أبطلوا
الجهاد فى سبيل الله . وتقد قال بولس لتيطس فى هذا الشأن: « ذكرهم أن يخضعوا
للرياسات والسلطان ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح، ولا يطعنوا فى
أحد، ويكونوا غير مخاصمين حلماء مظہرين كل وداعه لجميع الناس » [١٦:٣]
+ وهى فى الأصل من العمدان والمسيح علامه تمييز بين من يقبل دعوتهما ومن لا
يقبل .

أما عمودية يوحنا :

فهى الصبغ فى الماء دلالة على أن المصبىغ قد قبل دعوته ، وانفصل عن
اليهودية وأصبح ظاهرا من الذنوب والأكاذيب ليبدأ حياة جديدة مع النبي الآتى الذى
يبشر به ، إذا جاء . ذلك قوله: « أنا أعمدكم بالماء للتسوية . ولكن الذى يأتي
بعدى؛ هو أقوى منى ، الذى لستُ أهلاً أن أحمل حذاته . هو سيعمدكم بالروح
القدس ونار . الذى رفعه فى يده ، وسينقى يديه ، ويجمع فسمحه إلى المخزن .
واما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ »

يريد أن يقول : أنا أصبح فى الماء ليستعد المصطبغ للدخول فى دين النبي
الآتى من بعدي ، ويترك دين اليهود . والآتى من بعدي سيكون محاربا وفاتح
بلاد . وسيأخذ بلاد اليهود بالقوة وسيهلك المقاومين له فيها . وهو سيحولكم إلى دينه
بالهام من الله وبالحرب . ومثله مثل الذى يدرس القمح . فإنه ينقى القمح الجيد ،
ولن يكفى يده عن اليهود حتى يظهر دينه على الدين كله .

عندئذ آتى عيسى عليه السلام ليظهر للناس علنا أنه انفصل عن اليهود ، وأن
محمدًا لو كان موجودا للدخل فى دينه ، واعتمد من يوحنا أيام الناس لهذا الغرض
. يقول متى « جئتْ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ؛ ليعتمد منه .
ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك ، وأنت ثانى إلى؟ فأجاب يسوع
وقال له : اسمع الآن . لانه هكذا يلين بنا أن نكمل كل بىز . حيثنى سمع له »

تحريف الأنجليل في معمودية المسيح

على بد نبى الله يوحنا المعمدان :

ومحرف الإنجيل قلب غرض عيسى عليه السلام من المعمودية . ففترضه هو أن يظهر للناس : أن النبي الآتى من بعده هو محمد رسول الله . وغرض محرف الإنجيل هو منع النبوة فى محمد إلى الأبد . فلذلك آتى بنبوتين من نبوءات التوراة على محمد ، وطبقهما على المسيح عيسى فى أثناء الاعتماد . وقال : « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء ، وإذا السموات قد افتتحت له . فرأى روح الله نازلا مثل حمام ، وأتاها عليه . وصوت من السموات قائلا : هنا هو ابنى الحبيب الذى به سررت »

لاحظ :

١ - هنا هو ابنى الحبيب .

٢ - الذى به سررت .

هذا فى أثناء الاعتماد . وابتدع قصة التجلى على جبل طابور وقال : « وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ، ظلتتهم . وصوت من السحابة قائلا : هنا هو ابنى الحبيب ، الذى به سررت ، له : اسمعوا » {منى ١٧ : ٣}

فأزاد نبوة « له اسمعوا » وصار بها واضعاً ثلاثة نبوءات على المسيح .

١ - هنا هو ابنى الحبيب .

٢ - الذى به سررت .

٣ - له اسمعوا .

ثلاث نبوءات لـ محمد ﷺ وضعهم على عيسى عليه السلام . وفي الأنجليل : أن عيسى نفسه قد وضعهم على محمد ﷺ وبيان ذلك :

١ - أما عن نبوة ابنى الحبيب :

فإن داود عليه السلام قال عن محمد ﷺ بظاهر الغب :

« إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك .
اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأناصى الأرض ملكا لك . تحطّمهم بقضيب من
حديد ... الخ» وقد فسرها المسلمون على محمد ﷺ في الأجوية الفاخرة .
وتخيّل من حرف الإنجيل وغيرهما . وقد طبقها المحرفون على المسيح في أعمال
الرسل ١٣ : ٣٣ وعبرانيين ١ : ٥ و ٥ : ٥ مع أن المسيح لم يحارب ولم يتصرّ على
أعدائه . وقد طبقها العمدان على محمد ﷺ في قوله : « الذي يؤمّن بالابن له
حياة أبدية . والذى لا يؤمّن بالابن لن يرى حياة ، بل يكثّر عليه غضب الله »
[إيو ٣١] وطبقها عيسى نفسه على محمد في أكثر من موضع . ومن ذلك : « لا
يقلّر الابن أن يعمل من نفسه شيئا ... الخ» [إيو ٥ : ١٩ - ٢]

٢ - وأما عن نبوة الذي به سررت :

ففي الأصحاح الثاني والأربعين من سفر إشعياء : « هو نَا عبدى الذي
أعْضَدَهُ ، مختارى الذي سُرِّتْ به نفسى . وضفتُ روحى عليه فيخرج الحق للأمم لا
يصبح ولا يعرف ولا يسمع في الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف وقبيلة
خاملة لا يطفئن . إلى الأمان يخرج الحق . لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق في
الأرض وتنتظر الجزائر شريعته ... الخ» [إش ٤٢ : ١ + ٢]

وهذه النبوة طبقها كثيرون من المسلمين على محمد ﷺ وهي تنطبق عليه
حقا ، لأنّه محارب ومتصرّ وصاحب شريعة

وقوله في النبوة : « وتنتظر الجزائر شريعته » إشارة إلى محمد ﷺ ففي
سفر التكوين : « لا يزول قضيب من يهوننا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتي
شيلون وله يكون خضرع شعوب » [تك ٤٩ : ١٠] بالشرعية التي معه . وشيلون
هونبي الأمان والسلام . كما سيأتي ليوضحه .

٣ - وأما عن نبوة له اسمعوا :

ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر الشّتّى : « يقيم لك الرب إلهك نيا من
وسطك من إخوتك مثلّى له تسمعون »

ومن علامة صدقه : أن يخبر عن غيب ويقع الغيب كما قال . لقوله : « وإن

قلت في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ ... إلخ
 وقد طبق المسيح هذه النبوة على محمد عليهما السلام وهو يتكلّم عن « بيرا كليت »
 فقال : « وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلّم
 من نفسه بل كل ما يسمع ، يتكلّم به ، ويخبركم بأمور آتية » { يو ١٦ : ١٣ }

التمهيد الخامس : الصابئون هم أتباع بحري عليه السلام :

الصابئون في العربية هم الصابئون في العبرانية . وأصلها من صين بالغين
 المعجمة ، وال عبرانية ليس فيها حرف الغين ، وينطقونها عين أو همزة . وفي الكتب
 التي تكلمت عن الصابئين : نجد فيها أنهم أتباع يوحننا المعمدان ، وأنهم طائفة من
 اليهود انفصلوا عنهم بسبب كلام يحيى عن محمد عليهما السلام فإنه كان يقول : « اقرب
 ملكوت السموات » وكان يفسر نبوة كلمة الرب تفسيراً حسناً ، يدل عليه . واعترف
 بأنه ليس هو « المسا الذي تفسيره المسيح » وقال : إن من لا يؤمن بالابن حسب
 نبوة المزמור الثاني سيمكث عليه غضب الله . ولم يعترف بأن عيسى هو النبي الأمي
 الآتي إلى العالم ، وأرسل إليه قائلاً : « أنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟ »

أ - « وفي الأرامية جاء اشتئاق كلمة « صابنة » من الفعل « صبا » أو « صبع »
 الذي يعني الاغتسال أو الارتماس بالماء الحارى ولا زالت كلمة « صابنة » تطلق على
 « المنسنة » في جنوب العراق وغرب إيران »^(١)

ب - ومن كتبهم المقدسة : كتاب « أدراشاً أدبيها » أى تعاليم يحيى - عليه
 السلام - ويحتوى على وصايا أخلاقية منها :

١ - يمكن سر السعادة في أن لا تكون كاذباً أو منافقاً .

- من يعمل خيراً ، برى خيراً .

- الويل لعالم لم يعلم شيئاً من علمه لآخرين »^(٢)

ج - ذهب « نولدكه » إلى أن الكلمة « صابنة » مشتقة من صب الماء . إشارة

(١) صابة حران للأستاذ محمد عبد الحميد الحمد ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧

إلى اعتمادهم بالماء ، لأنهم يعتمدون كالنصارى^(١)

د - وقال غيره : إن الديانة المسيحية اتصلت بيقية الكلدان ، فنشأ منها مسيحيو مار يوحنا في البصرة . وهم الصابئون^(٢)

ه - ويرى آخرون : أن اسم الصابئة مشتق من كلمة (ص . ب . ع) العربية بمعنى : غطس ثم أسقطت العين إشارة إلى شعائرهم الرئيسية وهي التعميد والغطس في الماء الجاري^(٣)

و - وقال زيد في مقدمة كتاب المصحف المصري : « من المرجح : أن الكلمة الصابئة مشتقة - على ما قاله العرب - من صيغة أى عبد وأدخل في الماء »^(٤)

ز - وقد علق على ذلك الأب « كرملي » بقوله : « وهذا الاشتقاد ليس بعيد فإن ما كان بالعين المعجمة في العربية ، فهو في سائر اللغات السامية بالعين المهملة ولما كانت العين المهملة كثيراً ما تبدل بالهمزة والعكس ، كانت لفظة الصابئة بمعنى الصابفة »^(٥)

ح - والاستاذ غضبان الرومي - وهو من أعيان الصابئة - يقول : « ومن المعتقد : أن الكلمة « صابئة » أطلقت عليهم من الأقوام المجاورة لهم ، والذين كانوا يعرفون « اللغة المندائية » - وهي لغة الصابئة - ويعرفون « المصبتا » أى التعميد »

ط - ويقول الاستاذ غضبان الرومي : « إن الرأى الأكثر صحة وقبولاً لدى المحدثين من الباحثين عرباً ومستشرقين أن الكلمة صابئة مشتقة من صيغة الأرامية بسكون الصاد وفتح الباء لجوار الابتداء بالساكن في اللغة المندائية كقولهم : كتابة - دراشة . أى كتابة ودراسة وكلمة صيغة الأرامية تعنى : التعميد بالذات ، أو الصياغة.

(١) مجلة الشرق البحرينية المجلد الرابع ص ٩٢٥ مقال للآباء أنساس الكرملي

(٢) المقططف ج ٢٣ ص ٨٧ القدس صمويل زوير .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج ١٤ ص ٨٨ مادة الصابئة .

(٤) نقلًا عن الصابئة للأستاذ الدكتور علي محمد عبد الوهاب - دار ركابي للنشر بمصر

(٥) مجلة الشرق البحرينية - المجلد الرابع ص ٥١ .

ومنها قولهم « صابين » أى المعمدين . والتعميد فى المعتقد الصابين المدائى قد تم
جداً^(١)

ى - وفي كتاب « ترسو الفاشيالة » - وهو من الكتب المقدسة لدى الصابرة -
« مصبيخ متفرقخ من يهودوتة إلى مديونة » أى : عمادك يفرقك من اليهودية إلى
المدائى » ويقال : اصبن البوشن . أى اصبن ملابسك . وتعنى كلمة « صبا » مجازاً
: صبغ الشئ ، وتفير لونه بلون آخر .

التمهيد السادس : عبادة اليهود للأصنام :

بينا في كتابنا البداية والنهاية لامة بنى إسرائيل : أن العرب بنى إسماعيل عليه
السلام لم يسجلوا لصنم نط وأن اليهود هم الذين عبدوا اللات والعزى ومناة ،
وصنم البعل . وأن اليهود وضعوا ما كان فيهم في العرب ؛ للحط من شأنهم .
وكان أمامي حين تقرير هذا الرأى وتقريره ثلاثة كتب الكتاب الاول هو القرآن
والكتاب الثاني هو التوراة والكتاب الثالث هو كتاب السيرة . ووُجدت القرآن حال
من عبادة العرب للأصنام . ووُجدت التوراة مليئة بالنصوص التي تدل على أن اليهود
قد عبدوها . فإذا قال القرآن : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة » فإن القسمير في
« أفرأيتم » لا يعن العرب ولا يعن اليهود . وعليه يتعين البحث في كتب العرب
وفى كتب اليهود عن العابدين لها من هم ؟ فإذا ليس في كتب العرب أن العرب
عبدوها ، فإنهم يخرجون من عابديها ، وإذا في كتب اليهود أنهم هم العابدون لها ،
فإنهم يكونون هم المقصودون بقوله : « أفرأيتم » وفي هذه الحالة لا يجب البحث
في كتاب السيرة لأسباب يعرفها أهل الحديث والسير .

وبالبحث والتحرى في القرآن وجدنا أن القرآن ينفى عن العرب عبادة الأصنام
نفياً باتاً . ففي العهد المبرم بين الله وبين إبراهيم وإسماعيل في تطهير بنى إسماعيل
للكعبة ، لا نجد في القرآن أنهم نقضوا العهد . ولو كانوا قد نقضوه لahanem الله
بنقضه كما أهان اليهود بنقضهم ميثاقهم . ولما فرغ إبراهيم من رفع قواعد البيت
الحرام ، طلب من الله طلين أولهما : أن يجنب بنيه من إسماعيل عبادة الأصنام ،
وثانيةهما : أن يرسل فيهم رسولاً منهم هو محمد عليه السلام زلم يكن لإبراهيم في ذلك

(١) الصابرة - غضبان الروم عكة الناشي الصابرى / من ٤٩ - ٥٠ طبعة ١٩٨٣ مطبعة الامة بغداد .

الوقت غير إسماعيل . واستجابته في محمد ، تدل على استجابته في التجنيب ،
لأنه لا قائل بالفرق .

أما اليهود ففي سفر الملوك الثاني أنهم عبدوا صنم البعل في أيام إلياس عليه
السلام ، وفي سفر إشعيا عبدوا صنم مئاة ، وفي سفر إرميا عبدوا الكواكب
والنجمون ، وفي سفر الزبور ذبحوا بنיהם وبناتهم للأوثان .

ففي الأصحاح الخامس والستين من سفر إشعيا : « أما أنت الذين تركوا
الرب ، ونسوا جبل قدس ، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة ، وملأوا للسعادة الأصغر
خمرا ممزوجة » يقول المعلقون على ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق
الأوسط : « للسعد الأكبر » : جاد وهو المشترى « للسعادة الأصغر » لمناه وهو
الزهرة .

وفي الزبور المائة والسادس : « وذبحوا بنיהם وبناتهم للأوثان وأهرقوا دما
ذكيا . دم بنיהם وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كتعان ، وتندسوا الأرض بالدماء »
وهذا هو معنى قوله في القرآن عن اليهود : « وإذا المؤودة سالت بأى ذنب
قتلت »؟ يقول المعلقون على هذه الترجمة : تحت « وذبحوا بنיהם وبناتهم » : { مل ۱۶
: ۳ } وإشعيا ۵۷ : ۵ وحزقيال ۱۶ : ۲۰ و ۲۰ : ۲۶ } وتحت « للأوثان » :
{ لا ۱۷ : ۷ وثالث ۳۳ : ۱۷ و آى ۱۱ : ۱۵ و ۱ کو ۱۰ : ۲۰ } وتحت كلمة
« بالدماء » : { عدد ۳۵ : ۲۳ }

هذا هو حال اليهود من التوراة . أما عن حال العرب من القرآن :

١ - « وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك
أنت السميع العليم ربنا واجعلنا سلمناك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا
مناسكتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو
 عليهم آياتك ، ويعلّمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » [البقرة
: ۱۳۹ - ۱۳۷]

٢ - « وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبني وبني أن نعبد
الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك
غفور رحيم » [إبراهيم ۳۵ - ۳۶]

وَعِبَادُ الْأَصْنَامِ فِي زَمَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ صَابَةٌ .
 فَاسْمُ الصَّابَةِ لَمْ يُعْرَفْ فِي الْعَالَمِ إِلَّا مِنْ الصَّبَيْنِ فِي الْمَاءِ بْنِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .
 وَاسْمُ الصَّابَةِ يُعْرَفُ فِي الْعَالَمِ بِمُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ . وَهَذَا يُغَيِّظُ الْبَهُودَ . فَلَذِكَ أَطْلَقُوهُ
 عَلَى عِبَادِ الْأَصْنَامِ الْقَدْمَاءِ لِلْإِيمَانِ وَالْخُدُّاعِ وَاصْطَحْبُوهُ عَلَى أَتَابَعِ يَحْيَى لِلْإِيمَانِ
 وَالْخُدُّاعِ . وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ قَدْ فَرَقُوا بَيْنَ عِبَادِ الْأَصْنَامِ الَّذِينَ أَطْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَهُودَ
 لِقَبْ «الصَّابَة» وَبَيْنَ أَتَابَعِ يَحْيَى . يَقُولُ الْحَبْرُ مُوسَى بْنُ مِيمُونَ فِي دَلَالَةِ الْحَائِرِينَ :
 « وَإِنَا أَذْكُرُ لَكُمُ الْكِتَبَ الَّتِي يَتَبَيَّنُ لَكُمْ مِنْهَا كُلُّ مَا عَلِمْتُهُ أَنَّا مِنْ مَذَاهِبِ الصَّابَةِ ،
 وَآرَائِهِمْ ، حَتَّى تَعْلَمَ يَقِينًا صَحَّةَ مَا أَقُولُهُ فِي تَعْلِيلِ هَذِهِ الشَّرَاعَةِ :

أَكْبَرُ كِتَابٍ فِي ذَلِكَ «الْفَلَاحَةُ النَّبِيَّةُ» إِخْرَاجُ «ابْنِ وَحْشِيَّةَ» وَسَاخْبِرُكَ فِي
 فَصْلٍ يَأْتِي : لَا يَشْئُ جَعْلُ الصَّابَةِ مَذَاهِبِهِمْ مَدْوَنَةً مَعَ فَلَاحَةَ الْأَرْضِ . وَهَذَا
 الْكِتَابُ عَلَوْهُ مِنْ هَذِيَّاتِ عَابِدِيِّ الصَّنْمِ وَمَا أَنْفَسَ الْعَوَامَ مَا تَلَّهُ إِلَيْهِ ، وَمَرْتَبَتْهُ بِهِ .
 أَعْنِي : أَعْمَالُ الْطَّلَسَمَاتِ ، وَاسْتِزَالُ الرُّوحَانِيَّاتِ ، وَالسُّحُورُ وَالْجُنُونُ ، وَالْغَيْلَانُ الَّتِي
 تَأْوِيُ الْبَرَارِيُّ ، وَدُرُجُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ : هَذِيَّاتِ عَظِيمَةٍ يَضْحِكُهُنَّهَا ذُرُوفُ
 الْعُقُولِ . يَزْعُمُ بِهَا الْقَدْحُ فِي الْمَعْجَزَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي عَلِمَ بِهَا أَهْلُ الْأَرْضِ أَنَّ ثُمَّ إِلَهُهَا
 حَاكِمًا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا قَالَ : « لَكُمْ تَعْلُمُ أَنَّ لِلَّهِ الْأَرْضَ » وَقَالَ : « إِنِّي
 أَنَا الْرَّبُّ فِي الْأَرْضِ » إِلَى أَنْ قَالَ عَنْ أَصْنَامِهِمْ مَا قَالَ . ثُمَّ قَالَ : « إِنْ كُلُّ مَنْ
 يَعْتَرِفُ بِعِبَادَةِ الصَّنْمِ ، يَكْفُرُ بِالْتُّورَاةِ كُلُّهَا »

هَذَا عَنْ عِبَادِ الْأَصْنَامِ . وَأَمَّا عَنِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ : فَإِنَّ الصَّابَةَ أَتَابَعُ نَبِيِّ
 اللَّهِ يَحْيَى يَعْتَرِفُونَ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْعَمَلِ الصَّالِحِ عَلَى وَفَقِ
 شَرِيعَةِ التُّورَاةِ . فَالْمَنْدَانِي يَقُولُ حِينَ خَرُوجِهِ مِنَ التَّعْمِيدِ بِالْمَاءِ الْجَارِيِّ : « بِسْمِ اللَّهِ
 الْمُتَعَالِ إِنِّي خَرَجْتُ مِنَ الْمَاءِ الْجَارِيِّ وَالظَّاهِرِ بِرُوحِ طَاهِرَةٍ وَأَدِيتُ مَنَاسِكَ التَّعْمِيدِ ،
 نَحْمَدُ اللَّهَ وَنَعْبُدُهُ عِبَادَةً خَالِيَّةً مِنَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَأَنَّ الشَّمْسَ نُورٌ مَسْخَرٌ لَنَا ،
 وَهِيَ فَاقِلَةٌ لِأَيْةٍ قَنْدَرَةٍ ، وَعِبَادَتِهَا باطِلَةٌ »^(۱)

وَفِي كِتَابِ «الْكِتْرَرِيَا» : « وَلَا تَسْجُدُوا لِلشَّيَاطِينِ وَالْأَصْنَامِ وَالْكَهْنَةِ
 الْكَذِبِ »^(۲)

(۱) الصَّابَةُ الْمَنْدَانِيُّونَ صَ ۸۱ سَلِيمُ بْرُ نَعْمَنْ - دَارُ الْمَدِيِّ - دَمْشَقُ ۱۹۹۶ م

(۲) الصَّابَةُ قَدِيمًا وَحَدِيدًا صَ ۴۱ مَكْتَبَةُ الْحَالِمِيِّ بِالْقَاهِرَةِ سَنةُ ۱۹۳۱ عَبدُ الرَّازِقِ الْحَسِينِ

وفي زمن قسطنطين إمبراطور روما توحدت طائفة الصابرين مع طائفة النصارى، وفرض أهل الروم عليهم أن لا يجهروا باسم محمد رسول الله ﷺ ودعجراً لنجيل المسلمين وإنجيل المسيح في إنجليل واحد . هو الذي مع الجميع إلى هنا اليوم وهو مكون من متى ومرقس ولوتاً ويوحنا مع التوراة العبرانية وأسفار الأنبياء .

وليس في هذه الكتب تصريح أو تلويع بعبادة غير الله . ففي التوراة : « انظروا الآن أنا هو وليس إله معنِّي . أنا أميت وأحيي » { تث ٣٢ : ٣٩ مز ١٠٢ : ٢٧ إش ٤١ : ٤ و ٤٨ : ١٢ تث ٤ : ٤٥ إش ٣٥ : ٥ و ١٨ و ٢٢ أيضاً ١ سم ٢ : ٦ و ٢ مل ٥ : ٧ وأي ٥ : ١٨ ومز ٦٨ : ٣٠ وهو ٦ : ١ } أي هو الله الذي يحيي ويميت . وفي إنجليل يوحنا : « الذي يؤمن بي ، ليس يؤمن بي ، بل بالذي أرسلني » { يو ١٢ : ٤٤ }

ثُمَّ التمهيدات

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ،
وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين .
وبعد

فكتابنا هنا هو في معنى قوله تعالى في القرآن الكريم : « **أئمّة مقتولة** »

« من أهل الكتاب أئمّة قائمة »

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابرين . من آمن بالله ،
والبِيَوْمِ الْآخِرِ ، وعَمِل صَالِحاً ؛ ثُلَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؛ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ
يَحْزُنُونَ »

« إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابرين ، والنصارى ، والجُنُوس ،
والذين أشركوا ؛ إن الله على كل شئ شهيد »

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابرون ^(١) والنصارى . من آمن بالله والبِيَوْمِ

(١) المعنى : بخير عز وجل عن طوائف من الناس من قبل الإسلام ، سبق أن أخبر عنهم في سورتين
من سور القرآن . ثم وضح في سورة المائدة . وهي من أوائل ما نزل من القرآن . إن الصابرين
طائفة من اليهود . على طريق الجمل التضليلية التي توسيع بين شرطتين في الكلام . يريد أن يقول
: إن الذين آمنوا والذين هادوا - والصابرون منهم - والنصارى .. الخ . فالصابرون مرفوعة على
معنى أن « الصابرون » من الذين هادوا .

ويتو إسرائيل ينقسمون إلى عبرانيين وسامريين من بعد عصر داود وسليمان . عليهما السلام .
والمورخون يطلقون على السامريين لقب بنى إسرائيل ، ويطلقون على العبرانيين لقب اليهود . وقد
عبر الله - تعالى - بقوله : « والذين هادوا » ليدل على أن الصابرين طائفة من العبرانيين ، لا من
السامريين . والسامريون لا يقدسون سوى الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى - عليه السلام .
وال عبرانيون يقدسون الأسفار الخمسة وأسفار الأنبياء .

وقد استدل يحيى في تبشيره عن محمد ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} بأسفار الأنبياء مثل عيسى سواه . فنبوءة
ملكت السموات من فاطيما ، وابن الله من الزبور ، وكلمة الله من إشعيا . كل ذلك يدل على

الأخر ، وعمل صالحًا ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٤﴾

وقد تبين لنا :

١ - أن الله تعالى وعد بني إسرائيل ببني مثل موسى عليه السلام هو محمد عليهما السلام {ثنية ١٨ : ٢٢} وقد أعاد علماء بني إسرائيل لهم في «بابل» كتابة نصوص التوراة الدالة عليه بصيغة تختتم أنه سبأني من بني إسرائيل ، أو سبأني من بني إسماعيل . وأشاروا في الأمين : أنه سبأني من بني إسرائيل . ولذلك ظنوا أنه لن يكون من بني إسماعيل .

٢ - وقد أرسل الله يحيى عليه السلام ليظهر من التوراة للعلماء والأمين النصوص الدالة على النبي الأمي على مثال موسى ، ويفسرها تفسيرا حسنا يدل على محمد عليهما السلام فاظهر وفسر . ولم يلق معارضة من الأمين .

٣ - أما علماء بني إسرائيل الذين يعلمون علم اليقين أن النبي الأمي الآتي هو محمد رسول الله عليهما السلام فإنه لقى معارضة منهم . ووصفوه بأنه «شيطان» ولم يؤمنوا به .

٤ - وما احتاج به على كلامه أمام العلماء والأمين ؛ نبوة في سفر دانيال عن النبي الأمي الآتي . وهى نبوة «ملكوت السموات» {إذا ٧} وقال : إن هذا الملکوت سيأسس من بعدي .

٥ - ومن تاب على بدئه في أمر النبي الأمي الآتي . وهو أنه سبأني من بني إسماعيل ؛ كان يأخذني ، ويصيغني في الماء . فسمى هو وأتباعه الصابرين (١) ، لأنهم كانوا يصيغون النائب في الماء من أجل الاستعداد للدخول في دين محمد إذا جاء .

= أن الصابرين يقدسون التوراة العبرانية الترجمة إلى اليونانية . فلذلك عندهم :

١ - التوراة اليونانية بـ - والإنجيل الاربعة .

(١) لأن الصابرين قد دخلوا في مسيحية روما من زمن قسطنطين سنة ٣٢٥ جـبرا وقسا . وعُرِفوا من ذلك الحين بالسيحيين ؛ ظن المؤمنون أن الصابرين قد انقرضوا من العالم ، أو قتل عددهم . وهم مثل اليهود الماران . متفافقون في المسيحية . وكل فرد منهم يحمل اسمين ودينين وبلدين . وهذا هو السبب في كثرة تعداد اليهود في سنة وقته في سنة ؛ لأنهم يُدعون مع المسيحيين في بلد ، ولا

بعدون مع اليهود في بلد . والصابرون منهم . يكرن تعدادهم ويقل ، لدخولهم مع المسيحيين وخروجهم منهم . والإنجيل مع الفريقين واحد . والتوراة أيضا . وكل ما كان عند الصابرين ما وصلهم عن يحيى عليه السلام هو موضوع بالخصوص لا يدخل بالمعنى في الأنجيل الاربعة . وقد خلا الإنجيل بربناها من آية إشارة عن يحيى ، ومنها يدل على أنه كان عند الصابرين إنجيل مثله . خلا من آية إشارة إلى عيسى عليه السلام . ووضع ما وصل إليهم من يحيى في الأنجيل الاربعة ، وتشابه معتقداتهم في نفس العمل بالتوراة ؛ يدل على أن أهل الروم قد دعوا الإنجيلين في الجبل واحد وتسموه إلى أربعة . والزموهم بالسيجية الورثية ، وحرقوا عليهم العمل بالحكام التوراة . وفي ذلك يقول بولس : « فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب لو من جهة عبد أو ملال أو سبت . التي هي ظل الأمور العديدة » [لوسي ٢ : ١٦] { إنما إن كتم قد تم مع المسيح من أركان العالم . فلماذا كاتكم عاشرون في العالم ؛ تُغرضن عليهم فرائضن . لا تنسى ولا تنفع . ولا تُعذبن } [لوسي ٢ : ٢٠]

وقال لي عالم من علماء النصارى : إن المسيح لم يكتب الإنجيل بخط يده . وبعد انتقاله من الدنيا إلى الآخرة جمع بربناها ومتى من مكتوبات التلاميذ ، ومن السنة الناس ما وضعه في إنجيله . وتداول ما الإنجيل مع جميع النصارى إلى زمن مجمع نيقية . وقد قرر للمجتمعون أن يكون النبي المثال لموس هو المسيح عيسى نفسه لا محمدا . فلذلك أسكوا بالإنجيل ؛ ودفعوا اسم محمد عنه . وأبقوا على المصطلحات النادرة عليه ، وعلى المعجزات التي صنعتها . وأخروا الإنجيل الأول ، ثم أسكوا بالإنجيل الذي فيه المصطلحات والمعجزات ، ووضعوا فيه عبارات تلغز المعنى . عبارات تدل على أن المسيح عيسى هو النبي المثال لموس . ولخصوا إنجيل المسلمين ولخصوا سيرته ، ووضعوها أيها . وقسموه إلى قسمين . قسم نبوه إلى يوحنا . وقسم نبوه إلى متى ومرقس ولوانا . وكل ذلك فعلوه ليرفضوا جميع كنائس النصارى . الكنائس التابعة للمسلمان ، وكنيسة مصر التي أسسها مرقس ، وكنيسة تركيا التي أسسها يوحنا ، وكنيسة أورشليم التي أسسها متى ، وكنيسة روما التي أسسها لوانا مع بولس .

والإنجيل الأول المكتوب يد بربناها ومتى ، ما يزال موجودا على حاله باسم المصطلحات والمعجزات . وسميت أن الملكة التي تزيد الاطلاع عليه ، لا يأخذن للاطلاع إلا رئيسها ، ولا يطلع عليه شعبه . وقد استعارته الجلترا من مكانه وردته في الحال إلى مكانه . وإنجيل بربناها المتداول الآن هو الإنجيل الأول . وقد ذكر لي هنا النصراني اسم البلد التي فيها الإنجيل الأول ، ولكن سنيه . وقال : إن الاختلاف الواقع بين الأنجيل الشلة هو اختلاف متعدد بالمعنى أو بالزيادة وقال إن في بربناها عبارات من النبي وضفت في مرقس وغيره للتحريف ، ولبس متعمدة من أحد الناس ، وسبب وضعها فيه : هو وجود خروم في بعض الصفحات ، أو تقص فيها ، أو طمس كلمات . والواقع يظن أن ما فعله حنا ، لأنه ينقل من إنجيله ، وهو لا يدرك أنه ينقل من الجبل محرف عدنا . أنتهت كلام النصراني . وقد ذكرته للعلم بالشي }

ولما سمع المسيح عيسى عليه السلام بأن يحيى يصبح في نهر الأردن ؛ أتى إليه ، وطلب منه أن يصيغه ؛ ليكون قدوة للناس . فصيغه يحيى . ثم إن المسيح نفسه كان يصبح هو الآخر . هو وأتباعه من طلاب العلم . فـ «الصابرين» هم جماعة من بني إسرائيل تابوا من الآثام بسبب وعظ نبى الله يحيى عليه السلام وت بشيره بـ محمد رسول الله ﷺ .

وأهم فرق بين الصابرين وبين النصارى : هو أن النصارى رضوا بقول بولس وهو تطبيق جميع نبوءات التوراة عن النبي المتظر - الذى هو محمد ﷺ - على المسيح عيسى عليه السلام .

ولما لم يجدوا تبريراً لصفات الملك والانتصار على الأعداء وفتح البلاد المذكورة في النبوءات وذلك لأنه لم يكن ملكاً ولم يتصر ولم يفتح بلاد الكفر . احتالوا على وضع النبوءات عليه بقولهم : إنها ستتطبق عليه في مجده الثاني المتزامن مع يوم القيمة .

أما الصابرون فإنهم رفضوا تطبيق نبوءات التوراة على المسيح عيسى عليه السلام و قالوا لعلمائهم : إنها لـ محمد ﷺ .

ومن هذه النبوءات نبوءة « ابن الله » في المزمار الثاني لدواود عليه السلام فإن من عادة اليهود إطلاق لقب « ابن الله » على كل مؤمن يتسب إلى الله وإطلاق لقب « ابن إيليس » على كل مؤمن به وعامل يراودته . ففي بهذه المحبيل يوحنا : « وأما كل الذين قبلوه فأعطائهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله . أى المؤمنون باسمه » { يو 1 : ۱۲ }

وصرح الصابرون في كتبهم بأن نبوءة الابن ليست للمسيح . ويقول اليهود والنصارى : إن نبوءة « ابن الله » من النبوءات الدالة على النبي الآتى إلى العالم على مثال موسى . وهى أصل أنتوم الابن عند النصارى ، للنحو في نبوة محمد ﷺ والملعون يعرفون أنها نبوءة عن محمد ﷺ واحتجوا بها على اليهود والنصارى

نبوءة ابن الله ، وتطبيق المسلمين لها على محمد صلى الله عليه وسلم

يقول داود عليه السلام : « لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب في الباطل ؟ قام ملوك الأرض ، وتأمر الرؤساء معاً على رب ومسيحه ، فاثلين : لقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما .

الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم . حيثذا يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى . إن أخبر من جهة قضاء الرب . قال لي : أنت ابني . أنا اليوم ولدتك . أسألنى فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأناصى الأرض ملكاً لك . تحطمهم بقضيب من حديد مثل إثاء خراف تكسّرهم .

فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبويا ياقضة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، وامتهوا برعدة . قبلوا الآين لثلا يغضب ، فتيلوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلمين عليه » { مزمور ٢ }

يقول مؤلف تخجيل من حرف الإنجيل في البشرى السادسة عشرة : « قال داود في المزمور الثاني له ، وتبأ به على اتساع خطة الإسلام : « أنت ابني ، وأنا اليوم ولدتك . سلني أعطيك الشعوب ميراثك ، وسلطانك إلى أقطار الأرض . ترعاهم بقضيب من حديد ، ومثل آية الفخار تسحقهم » أعلم : أنه لا يتصور من عارف صرف هذا المزمور عن سيدنا محمد رسول الله ﷺ لأنه - عليه السلام - هو الذي ورث الشعوب كلها ، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض ، ورعى الأمم ، وأحاطتهم بسيفه . ولا يمكن صرف هذا المزمور إلى داود ، لأنه لم يرث سائر الشعوب ، ولا بلغ سلطانه إلى أقطار الأرض . إذ ما ملك سوى ناحية من الأرض وهي « بيت المقدس » ثم خرجت من بعله إلى أمّة هذا النبي مع الأقطار والنواحي .

فقد بلغ سلطان محمد - عليه السلام - جراثيب الدنيا ، وأطراف العالم . ففتح الله عليه الحجاز واليمن والحبشة والنوبة والهند والسندي إلى الصين ، ودوخت أمّة الشام والعراق وفارس إلى الترك . وافتتحوا أرض مصر ، والمغرب الأقصى إلى بحر طنجة . فقد ورث محمد سائر الشعوب ، وبلغ سلطانه إلى أقطار الأرض .

فصار هذا المزور مضاهاً لشري يعقوب في التوراة ، محمد عليهما السلام الذي نقلناه .

فاما قوله : في أول المزور : « أنت ابني » فجرى فيه داود على عادتهم في إطلاق لفظ البناء على النبي والمطيع لله ، فقد قال في التوراة : « إسرائيل ابني بكري » وقال المسيح في الانجيل : « أنا ذاهب إلى أبي وأيكم »

{ انتهى كلامه بنصه }

ومن قبل زمان يحيى عليه السلام بنحو ألفي سنة . أى في زمان إبراهيم عليه السلام - كان أهل « حاران » يعبدون الكواكب والنجوم ، ويسنون لكل كوكب وكل نجم هيكلًا ، ويضعون فيه تماثلا .

وكان إبراهيم عليه السلام من أهل « حاران » ونهادهم عن هذه العبادة ، وأمرهم بعبادة الله رب العالمين .. فمتهם من يُلعن بهم .. ومنهم من صد عنه . وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم : « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا قومهم : إننا بربكم ، وما تعبدون من دون الله . كفربنا بكم ، ويدا يبتنا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا ، حتى تؤمنوا بالله وحده »

ثم تركهم إبراهيم واتلق إلى لرض مكة الأرض التي بارك الله فيها للعالمين . وبعد نحو أربعين سنة وثلاثين سنة ، أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام وأمره أن يلزم قومه بفتح بلاد الكفر لنشر الإسلام فيها على شريعة التوراة . فأطاعوا وجاهلوا في سبيل الله ودخل أهل حaran مع الداخلين في شريعة موسى وصاروا بهودا .

يهود جنس ويهود ديانة . وظلوا على هذا الحال إلى أن ظهر يحيى في فلسطين ونادي في اليهود باقتراب ملوكوت السمرات وصيغ أتباعه في نهر الأردن . علامة على أنهم انفصلوا عن اليهود في شأن محمد رسول الله . ذلك لأن اليهود يزعمون أن النبي الأنبي على مثال موسى { تث ١٨ : ١٥ - ٢٢ } سبكون منهم . ويحيى يقول : إنه سيأتي من بنى إسماعيل عليه السلام

ولما ظهر يحيى وخالف اليهود في شأن هذا النبي ، اضطهد اليهود أتباعه وحاربواهم ، وأجبروهم على الفرار إلى « حاران » وعاشوا مع اليهود الساكدين فيها . أما اليهود الساكدين فيها فإنهم يُعرفون بالسلمين على شريعة التوراة ، يهود الجنس

ويهود الديانة . وأتباع يحيى عُرِفوا بلقب الصابئين ، ويلقب الصابئين . لأن اللغة العبرانية ليس فيها حرف الغين المعجمة . ولأن الصابئين في لغة العرب هو من خرج من دين إلى دين - وتابع يحيى صابئ - أعطى بعض الكتاب لاتباع يحيى لقب الصابئين . بمعنى الخروج عن الدين ، لا بمعنى الصيغة في الماء . ويحوزون أن يُعطون اللقب بهذا المعنى ؛ لأنهم خرجو عن اليهودية في شأن محمد رسول الله ﷺ .

وأما لقب « الصابئة » على عباد الأصنام في زمان إبراهيم عليه السلام . فإن عباد الأصنام كانوا هم أهل القرى والمدن في العالم أجمع ، وكان دينهم هو الغالب على كل السكان . ولهم أسماؤهم التي يعرفون بها .

ولإبراهيم والذين آمنوا معه هم الذين خرجو عليهم ، وانتشروا عنهم . فإن كان الصابئ هو الخارج من دين إلى دين ؛ فلأنهم على هذا المعنى يكونون صابئا . وحيث أن الصابئة من الصيغة بالماء بعد إبراهيم بالف سنة . فلأنه لا يطلق على إبراهيم والذين آمنوا معه صابئة ، ولا يطلق على قومه إنهم صابئة .

ويعرض المزائين يحتالون على الناس بكتب السحر والتجمیع التي تقویها عن الرؤى القدماء . ولأنهم يجاورون الصابئين أتباع يحيى ؛ ظن الناس أنهم منهم وأطلقوا عليهم لقب صابئة . وهم ليسوا منهم لأن أتباع يحيى يعظمون التوراة وفيها النهي عن السحر والتجمیع والعرفة والرقى {متيبة ١٨ - ٩} [١٤]

وفى كتاب للصابئين يسمى ديوان حران كوثيا : « أن اليهود قد انتقضوا عليهم انفصال الأسد على فريسته ، وقتلوا منهم ما لا يعد ولا يحصى من كثرته . في مدينة أورشليم » وعند الأردن ، ومن تبقى من القتلى ، فر هاربا إلى حران ، وكان ذلك قبل أى شع بنحو مائة سنة ١٠ هـ .

وفى هذا الكتاب : « أنه بعد موت يحيى بنحو سبعين سنة ، حارب اليهود في أورشليم جماعة من الصابئين أتباع يحيى .

ولما لم يقو عليهم الصابئون ، هاجروا من أورشليم إلى العراق وعاشا مع أتباع الذين هاجروا من نبلهم ١٠ هـ .

ولذا هنا هو حالهم ، فلأنهم يكرونون يهودا . انفصلوا عن اليهود بسبب محمد رسول الله . وأنهم يأخذون دينهم من التوراة . فلماذا يقول الاستاذ عباس محمود

العقد رحمة الله إنهم أخذوا من كل دين شيئاً ، وجعلوا الذي أخذوه ديناً ؟ ولماذا يحار الناس في أمرهم . ومن نبيهم يعرفون دينهم ؟

ولغة اليهود هي اللغة العبرانية الحديثة من بعد سبي بابل. سنة ٥٨٦ ق.م واللهجة العامية منها هي السريانية - ويقال لها الآرامية - وهي شديدة الشبه بالعبرانية . ويتكلّم بها الصابئون ويكتبون بها فلماذا الحيرة في أمرهم وهم واليهود يكتبون بحروف واحدة ويقدسون التوراة

والحروف العبرانية مرتبة في هذه الكلمات : أبجد - هوز - حطى - كلمة - سعفصن - فرشت .

والحروف السريانية هي أ - با - جا - دا - ها - وا - زا - حا - طا - يا - كا - لا - ما - نا - سا - عا - فا - صا - قا - را - شا - تا .

وما يدل على أن الصابئة من اليهود : أن الكاهن منهم لا يتزوج مطلقة . وهذا الحكم في التوراة .

ففيها : أن الكاهن الهاروني الأعظم لا يتزوج امرأة أرملة أو مطلقة .

نقى سفر اللاويين : « وقال الرب لموسى : كلم الكهنة بنى هرون وقل لهم: لا يتتجس أحد منكم لبيت ، في قومه إلا لأقربائه الأقرب إليه أمه وأبيه وابنته وأخيه وأخته العذراء القرية إليه التي لم تصر لرجل . لاجلها يتتجس كروج لا يتتجس بأهلها . لتذنبوه . لا يجعل فرعة في رءوسهم ولا يحلقو عوارض لخاهم ، ولا يجرحوا جراحة في أجسادهم ، مقدسين يكونون لالههم ، ولا يدنسون اسم إلههم ، لأنهم يقررون وقائد الرب طعام إلههم ، فيكونون قدسا . امرأة زانية أو ملنسة لا يأخذوا ، ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها لأنه مقدس لإلهه فتحسبه مقدسا ، لأنه يقرب خbiz إلهك . مقدسا يكون عندك . لاتي قدوس . أنا الرب مقدسكم .

وإذا تدنست ابنة كاهن بالزندي فقد دنت أباها ؛ بالنار تحزرق . والكافر الأعظم بين إخواته الذي صبّ على رأسه دهن المسحة ، وملكته يله ليليس الثياب لا يكشف رأسه ولا يشق ثيابه ، ولا يأتني إلى نفس ميتة ، ولا تجس ل أبيه أو أمه ولا يخرج من المقليس لنلا يدنس مقدس إلهه لأن إكليل دهن مسحة إلهه عليه . أنا

الرب . هنا يأخذ امرأة عناء أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزاتية ، فمن مولاه لا يأخذ بل يتخذ عناء من قومه امرأة ، ولا يدنى رفعه بين شعبه ، لأنني أنا الرب
مقدس» [لأوين ٢١ : ١ - ١٥]

والمأثور في الكتب عن أتباع يحيى : أنهم يؤمنون بالله وبال يوم الآخر .
وقد كتبتُ كتابي هذا لأربيل الوئنية عن الأمة المقتصلة . أربيل عنهم الوئنية
التي أصقها اليهود بهم ظلماً وذوراً ، ولابنائهم شهدوا شهادة حتى لنبينا محمد
عليه الصلاة والسلام . وأنهم تحملوا أضطهادات اليهود لهم من أجله طهارة
ولاوضع لل المسلمين وغيرهم من هم الأمة المقتصلة الوارد ذكرها في القرآن الكريم ،
وصوحاً جلياً .

والله أسألُ أن يوفقنا لخدمة العلم والدين .

١٤٢١ / ٤ / ٤

٢٠٠٠ / ٧ / ٦

مكتبة طريف دليلية

د. أحمد حجازي السقا

درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين في موضوع :
«البشرة بنى الإسلام في التوراة والإنجيل»

الفصل الأول

في صيغة الله

تأثير دعوة يوحنا :

قد بين لوقا في المجلد : أن دعوة يوحنا المعمدان قد أثرت في جميع الشعب، إلا العلماء . ذلك قوله : « وجميع الشعب إذ سمعوا ، والمشارون ؛ بَرُروا الله . معمدين بعمودية يوحنا . وأما الْفَرِسِيُّونَ والنَّامُوسِيُّونَ ؛ فرفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم ، غير معمدين منه » [لو ۲۹:۷ - ۳۰] أى رانفرين كلامه عن محمد عليه السلام ووصفوه بأنه « شيطان » ذلك قوله عن المسيح في شأن يوحنا: « فقد جاء يوحنا المعمدان لا يأكل ولا يشرب خمرا ؛ فقلتم : إن شيطانا يسكنه » [لو ۷: ۳۳] وفي ترجمة أخرى : « فقللولون : به شيطان »

طلب بحثي بالصالح :

وقد لصق لقب « الصابق » على يحيى ؛ لأنَّه هو الباقي « بالصيغة » (۱). ولصق لقب « الصابقين » على أتباعه إلى هذا اليوم .

أما عيسى عليه السلام فقد لصق به لقب « ها نصري » وهو لقب محترف في لسان بنى إسرائيل . يعنون : أنه الرجل الذي لا يُرجى منه خير . وقد تفاخر المسيح عيسى بهذا اللقب ؛ نكابة في اليهود ؛ ولصق لقب « الهاصررين » على أتباعه إلى مجمع نيقية سنة ۳۲۵ م وحرف إلى « الناصرين » ثم إلى النصارى . ولصق بهم لقب « المسيحيون » هم والصابقون . من مجمع نيقية إلى هذا اليوم . ولقب « الصابقين » أيضاً فهم يجتمعون في القاب ، وينفصلون في القاب .

(۱) وقد أشار المؤرخ « فلا فيوس يوسيفوس » [الـ ۳۷ - إلى ۱۰۰ ميلادية] في مؤلفه *The antiquities of the Jews* « عادت اليهود » إلى أن الكتبين كان يُيش على متربة من التهر لو البحر ؛ لتكون هناك فرصة لممارسة الاغتسال في مكان ملتحق ببني الكتبة .

الحكم على الصابئين :

والكلام في القرآن عن هذه الطوائف هو عنها من قبل نزول القرآن ، . يريد أن يقول : إن الذين آمنوا من الأمم بشريعة موسى . وإن اليهود القائمين على شريعة موسى ، الذين اختارهم الله في الزمان الأول لهداية الأمم إليه . وإن النصارى الذين عملوا بالتوراة ، وانتظروا محمدا طَلَّعْتُمْ طبقاً لتعاليم عيسى عليه السلام . وإن الصابئين الذين عملوا بالتوراة ، وانتظروا محمدا طَلَّعْتُمْ طبقاً لتعاليم يحيى عليه السلام . هؤلاء جمِيعاً يجمعهم الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح على وفق التوراة . وسوف ينالون ثواب أعمالهم في الدار الآخرة . وأما من مجمع نيقية بتركيا سنة ٣٢٥ م فإن النصارى تركوا العمل بالتوراة . وتركهم العمل لا يدخلهم في المستحقين للأجر . وسموا أنفسهم بالسيحيين . أى المعتقدين بأن النبي المتظر هو المسيح عيسى المكتوب عنه في التوراة { تث ١٨ } لا محمدا رسول الله . وأهل الروم أجبروا الصابئين على الاندماج مع المسيحيين^(١) وحرموا عليهم النطق بأن محمدا هو النبي المتظر . وجعلوا الحبيل يحيى والحبيل عيسى الحبيلا واحدا . هو الموجود الآن مع النصارى باسم الحبيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . وتركُهم العمل بالتوراة ، لا يدخلهم في المستحقين للأجر . كالنصاري سواء سواء

(١) والتثبت عند الأرثوذكس : هو أن الله انتقلب إلى مسيح . ثم إن المسيح انتقلب إلى الروح . ثلاثة مراحل للذات الله . ويعبر عن كل مرحلة بالاقترن . والتثبت عند الكاثوليك : هو أن الله غير المسيح . وما غير الروح . والتثبت كان عند قدماء المصريين . ففي كتاب العقائد الوثنية في الصراتية . يقول الاستاذ الشير : كان المصريون يهدون إليها مثلث الآقانيم ، مصورة في آدم ميأكلهم . ويظنن أهل العلم أن الرمز الذي يصورونه - وهو جناح ووكر وأنفه - إن مو إشارة إلى ذلك الثالث ، واختلاف صفاته *

وكان التثبت عند الهندو . وينكلم عنه الاستاذ مالينز فيقول إن قانون إيمانهم هو : « باسافري . أى الشمس . إله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض ، ربها الوحيد آئس . أى النار . نور من نور . مولد غير مختلف . محمد من قابو . أى الروح في بطنه مايا المسلمين . ونؤمن بقابو الروح للهبي المبتلى من الآب والابن . الذي هو مع الآب والابن . نسجد له ونجده »
وعلماً موالق لهذه قاترد الإيمان عند النصارى
وكان التثبت عند الفرس . ينكون من لورمזה . ومترات . وامرمات .

لقب النصارى :

ولقب «نصرانى» يُطلق على أتباع المسيح عبيس الأمانة إلى زمان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وقد غيره النصارى إلى «مسيحي» والمسيحي يفتخر من مجمع نيقية إلى هذا اليوم بلقب «مسيحي» ويقول : وهذا لا يمنع من إطلاق لقب «نصرانى» على ؛ لأنه لقب آبائى الأوائل . ولقب «صابئ» يُطلق على أتباع يحيى الأمانة إلى مجمع نيقية . وقد غيره الصابغون إلى «مسيحي» والصابغى يفتخر من مجمع نيقية إلى هذا اليوم بلقب «مسيحي» ويقول : وهذا لا يمنع من إطلاق لقب «صابئى» على ؛ لأنه لقب آبائى^(١) الأوائل .

— ونص قانون الإيمان عند النصارى هو : « نؤمن بالله الآب خابط الكل . خالق ما يُرى وما لا يُرى ، وبالرب الواحد يسوع ابن الله . بكر آيه وليس بمصنع . إله حق من جوهر آيه ، الذي يده اثنت العوالم وخلق كل شيء ، الذي من أجلنا معاشر الناس ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء ، ومحى من روح القدس ، ومن سرمي البخل وانخد وصلب أيام بيلاطس الروم ، ومات ودفن وقام في اليوم الثالث ، كما هو مكتوب . وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين آيه الخ » .

وفي تفسير الجليل يوحنا لجامعة من اللاهوتين برئاسة الدكتور فاليدسن :

- (١) السليسيون : مذهبهم أن التثبت كنابة عن ثلاث ثلميات مختلفة لإله واحد متفرد الأتون . أي أن الآلاظ آب وابن وروح القدس ليست أسماء آياتهم عنازة بل أسماء مظاهر أتون واحد سُنّ الآب لأنه خالق وسمى ابن لأنه الفادي وسمى الروح القدس لأنه المعزى والمقدس .
(٢) الآريوسيون : مذهبهم : أن الآب هو الأصل وأن الابن والروح القدس مخلوقان غير أن لهما المقام الأول بين الخلائق وطريقهما تشبهان طبيعته الإلهية .

(١) يقول المؤرخون عن صحبة حران :

إن من أعيادهم في شهر كانون أول عيد لهم يقوم الكامن الأكبر فيه بتذكيرهم بما يسيئون وعرض عليهم العاناة التي لا تفروا من البيزنطيين حينما تصرروا . يقول المعمقون : « فلما تهزمت الروم ، وملكتهم بسطرة شديدة ، وسلطان ، أبطروا ما كانوا يفرون به من سعيهم وأعمالهم . وحملوهم في هذه أمورهم على شرائع اليونانيين حتى فسلت لذتهم . وملأوا كل ألسهم كلام الروم - اللسان اللاتيني - ثم تصررت الروم تحملوهم على التصر . فدرس ما كان من أمر دينهم وستهم »

صيغ في اللغة العبرية :

وقد رأيت كلمة « صيغ » في اللغة العبرانية مكونة من ثلاثة حروف . الحرف الأول تمحى تشكيل فتحة ، والحرف الثاني تمحى تشكيل كسرة . وحرف الغين لا يوجد في العبرانية . ويكتب بدله حرف العين المهملة . ومثل ذلك في اللغة السريانية التي هي الأرامية . والعين في العبرانية تنطق هاء أو ألف . فالكلمة « عبرى » في القواميس تنطق « هيري »

وفي كتب قواعد اللغة العبرية : أن حرف الألف في العبرانية يقابلها في العربية حرف الألف ، وأحياناً حرف العين . مثل : أب . وتنطق آب . ومثل عريس وتنطق أريس . وحرف الراء في العبرية يقابلها في العربية حرف الزاي والذال . مثل زرع فهي في العبرية والعربية بتنطق واحد . لمعنى واحد . ومثل ذببح . وحرف الباء في العبرانية يقابلها في العربية حرف الباء أو الواو أو الألف . مثل يابس العبرية . فإنها مكونة من الباء والباء والسين ، ومثل يلد . العربية ومعناها : ولد . وحروفها الباء واللام والذال . ومثل إسرائيل . وحروفه في العبرية الباء والسين والراء والألف واللام . وتنطق في العبرانية يسرائيل . وحرف العين في العبرانية يأتي بتنطق العين والغين والهمزة . مثل عبر وحروفه : العين والباء والراء . ومثل علام . وحروفه : العين . وتحتها ثلاثة نقاط . واللام منها . بثلاث نقاط ، والميم . ومثل إصيص . وحروفه : العين والسين والباء والسين . والغين في العبرية في مقام الجيم بثلاثة . والغين بسبعين . والمحروف الخلقي العبرية هي : الألف والباء والباء والعين والراء . والهمزة في آخر الكلمة العبرية قد لا تتوضع . مثل برا في « برأ » يعني خلق .

وفي كتب التفسير من تطرق « الصابرين » :

قرأ أبي بن كعب وعثمان بن عفان وعائشة والجحدري وسعيد بن جبير وجماعة : « والصابرين » بالياء . وقرأ الحسن البصري والزهرى : « والصابرون » بكسر الباء ويعدها ياء . وهو تخفيض للهمزة ، كقراءة من قرأ : « يستهزبون » في الانعام الآية الخامسة بالياء ، لا بالهمزة .

قراءة نافع في «الصابرين» في سورة البقرة:

قرأ نافع : «الصابرين» بدون معزة .

وهذا هو السبب في مجيئها في القرآن «الصابرين» لاختلاف لهجة النطق .

صيغ في اللغة الآرامية:

«ونى الآرامية . جاء اشتقاق كلمة «صابنة» من الفعل «صبا» أو «صبع» الذي يعني الاغتسال أو الارتماس بالماء الجاري . ولما زالت كلمة «صابنة» تطلق على المفصلة في جنوب العراق وغرب إيران»

هذا هو نص كلام الاستاذ محمد عبد الحميد الحمد .

الصيغة موت:

لكن معنى الصيغة في الماء في اللغة العبرانية معناه : الموت . يريدون أن يقولوا : إن الآثم قد غمسه الصابين في الماء . ولازم الغمس في الماء ، هو الموت فيه . فكان الصابين قد أمات الآثم لاغمسه . ولا نذكر في إخراجه من الماء . كان يريد له أن يخرج للحياة الجديدة التي هي حياة الطهر ، بجسد ظاهر . وما أخرجه واستشق الهواء ؛ صار كالخارج من يطن أنه . مولوداً جديداً بلا خطيبة .

وعلى هذا المعنى . لو استبدلنا عمل «الصابين» ووضعنا بدله «توبية النائب» من تلقاء نفسه . فإن الآثم موت ؛ لأنها تفصل الآثم عن الله . والتوبية هي الأداة التي تزيل المорт ، وبعد التوبية يكون الآثم غير آثم . لأنه قد ولد من جديد ، وصار خلقاً جديداً . فالتبوية تفصل بين حياة قديمة وحياة جديدة . وبين خلق قديم وخلق جديد .

الصابنة في كتب تفسير القرآن الكريم:

جاء في كتب التفسير : أن أصل الكلمة صابة في اللغة العربية جاءت من الفعل «صبا» لقولهم : صبات إذا خرجمت من شيء إلى شيء آخر . والصابيون : هم الخارجون من دين إلى دين آخر .

ولنناوش هذا الكلام فنقول :

إنه من قبل الإسلام لم يكن إلا دين واحد . هو دين موسى^(١) المدون في التوراة . فإذا صبا عنه صابي ، فما أى دين سيدهب ؟ ليس إلا دين موسى .

(١) لما خرج إبراهيم عليه السلام من أرض آبائه . وهي أراضي الصابئة اليوم أتباع يحيى عليه السلام دخل الوتبيون في دين الإسلام على شريعة موسى . وملك بنو إسرائيل منه الأرض ، وعلموا فيها التوراة . وقوم يونس كانوا في هذه الأراضي وأرسل الله إليهم يونس عليه السلام وهو نبي من آنابه بنى إسرائيل ليدعوهم إلى التوراة . وعصيائهم يدل على أنهم كانوا مطهرين من قبل العصيان على ورق التوراة . وظلوا على هذا الإسلام . سواء من كان أصلهم من بنى إسرائيل وهاجروا إليه ، أو من كان من الشهودين من أهل البلاد . إلى ظهور يحيى عليه السلام . الذي أرسى إليهم أتباعه ليدعوهم إلى اقتراب « ملوك السموات » والذي يقبل منهم يصغونه في الماء . فقبلوا وانصبوا . قلة من حين قبولهم للإسلام على ورق التوراة إلى ظهور محمد^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} لا يطلق عليهم فيها عباد لوثان ، ولا يطلق عليهم فيها صابئة وتيتون . ولما سلمون لله رب العالمين . ومن زمان يحيى^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} يطلق عليهم سلمون ، وبهود تابيون ، وصابابة مقتلون مستغلون للدخول في دين محمد حين يظهر . ولكن اليهود أمانوهم ، ولم يظهروا حقيقةهم للناس ، لأن اليهود يزعمون أن النبي الأكسي على مثال موسى { ث ١٨ : ٢٢ - ١٥ } سيظهر من اليهود . وهم قد خالقوهم وقالوا : إنه سيظهر من الإسماعيليين . وينكر اليهود أن التوراة في البدء كانت نوراً وهلي للناس ، وينكرون لهم ملكوا بلاد الأمم وشحروا لنشر دين الله . والتاريخ بكلبهم والتوراة والإنجيل والقرآن .

ومن أدلة التكذيب : أن الله اختارهم على علم على العالمين . لماذا اختارهم ؟ إنه اختارهم من الأمم الوثنية لهذاية الأمم الوثنية إليه . وقد قاموا بالدعوة إلى الله خير قيام إلى زمن سبي بابل سنة ٥٨٦ ق . م ثم تخلوا عن دعوة الأمم ، وقصروا الشريعة عليهم وحرفوها . وحرقوا حقائق التاريخ ومعانى الكتب المقدسة كالتوراة والزيور والإنجيل . وعلى هذا : لا يصح أن يورق بقولهم إلا بعد دراسة وبيان .

وند بين لوقا في إنجليله : أن دعوة المعنان قد أثرت في جميع الشعب إلا العلماء . ذلك قوله^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} : « يا أولاد الأفاسن من أدرككم ! نهرو你们 من الغضب الأكسي^{٤٩} { مت ٣ : ٧ } وعلى ذلك كان رد الفعل من اليهود ضد مخالفة الصابئين لهم في أمر النبي الأكسي^{٤٩} هو يوصفو بأنه شيطان { لو ٧ : ٣٣ }

وقد شتمهم المعنان بقوله^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} : « يا أولاد الأفاسن من أدرككم ! نهرو你们 من الغضب الأكسي^{٤٩} { مت ٣ : ٧ } وعلى ذلك كان رد الفعل من اليهود ضد مخالفة الصابئين لهم في أمر النبي الأكسي^{٤٩} هو أثems الصفتوا بهم التهم الباطلة ، وحاربوهم .

والعرب بنو إسماعيل كانوا على دين موسى . ولئن صباً عريى عنه ، فإلى أين يذهب؟ ليس أمامه إلا القتل . لأن المرتد عن دين موسى ؛ يكون جزاؤه القتل بحكم التوراة ، والتارك لحكم من أحكامها كالصوم ؛ يكون جزاؤه القتل بحكم التوراة .

وهذا منصوص عليه في الأصحاح السابع عشر من سفر التثنية . ومن يترك اليهودية إلى المسيحية - والمسيحية تمحى على هجران شريعة موسى - يكون جزاؤه القتل . لأن المسيح ما جاء لنقض التوراة . ومن يترك اليهودية إلى دين محمد عليه السلام فإنه يكون مسلما لا صابنا .

وأجر الصابئين على ثلاثة منها العمل الصالح . وهو أن يكون على وفق التوراة . إذ ليس من دين غيرها من قبل الإسلام . وحيث هو يتكلّم عن فئة ، وحيث للكلمة أصل في العبرانية والأرامية ، وطائفة قائمة مقتضدة ؛ فإن القول بأصل عريى لكلمة صبا ؛ يكون بلا دليل .

ويطلق النصارى على يحيى - عليه السلام - اسم « يوحنا المعمدان » ويصفونه بالسابق الصالح . أي السابق على عيسى - عليه السلام - ويترجمون « الصبغة » بالمعمودية . والتفطيس في الماء كان من أجل أن يتربّع العالم اليهودي عن عناده وكبره ، وإذا ظهر النبي المماثل لموسى يدخل في دينه ، ويترك شريعة موسى ؛ لأن العالم اليهودي كان يعلم أنه لن يأتي من اليهود . وإنما سيأتي من بني إسماعيل . وكان قد وطّن نفسه أنه إن ظهر لن يؤمن به ، وسيظل على يهوبيته . وهذا إثم . ومن أجله نادى يحيى بالتوراة من هنا الإثم قائلًا : غبّروا أنفكاركم عن هذا النبي ، واستعدوا للدخول في دينه إذا ما جاء . فمن قبل كلامه وتاب ؛ أخذه وعمده بالماء . لكن النصارى يقولون بخلاف ذلك . يقولون : إن الله كان يعلم أن اليهود لن يقبلوا الدخول في دين عيسى ، ولن يعترفوا بأنه هو النبي الآتي على مثال موسى . فلذلك أرسل إليهم يحيى ليدعوهم إلى الدخول في دين عيسى ، ويعترفوا به أنه هو النبي الآتي على مثال موسى . فمن قبل كلامه ؛ غطّسه ، ومن لم يقبل كلامه ؛ تركه في إثمه .

فالفرق بيننا نحن المسلمين وبين النصارى في المعمودية :

هو في النبي المتظر . من هو ؟ والاتفاق حاصل على أنها للإبیان بالنبي المتظر ، والدخول في شریعته . وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم : « فَلَمْ آتَنَا مِثْلَ مَا أَمْتُمْ بِهِ . فَقَدْ اهْتَدُوا وَإِنْ تُولُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شُقُّاقٍ . فَسِبْكِنْبِكُمُ اللَّهُ . وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صَبْغَةُ اللَّهِ . وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً . وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ » يعني بالصبغة : المرت لبه حياة جديدة بدل الحياة القديمة . أو لبه خلق جديد بدل خلق قديم . والخلق القديم كان على التوراة . والخلق الجديد يكون على القرآن .

وفي بعض الكتب الإسلامية : أن القرآن نسخ الإنجيل ، والإنجيل نسخ التوراة .

وهذا خطأ فلان الذي نسخ التوراة هو القرآن . وأما الإنجيل فهو كتاب بشير بمحى محمد عليهما السلام وليس كتاب أحكام فقهية مستقلة عن الأحكام التي في التوراة، بل فيه الإحالـة إلى التوراة . وهي : « مَا جَنَّتْ لَأَنْقَضَ النَّامُوسَ » { متن ١٧:٥ } وإذا قلنا بأن القرآن قد نسخ الإنجيل . والحال أن الإنجيل كتاب بشري بالمعنى - فلان معنى ذلك يكون أن القرآن قد أدى بشير عيسى بمحـمـد . وهذا لا يقول به عاقل . لأن القول به ؛ يُطـلـع عـبـيـسـيـ وـأـتـبـاعـهـ فـيـ أـمـرـ مـحـمـدـ عـلـيـهـ السـلـامـ . وأيضاً : يُطـلـع عـبـيـسـيـ وـأـتـبـاعـهـ . وـهـمـ بـشـرـاـ بـمـحـمـدـ كـمـاـ بـشـرـ بـهـ عـبـيـسـيـ وـأـتـبـاعـهـ .

فالفرق بيننا نحن المسلمين وبين النصارى في المعمودية :

هو في النبي المتظر . من هو ؟ هل هو عيسى ؟ هل هو محمد ؟ ليس هو عيسى عليه السلام وإنما هو محمد عليهما السلام ويـدلـ على ذلك : كلام كتاب الأنـجـيل عن المعمودـيـةـ . فـقـيـهـ : أنـ المـعـدـانـ كـانـ يـدـعـوـ إـلـىـ اـنـتـرـابـ مـلـكـوتـ السـمـوـاتـ { مـتنـ ٤:٢٠ـ ٣:١٧ـ } وـفـيـ أـيـضاـ : أـنـ عـبـيـسـيـ كـانـ يـدـعـوـ إـلـىـ اـنـتـرـابـ مـلـكـوتـ السـمـوـاتـ (مـتنـ ٤:٣ـ) فـإـذـاـ هـمـاـ يـدـعـوـانـ مـعـاـ بـدـعـوـةـ وـاحـدـةـ . وـإـذـاـ كـانـ المـعـدـانـ يـعـدـ لـآـخـرـ . فـعـيـسـيـ لـتـعـمـيـلـهـ مـثـلـ يـوـحـنـاـ ؛ لـاـ يـكـوـنـ هـوـ الـآـخـرـ . فـفـيـ الإـنـجـيلـ : « وـبـعـدـ هـذـاـ جـاءـ يـسـوعـ وـتـلـامـيـذـهـ إـلـىـ أـرـضـ الـيـهـوـدـيـةـ ، وـمـكـثـ مـعـهـمـ هـنـاكـ . وـكـانـ يـعـدـ . وـكـانـ يـوـحـنـاـ أـيـضاـ يـعـدـ » { يـوـ ٣:٢٢ـ ٢٢:٤ـ }

لمـ كـانـ يـعـدـ عـيـسـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ ؟ إـنـهـ كـانـ يـعـدـ لـصـاحـبـ « مـلـكـوتـ »

السموات » الذى يدعو مع يحيى إلى اقترابه . فلماذا يقولون : إن الملوك لعبيس وأن تعید يوحنا كان من أجل عبيس ؟

طائفة المندائية :

وفي الكتب التى تحدثت عن الصابئين : « أن طائفة » المندائية « يتبعون وصايا نبى الله يحيى عليه السلام ويقدسون الماء الجارى ، ويتعمدون به » والمندائي : معناه : العارف بالله والداعى إليه . منه الفعل الآرامى « مدعى » أى عرف وعلم .

قال محمد بن إسحق النديم : « وينواحى دست ميسان قوم يعرفون بالمغسلة وهم يطلقون على أنفسهم اسم » المندائية « لأن كلمة » مندائي « تعنى : العارف . منه الفعل الآرامى « مدعى » أى عرف وعلم »(١)أ.هـ .

وفي كتاب للمندائية اسمه « حران كورينا » : « أنهم هاجروا من أرض كنعان(٢) إلى شمال سوريا على إثر حروب بينهم وبين اليهود . فهاجروا إلى « حران » واستقروا مدة من الزمن ، ثم هاجروا إلى بطائع « البصرة » من مدينة حران »

وما يدل على أن الصابئين طائفة من اليهود :

هو أن اليهود فى فلسطين كانوا يتكلمون اللغة العبرانية ويكتبون بها ، ثم إنهم بعد زمان من وجودهم فى فلسطين . تكلموا باللهجة السريانية وكتبوا بها . وهى لهجة عاصية من العبرانية وفي زمان يحيى وعبيس - عليهما السلام - كانت الكتابة بالسريانية والعبرانية واليونانية . ويقول الصابئون : إن لغتهم الأولى سريانية ويقولون : إنها هي تشبه لغة التلمود البابلى المكتوب فى القرن الخامس الميلادى (٣) .

والابجدية عندهم تشبه الأبجدية العبرانية ، وهى :

أ - با - جا - دا - ها - وا - زا - حا - طا - يا - كا - لا - ما - نا - سا - عا -
فا - صا - قا - را - شا - تا

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٨١ .

(٢) كنعان : لردن فلسطين . وكان فيها يحيى وعبيس عليهما السلام .

(٣) المطالعة العربية - رايت Wright .

والحروف العبرانية مجموعة في هذه الكلمات : أبجد - هور - حطى - كلمن
- سعفصن - فرشت .

موت يحيى :

وفي كتب الصابئين : أن يحيى عليه السلام لم يقتل . وذلك لأن الله تعالى أرسل إليه أحد ملائكته الكرام في صورة طفل . طالباً من يحيى أن ينطسه في الماء . فأخذ يحيى بيده وأدخله في ماء نهر الأردن . وبينما هما في الماء . وقد وضع يحيى بيده في يد الطفل . سقط يحيى ميتاً . فانخرجه إلى الشاطئ . ونقلوا جثمانه ودفته . ولما ذاع خبر موته ، في بلاد فلسطين ، وعلم به المسيح عيسى عليه السلام ابتدأ في الدعوة من بعده .

صلوة وصيام الصابئين :

والصلاوة عندهم ثلاث كصلوات اليهود .

والصيام عندهم كصيام اليهود في يوم عاشوراء . وقد ذكر «يونس» أن أيام صيام اليهود قد انقضى . ولا تدرك ما يعني بصيام اليهود . وعن اليهود صيام يومي الاثنين والخميس صيام سنة .

الأطعمة والمواهيب والأعياد :

والأطعمة عندهم يحرم منها الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به كما هو في التوراة ،

وعندهم مواريث حسب التوراة وفيها أن لا نصيب للبنات مع الولد .
وعندهم تقدير يوم الأحد بدل السبت لأن الرومان فرضوا عليهم ذلك . ومن أعيادهم المقدسة عبد يحيى عليه السلام وهو يوافق الناسع من يونيو كل عام (حزيران) فإذا يحيى مولود قبل عيسى بستة أشهر حسب روايات الإنجيل فإن أعياد ميلاد عيسى عليه السلام عند المسيحيين يجب أن تكون في الصيف لا في الشتاء .

المحرمات :

والمحرم عليهم هو نفسه ما حرمته التوراة على اليهود . ومن المحرمات :

القتل ظلماً وشرب الخمر والزنا وعبادة غير الله تعالى والسرقة والغيبة والنظر بعين الشهوة إلى الأجنبية وكفر المال وعدم إنفاقه في سبيل الله . والمحرمات من النساء هي المحرمات المذكورة في التوراة . وتعدد الزوجات مباح . ويحرم على الصابئية أن تتزوج من غير صابئي . كما سن نحمسا على اليهود من بعد الرجوع من سبي بابل سنة ٥٨٦ ق . م .

صراخ الأنبياء بمجيء محمد :

وفي التوراة : أن الله تعالى أمر الأنبياء والآخبار والربانيين بتمهيد الطريق لرسول الرب . وهو محمد عليه السلام والتمهيد : هو لتعريف الناس به حتى إذا جاء يؤمنون به . ففي سفر إشعياء : « صوت صارخ في البرية . أعدوا طريق الرب . قوموا في القفر سبيلاً لإلهانا . كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض . ويصير المعوج مستقيماً . والعراقب سهلًا . فجعل مجد الرب ، ويراه كل بشر معاً . لأن فم الرب تكلم » [أيش . ٤٠ : ٣ - ٥] {

ولما ظهر يوحنا المعمدان صرخ في أرض فلسطين بالإعداد لطريق رسول الرب وصيغ الثانيين في الأردن من أجله . ففي إنجيل متى : « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملوكوت السموات»(١). فإن هنا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي القائل : « صوتُ صارخ في

(١) في كتاب الأجوبة الفاخرة للإمام القرافي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ :

« في إنجيل متى . قال المسيح - عليه السلام - : تقرaron أن الحجر الذي رثله البنامون ؛ صار رأس الزاوية . من عند الله كان هنا . وهو عجيب في أعياها . ومن أجل ذلك أتول لكم : إن ملوكوت الله سيؤخذ منكم ، ويندفع إلى أمّة أخرى . نأكل شرتها . ومن سقط على هذا الحجر ؛ يشدّخ وكل من سقط عليه ؛ بمفعه » فليت شعرى من من هذه الأمّة التي دفع لها ملوكوت الله تعالى بعد نزعه من النصارى ؟ أتراهم اليهود ؟ كلا . فهم نحن قطعاً . ومن ذا الذي من شدّخه ، ومن عانده ؛ قتله . إلا محمد عليه السلام وأمته ؟ وهو الذي أريد بالحجر ، الذي صار أفضل البشر بكلّه رأس الزاوية المشار إليها . ومن الحال أن يقال : إنه عيسى - عليه السلام - لأنه على رعم النصارى : رب . وعندهم وعندهم لم يقلوا على الاتّصار ، ولا ظهرت له صورة الاقتدار على أحد من الأشرار » أ.هـ

تعليق :

قوله التي دفع لها ملوكوت الله تعالى بعد نزعه من النصارى . الصواب : بعد نزعه من اليهود . لأن المسيح كان يخاطب اليهود بهذا المثل . قوله ومن الحال أن يقال إنه عيسى ... توجيهه : لأن عيسى يخاطب اليهود . والنصارى طائفة من اليهود . وهو يعني أمّة بنى إسrael ، لأن لهم بركة =

لبرية : أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة ^(١) ويوحنا هنا كان لباسه من وير الإبل ، وعلى حقره منطقة من جلد . وكان طعامه جرادا وعسلا بريا . حيثند خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحطة بالأردن ، واعتمدوا منه في الأردن معتبرين بخطاباهم ^(٢) { مني ٣ : ٦ - ١ }

يائى بعدي :

وفي إنجيل برنابا : أن عيسى عليه السلام لما ظهر ؛ صرخ في أرض فلسطين بالإعداد لطريق رسول الرب ، ذلك قوله : « فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليستقطره بكلامه . لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق : لأنى لست مسيئاً . فقالوا : أنت إيلياه أو إرمياه أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حيثند قالوا : من أنت ؟ قل لتشهد للذين أرسلونا . فقال حيثند يسوع : أنا صوت صارخ في اليهودية كلها . يصرخ : « أعدوا طريق رسول الرب » كما هو مكتوب في إشعيا » { بير ٤٢ : ٣ - ١١ }

واعترف عيسى عليه السلام بأن رسول الرب سبائى من بعده ، وأنه ليس أملا لأن يحل رياطات حناته . ذلك قوله : « ولست أحسب نفس نظير الذى تقولون عنه ؛ لأنى لست أملا أن أحصل رياطات جرموق أو سببور حناء رسول الله ، الذى تسمونه مسيئاً . الذى خلق قبيل ، وسيائى بعدي ، وسيائى بكلام الحق ، ولا يكون لدنته نهاية » { بير ٤٢ : ١٤ - ١٧ }

واعترف يوحنا المعمدان باعتراف عيسى . فقال : « أنا أعمدكم بماء للتوبة ، ولكن الذى يأتى بعدي ^(١) ، هو أقوى منى . الذى لست أملا أن أحمل حناته » { مني ٣ : ١١ } وشتم المعمدان علماء بنى إسرائيل وشتمهم عيسى . فقد أثر عن المعمدان : « فلما رأى كثرين من الفرسين والصدوقين يأتون إلى معموديته ؛ قال

« قد قال الله لإبراهيم : « استجب لك في إساعيل . وإنى أباركه ، وإنيه ، وأعظمه جدا جدا ، وأصيره لامة كبيرة »

(١) في كتاب الأجرمية الفاخرة للإمام القرافي المترقب سنة ٦٨٤ هـ :

قال يحيى بن زكريا - عليهما السلام - لاصحابه : « إن الذى يأتى بعدي ، هو أقوى منى . وإننا لا نستحق أنك معقد خفة » وهو - عليه السلام - ابن خالة عيسى - عليه السلام - وكان في رمه لا بهذه . فلم يبق غير نبينا - عليه السلام -

لهم : يا أولاد الأفاغى . من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى » (متى ٣: ٧) وأثر عن عيسى قوله : « يا أولاد الأفاغى . كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟ » (متى ١٢: ٣٤)

الهلاك الآتى :

وحنرهم نبى الله يحيى من الهلاك على يد النبي الآتى من بعده إذا لم يؤمنوا به ، ويدخلوا فى دينه مع الداخلين . ذلك قوله : « فاصنعوا أثماراً تليق بالtorah . ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم : لنا إبراهيم أبا . لأنى أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . والآن قد وُضعت القائس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ؛ تُقطع وتلقى في النار» (متى ٨: ٣ - ١٠) ونفس التحذير قد نطق به المسيح فى قوله : « لو كتم أولاد إبراهيم ؛ لكتم تعملون أعمال إبراهيم » (أيو ٣٩: ٨) وبين أن الهلاك على يد « ابن الإنسان » صاحب « ملوك السموات » بقوله : « هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم . يُرسل ابن الإنسان ملائكته ؛ فيجمعون من ملكته جميع المعاشر وفاعلى الإثم ، ويطرحوهم فى آتون النار » (متى ١٣ : ٢٤) - { يعني بانقضاء العالم : انقضاء بركة إسحق التى كانت ملكاً ونبياً . وابن الإنسان : هو لقب لمحمد عليه السلام فى الاصحاح السابع من سفر دانيال . وذلك واضح فى كتاب البشرة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل .

كلمة « سمعونا » :

يقول الاستاذ عبد الواحد داود الأشوري الذى كان أستاذاً لللاموت وقيسا للروم الكاثوليك لطائفه الكلدان :

١ - إن يحيى وعيسى عليهما السلام بثرا بمحمد عليه السلام ولم يشر يحيى بعيسى .

٢ - وأن معبداته يحيى وعيسى ليست إلا نوعاً من صبغة الله .

٣ - وكلمة « بانبيسموس » اليونانية من قفعن خصها لكيخذ تحمل معنى (صبغة ، وتلوين ، وتنطيس) والكلمة المقابلة لها بالأرامية هي (صبا) وبالعربية (صبغ)

٤ - وورد اسم « الصابئين » فى القرآن مع همزة ، بدل الغين .

٥ - ولأن الصابئين يعمدون باسم يحيى ، استعملوا كلمة « سبعونا » الأرامية التي تعنى « بابتيسموس » اليونانية ؛ ليتميزوا عن النصارى الذين يعمدون باسم الآب والابن والروح القدس . ثم انتقلت « سبعونا » إلى النصارى - احتفالات - وأصبحت كلمة « سبعونا » تدل على المعمودية .

٦ - وتدل « سبعونا » على الصبغ والتلوين ، ولا تدل على الفسيل أو التغطيس^(١) وكما يعطى « الصباغ » لونا جديدا للثوب بغمسه في غلابة الصبغ ؛ فإن يحيى المعلمان كان يعطي التائب أو المعتنق للفكر الجديد لونا روحيا جديدا .

٧ - ويقول بعد ذلك : « ومكنا فإن كلمة « صبغة » في القرآن - سورة البقرة الآية ١٣٨ - قد كشفت الغموض عن نبوة يحيى ، كما أثبتت أن القرآن تربى مباشرة من الله ، وأن الرسول الذي أنزل إليه القرآن هو الذي تنبأ به يحيى . لقد كانت معمودية يحيى وعيسي رمزا للدخول الثانيين في المجتمع ، الذي تعهد بالولاة لرسول الله الذي تنبأ كل من يحيى وعيسي بقدومه . وكما كان اختنان علامة على دين يحيى وعيسي - الذي هو اليهودية - كان ذلك تهينا ؛ لكن يتوقع الجميع النبي الموعود ، ويدخلوا في دين الإسلام » أ.هـ

٨ - وقال أيضا : « لقد كان الصابئة أو « الصياغون » أو « المعداتيون » هم أتباع يحيى المخلصين . ومن المحتمل أنهم وقعوا ضحية للخطأ والأساطير . ولكنهم كانوا يعلمون تماما : أن عيسى لم يكن الشخص المقصد بنبوة يحيى ، وهكذا دخلوا الإسلام عندما جاء محمد . أما أهل « حران » في « سوريا » فلم يكونوا من بقايا الصابئة - كما يظن البعض - ولكن بما أن المسلمين تسامحوا مع الثلاثة : اليهودية والنصرانية والصابئة ، فقد ادعى الحرانيون أنهم من بقايا الصابئة . ولذلك سمح لهم العثمانيون بمعارسة دينهم الغريب دون مضائق »^(٢) أ.هـ

وادعاء الحرانيين أنهم من بقايا الصابئة أفضل من ظن البعض .

والحق : أنهم من بقايا الصابئة ، لأن الاعتراف سيد الأدلة .

(١) أصل الكلمة هو التغطيس على المحقيقة . ثم تستعمل مجازا بمعنى تبديل الفكر بفكرة أخرى . وفعل المعلمان كان على الحقيقة . للفرس المخاري وهو تبديل الفكر .

(٢) محمد - نايف عبد الأحد دارد - مطبعة نهضة مصر - ترجمة محمد فاروق الزين - طبعة مصر

تعاليم العمدان ويسوع :

والحكم والنصائح وال تعاليم الخلقية المأثورة عن العمدان ؛ هي مأثورة عن عيسى عليه السلام بلا فرق . وهما معاً نقلوها من التوراة ومن ذلك قوله: « من له ثوريان ؛ فليعطي من ليس له . ومن له طعام ؛ فليفعل هكنا » وفي معناه جاء قوله المسيح : « بل أعطوا ما عندكم صدقة . فهو ذا كل شيء ؛ يكون نقبا لكم » [لو 11: 41] « يبعوا مالكم وأعطوا صدقة . اعملوا لكم أكياساً لا تفني ، وكتزا لا ينفد في السموات . حيث لا ينقب سارق ، ولا يُلْي سوس »

وكل منها قد أخذ المعنى من التوراة . ففي سفر إشعيا: « أليس أن تكسر للجائع خبزك ، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك . إذا رأيت عرياناً أن تكسوه » [إش 58: 7]

بحري وعيسى مصداقان للتوراة :

ولم ينسخ عيسى التوراة ، ولم ينسخها يحيى . وذلك لأنهما كاتباً يشيران بمحمد عليهما السلام ويستدلان على مجده بنبوءات التوراة عليه ، فنبوءة « ابن الله » في المزور الثاني طبقها العمدان على محمد [لو 6: 36] وطبقها عيسى على محمد [يوه 23: 1] ونبوءة « كلمة الله » في الأصحاح الأربعين من سفر إشعيا طبقها العمدان على محمد [لو 3: 2] . وطبقها عيسى على محمد [متى 3: 3] ومرقس 1: 3 يوحنا 1: 23] وطبقاً معاً نبوءة « ملوكوت السموات » عليه . وفي القرآن الكريم: « يا يحيى خذ الكتاب » أي التوراة (قال) أي عيسى « إنى عبد الله آتاني الكتاب » أي التوراة . فهما مصداقان للتوراة . ودعوتهم واحدة . وقال عيسى عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الآباء . ما جئت لانقض ، بل لا كمل . فإنني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض ؛ لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكنا ، يدعى أصغر في ملوكوت السموات . وأما من عمل وعلم ؛ فهذا يدعى عظيماً في ملوكوت السموات . فإنني أقول لكم : إن لم يزد بركم على الكتبة والفرسّيين ؛ لن تدخلوا ملوكوت السموات » [متى 20: 5-17]

وكان يطلق إبراهيم عليه السلام على عباد الاوثان في زمانه لقب «عباد الاوثان» ولم يكن يطلق عليهم لقب الصابئة لأنهم السواد الاعظم في العالم . والمؤمنون بالله هم الذين ابتعدوا عنهم . لكن لم يكن يطلق على أي واحد منهم إنه صابئ . ولما نزلت التسورة على موسى ؛ انطلقت بها بنو إسرائيل إلى بلاد الوثنين وفتحوها بقوة السيف ، وورثوها من بعد أهلها ، والزمورهم بالإسلام على شريعة موسى ، ومن البلاد التي فتحوها «أرض الكلدانين» و«أرض حاران» و«أرض ما بين النهرين» الأرض التي أظهر الله فيها مجده لإبراهيم عليه السلام وحفظه من شرور عباد الاوثان ، ونجاه فيها من النار ، وأخرجه منها سليماً معافياً . وقد بقى فيها بنو إسرائيل من بعد الفتح يقيسون الدين على وفق شريعة موسى . المكتوبة في سيناء - لا المكتوبة في «بابل» - إلى ظهور سبي بابل ٥٨٦ ق.م . ولا ظهر يومنا العصى أن يشربوا ماء وصبح من أجله ؛ انطلق أتباعه إلى أرض ما بين النهرين . ويشروا اليهود الساكدين في هذه الأرض بـ«محمد عليه السلام» . وكان يطلق عليهم «الصابيون»^(١) في مقابل «اليهود» وسكنوام اليهود في الأرض .

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره آراء كثيرة من أهل العلم في الصابئين . تدل على أن حقيقتهم لم تتضمن للملائكة . ومن هذه الآراء : الصابيون فرقة من أهل الكتاب يقررون الزبور . لهما قال أبوحنفية وإسحق : لا يأس بذبائحهم ومناكحthem . ومن الآراء : أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للمبادة والدعاة ، لو بمعنى أن الله فوقن تغيير أمر هذا العالم إليها ، وهذا القول هو المنسب إلى الكشذابين الذين جامعهم إبراهيم عليه السلام ، راما عليهم ، وبطلا لقولهم .

المناقشة :

إن من يقرأ الزبور يقرأ توراة موسى والخليل عيسى ، وقوله لا يأس بذبائحهم ومناكحthem يدل على أنهم من أهل الكتاب ، والواجب عليهم دفع الجزية إذا لم يسلموا ، وهذا هو الحق في شأنهم . لكن لماذا سموا بالصابئين ؟ لم يعرف القدماء من العلماء أنهم أتباع يوحننا المعدلان ، مع علمهم بأنهم دفعوا الجزية للملائكة . ودفع الجزية يدل على أنهم من أهل الكتاب . ثم إنهم لكتفهم في «حران» في مساكن القدماء قوم إبراهيم عليه السلام الوثنين القدماء الذين كانوا يعملون تماثيل الكواكب ويعبدونها ؛ يظن من نظر إليهم وسمع كلام اليهود منهم أنهم وتنبيه يعبدون الكواكب ، وهذا سبب اختلاف المؤرخين الذين يشاهدونهم في «يارهم» . واليهود يصررون حقيقتهم . وقد خدعوا المفسرين في شأنهم؛ لأن حقيقتهم تدل على صدق محمد عليه السلام في دعوى النبوة . لأن المسلمين كان يتصنيف النائب من أجله . واليهود يريدون اللغو في هذه الحقيقة **»حسناً من عندك«**

وقد دخل الصابرون أتباع يحيى في المسيحية بقورة أهل الروم من سنة ٣٢٥ م وقبلوا الأنجيل الاربعة متى ومرقس ولوقا ويورحنا ، مع التوراة اليونانية ؛ ويشروا مع المسيحيين أتباع عيسى بالمسيحية . وما يزالون يبشرون بها إلى هذا اليوم ، ويقولون جميعاً : إننا نصارى . ولا يبشرون بإنجيل منسوب إلى يحيى . وذلك لأن المحرفين أدمجوا الإنجليلين في إنجيل واحد ، وجعلوا الله واحدة ؛ لأن هدف الم الدين في الأصل واحد.

ولما ظهر إنجيل برنابا في سنة ١٧٠ م باللغة الإيطالية . وفيه اسم « محمد » أربع عشرة مرة . لم يظهر فيه تشير يحيى ، ولم يظهر فيه ذكر يحيى . وهذا يدل على أن أتباع عيسى عليه السلام لم يكن معهم في البدء إنجيل من الأنجيل الاربعة وإنما كان معهم إنجيل ، وعلى مثاله إنجيل خاص بالصابرين .

وقد حرف بولس إنجيل يحيى . على النحو التالي :

١- قال : إن يحيى قال : « يأتي بعدى من هو أقوى مني » وهو يقصد بالآخرين من بعده : يسوع . لا محمد رسول الله . ففي سفر الأعمال : « إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجئه بمعمودية التوبية لجميع شعب إسرائيل . ولما صار يوحنا يكمل سعيه ، جعل يقول : من تظنون أني أنا ؟ لست أنا إيه . ولكن هو ذا يأتي بعدى ،

« لأنهم من بعد ما تین لهم الحق »

وفي تفسير ابن كثير في قوله تعالى «فَإِنْ آتَيْنَا بَشِّلَ مَا آتَيْتَ بِهِ، فَلَقَدْ أَهْمَتُنَا . وَإِنْ تُرْلَوْا، فَلَمَّا هُمْ فِي شَفَاقٍ فَبَكَنْبِكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صَبَّفَ اللَّهُ . وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبَّفَةً؟ وَنَعْنَنَ لَهُ عَابِدُوْنَ» يقول تعالى: «فَإِنْ آتَوْا» يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم «بَشِّلَ مَا آتَيْتَ بِهِ» يأذنها المؤمنون من الإيمان . بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم «فَلَقَدْ أَهْمَتُنَا» أي فقد أصابوا الحق ، وأرشدوا إليه «وَإِنْ تُرْلَوْا» أي عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم «فَلَمَّا هُمْ فِي شَفَاقٍ . فَبَكَنْبِكَهُمُ اللَّهُ» أي فسيصركم عليهم ، ويفرقكم بهم «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» قوله: «صِبَّفَةُ اللَّهِ» قال الفصحاك عن ابن عباس: دين الله... . واتصال «صَبَّفَةُ اللَّهِ» إما على الإغراء؛ كقوله: «نَفْرَةُ اللَّهِ» أي: الزسروا ذلك عليكم . وقال بعضهم: يدل من قوله «مَلَةُ إِبْرَاهِيمَ» وقال سيريه ؛ هو مصدر مؤكّد ، اتصب عن قوله «أَتَنَا بَالَّهُ» كقوله: «وَعَدَ اللَّهُ» وفي تفسير الرازى : صِبَّفَةُ اللَّهِ قيل: إنها دين الله . وقيل: إنها نفطرته . وقيل . : إنها من الختان . وقيل: إنها حجة الله ، وقيل: إنها سنة الله . والمعنى : اطلبوا صِبَّفَةَ اللَّهِ وهي الدين والإسلام ، لا صِبَّفَةَهم .

الذى لست أهلاً أن أحل حناء قدميه » {أع ١٣ : ٢٤ - ٢٥} « فحدث فيما كان أبلوس فى كورثوس . أن بولس بعدما اجتاز فى النواحى العالية ؛ جاء إلى أفسس ، فإذا وجد تلاميذ ، قال لهم : هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا له : ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس . فقال لهم : فبماذا اعتمدتم ؟ فقالوا : بعمودية يوحنا .

قال بولس : إن يوحنا عمد بعمودية التوبية فائلاً للشعب : أن يؤمنوا بالذى يأتي بعده ، أى بال المسيح يسوع » {أع ١٩ : ٤ - ١} »

٢- وكل نبوءات التوراة عن محمد ﷺ قد فسرها يحيى على محمد ﷺ وأى وصف فى آية نبوءة لا ينطبق على عيسى قال : إنه سينطبق عليه فى مجيته الثانى المتزامن مع يوم القيمة . مع أن عيسى قال بصريح العبارة : « ولست أنا بعُدُّ فِي الْعَالَمِ » {يو ١٧ : ١١} « خرجمتُ مِنْ عَنْدِ الْأَكْبَرِ ، وَقَدْ أتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ ، وَإِيْضًا : أَتَرَكَ الْعَالَمَ وَأَذْهَبَ إِلَى الْأَكْبَرِ » « وَأَمَا عَلَى بَرِّهِ ، فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَمِّي ، وَلَا تَرَوْنِي أَيْضًا » {يو ١٦ : ١٠} ولذلك صدرَ بِرَبِّنا بِالْجَمِيلِه بقوله : « أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد انتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والأيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتفليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله^(١) . ورافضين الختان الذي أمر به الله دانينا ، مجوهرين كل لحم ثميس ، الذين ضلّ في عدادهم أيضاً بولس ، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الآسى . وهو السبب الذي لاجله أسطر ذلك الحق ، الذي رأيته . وسمعته ، أثناء معاشرتى ليسوع ؛ لكنى تخلصوا ، ولا يُصلكم الشيطان ، فتهلكوا في دينونة الله ، فاحتزروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه ؛ لتخلصوا خلاصاً أبداً .

وليكن الله العظيم معكم ، وليحرسكم من الشيطان ، ومن كل شر . أمين »

السبب في قلة الصابرين :

والسبب في قلة الصابرين : هو أنهم يحملون اسم المسيحيين واسم النصارى . فيظن المؤرخون : أنهم مسيحيون أو نصارى ، ولا يخطر في بالهم أنهم يحملون

(١) يقصد بابن الله نبوة الزمور الثانى من محمد ﷺ .

سم الصابئين أيضاً . وكثيرون منهم في البدء قد دخلوا في الإسلام كالسامريين من بني إسرائيل .

فرض المسيحية من الرومان :

وفي نهاية القرن الثالث الميلادي فرض الرومان على كل أتباع العمдан وعيسى عبادة الأوثان القديمة ، في صور جديدة ؛ ثلاثة ينفر الناس منها . ، وحرموا عليهم النطق باسم محمد . وعلمومهم أن يقولوا : إن العمدان كان يبشر بعيسى . وأن عيسى هو الله في صورة بشرية . وأن الله وروحه وكلمته ؛ ثلاثة ، كما كانت الألهة في الزمان القديم ثلاثة ، وأنه لا شريعة للحكم بين الناس ، وإنما شريعة الصمير . فضمير كل إنسان هو الذي يحتم عليه أن يحب لأنبيه ما يحبه لنفسه ، وهو الذي يُحكم العلاقة بين الناس . كما كان الحال في الأمم الأولى من قبل التوراة . وعلى هذه المعانى ، أعيدت كتابة الأنجليل الأربع . التي كانت مع أتباع عيسى عليه السلام على أن يبقى اسم « محمد » غير واضح للأمين ، وصار أتباع النبيين الكريمين تحت قوة الرومان الوثنية باسم « المسيحيون » وكل طائفة تُميز نفسها عن غيرها بالاسم الأصلي « الصابئون » في مقابل « النصارى » ويجتمع الكل في الظاهر اسم « المسيحية » في مقابل « اليهودية »

يقول العقوبي : « فلما فهرتهم الروم ، وملكتهم بسطرة شديدة وسلطان ؛ أبطلوا ما كانوا يقسمون به من سعيهم وأعمالهم . وحملوهم في بلده أمرهم على شرائع اليونانيين ، حتى فسدت لغتهم ، ومزاج كلامهم كلام الروم - اللسان اللاتيني - ثم تصررت الروم ؛ فتحملوهم على التنصير ، فدرس ما كان من أمر دينهم وستّهم »

الكتب المقدسة :

ولما تنصر « قسطنطين » الإمبراطور الروماني ، وفرض على جميع النصارى ورعايا الإمبراطورية عقائد الرومان الوثنية في صورة نصرانية مسيحية ، كان من الذين دخلوا في عقائد الرومان كرها جماعة الصابئين ، وأكرهوهم على دمج إنجيلهم الذي تسلموه من يحيى عليه السلام في إنجيل المسيحيين ؛ ليكون نجيلان إنجيلاً واحداً . يُؤْسَم إلى التوراة اليونانية ، فيكون مجموع الكتب المقدسة التي عند

الصابرين من مجتمع نيقية سنة ٣٢٥ م إلى هذا اليوم هو :

١- التراثة اليونانية .

٢- الاناجيل الاربعة متى ومرقس ولووقا ويوحنا . وهذه الكتب هي التي مع المسيحيين إلى هنا اليوم . وفيها اسم « أحمد » وأوصافه . لكن ما في الكتب شيئاً وما في العقائد شيئاً آخر .

والراسخون في العلم من اليهود والصابرين والنصاري يعلمون من الكتب المقدسة التي بين أيديهم أن دين الإسلام حق . وإن لا يكون ذلك صحيحاً فما هو معنى قول المعمدان : « يأتي بعدي من هو أثوى مني ؟ » وما هو معنى قوله : « توبوا فإنه قد اقترب ملوكوت السموات ؟ » وما هو معنى « بيركليت الروح القدس » الذي يعلم كل شيء إذا جاء ، ويخبر بأمور آتية . كما قال عنه عيسى وموسى فالصابرون في زماننا هذا كاليسوعيين سواء بسواء في الكتب المقدسة وفي العقائد الشائهة للوثنية ، مع ما في كتبهم من النصوص الدالة على محمد ﷺ

ثم انفطرت عقد « المسيحية » من قبل الإسلام . فالآرثوذكس قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم ، والكاثوليك قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . والنساطرة قالوا : إن المسيح إنسان وإله . والصابرون رجعوا إلى أصلهم وهو اليهودية . وانتظروا محمداً .

مثلاً أسم الصابرة :

ومنشأ الاسم من أيام يوحنا المعمدان نبي الله . ولكن اليهود رعنوا : إنه لما كان الحرفيون يقيمون في نفس المدينة التي كان يقيم فيها آباء إبراهيم عليه السلام وقد كانوا وثنين . فإن أي من يكلم عن آباء إبراهيم الوثنين من اليهود يقول عنهم صابرة الزمان القديم ، في مقابل صابنة الزمان الحديث .

وفي الكتب مما قلنا :

« كان السريان يطلقون اسم الكلدانى على الصابئ الوثنى »

« كان السريان يطلقون على حران « عش الوثنية » لأنها بقيت محافظة على الفكر الهلبستى الوثنى ، وكانت النحلة الحرانية مزيجاً من الفلسفة الفياغورية

والأنلاطونية الحديثة . كما كانوا مزيجا من الآراميين واليونان »
« وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة ؛ لما خرج من حaran ، { تك ١٢ : ٤ }
فخرجوا معا من أور الكلدانين ، ليذهبوا إلى أرض كنعان ؛ فأتوا إلى
حaran ، وأقاموا هناك » { تك ٤ : ٣١ }

وحادثة الله عند الصاببة :

« ويقول الأستاذ عبد الرزاق الحسيني ، عن المندائية : « إنهم قوم يؤمنون
بالخالق جل شأنه ، وأنه واحد أزل ، لا أول لوجوده ، ولا نهاية . متزه عن
المادة ، لا تناه الحواس ، ولا يفني إله مخلوق ، وأنه لم يلد ولم يولد . وهو علة
وجود الأشياء ومكونها »

وقال : « ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين »

اسم محمد في كتاب الصاببة :

تحت كلمة « صاببة » في « الموسوعة العربية الميسرة » مانصه :

« صاببة » اللفظة آرامية الأصل ، تدل على التطهير والتعميد ، وتُطلق على
فرقين :

- ١- جماعة المندائيين . وهي أتباع نبي الله يحيى ، الشهير بـ « يوحنا
المعمدان »
- ٢- صاببة حaran ، الذين عاشوا زمنا في كتف الإسلام ، ولهم عقائد
علماؤهم .

وورد ذكرهم في القرآن ثلاث مرات بجانب اليهود والنصارى ؛ مما يؤكد
أنهم من أهل الكتاب . وهذا ما يصدق على المندائيين . وإن تستر وراءهم صابة
حران الوثنيون^(١) .

(١) الموسوعة جرت في حكمها على المريانيين على كلام اليهود فيهم .

والحق : أن المريانيين يعيشون عن الوثنية بعد المشرقيين .

وان اليهود هم الذين عبدوا الأصنام ، وهم الذين وأدوا الأولاد والبنات كما في المزمور المائة
والسادس وطيره .

وعنّي بهم المؤرخون الإسلاميون ، وخاصة « الشهريستاني » في « الملل والنحل » و« الدمشقي » في « نخبة الدهر في عجائب البحر » ويعلّلون بين الروحانيين الذين يقولون بوسائلٍ بين الله والعالم . وهي الأسباب المباشرة للتغيير ، فهي التي تدبّر الكون ، وتقيّض عليه الوجود . وتفتّوا في إقامة هياكل لها ، وصفّها « الدمشقي » بدقة ، ويحرّص الصابئة على تطهير أنفسهم من دنس الشهوات ، والارتفاع بها إلى عالم الروحانيات ، ولهم طقوس ثابتة ؛ فيطهرون بالماء إذا لمسوا جسدا ، ويحرّمون الختان ، كما يحرّمون الطلاق إلا بأمر من القاضي ، وينعمون تعلّد الزوجات ، ويؤدون ثلاثة صلوات كل يوم ، وعاشوا مُسْتَفْرِقين في شمال العراق . ومركزهم الرئيسي « حران » ولغتهم السريانية ، وخلّمو الإسلام عن طريق العلم والسياسة ؛ فكان منهم المترجمون ، والرياضيون والنبائيون والوزراء مثل : « ثابت بن قرة » وأبيه « سناذ » و« أبو إسحق بن هلال » الوزير ، وأبيه أخيه . وهم « المأمون » - رضى الله عنه - يابادتهم ، ولكن شفعت لهم علومهم . وكانت منهم فرقة قوية في « بغداد » واستمرّت نحو قرنين ، وخاصة في عهد « أبي إسحق الصابي » وزير « الطائع » و« المطيع » ثم انقرضوا في القرن الحادى عشر الميلادى بعد استيلاء الفاطميين على « حران » ولم يبق لهم إلا آثار قليلة » أهـ .

لاحظ :

ولَا فرض أهل الروم على أتباع يحيى وعيسى عقائدِهم الوثنية في صورة مسيحية ، وفرضوا عليهم أيضاً عدم العمل بأحكام التوراة ، ومن الأمور المشتركة بين الصابئين والمسيحيين : أنهم يحرّمون الختان ، مع أنه مفروض عليهم من التوراة ، ويحرّمون عليهم الطلاق ، مع أنه مباح في التوراة ، وينعمون تعلّد الزوجات . مع أن التعلّد مباح في التوراة ، وصلة اليهود ثلاثة كصلوات الصابئة . أما المسيحيون فسبع صلوات .

وفي دوائر المعارف تحت الكلمة المندائية *Mandaeans* : « أنهم مرحليون . والخالق عندهم اسمه الله بصيغته في العربية ، وهو نور السموات والأرض ، وفاقت منه المخلوقات ، والمندائية يقولون : إنا نصارى ، وينكرون أن يكون المسيح

ابن الله^(١)). وكتابهم السفر الكبير أو الجيتزا Ginza يطرح نظرية الخلق على مثال ما في سفر التكوين ، ويذكر أسماء موسى وبوحنا وأدم وجواه وغيرهم بنطق يقرب من العربية . وفي كتب المندائية المتأخرة يذكرون النبي محمد ، ولكنه ذكر لا يدل على معرفة بتعاليم الإسلام . وهم يتوهون بيوحنا العمدان ويسمونه يحيى ؛ لأنه من الزاهلين المفترضين . والمندائية من المفترضين ، وتشبه شعائرهم في الصلاة شعائر اليهود ـ

ولأن نبيهم شتم اليهود بقوله : « يا ولاد الأفاغى » حاربهم اليهود ، كما حاربوا النصارى ، وأطلقوا عليهم لقب « ثانية »

وتحت كلمة الكسائيون :

« قيل : إن الكسائي هو كتاب مؤسس الطائفة ، وهم موحدون . وشريعتهم هي شريعة موسى . ويؤمنون بالأخرة والبعث والثواب والعقاب . ولأنهم قالوا بالاعتسال في النهر بقصد التطهير ، سموا بالمفترضين ، وقالوا : إن مثل المسيح كمثل آدم»

وتحت كلمة المنشلة :

« وهم الصابئة . وقيل : إن المندائية Mandaiia أخْلوا عنهم ، ويطبقون شريعة موسى » آدم .

ويقول الاستاذ عبد الأحد داود الآشوري في كتابه محمد كما ورد في كتب اليهود والنصارى : « ومن الحقائق المعروفة جيداً : أن الصابئين الذين ورد ذكرهم في القرآن ، وعند آباء الكنيسة الصركتية القدامى مثل « إيفانوس » وسواه ؛ كانوا من أتباع يحيى » وفي القرآن الكريم : أن أهل الكتاب إذا بقوا على دينهم ؛ يدفعون الجزية لل المسلمين . ذلك قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، من الذين اوتوا الكتاب . حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وقد دفع الجزية لل المسلمين اليهود والصابئون والنصارى ، وعاشوا بين المسلمين .

(١) ابن الله في المزمار الثاني نبوة عن محمد عليه السلام والمعنى أنهم ينكرون وضع نبوات التوراة التي من لحمد وحده ، على مسي . كما دعوه بولس

وعن الصابئة المندائية يقول المؤرخون : إنهم كانوا يعيشون في « حران » يقول بافوت الحموي : قيل : سمي بـ « بـ هـ رـانـ » أـخـى إـبـراهـيم عـلـيـه السـلـام لـأـنـه أـوـلـ منـ بـنـاهـا . ويقول الطبرى : إن نوحـا عليه السـلـام خطـها بعد انتـفـاضـة الطـوفـان ، وخطـ سـورـها بـنـفـسـه ، وفيـها كـانـتـ مـنـازـلـ الصـابـيـةـ .

وـ خـالـفـهـ اـبـنـ الـعـبـرـىـ فـقـالـ : إنـ الـذـىـ بـنـاهـاـ هـوـ «ـ قـيـنـانـ »

مـلاـحظـةـ :

اسـمـ «ـ قـيـنـانـ »ـ سـاقـطـ مـنـ التـوـرـةـ الـعـبـرـانـيـةـ وـمـرـجـودـ فـيـ الـيـونـانـيـةـ مـرـتـينـ ،ـ والـسـاقـطـ هـوـ اـبـنـ أـرـفـكـشـادـ .ـ وـالـسـبـ هـكـنـاـ :

آـدـمـ - شـيـثـ - آـنـوـشـ - قـيـنـانـ - مـهـلـلـيـلـ - يـارـدـ - آـخـنـوـخـ - مـتـوـشـالـحـ - لـامـ -
نـوـحـ - سـامـ - عـاـبـرـ - فـالـلـجـ - رـعـوـ - سـرـوـجـ - نـاـحـوـرـ - تـارـحـ - إـبـرـاهـيمـ وـنـاـحـوـرـ وـهـارـانـ
[ـالـثـلـاثـةـ آـخـوـهـ وـأـبـوـهـ تـارـحـ]

وـ فـالـتـ الصـابـيـةـ فـيـ كـتـابـهـ الشـهـيرـ «ـ حـرـانـ كـرـيـثـاـ »ـ :ـ إـنـهـ يـعـيـشـونـ فـيـ جـبـلـ
الـمـادـاـيـ .ـ وـهـنـاـ الجـبـلـ يـمـتدـ إـلـىـ حـرـانـ .

وـلـاـ اـحـتـلـ الـإـسـكـنـدـرـ الـأـكـبـرـ مـدـيـنـةـ حـرـانـ سـنـةـ ٣٣٦ـ مـ أـسـكـنـ فـيـهاـ رـحـالـةـ
مـكـلـوـنـيـةـ وـعـنـدـمـاـ زـارـتـ الرـاهـبـ إـيجـيـرـياـ حـرـانـ سـنـةـ ٣٦٣ـ مـ فـالـتـ :ـ وـجـدـتـ السـكـانـ
يـكـرـمـونـ قـبـرـ «ـ لـابـانـ »ـ

وـقـدـ ذـكـرـىـ الطـبـرـىـ كـتـابـ الـجـزـيـةـ عـلـىـ النـحـوـ النـالـىـ :

بـسـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

هـنـاـ كـاتـبـ عـيـاضـ بـنـ غـنـمـ ،ـ وـمـنـ مـعـهـ مـنـ الـسـلـمـيـنـ لـأـهـلـ الرـهـاـ

«ـ إـنـيـ أـمـتـهـمـ عـلـىـ دـمـائـهـ وـأـمـوـالـهـ وـذـرـارـيـهـ وـنـسـائـهـ وـمـدـيـتـهـ وـطـواـحـيـنـهـ .ـ إـذـاـ أـدـواـ الـحـقـ الـذـىـ عـلـيـهـ ،ـ وـأـنـ يـصـلـحـوـاـ جـسـوـرـنـاـ ،ـ وـبـهـدـوـاـ ضـالـلـاـ .ـ شـهـدـ اللـهـ
وـمـلـانـكـهـ وـالـسـلـمـوـنـ »ـ

وـلـاـ اـجـتـارـ الـخـلـيـفـةـ الـأـمـرـوـنـ - رـضـىـ اللـهـ عـنـهـ وـأـرـضـاهـ - سـنـةـ ٢١٨ـ هـ مـدـيـنـةـ حـرـانـ
قـالـ لـهـ أـهـلـ حـرـانـ :ـ نـحـنـ نـزـدـىـ الـجـزـيـةـ .ـ وـقـالـوـاـ لـهـ :ـ لـسـاـ يـهـوـذـاـ وـلـسـاـ نـصـارـىـ ،ـ وـلـسـاـ
بـالـجـوسـ

ويقول المؤرخون : إن كثيرين منهم قد دخلوا في دين الإسلام مع الداخلين .
ويتبين على الناس اليوم الفرق بين الكنائس المعمدانة وكنائس الصابئة أتباع يوحنا
المعمدان ، فيظنون أن الكنائس المعمدانة هي كنائس الصابئة . والحق : أن الكنائس
المعمدانة كنائس مسيحية . والفرق بينها وبين الكنائس المسيحية : هو في التعميد ،
فالكنائس المعمدانة تعمد البالغ ، الدا�ل في الدين بارادته ، والكنائس المسيحية
تعمد الصغير الذي لا يميز بين الخير والشر .

عدم إيمان علماء بنى إسرائيل بدعاوة يحيى عليه السلام :

وروى متى في إنجيله : « قال لهم يسوع : الحق أقول لكم : إن العشارين
والزواقي يسبقونكم إلى ملكوت الله . لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق ؛ فلم
تؤمنوا به ، وأما العشارون والزواقي ؛ فآمنوا به . ، وأنتم إذ رأيتم ؛ لم تندموا
أخيراً؛ لتؤمنوا به » { متى ٢١ : ٣١ - ٣٢ } ثم ضرب لهم مثل الكرامين الأردباء
على انتقال « ملكوت الله » إلى أمة أخرى .

البيان :

إن المحاورات بين يحيى وبين أ - علماء اليهود . ب - والأمين سالعبير عنهم
في النص بالعشرين والزواقي - أي جباه الضرائب لصالح الرومان ، والاثنة ؛
كانت عن « ملكوت الله » الذي كان يدعوا إلى اتسريه . فمن من الطائفتين قد قبل
كلامه ؟ أعلماء أم الأميون ؟ أتكبرون أم المتواضعون ؟ إن العلماء لم يقبلوا كلامه
ولم يؤمنوا به .

أما المسيح عيسى عليه السلام فقد دعا بدعاوة يوحنا . وهي اقرب ملكوت
الله . وضرب الأمثال لمجيئه . وذلك أنه بعد حديثه عن يوحنا قال في مثل الكرامين
الأردباء : « إن ملكوت الله يتُرَعَّمُ منكم ، ويُعْطَى لامة تعلم أئمَّاره »

ويقول المؤرخون :

إن اليهود قد شنوا حرباً على الصابئين بسبب إيمانهم بكلام يوحنا عن
« ملكوت الله »

ففي كتاب للمندائية اسمه « حران كورينا » : « أنهم هاجروا من أرض كنعان

إلى شمال سوريا ، على أثر حروب بينهم وبين اليهود ، فهاجروا إلى « حران » واستقروا مدة من الزمن ، ثم هاجروا إلى بطائع « البصرة » من مدينة حران». أمه ولنى كتب التفسير فى كلمة « الصابئون » : {المائدة ٦٩} :

وفى رفعه أوجه :

١- أنه على تقدير : إن الذين آمنوا والذين هادوا . من آمن منهم ... إلى آخره . والصابئون كذلك .

٢- أن « إن » بمعنى نَعَمْ . ولا محل لها . وما بعدها مرفوع المحل على الابتداء ، وما بعده معطوف عليه بالرفع . وخبر الجميع قوله « من آمن » إلى آخره .

٣- أن يكون معطوفا على الضمر المستكمل في « هادوا » أي هادوا هم « والصابئون »

٤- أنه مرفوع نسقا على محل اسم « إن » لأن قبل دخولها مرفوع بالابتداء .

٥- أن تضمر خبر « إن » وتبدىء « الصابئون » والتقدير : « إن الذين آمنوا والذين هادوا » يُحْمِّلُونَ - على قول من يقول : إنهم مسلمون . ويُعْذَّبُونَ على قول من يقول : إنهم كفار .

٦- أن « الصابئون » مرفوع على الابتداء ، وخبره محدثُون ، إلا أنه لا يُنْرَى بهذا المبدأ التأثير .

٧- أن « الصابئون » منصوب ، وإنما جاء على لهجة بن الحارث الذين يجعلون الشيء بالالف في كل حال .

٨- أن علامة النصب في « الصابئون » فتحة النون « والذين » حرف الإعراب . كهـى في « الزيتون » و« عربون »

٩- رفع « الصابئون » لأن « إن » لم يظهر لها عمل في « الذين » فبقى المعطوف على رفعه الأصلى قبل دخول « إن » على الجملة .

وفى كتب التفسير عن نطق « الصابئون » :

فرا أبي بن كعب وعثمان بن عفان وعائشة والجحدري وسعيد بن جبير

وجماعة : « والصابئين » بالياء .

وقرأ الحسن البصري والزهري : « الصابئون » بكسر الباء ويعدها ياء . وهو تخفيف للهمزة كقراءة من قرأ « يستهزئون » في الأنعام الآية الخامسة بالياء لا بهمزة .

قراءة نافع « والصابئين » في سورة البرة :

قرأ نافع « الصابئين » بدون همزة وتحتمل وجهين : ١- أن يكون مأخوذاً من المهموز . فتأبدل من الهمزة حرف علة . إما ياء أو واوا فصار من إبا المتقوص ، مثل قاضي أو غازى . والأصل : صاب ، ثم جُمع كما يجمع القاضي أو الغازى . إلا أن سيبويه لا يرى قلب هذه الهمزة إلا في الشعر ، والأنخشش وأبو زيد يريان ذلك مطلقاً .

٢- أنه من صبا يصبو ، إذا مال ، فالصابى كالغازى . أصله : صابو . فأعلى كاعلاً غاز ، وأسند أبو عبيد إلى ابن عباس : « ما الصابئون ؟ إنما هى الصابئون . ما الخاطرون ؟ إنما هى الخاطرون »

فقد اجتمع في قراءة نافع : همزة « النبيين » وترك همز « الصابئين » وقد عرفت أن العكس فيها أفصل .

التعليق :

إن كلمة « والصابئون » هي كلمة إلهية من الله . ولكن الرواة قالوا فيها ما قالوا ، وحسابهم على الله . وكلمة « الصابئين » هي كلمة إلهية من الله ، وكلمة في موضعها من المصحف هي ترتيب الله ونصه .

والمعنى الصحيح هو : « إن الذين آمنوا والذين هادوا » - « والصابئون » منهم - « والنصارى » .. الخ يريد أن يقول للناس : إنني لما ذكرت « الصابئين » في سورة غير هذه السورة وخفي على الناس أمرهم ؛ لأنهم يتسترُون تحت اسم « المسيحيين » ومن الناس جماعة رأت طائفة في بلادهم تعبد الكواكب ؛ فظنوا أنهم هم الصابئون . لما خفى على الناس أمرهم ؛ بَيْنَ أَنَّهُمْ طائفة منشقة عن اليهود ، على طريق الجُمُل الاعترافية التفسيرية . فالمُعنى : إن الذين آمنوا والذين هادوا -

والصابرون طائفه منهم - والنصارى . هؤلاء جميعا من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا . من قبيل ظهره محمد رسول الله ، سأتصبّ له ميزانا وأعطيه حقه بحسب ميزان أعماله . وأما من بعد ظهور الإسلام . فلأن من لم يدخل منهم في الإسلام يكون من الأخرين أعملا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسّنون صنعا .

في تفسير القرطبي:

وروى عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سئلت عن «المقيمين» في قوله تعالى «لَكُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» وعن «الصابرون» وعن «إِن هذان لساحران» فقالت : هنا خطأ من الكاتب ، وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في المصحف لحن ، وستقومه العرب بالستها . وقال إبیان بن عثمان : فرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان ، فقال : لحن وخطأ ، فقال له قائل : ألا تغيروه ؟ فقال : دعوه فإنه لا يحرم حلالا ، ولا يجعل حراما ۝ ۱ . هـ .

قال الزمخشري ، رضي الله عنه :

« ولا يُنفَت إلى مازعموا من وقوعه لخنا في خط المصحف . وربما افت إليه من لم ينظر في الكتاب ، ومن لم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم في النصب على الاختصاص من الإفتتان ، وغبي عليه : أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل ؛ كانوا أبعد همة في الغيرة عن الإسلام ، وذبّ المطاعن عنه ؛ من أن يقولوا : ثلّمة في كتاب الله ؛ ليس لها من بعدهم ، وحرفاً يرثوه من يلحق بهم » .

التعليق:

إن المعنى الصحيح هو : لكن الراسخون في العلم من اليهود يؤمّنون بأن القرآن كلام الله . وأيضاً : المؤمنون من اليهود الأميين ، ولا يؤمنون وأخص من الراسخين في العلم : المقيمين الصلاة ؛ لأن صلواتهم مستهانة عن مخالفة الله ؛ فيؤمنون بمحمد ويتبعونه . أما غير المصلين من الراسخين في العلم ؛ فإن علمهم قد

يحملهم على الإيمان بمحمد ، وقد لا يحملهم على الإيمان به . حبًا في الدنيا وريتها . فالاختصاص هنا يفرق بين طائفتين من العلماء . طائفة تعلم ولا تعمل ، وطائفة تعلم وتعمل . والصلة هي التي تميز ؛ لأنها **﴿لكبيرة إلا على الخاشعين﴾**
الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون ﴿

في كتب التفسير في **﴿إن هذان لساحران﴾** {٦٣} :

﴿إن﴾ بسكون النون خط المصحف ، وقرأ الزهرى والخليل بن أحمد الفضل وإبیان وابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه : **﴿إن هذان﴾** بتخفيف **﴿إن﴾** قال القرطبي - رضى الله عنه - : « وهذه القراءة سلعت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب . ويكون معناها : ما هذان إلا ساحران ». هـ.

التعليق :

خط المصحف هو **﴿إن﴾** بسكون النون ، وعلى سكون النون يتلفى الإشكال في الآية . لكن الرواة ابتدعوا رواية هي **إن** بتشديد النون متبرحة . وبعدما ابتدعواها وأذاعوها في الناس ؛ قالوا : إن في القرآن لحنا على قراءة **﴿إن﴾** ونسبوا قولهم زورا إلى أصحاب وعلماء لم يصدر عنهم هذا القول .

و المعنى : **﴿إن هذان﴾** رجال **﴿لساحران﴾** في اعتقاداتنا ،
﴿ليسوا سواء﴾ :

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم : **﴿ولو آمن أهل الكتاب ، لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون . لن يضروكم إلا أذى ، وإن يقاتلكم ، يولوكم الأذبار ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا ، إلا بجعل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكتة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بأيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا ، وكانتوا يعتدون . ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمم قائمة ، يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمّنون بالله واليوم الآخر ويأمرُون بالمعروف وينهُون عن المنكر ويسارعون في الخيرات . وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله علیم بالمتقين﴾** إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ [آل عمران: ١١٥ - ١١٠]

في تفسير الإمام الحازن رضي الله عنه : **﴿أمة قائمة﴾** أي مهدية ، قائمة على

أمر الله تعالى لم يضيئوه ولم يتركوه . وقيل: «قائمة» على كتاب الله عز وجل وخلوده ، وقيل «قائمة» في الصلاة .

والصحيح: «أمة قائمة» أي موجودة بين الناس وقت نزول القرآن . لها شعائرها الخاصة بها التي تدعو الناس إلى اعتمادها معهم . ومستظل موجودة ومستقلة عن غيرها من الجماعات . وقال عطاء : إنهم كانوا جماعة مؤلفة من أربعين رجلاً من أهل نجران من العرب ، وأثنين من الحبشة ، وثمانية من الروم ، وعدة نفر من الأنصار . ولما ظهر الإسلام دخلوا فيه ، وعلى رأيه هنا يلزم أنهم أمة كانت قائمة : أي موجودة وزالت . ويرد رأيه هذا : أن «قائمة» تدل على استمرار الوجود من بعد ظهور الإسلام وإلى أن تقوم القيمة . فمن هي هذه الأمة الموجودة إلى اليوم ؟ ليس إلا أمة الصابئين . وذلك لأنه ذكر ثلاثة هم : اليهود والنصارى والصابئين . وقال : إن اليهود أشرار وقال : إن النصارى إلى زمان التحريف أخيار . وحل محلهم المسيحيون من زمان التحريف من سنة ٣٢٥ م وهم أشرار . فلم يبق من الثلاثة إلا الصابئون .

ومهنا إشكال . وهو أن هذه الأمة المذوحة بأنهم يسارعون في الخيرات وهم من «المؤمنون» إن ظلت على شعائرها ولم تدخل في الإسلام فإنها تكون خاسرة . وهو قد وصفها بأنها قائمة ، وبأنها مذوحة مع وجودها مع المسلمين جنباً إلى جنب . فهل يرد على هذا الإشكال بأنهم أمة أمية جاهلة لا تعرف أن الإسلام حق . إذ لا يعرف من أهل الكتاب أنه حق إلا الراسخون في العلم ؟ أم يرد عليه بأنهم يعرفونه حق المعرفة ولكنهم يخشون غيرهم . فيكون حالهم حال «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» ؟

ومثل ذلك في المسلمين مثل الشيعي الذي يعرف أن الأحاديث النبوية التي هي عنده فيها حق وباطل ، ويعرف أن الأموات لا يسمعون ولا يصررون ولا يضررون ولا ينفعون ، ويعرف أن أصحاب النبي ﷺ مشهود لهم من الله بالفضل . ومع ذلك لا يزيد أن يتخلّى عن ما نشأ عليه . ومثله السنّي الذي يعرف أنه نشا على موروثات باطلة ، كالتى هي عند الشيعي .

وقال الله تعالى : «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين

أشركوا》 قرن بين اليهود وبين المشركين .

والمراد بالشركين هنا : طائفه المسيحيين ، الذين ابتدأ ظهورهم فى الوجود من مجمع نيقية سنة لثمانة وخمسة وعشرين من الميلاد . وقد لقبهم الله بالشركين في قوله : ﴿اتخذوا أحبارهم ورہبانهم أربابا من دون الله والمسیح ابن مریم وما أمروا إلا لیعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو . سبحانه وتعالى عما یشرکون﴾

أما أنصار عيسى عليه السلام من زمانه إلى زمان مجمع نيقية فلأنهم يلقبون بالنصارى ، ولا يلقبون بالمسيحيين ، والنصارى هم الذين انفصلوا عن اليهود ، وكوننا أمة كانت تبشر بمجنى محمد ﷺ وتعلمل بأحكام التوراة حكما حكما .

وعلى ذلك قال الله تعالى : ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إننا نصارى﴾ أما اليهود والمسيحيون ، فهم أشد عداوة .

ثم قال الله تعالى : ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورہبانا﴾ يزيد أن يقول : إن قرب المودة بسبب أن فيهم راسخين في العلم يعلمون أن محمدا رسول الله حقا وصدقأ ، وكل راسخ في العلم منهم يعلم أن محمدا رسول الله ، لكن الرسوخ في العلم ثني ، والإيمان بمحمد ثني آخر . ولذلك قال ﴿وأنهم لا يستنكرون﴾ أي أن التراضع لله منهم وهو راسخ في العلم يؤمن بمحمد سرا وجهرا ، وإنما سمع ما أنزل إليه يكى من خشبة الله . ذلك قوله : ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ، ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ والرسول هنا هو محمد ﷺ لقوله في نفس السورة : ﴿يا أيها الرسول بلع ما أنزل إليك﴾ وهذا المعنى في المسيحيين إلى هذا اليوم . فإن الراسخ المتراضع من المسيحيين يشبه النصراني الذي كان من قبل زمان التحريف . وأكثرهم على هذا الإيمان سرا . ويقولون : إن لهم عذرا لقوله : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾

وجاء في تفسير ابن كثير : أنه توجد فراءة وهي : ﴿ذلك بأن منهم صدّيقين ورہبانا﴾ يزيد أن يلوح بها إلى معنى وهو أن «القسيس» لقب مبتدع من زمان التحريف . فكيف يصف به النصارى . ولم يكن فيهم إلا الحبیر والرّبی؟ ولذلك فسر القسيس بالصديق . والمعنى الذي لوح به هو مقصودنا ، لأن الصديق لا يتأنى له الصدق إلا بالرسوخ في العلم . والرسوخ يتميز به القسيس عن غيره . وإذا ثبت

الرسوخ وثبت التواضع بثبت أن المسمى المتصف بهما شبيه بالنصراني الذي كان من قبل التحرير .

واعلم : أن النصارى قد أجبروا على المسيحية من قبل الرومان . والمسيحية معناتها : أن النبي المتظر الذى سيجيئ من بعد موسى عليه السلام قد لقبه اليهود بلقب «المسيح» أى المصطفى من الله . وزعم اليهود أنه سبائى منهم هم أنفسهم . ولكن عيسى عليه السلام بين لهم أنه سبائى من بعده ، وأنه هو محمد رسول الله ﷺ . فاتفاق اليهود وأهل الروم على جعل «المسيح الرئيس» الذى هو محمد . اتفقوا على أن يجعلوه عيسى عليه السلام بقوة السلاح . فدخل النصارى خوفاً من الأذى في المسيحية ، وتستروا بها ، وكان القيسى والراهب فى الظاهر مسيحيًا ، وفي الخفاء نصرانياً ، إلى أن ظهر دين الإسلام وأعلنوا انضمامهم إلى المسلمين .

ومن بقى إلى هذا الزمان . فإن الراسخين في العلم منهم ، والمتواضعين هم على دين الإسلام في الخفاء ، وإذا وجدوا فرصة سانحة لإعلان إيمانهم ، فإنهم لا يتركونها .

وقال الله تعالى : **«وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ، وَيَهُدُّلُونَ**» **و يقول العلماء :** إن هذه الآية هي المذكورة في قوله تعالى **«مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ** يتلون آيات الله آناء الليل **وَهُمْ يَسْجُدُونَ**» **ويعلم العلماء من قوله** **«قَانِمَةٌ**» **و** **«يَهُدُّلُونَ**» **و** **«يَعْدُلُونَ**» **أن هذه الأمة موجودة في الحياة الدنيا ، ومستظل موجودة إلى قيام القيمة . ولذلك رواوا : أن سبطاً من أسباط بنى إسرائيل فتح الله لهم نقعاً في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين . فهم هناك حفقاء مسلمين يستقبلون قبلينا . والرواية ضعيفة ، ولكنها تدل على فهمهم بأن هذه الأمة موجودة في الحياة الدنيا .**

والحق : أن هذه الأمة ، قائمة ، وهي تهدى بالحق ، المذكور في توراة موسى ، وهي تعدل به بين الناس . لا بالحق المذكور في القرآن ، لأنهم لو علموا بالقرآن وهدوا به وعدلوا ، لما كانوا من قوم موسى . وإنما يكونون من قوم محمد . الذين هم المسلمون . ولأن القرآن يفسر بعضه ببعضه ولأن الصابئين أمة من اليهود ، قوم موسى ، ولأن الله لعن اليهود ، ودم المسيحيين لا النصارى ، ولم يلعن

الصابرين ولم ينفهم ، فإن هذه الأمة التي تهدي بالحق على توراة موسى ، لا تكون أمة غير أمة الصابرين .

ولكن هذه الأمة لا يتقبل الله عملها . لأنهم لم يدخلوا في دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ . وذلك لأن التوراة قد نسخها الله بالقرآن الكريم . وليس في الآية ما يدل على أن الله يتقبل عملهم . وذلك لأنه يحکي عن أمة قائمة تعمل عملاً ما حسب اعتقادها . وحكايتها عنهم واضحة في هذه الآية ، وواضحة في قوله عنهم : «من أهل الكتاب أمة قائمة ، يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمرون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير ، فلن يكفروه» إنه حکي عن عاداتهم التي تعودوا عليها من كتاب موسى . ثم قال : ومثل أولئك من الصالحين . ولم يقل لهم من الصالحين . يريد أن يقول : إن من يفعل هذه الاعمال التي اتفقت الأديان عليها . يكون من الصالحين . أما هؤلاء بالذات فإن عاداتهم هذه حسنة . أي أنه وصف عاداتهم بالحسن . ولم يصرح بأنهم من أهل الجنة . ولماذا لم يصرح بأنهم من أهل الجنة ؟ لقوله : «ومن يبتغ غير الإسلام دينا ، فلن يقبل منه . وهو في الآخرة من الخاسرين» ثم رغبهم في دين الإسلام ونحوهم على الدخول فيه بقوله : «وما يفعلوا من خير فلن يكفروه» وأي خير لهم أحسن من الدخول في الإسلام الذي يعرف صحته الراسخون في العلم منهم ؟

وفي سورة التوبة يقول الله تعالى : «إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون . وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن» ثم يعلن براءته من اليهود ويدلل لهم عليها ببراءة إبراهيم من أبيه . لظهور للناس : أن الرابط بينهم هو الإسلام والعمل به ، وليس هو النسب والمصادمة مع الكفر والفسق والعصيان . ثم يبين لليهود أنه وضع لهم الدلائل الدالة على صحة نبوة محمد ﷺ ومن يكفر بعد منهم فإنه يكون ضالا عن الهدى ثم عمل مقارنة بين المسلمين وطوانف أهل الكتاب الثلاثة وهم اليهود والمسيحيون والصابرين في جهادهم مع الله ورسوله . فقال : قد كان عند أهل الكتاب جهاد في سبيل الله . وقد جاهدوا وفتحوا الأرض المقدسة مما فتحوا من البلاد ، وفي المسلمين أتباع محمد جهاد في سبيل الله . والجهاد امتحان للجسد ،

وتحجير للمال ، ونفيه كلفة ومشقة . والحاصل عليه هو تمنى العيش في جنة الله من بعد الموت . فهل يستوى في دخولها من جاحد ومن لم يجاهد ؟ لذلك يقسم أبناء إبراهيم عليه السلام على قسمين . قسم محمد وأتباعه ، وقسم موسى وأتباعه . ويقول عن القسمين : إنني فتحت باب رحمتي لآى مؤمن يجاهد في سبيلي على دين محمد . فمن يريد أن يدخل فليدخل . ذلك قوله : «لقد تاب الله على النبي» قوله : «وعلى ثلاثة» الذين لم يدخلوا في دينه بعد . وهم اليهود والمسيحيون والصابيون . أى أن باب التوبية مفتوح للجميع . أى أن رحمة الله للجميع . لأن الغرض من التوبية لازمها وهو الرحمة .

ثم فرق بين الذين دخلوا وبين الذين لم يدخلوا بعد ، فقال عن الذين دخلوا : «تاب عليهم» أى أدخلهم في رحمته لأنهم آمنوا وجاهدوا «إنه بهم رءوف رحيم» وقال عن الذين لم يدخلوا : «ثم تاب عليهم» أى فتح لهم بباب التوبية ليدخلهم في رحمته ولكنهم لم يتوبوا بعد ، وهو قد فتح لهم بباب التوبية أى باب رحمته «لি�توبوا» لأنهم لم يتوبوا بعد ، وظلوا على دينهم . ولم يقل عن الذين تخلفوا : «إنه بهم رءوف رحيم» لأنهم ما دخلوا في الإسلام حتى يستحقوا الرحمة ، وقال عن الذين أسلموا وجاهدوا : «إنه بهم رءوف رحيم» لأنهم أسلموا وجاهدوا . وحث أهل الكتاب على التوبة بقوله : «إن الله هو التواب الرحيم» .

هذا هو معنى :

«لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ، الذين اتبعواه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم ، إنه بهم رءوف رحيم . وعلى ثلاثة الذين خلفوا ، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحب ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا . إن الله هو التواب الرحيم»

ولكن الرواة قالوا : إن الثلاثة هم ثلاثة من أصحاب النبي طَلَّبُوكِمْ تخلفوا عن حضور غزوة تبوك . وأمر النبي باجتنابهم عقوبة لهم ، ثم نزلت الآيات بالعفو عنهم . مع علمهم بأن المخالفين كثير . فلماذا نزل العقاب للثلاثة بالذات ؟

إن المعنى الذي يستقيم مع ما في السورة كلها هو أن ثلاثة المتخلفين عن رسول الله ﷺ هم أهل الكتاب . وهم طوائف ثلاثة اليهود والمسيحيون والصابرون . ومن بعد ظهور الإسلام وانتشاره في العالم لن يكون لهم وجه عند الناس بسبب عنادهم وبغיהם . وعندئذ ستضيق عليهم الأرض بما رحبت ، ولن يجدوا غير الإسلام ملجاً وملاذاً ، ليعيشوا مع المسلمين في أمان وسلم .

وبعد هذه الآيات . آيات تمحث الثلاثة على الإيمان بالإسلام والجهاد في سبيل الله مع المسلمين .

وهي : **﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾**

يقول الرواية : إن **«المدينة»** هي بئرب . مدينة رسول الله ﷺ والحق : إن **«المدينة»** بالآلف واللام . هي مدينة «أورشليم» في فلسطين . لأنها كانت عاصمة ملك بنى إسرائيل في العالم ، وهي معروفة في العالم بهذا الوصف . يريد أن يقول : لا يصح لبني إسرائيل ومن حولهم من الأمم التي ليست منهم ولا من بنى إسماعيل أن لا يدخلوا في الإسلام . وذلك لأن الواحد منهم إذا أصابه ما يكرهه في سبيل تبليغه إلى الناس ، سوف يجد في الدار الآخرة جزاء حسنة . ثم حث المؤمنين على العلم والجهاد بقوله : **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَغْرِبُوا كَافَةً ثُلُولاً نَفْرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ، وَلِيَتَنَرَّوْا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لِعِلْمٍ يَحْذِرُونَ﴾** ثم أظهر حال الفريقين من أبناء إبراهيم عليه السلام وهم أتباع محمد وأتباع موسى . عند سماع القرآن . فقال : إن أتباع محمد يزدادون إيماناً . وإن أتباع موسى يزدادون رجساً إلى رجسهم ، ذلك قوله : **﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادُوهُمْ فِرَاجَةً إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادُوهُمْ رُجْسًا إِلَى رُجْسِهِمْ، وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾**

ثم خاطب الله أتباع موسى وهم بنو إسرائيل الكافرون بمحمد ﷺ بقوله : **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِمَا مَنَّا بِكُمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** يشير بـ **«من أنفسكم»** إلى ما في الأصحاب الشامن عشر من سفر الشتبة عن النبي الأمى سيانى على مثال موسى ، وهو : **«يقيم لك الرب**

اللهك: نبيا من وسطك . من إخوتك مثلى . له تسمعون ... أقيم لهم : نبيا .
من وسط إخوتهم . مثلك . وأجعل كلامي في فمه . فكلمهم بكل ما أوصيه به
[أث ١٨ : ١٥ - ٢٢]

فقوله : «من وسطك» و «من وسط إخوتهم» يدل على أنه من أنفسهم أي
من نسل إبراهيم عليه السلام .

وعلى هنا . فإن ما قبل آية «و على ثلاثة» وما بعدها . ليس فى
ثلاثة نفر تختلفوا فى «يترى» عن غزوة تبوك . وإنما هو فى طائفتين من أبناء
إبراهيم عليه السلام . طائفة أهل الكتاب المنقسمون من قبل زمان محمد إلى
١- يهود - ٢- مسيحيين - ٣- وصابئين . وطائفة المسلمين أتباع محمد عليهما السلام وسورة
براءة من أولها إلى آخرها تتحدث عن العلاقة بين الطائفتين . لكن الرواية استبدلوا
طائفة بنى إسرائيل بكفار من العرب . ودلالة الآيات لا تشهد لهم . كما بينا فى
كتابنا البداية والنهاية لامة بنى إسرائيل .

وكتب الصابئة المقدسة هي التوراة والإنجيل الأربعة . أما التوراة : فلأن
يوحنا المعمدان الذى هو مقدم الطائفة ورئيسها ، كان على شريعة موسى عليه السلام
لم ينسخها ولم ينقضها ، وأما الإنجليل الأربعة : فلأن المجتمعين فى نيقية دمجوا
إنجيل يوحنا المعمدان مع إنجيل عيسى عليه السلام فى إنجيل واحد لتشابههما فى
الهدف . وفرضوا الإنجليل على الأربعة وأعلنوا عن هدفهما وهو أنهما دعوا معا إلى
اقتراب «ملوكوت الله»

ثم إن الصابئين لهم تفسيرات للتوراة مستندة من التلمود ، واجتهادات
علمائهم ، هي مكتوبة فى كتب ، وعندهم كتب تواريخت . وعندهم كما هو عند أي
طائفة من أهل الأديان كتب مخطوطه فى السحر والتجميم ومسارات الكواكب .
وذلك لأن اليهود قد ملأوا التلمود من مثل هذه الموضوعات . والصابئون يخفون
كتبهم ولا يظهرونها لأنها كتب تفسيرية . والتفسير قابل للتغير وقبل للبقاء . ومن
كتبهم التفسيرية كتاب لبخدر ينفى تفضض وتفسirه الكثر الإلهي وكتاب أدرasha أديها .
وتفسيره التعاليم المأثورة عن يحيى عليه السلام . وفيه نصته وعظاته .

وما هو فيه : أن يحيى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، وقد جاء هذا

الخبر في القرآن الكريم . ووضحته في كتابنا بروحنا المعدان بين الإسلام والنصرانية .
ومن كتبهم كتاب العلستا ، وفيه قوانين النكاح بحسب شريعة نبي الله موسى عليه السلام . وكتاب النفوس موضوعه أحكام الجنائز . وكتاب الديوان موضوعه قصص الصالحين . وكتاب البروج والطوالع وموضوعه السحر والتنجيم وحساب الطالع ومعرفة المستقبل ، وكتاب الدعوات أثناء الطهارة والوضوء وكتاب التعزيمات والأحجبة بالحب والكره . وكتاب في وظائف الجسد وكتاب يشبه كتاب من لا يحضره الفقيه عند الشيعة وهو يحتوى على اثنى عشر ألف سؤال وكتاب قلعة حران وهو يتحدث عن حروب اليهود للصابئين بعد موت يحيى عليه السلام وهجرتهم إلى أرض العراق من فلسطين وكتاب في أسرار الدهر والازل . يتكلّم عن العالم النوراني وتكوينات العالم السفلي . وكتاب ترتيل شيشلام ويبحث في وظائف الكهنة وواجباتهم . وكتاب ترتيل عذاب القبر ونعيمه يسمى ديوان أبيثر أو كتاب فروستا . فيه عزائم وأقسام لإخراج الجن من أجساد الناس . وكتاب شرح بارونايا . وهو في توديع المؤمن بكلام حسن .

الفصل الثاني في **نُبُوَّاتٍ مِّنَ التُّورَاةِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ**

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَيْهِ وَقُومَهُ : إِنِّي بِرَاهِمَ مَا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي نَطَرْنِي ؛ فَلَانَهُ سَيِّدِينَ . وَجَعَلُوهَا كَلْمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبَةٍ ؛ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . بَلْ مَتَّعْتُ هُؤُلَاءِ وَآبَاءِهِمْ ، حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ ، وَرَسُولٌ مِّنْ بَيْنِ أَنفُسِهِمْ . وَلَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا : هَذَا سُحْرٌ . وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ؟ أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟ نَحْنُ قَسَّمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِهِمْ بَعْضَ دَرَجَاتٍ ؛ لِيَتَخَذُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَاً . وَرَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مَا يَجْمِعُونَ ﴾

﴿الْأَزْكَرْفُ ٢٦ - ٣٢﴾

بدأ بذكر إبراهيم عليه السلام . ثم نكلم عن بركته في الأمم التي قسمها بين بنى إسحق وبين إسماعيل - عليهما السلام - وقد قام بنو إسرائيل من بنى الله موسى - عليه السلام - ببركة إسحق . وقد متعهم الله بالملك على الأمم والشعوب إلى أن جاءهم محمد ﷺ الذي سبأها من بركة إسماعيل . ولما جاءهم ؛ كفروا به . لماذا ؟ لأنهم يريدون النبي الأمي المائل لموسى منهم . إما من السامريين سكان «نابلس» وإما من العبرانيين سكان «أورشليم» وبذلك يظل الملك في بنى إسرائيل إلى يوم القيمة ، ونظل الشريعة .

وند أظهر الله لهم عدله وفضله . وذلك ببيانه أنه قسم بالعدل والفضل برقة إبراهيم خليله بين إسحق وإسماعيل . فجعل لاسحق ملة . بملك وشريعة على الأمم ، تبدأ من بنى الله موسى - عليه السلام - وتنتهي بظهور محمد ﷺ وجعل لإسماعيل ملة بملك وشريعة على الأمم ، تبدأ من بنى الله محمد ﷺ وتنتهي بقيام القيمة ، وانتهاء الحياة الدنيا . والنسل القائم بالبركة يكون سينا على كل نسل إبراهيم . وهذا هو معنى ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضِهِمْ بَعْضَ دَرَجَاتٍ ؛ لِيَتَخَذُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيَاً ﴾ وهذا هو البيان :

تقسيم برقة إبراهيم :

في التوراة : أن الله قال لابراهيم عليه السلام : «أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملاً ، فأجعل عهدي بيني وبينك كثيراً جداً» {نك ١٧ : ١ - ٢} أي امش بين الناس وادعهم إلى معرفتي وكن قدوة صالحة لهم في فعل الخيرات . وحارب عباد الأوثان . نطلب لابراهيم من الله أن يسيراً نسل إسماعيل أمامه . ويذعن ويحارب . فقال الله : من إسماعيل سيظهر نبي بشريعة . ويبدأ سير نسل إسماعيل أمامي من ظهور هذا النبي . فيدعون بشريعته ، ويحاربون عباد الأوثان ؛ ليعتمدوا شريعته . وأيضاً سيظهر نبي من نسل إسحق لهذا الغرض . ويكون لبني إسحق ملة ، ويكون لبني إسماعيل ملة . ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكويرن : «وقال الله لابراهيم : «ساراي امرأتك لا تدعوا اسمها ساراي ، بل اسمها سارة ، وأباركها ، وأعطيك أيضاً منها بنا . أباركها ؛ تكون أمّا وملوك شعوب منها ، يكونون» لاحظ : «أباركها » ولاحظ تفسير البركة وهو أمّ وملوك على الشعوب للتمكين للشريعة . ثم قال الكاتب : «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك» ، أي يسير نسله أمام الله بشريعة . ورد الله عليه بقوله : «واما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأنصره وأكثراً لا كثيراً جداً أثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمّة كبيرة » فاسماعيل مبارك واسحق مبارك .

إسماعيل ابن سارة :

وفي التوراة : أن السيدة الحرة كانت تعطى جاريتها لزوجها : لعله أن ينجذب منها بين ، وإذا أحببت ؛ ينسب الابن إلى السيدة الحرة ، ولا ينسب إلى الجارية ، ويتساوى في الإرث مع ابن السيدة الحرة في الأم ، وفي الآب . ففي الأصحاح السادس عشر من سفر التكويرن : «واما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر . فقالت ساراي لأبرام : هو ذا رب قد أمسكتني عن الولادة ، ادخل على جاريتي ، لعلى أرزق منها بين . فسمع أبرام لقول ساراي ، فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر ؛ فحبلت ... الخ» {نك ١٦ : ١ - } لاحظ : «ادخل على جاريتي ؛ لعلى أرزق منها بين » ، أي أن إسماعيل بحسب شريعتهم صار ابننا لسارة ويرثها . وعلى هذه الشريعة تجد أولاد يعقوب عليه السلام ، فإن امرأته لينة وهي حرة أحببت له : راوين - شمعون -

لاوي - يهودا . ثم توقفت عن الولادة « ولما رأت لبنة أنها توقفت عن الولادة أخذت زلفة جاريتها ، وأعطتها ليعقوب زوجة . فولدت زلفة جارية لبنة ليعقوب ابنا وسمته جاداً وولدت ابنا آخر وسمته أشبر ثم إن لبنة الجبّت يسّاكر وزببورون . فالأولاد الثمانية هؤلاء هم أولاد لبنة الحرة . ستة منها واثنان من جاريتها . وتساروا في الإرث من يعقوب ومن لبنة .

ومثل ذلك في أولاد راحيل الزوجة الأخرى ليعقوب . فإنها الجبّت يوسف وبنiamin . ودفعت جاريتها إلى يعقوب فأحبب لها منها : دان - فتالى . وتساروا جميعاً في الإرث من راحيل ومن يعقوب .

إرث إسماعيل :

وفي التوراة : أن سارة طلبت من إبراهيم أن لا يرث إسماعيل فيه . فنبع الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه ، ورد الله عليه بأنه وارث . ذلك قوله : « لأنك يا سحق يدعني لك نسل وابن الجارية أيها سأجعله أمة ؛ لأنك نسلك » وبذلك يكون إسماعيل له ملك ونبوة كما كان لإسحق ملك ونبوة .

بربة فاران :

ولما قال الكاتب إن إسماعيل سكن في فاران . قال مع السكتي : إن الله بشر هاجر بأن ابنها سيكون أمّة عظيمة . أى ستكون له بركة هي ألم وملوك على الشعوب . وذكر مكان سكانه وهو فاران . ثم في نهاية التوراة أكد على بركة ستظهر على سكان فاران ، كالبركة التي ظهرت على بنى إسحق في سيناء ، وهذا يدل على نبوة محمد عليه السلام وملك بنى إسماعيل على العالم من حين ظهوره ، كما ملك بنو إسحق على العالم من حين ظهور موسى عليه السلام . ففي الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكويرين : « فبكر إبراهيم صباحاً ، وأخذ خبزاً وقربة ماء ، وأطعهما لهاجر ، وأضعماً لياماً على كتفها ، وصرفها ، فمضت وتاها في بربة بشر سبع . ولما فرغ الماء من القربة ؛ طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابلة بعيداً نحو رمية قوس ؛ لأنها قالت : لا أنظر موت الولد . فجلست مقابلة ، ورفعت صوتها وبكت . فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : مالك يا هاجر . لا تخافي لأن الله قد سمع

لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام ، وشدى يدك به ؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها ؛ فابصرت بشر ماء .

فذهبت وملأت القرية ماء ، وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكثير وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى بريه فاران . وأخذت له امه زوجة من أرض مصر ^١ { تك ٢١ : ١٤ - ١٢ }

وهذا الساكن فى بريه فاران ، مقابل إخوته بنى إسرائيل . يدل على أن فاران مكة المكرمة . وذلك لقوله : إن بنى إسرائيل سكنا فى فلسطين . وهى شمال مكة . وقوله عن بنى إسماعيل : « وأمام جميع إخوته يسكن » ^٢ { تك ١٦ : ١٢ } فهما اثنان يسكنان فى خط واحد . طرفه بنو إسرائيل وطرفه بنو إسماعيل . وإسرائيل فى الشمال وإسماعيل فى الجنوب .

نبوءة شيلون :

ولأن لإسماعيل بركة . أى ملك ونبيه ^٣ دعا يعقوب بنه . وقال : اجتمعوا لأنتم بما يصيكم في آخر الأيام ^٤ ، أى آخر أيام بركة بنى إسحق ابن سارة ، التي حملها نيابة عنه بنو إسرائيل - الذي هو يعقوب - وقال لهم : في آخر أيام بركة إسحق ، سيزول الملك ، وستنفع الشريعة على يد « الذي هو له » الحكم من بنى إسماعيل ، لأن لإسماعيل بركة . ولم يزل الملك من اليهود إلا على يد محمد عليه السلام ^٥ ولم ينسخ التوراة إلا محمد عليه السلام ^٦ . فيكون هو « الذي هو له » الحكم ، في قول يعقوب عليه السلام : « لا يزول قضيب من يهودا ، ومشترع من بين رجليه » حتى يأتي شيلون . وله يكون خضوع شعوب ، رابطا بالكرمة جحشه ، وبالجفنة ابن آثاته ، غسل بالخمر لباسه ، ويدم العنبر ثوبه . مسود العينين من الخمر ، ومبيض الأسنان من اللبن ^٧ { تك ٤٩ : ١ + ١ } و شيلون ^٨ هذا « الذي هو له » الحكم . وهو نبي السلام لا يكون من اليهود بنى إسرائيل . وعبر عن ملكه على الأمم والشعوب بقوله « وله يكون خضوع شعوب » يريد أن يقول : كما أن بركة إسحق أمم وملوك على الشعوب . وتبدأ من موسى صاحب التوراة ، تكون بركة إسماعيل من البشائر الآتني منه . وله يكون من بنى إسماعيل ملوك على الشعوب . ثم عبر بأسلوب كنائى بديع عن كثرة الخيرات في أيام بركة إسماعيل ،

أى في أيام شريعة محمد . فقال : رابطا بالكرمة جحشه . بدل ربطها أمام التبن والعشب ، وذلك لكترة العنب . حتى يفيف عن الناس فتأكله الحمير ، وجفنة الشريد واللحم تفيف عن الأكلين بعد شبعهم ، فيضعونها للحيوانات . والخمر الغالية الثمن تكون رخيصة بلا ثمن كالماء كنياة عن الرخاء وكثرة الخيرات . حتى أن الناس من كثرتها يغسلون بها ثيابهم . وأثار بمسود العينين من الخمر إلى قوة المسلمين ونشاطهم ، وأشار بفيف الأسنان من اللبن إلى القوة والنشاط والحيوية .

وقال حِزقيال النبي في سفره : إن « الذي هو له » في هذه النبوة سيجيئ لإنها الملك والنبوة من بنى إسرائيل . ذلك قوله : « وأنت أيها الجنس الشرير زئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان إثم النهاية ، هكذا قال السيد الرب ، انزع العمامة ، ارفع الناج ، هذه لا تلك ، ارفع الرضيع وضع الرفيع منقلبا ، منقلبا أجعله . هذا أيضا لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم ؛ فأعطيه إياه »

{ حِز ٢١ : ٢٥ }

نبوة الأمة الأمية :

وأكَد موسى على أن الله سيرفض بنى إسرائيل من السير أمامه . وأنه سيختار عوضا عنهم أمَة أمية جاهلة . ولا يمكن أن تكون هذه الأمة الأمية الجاهلة إلا بنى إسماعيل ، لأن لهم بركة . ولما ظهر منهم محمد ليسير أمام الله ، لم تكن أمَة أمية في زمانه غير أمَة العرب ، فإن الفرس أهل حضارة والروم أهل حضارة . ولم يظهر في أمَة أمية غيره في زمانه . وتأكيد موسى هذا هو في نشيله الطويل الذي بدؤه : « انصتِ أيتها السموات فأتكلم ، ولتسمع الأرض آتوا فمي . يهطل كالطرن تعليمي ، ويقطر كالنُّدى كلامي » إلى أن قال : إن بنى إسرائيل أغاظوا الله بعبادتهم للأصنام . ولذلك : « فرأى الرب ورذل من الغبظ بينه وبيناته وقال : أحجب وجهي عنهم ، وانظر ماذا تكون آخرتهم . إنهم جبل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم . هم أغادروني بما ليس إلها . أغاظوني بأباطيلهم فانا أغبرهم بما ليس شعبا . بأمة غيبة أغطيتهم » وبعد كلام طويل عن هلاك بنى إسرائيل ؛ تكلم عن النبي الأمي الآخر من هذه الأمة الأمية . فقال : « تهللوا أيها الأمم ، شعبه . لأنه يتقم بلم عيشه ، ويرد نعمة على أعدائه ، ويصفح عن أرضه . عن شعبه »

والنص اليوناني هو :

« تهلكي معه أيتها السoras ، واسجدوا له يا جميع الآلهة ، تهلكي أيتها الام مع شعبه . ولتعلن قوته ملائكة الله جمباً ، لأنه يثار لدم عبيده ، ويرد الانتقام على خصومه ، ويجازى بغضبه ، ويکفر عن أرض شعبه » { ث ٣٢ : ٤٤ - ٤٣ }

تعليق دار المشرق :

« تبع هنا النص اليوناني . وهو يختلف عن النص العبرى هنا : « اهضى شعبه أيتها الام ، لأنه يثار لدم عبيده ، ويرد الانتقام على خصومه ، ويظهر شعبه أرضه »

وقد نقل بولس فى الإنجيل هنا النص فقال : « تهلكوا أيها الام مع شعبه » { رومية ١٥ : ١٠ } يريد أن يقول للأمم : افروا أيها الأمم مع شعب هذا النبي بظهوره وانضموا إلى شعبه لتكونوا جماعة واحدة . إمامها هذا النبي الآتى من الأمة الأمية ، لكن بولس يحرف الكلم عن مواضعه بالتأويل الفاسد ، فيقول : إن هذا النبي هو المسيح عيسى بن مريم . كيف والله قد رفض بنى إسرائيل من السير أمامه . وهو من بنى إسرائيل ؟ وأعد قراءة هذا النص : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ما أنا أباركه » وتذكر أن البركة أمم وملوك على الشعوب . ويدأ الملك من نبي يظهر من نسله . ويُوسس الأمم بشرعية الله كما بدأ ببركة إسحق من موسى ؛ فإنه لما ظهر ملك بنو إسرائيل على الشعوب ، وساسوهم بشرعية الله . فهذا نبيان وشريعتان . وقد كانت شريعة موسى عامة للإنس وللجن . ومثلها شريعة محمد عامة للإنس وللجن . وبشرعية موسى ولأجلها دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة ، وعليها أسلمت ملكرة سبا مع سليمان لله رب العالمين ، وعلى القرآن دخل أهل اليمن في طاعة محمد عليه السلام .

نبوءة فاران :

وفي نهاية التوراة يقسم موسى بركة إبراهيم في ولديه . فيقول : عن بركة إسحق . إنها ابتدأت من نزول التوراة على موسى في جبل سيناء ، وفسرها علماء بنى إسرائيل في جبل ساعير . من أرض فلسطين . حيث عاصمة ملوكهم على

العالم عند هذا الجبل في «أورشليم» وبعد ما فرغ من الكلام عن مجيء الله من سيناء . وبعنه به ابتداء نزول التوراة في جبل طور سيناء ، وعن إشراقة من ساعير . ويعنى به : تفسير التوراة في هذه البقعة من العالم . قال عن بركة إسماعيل : إن شريعة في نسله ستائى من جبال فاران^(١) . هي متلازمة وشديدة التور واللمعان . وقال عن النبي الذى سيظهر فيها : إنه سيكون محارباً وفاتح بلاد وملكاً . وإنه محب الشعوب . فلذلك يجاهد أعداءه لثلا يمنعوا الضعفاء من الدخول فيها . وإنه سيكون له أتباع . من شلة حبهم له ، سيكونون تحت قدميه . كنایة عن التراضع للشريعة ، وعن النظر فيها لتفسيرها ولتبليغها للناس ، وللعمل بها . وهذا هو النص على تقسيم البركة « وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته . فقال : جاء رب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلالا من جبل فاران ، وأتى من ريوات القدس ، وعن بيته نار شريعة لهم . فصاحب الشعب ، جميع قدسيه في يده ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك » [إنك ٣٣ : ٢-١]

من الذى أتى من ريوات القدس ؟ هو نبي فاران . يأتي إلى فلسطين ليملك عليها معآلاف من جيش الصحابة الطاهرين . وفي التوراة اليونانية مع عشرة آلاف قديس . وقد فتح عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أرض فلسطين وهو من أتباع نبي فاران . ودخل « أورشليم » ساجداً لله - عز وجل - أى خاصماً متواضعاً .

(١) في الأصحاح الثالث من سفر حقوق : يتكلم عن أن النبي المتظر سيأتى من فلان ، وأنه سيحارب اليهود ، وسيتصدر عليهم ، ووصفه حقوق بسبع الله . أى أن الله أسطفاه لاداه رسالة مقدسة ، ووصفه بالقدوس . فقال : يا رب سمعتْ بما علمتْ ، فنفتْ . أعددتْ في أيامنا وعرف به ، وفي غضبك أذكر رحمتك . الله يجيء من نيمان ، القدس من جبل فاران . غطى جلاله السموات ، ومثلث الأرض من التهلل له » إلى أن قال : « عرجتْ خلاص شبك ، خلاص الملك مسيحك » وفي الجملتين من الآيات : أن عيسى عليه السلام طلب نبوة فاران على محمد صلوات الله عليه وأحال إلى النبوة بالأية ١٧ ، ١٨ منها وهي : « لو مات الغنم أو لم يمت في الخطيرة .. وخلت من الغر ، لبقي أغبط بالرب وابتهج بالله مخلصي »

اسم محمد :

ارجع إلى الكلام عن بركة اسماعيل . والمعنى هو : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه ، وأئمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » نجد أن الكاتب وضع اسم محمد في سياق بركة اسماعيل بحساب الحمل . وأشار إليه بكلمة « كثيرا جدا » وهي في اللغة العبرانية « بماد ماد » وتُنطق « بُمود مُود » - وبكلمة « أمة كبيرة » وهي في اللغة العبرانية « لجوى جدول » ومجموع كل كلمة : اثنان وتسعون . ومحمد اثنان وتسعون . والحساب هكذا :

أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠

ف ص ق ر ش ت
٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ٩٠ ١٠٠ ٨٠

نبوة النبي الأم :

ويقول الله في القرآن الكريم : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجلدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل »

وموضع هذا في توراة موسى : هو أن الله تعالى طلب من موسى أن يجمع له بنى إسرائيل عند جبل طور سيناء ؛ ليسمعوا صوته وهو يكلم موسى ، فجمعهم ولا تحبلى الله للجبل صارت رعد وبروق وسحب وتناثر على الجبل وصوت بوق شديد جدا . وكان جبل سيناء كله يدخلن وارتفاع كل الجبل جدا . فارتعد بنو إسرائيل وخافوا ، وقالوا لموسى : إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ؛ فلي يكن عن طريقك ونحن نسمع ونتطهير . فرد موسى طلبهم إلى الله . فاستحسنه ، وقال له : بعد مدة من الزمان سأقيم لهم نبيا . أكلمهم عن طريقه . وله يسمعون . ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية :

« يقيم لك الرب إلهك :نبيا . من وسطك . من إخوتك . مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ؛ لثلا أمور .

قال لى الرب : قد أحسنا في ما تكلموا . أقيم لهم : نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه ؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي ؛ أنا أطالبه . وأما النبي الذي يُطْفِئ فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى ؛ فيموت ذلك النبي .

وإن قلتَ في قلبك : كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ؛ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبي ؛ فلا تخف منه » { تث ١٨ - ١٥ } { ٢٢ -

لاحظ :

١- نبيا . وفي القرآن : **«هيا إليها النبي»** بالآلاف والآلاف . أي المعروف للعالم عن طريق التوراة والإنجيل .

٢- من وسطك . وفي القرآن : **«لقد جاءكم رسول من أنفسكم»**

٣- من إخوتكم . هذا الوصف خاص بإسماعيل ؛ لأن له بركة . ويلزم من البركة ظهور النبي من النسل . وفي القرآن : **«لا أرسلناكم»** أيها اليهود **«عليه أجرا إلا الودة في القربى»** فتحن واتسم أولاد عم . وأبونا هو ل Ibrahim .

٤- مثل موسى في ثلاثة أمور فقط . هي العجزات والمحروب والرئاسة . وفي نهاية التوراة أنه لن يقوم النبي في إسرائيل مثل موسى . ويلزم على عدم ظهوره من بني إسرائيل أن يظهر من بني إسماعيل ؛ لأن له بركة . وفي القرآن : **«لولا أوتني مثل ما أوتني موسى»**

٥- له تسمعون . أي ينسخ شريعة موسى . ولم ينسخها إلا محمد . فيكون هو . وفي القرآن : **«ثم جعلناك على شريعة من الأمر ؛ فاتبعها»**

٦- له تسمعون . تدل على أنه سيكون ملكا على بني إسماعيل وعلى بني إسرائيل والعالم . وفي القرآن : **«فلا وريك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم»**

٧- وأجعل كلامي في فمه . أي يكوننبيا أمبا لا يقرأ ولا يكتب . وفي

القرآن : «وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمنيك إذا لارتاب المطلون»

٨- فكلّهم بكل ما أوصيه به . أى لا يزيد ولا يتقص في كلام الله . وفي

القرآن : «ولو تقول علينا بعض الآقاويل ، لأخذنا منه باليمين»

٩- والذى لا يسمع لذلك النبي . يحاربه هذا النبي ، وبهلكه الله على يديه

وفي القرآن : «وينصرك الله نصرا عزيزا»

١٠- والرجل الذى يدعى النبوة ويقول : إننى المراد من هذه النبوة ، يقتلها

الله . وفي القرآن : «والله يعصمك من الناس»

١١- وأية صدقه على طول الزمان : هو تحقق الغيوب التى أخبر بها ، مثل

هزيمة الروم والفرس . وفي القرآن : «وعد الله ، لا يخلف الله وعده»

هذا مما فى توراة موسى عن محمد عليهما السلام .

تطبيق عيسى عليه السلام هذه النبوة على محمد عليهما السلام :

ولما تكلم عيسى عليه السلام عن اسم «أحمد» في التحيل بونحا ، الذى هو «البِيرَكَلِيتُ» الروح القدس قال في أوصانه : «واما متى جاء ذلك روح الحق ؛ فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنّه لا يتكلّم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلّم به ، ويخبركم بأمور آتية» {يو ١٦ : ١٣}

لابن عهدى الظالمن :

ولنقرأ النص عن بركة إسحق وإسماعيل . وهو :

«وقال الله لإبراهيم : سارى امرأتك لا تدعوا اسمها سارى . بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيها منها ابنا . أباركها . فستكون أمّا ، وملوك شعوب منها ؛ يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وضحك . وقال في قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعمائة سنة ؟

وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمّاك . فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا ، وتدعوا اسمه إسحق . وأقيم عهدي معه عهداً أبداً ؛ لنسله من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً ؛ بلد ، وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدي أقيم مع

إسحق ، الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية » { تك ١٧ : ١٥ -

{ ٢١

إن إبراهيم عليه السلام لما عامله الله بالسير أمامه للدعاء إلى دينه ؛ وهو يعلم أنه سيموت كما هو سبيل كل الناس . قال له : إن العهد في نسلك من بعدي . وذلك بأن أهبك أبنا من سارة ، وأجعل له مدة من الزمان يسير فيها أمامي بشريعة أنزلاها على نبي من نسله . وبها يجاهد نسله عباد الأوئل ويفتحون بلادهم ، وينشرون فيها شريعتي . ثم أهبك أبنا من هاجر . وأجعل له مدة من الزمان . يسير فيها أمامي بشريعة تنسخ الشريعة الأولى ، وأنزلها على نبي من نسله ، وبها يجاهد نسله عباد الأوئل ويفتحون بلادهم وينشرون فيها شريعتي . ولالي يوم القيمة .

هذا هو الواضح من النص . والتحريف الذي هو فيه : أن الكاتب جعل العهد بالتوبة الخاص في إسماعيل في نسل إسحق إلى يوم القيمة . وإن لم يكن التفسير هكذا : وتدعوا اسمه إسحق واتّبِعْ عهدي معه عهد أبيديا إلى حين ظهور بركة إسماعيل . ولكن عهدي الأول أتيته مع إسحق من الآن وإن كان يستحقه إسماعيل أولاً .

إن لم يكن التفسير هكذا ، فإن الكاتب يكون قد حرف الكلم من بعد مواضعه ، ويكون قد ظلم بنى إسماعيل بأخذ العهد الخاص به ، ووضعه في نسل إسحق . وقد صبح المسيح عيسى عليه السلام هنا الموضع فقال : إن العهد خاص بإسماعيل . وذلك لأن إسحق لم يكن قد ولد حال تقسيم البركة ، ثم إن الكاتب يقول كثباً : إنه هو الذبيح . فلو فرضنا أنه قد ذبح بالفعل ؛ لكان ذلك خلفاً للموعد . وهذا لا يليق في وعد الله .

يقول عيسى عليه السلام : « ولكن رسول الله متى جاء ؛ يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده ، فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض ، الذين يقبلون تعليمه ، وسيأتي بفورة على الظالمين ، وسيبد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان ؛ لأنَّه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً : انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض ، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيمها ؛ هكذا سيفعل نسلك »

أجاب يعقوب : يامل ، قل لنا من صنع هذا العهد ؟ فإن اليهود يقولون

ياسحق والإسماعيليون يقولون بإسماعيل . أجاب يسوع : ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب : من إسحق ، لأن إسحق كان آباً يعقوب ، ويعقوب كان آباً يهودا ، الذي من ذريته داود ، فحيثذا قال يسوع : متى جاء رسول الله . فمن نسل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : من داود . فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم ؛ لأن داود يدعوه في الروح ؛ ريا قائلًا هكذا : « قال الله لربى : اجلس عن يميني ؛ حتى أجعل أعداءك موطنًا لقدميك . يرسل رب تفضيلك ، الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك » فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيئاً ابن داود ؛ فكيف يسميه داود ريا ؟ صدقوني . لأنني أقول لكم الحق : إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحق.

حيثذا قال التلاميذ : يامعلم ، هكذا كتب في كتاب موسى : إن العهد صنع بإسحق . أجاب يسوع متاؤها : هنا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتب ولا يشرع ، بل أخبرنا الذين لا يخالفون الله . الحق أقول لكم : إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقيهانا ؛ لأن الملاك قال : يا إبراهيم . سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم العالم سجنيك لله ؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله . أجاب إبراهيم : هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله . فكلم الله حيثذا إبراهيم قائلًا : « خذ ابنك بكرك إسماعيل ، واصعد الجبل ؛ لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون إسحق البكر ، وهو لما ولد ؛ كان إسماعيل ابن سبع سنين ؟ » { برنابا ٤٣: ١٥ + }

استدلال المسيح عيسى بالتوراة على مجيء محمد عليه السلام :

وكان المسيح عيسى عليه السلام في بنى إسرائيل كالعالم من علماء المسلمين في بنى إسماعيل . فإنه كان يستدل بالتوراة على كل ما يقول . مثل العالم في المسلمين فإنه يستدل بالقرآن على كل ما يقول . والفرق بينهما : أن عيسى عليه السلام نبي مرسل من الله ، ومؤيد بالمعجزات . وهو ليس مثله في هذه الأمور . ومثال ذلك :

نبوة ملوك السموات :

في الأصحاح السابع من سفر دانيال ، يتباً دانيال عن قيام أربعة مالك على الأرض : بابل - وفارس ساليونان - والرومانيان . ثم يأتي « ابن الإنسان » ليؤسس

لله ملكا على الارض . ذلك قوله عن « ابن الإنسان » : « كنت أرى في رؤى الليل
وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان ، أتى وجاء ، فقربوه قدامه . فأعطي سلطانا
ومجداً وملكتنا ، لتعبد له كل الشعوب والأمم والآنسنة ، سلطانه سلطان أبدى ما
لن يزول ، وملكته مالا يفترض »

هذا ما في داتيال عن محمد عليهما السلام الذي رأه في رؤيا شبه « ابن إنسان »
وكانت الماكة الرابعة تحمل فلسطين في زمن عيسى عليه السلام . وهذا بدل على أن
ابن الإنسان يأتي بعدها . ومن المحتمل أن يكون هو محمد أو غير محمد . لذلك
أرسل الله يحيى وعيسى عليهما السلام ليقولا للناس : إن ابن الإنسان هو محمد
عليهم . والإنجيل المقدسة عندهم ، وكذلك إنجيل برتايا تدل على ذلك ، ففي
إنجيل متى : « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المسمان يُكَرِّرُ في برية اليهودية قائلاً :
توبوا ، لأنه قد اقترب ملوكوت السموات » { متى ١:٣ } « من ذلك الزمان ابتدأ
يسوع يكرر ، ويقول : توبوا ، لأنه قد اقترب ملوكوت السموات » { متى ٤:١٧ }
وأمر تلاميذه أن يقولوا الله في صلواتهم : « لیات ملوكتك » { متى ٦:١٠ } وقال
لعلماء بنى إسرائيل : إن ملوكوت الله يُتَّبعُ منكم ، ويعطى لامة تعمل آثاره » {
متى ٤:٢١ } وضرب أمثلة لهذا الملوكوت ، ومنها مثل جاء ذكره في القرآن الكريم
. وهو « وقال : بماذا نُشَبِّه ملوكوت الله ؟ أو بأي مثل يُمْثَلُه ؟ مثل حبة خردل . متى
زرعت في الأرض ، فهى أصغر جمجمة البزور التي على الأرض . ولكن متى
زرعت ، تطلع وتتصير أكبر جمجمة البقول ، وتصنع أغصاناً كبيرة ، حتى تستطيع
طبيور السماء أن تتأوى تحت ظلها » { مرقى ٤: ٣٠ - ٣٢ } وفي القرآن الكريم : «
ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطنه ؛ فازره فاستفظ فاستوى على سوجه »

نص نبوءة التوراة عن ملوكوت السموات :

« في السنة الأولى لِبِلْشَاصِرَ ملك بابل ، رأى داتيال حلمًا ، ورؤى رأسه
على فراشه . حيث ذكر الحلم ، وأخبر برأس الكلام . أجاب داتيال وقال : كنت
أرى في رؤياي . ليلا ، وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير . وصعد
من البحر أربعة حيوانات عظيمة . هنا مخالف ذاك . الأول كالأسد وله جناحان نسر
وكتُّ أنظر حتى انتف جناحاه ، وانتصب عن الأرض ، وأوقف على رجلين
كإنسان ، وأعطي قلب إنسان . وإذا بحيوان آخر ثان شيء بالدب ، فارتفع على

جنب واحد ، وفي فمه ثلات أصلع بين أسنانه ، فقالوا له هكذا : قم كل لحما
كثيرا ، وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائرة .
وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطي سلطانا .

بعد هذا كنت أرى في رؤى الليل ، وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد
 جدا . وله أسنان من حديد كبيرة . أكل وسحق وداس الباقى برجليه ، وكان
مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله ، وله عشرة قرون . كنت متاماً وإذا بقرن آخر
صغير طلع بيضها ، وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه . وإذا بعيون كعيون
الإنسان فى هذا القرن ، وفم متكلم بعظامه . كنت أرى أنه وضع عروش ، لباسه
أبيض كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النفى وعرشه لهيب نار ، وبكراته نار متقدة ،
نهر نار جرى وخرج من قدامه ، ألوف الوف تخدمه ، وريبوات رياوات قدامه .

فجلس الدين ، وفتحت الأسفار ، كنت أنظر حيث شئت من أجل صوت
الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن ، كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه
ودفع لوقيد النار ، أما باقى الحيوانات ؛ فنزع عنهم سلطانهم ، ولكن أعطوا طول
حياة إلى زمان ووقت .

كنت أرى في رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان ؛ أتى وجاه
إلى القديم الأيام ؛ فقريره قدامه . فأعطي سلطاناً ومجداً وملكتاً ؛ لتبعده له كل
الشعوب والأمم والآلة . سلطانه سلطان أبدى مالن يزول ، وملكته مala
يترافق .

أما أنا دانيال . فحزنت روحى فى وسط جسمى ، وأنزعتى رؤى
رأسى . فاتبرت إلى واحد من الرقوف ، وطلبت منه الحقيقة فى كل هذا ، فأخبرنى
وعرفنى تفسير الأمور : هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هي أربعة . هي أربعة ملوك
يقومون على الأرض ، وأما قديسو العلي فياخذون الملكة ، ويتلكون الملكة إلى
الابد ، وإلى أبد الأبدية .

حيث شئت رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع ، الذى كان مخالفًا لكلها ،
وهائلاً جدا ، وأسنانه من حديد ، وأظفاره من نحاس ، وقد أكل وسحق ، وداس
الباقى برجليه ، وعن العشرة التى برأسه ، وعن الآخر الذى طلع ؛ فسقطت قدامه

ثلاثة ، وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ، ومنظره أشد من رفقائه ، و كنتُ
أنظر وأنا هنا القرن يحارب القديسين ؛ فغلبهم .

حتى جاء القديم الأيام ، وأعطى الدين لقديسي العلي ، ويبلغ الوقت ؛
فامتلك القديسون الملكة .

قال هكذا : أما الحيوان الرابع ، ف تكون مملكة رابعة على الأرض ، مخالفة
لسائر الممالك ، فتأكل الأرض كلها ، وتدوسها وتسحقها . والقرون العشرة من
هذه الملكة هي عشرة ملوك يقومون . ويقوم بعدهم آخر ، وهو مخالف الأوائل .
ويتل ذلك ثلاثة ملوك ، ويتكلم بكلام ضد العلي ، ويُبلي قديسي العلي ، ويظن أنه
يغير الأوقات والستة ، ويسألون لبيه إلى زمان وأزمنة ونصف زمان ؛ فيجلس
الدين ويترعون عنه سلطانه ؛ ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهي . والمملكة والسلطان وعزمها
المملكة تحت كل السماء ؛ تُعطي لشعب قديسي العلي . ملكته ملکوت أبيدی ،
وجميع السلاطين إيه يبعدون ويطبعون . إلى هنا نهاية الأمر » { دانيال ۱:۷ - ۲۸ }

بيان :

نبوءة دانيال هذه عن « ابن الإنسان » الذي أعطاه الله « ملکوتنا » فسرها
يعيى وعيى - عليهما السلام - على محمد صلوات الله عليه وسلم فقالا : إن الملكة الرابعة وهي
ملكة الروم نحن في بدنها . والذى ينزلها لمؤسس ملکوتنا لله على الأرض هو
« ابن الإنسان » فمن ينزلها ؛ يكون هو النبي الأمى الآتى إلى العالم على مثال
موسى . ثم ضرب عيسى أمثلة لملکوت السموات . منه مثل حبة الخردل الذى هو
مثل الأمة الإسلامية فى سورة الفتح من القرآن الكريم . وأيضاً : فى القرآن الكريم:
﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرَّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ وأيضاً : ﴿غَلَبْتَ الرُّومَ فِي أَدْنَى
الْأَرْضِ﴾ ... الخ .

وإنه يذكر قيام أربعة ممالك على أرض فلسطين . وهى : بابل وفارس واليونان
والرومان . ويدرك « مثل ابن إنسان » أى ووقف قدام الله . فأعطاه « سلطاناً
ومجداً وملکوتنا » والشخص من السلطان والمجد والملكوت هو : أن تعمل جميع
الشعوب والأمم بشرعيته . وأن هذه الشريعة ستبقى إلى يوم القيمة .

و عبر عن أن « ابن الإنسان » نبي بقوله : « فجلس الدين ، وفتح الأسفار » والدين لا يجلس . ولكن شبه الدين في استقراره إلى الأبد بالرجل المستقر على كرسى مجده . وهذه النبوة مرتبطة بنبوءات الأسفار الخمسة - توراة موسى عليه السلام - فالنبي المذكور فيها { ث ١٨ } الذي سيأتى على مثال موسى ؛ هو نفسه « ابن الإنسان » في هذه النبوة . وهو نفسه المبا عنه في الزمorer الثاني بلقب « ابن الله »

ففي تفسير هذه النبوة عند المسيحيين : أن نبوة دانيال هذه هي نفسها :
المزمر ٢-٦ و الثامن ٦ و المائة والعشر ٢-١ .

نص نبوة ابن الله من التوراة :

« لما زرت ألم ، وتنكر الشعوب في الباطل . قام ملوك الأرض ، وتأمر الرؤساء معا على رب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربّطهما . الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم . حيثما يتكلّم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون ، جبل قدسي . إنّي أخبر من جهة نفّاء الرب . قال لي : أنت ابني . أنا اليوم ولدتك . اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصي الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل إثاء خراف تكسرهم . فالآن يا أيها الملوك تملّقوا . تأدّبوا ياقضة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا ابن لثلا يغتصب ؛ فتبيدوا من الطريق ؛ لأنّه عن قليل يتقدّ غضبه . طوبي لجميع التكلين عليه » { مزمور ٢ }

البيان :

إنه يبني بهيجان أهل الدنيا الباطل ضد « المسيح » الذي هو بحسب لسانهم محمد صلوات الله عليهم ويتحطّل الملوك على الانقضاض له . ويقول المسيحيون في تفسير هذه النبوة : إن نبوة « ابن الله » هذه هي نفسها : المزمر ٤٥ : ٧ والمزمر ٢٢ : ٢٧ و ٧٢ : ٨ و ٨٩ : ٢٧ و دانيال ٧ : ١٣ - ١٤ و تكرين ٤٩ : ١ و في الأنجليل : أن يحيى و عيسى طبقا نبوة ابن الله على النبي الامي الآتى من بعدهما { ث ١٨ }

نص نبوة الكلمة من التوراة:

ولما وعد الله تعالى بنى إسرائيل بنى على مثال موسى . له يسمعون ويطعون ، عبر عن « وعده » بـ « الكلمة » لأن الوعد لا يُعرف إلا بالكلام . وقد عبر إشعيا النبي عن هذا الوعيد بقوله على لسان الله تعالى : « عزّوا . عزّوا شعْمٍ . يقول إلهكم . طيّوا قلب أورشليم . ونادوها بأن جهادها قد كمل : أن إتمها قد عُفِيَ عنه . أنها قد قبلت من يدَ رب ضعفين عن كل خطاياها »

صوت صارخ في البرية . أعدوا طريقَ الرب . قوموا في القفر سبيلا لإلهنا . كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويسير المزح مستغبما ، والعرافيب سهلا . فيُعلن مجدَ الرب ، ويراه كل بشر معا ؛ لأن فمَ الرب تكلم .

صوت قاتل ناد . فقال : بماذا أنا دى ؟ كل جسد عشب ، وكل جماله كثمر الحقل . يس العشب . ذيل الزهر ؛ لأن نسخةَ الرب ؛ هيْت عليه . حقا . الشعب عشب ، يس العشب . ذيل الزهر ، وأما كلمة إلهنا فثبت إلى الأبد ...

{ إش . ٤٠ : ١ + }

البيان :

في هذه النبوة تعزية لبني إسرائيل بمواعيد منه . وتهيئة الطريق لمجيء المسيح الذي هو بحسب لماتهم محمد صلوات الله عليه .

ويقول المسيحيون في تفسير هذه النبوة : إن نبوة « الكلمة » هذه من التبوتات الدالة على النبي الأمي الآتى إلى العالم { تث ١٨ }

وفي الاناجيل : أن يحيى ويعيسى طبقاً نبوة « الكلمة » هذه على النبي الأمي الآتى من بعدهما { تث ١٨ } .

فبه الجيل يوحنا : « في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله »

مصدقاً بكلمة من الله :

وقد عبرت التوراة عن وعد الله لبني إسرائيل بنى أمي على مثال موسى { تث ١٨ } بالكلمة . فقد قال إشعيا : « صوت صارخ في البرية : أعدوا طريقَ الرب .

قوموا في القفر سبلا لالهنا . كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير الموج مستقيما ، والعراقب سهلا . فيعلن مجد الرب ، ويراه كل بشر معا ؛ لأن فم الرب تكلم . صوت قائل : ناد . فقال : بماذا أنا دى ؟ كل جسد عشب ، وكل جماله كزهر الحقل . يبس العشب ، ذبل الزهر ؛ لأن نفحة الرب هبت عليه ، حفا . الشعب عشب . يبس العشب ، ذبل الزهر . وأما كلمة إلها فثبتت إلى الأبد » { إش ٤٠ : ٨-٣ } وكان كل نبي يصدق بوعد الله ، ويثن في حصوله في مواعيده . ويظهر للناس هذا .

﴿وقبیله الحكم صیا﴾ :

ومن أوصاف محمد ﷺ في التوراة : أن يهلك اليهود الذين لا يسمعون لكتابه ، ويخرجهم من أرضهم بالقوة « فإن موسى قال للأباء : إن نبيا مثلني سيقيم لكم الرب الحكم من إخوتكم . له تسمعون في كل ما يكلمكم به . ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي ؛ تُباد من الشعب » { اع ٣ : ٢٢ - ٢٣ - ١٨ : ١٥ - ٢٢ } وتد حكم يحيى عليه السلام على اليهود بالإبادة من شعب الله على يد النبي الأمي الآتي من بعده إذا لم يسمعوا لكتابه . ذلك قوله لعلماء بنى إسرائيل : « يا أولاد الأفاغى . من أركم أن تهربوا من الغضب الآتي . فاصنعوا آثارا تلقي بالتوراة ، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم : لنا إبراهيم أبا . لأنني أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم . والأكثر . قد وُضعت الفاس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ؛ تقطع وتُلقى في النار . أنا أعمدكم بماء للتوراة ، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني ، الذي لستُ أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ، ونار . الذي رفعه في يده ، وسينقى بيده ، ويجمع قمحه إلى المخزن ، وأما البن فيحرقه بنار لا تطفأ » { متى ٣ : ٧ - ١٢ }

واما ان هذا الحكم كان في أيام صباء : فهذا هو بيانه :

- ١- إن يحيى مولود قبل عيسى بنصف سنة قمرية . كما في لونا .
- ٢- إن مريم رجعت بعيسى من أرض مصر . وهو طفل صغير . كما في متى ويقال : إنهم مكثا في مصر سبع سنين

٣- ويقول متى : إنه في حالة رجوعهما كان يوحنا المعمدان قائماً بالدعوة .

ذلك قوله : « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يُكَرِّرُ في بريه اليهودية .. الغ » فلو فرضنا أن رجوع عيسى كان وهو في الثالثة والنصف من عمره؛ يكون المعمدان بادئاً بالدعوة في الرابعة من عمره ، وهذا لا يعقل .

٤- وقد حل مفسرو الإنجيل هنا الإشكال بقولهم : إن عيسى ابتدأ دعوته في سن الثلاثين . على مكان يظن - حسب رواية لوقا - وقبل أن يبدأ ، ذهب إلى المعمدان في نهر الأردن ؛ ليعتمد منه ، وقد عيشه المعمدان ؛ فيكون المعمدان حال تعميده للمسيح في نحو الثلاثين من العمر . ويكون المراد بقوله « وفي تلك الأيام » أي في زمان هذه الأحداث . يقول مفسرو الإنجيل : « وفي تلك الأيام » أي نحو ثمانين أو نحو ثلتين سنة ، بعد الحوادث التي وصفت أخيراً

وعلى هنا يكون يحيى عليه السلام قد حكم على اليهود بالهلاك على بد النس الامي التي وهو في سن الصبا .

وقال لوقا في إنجيله : إن يحيى كان في البراري والقفار . يدعوه إلى « ملوكوت الله » من قبل أن يظهر لعلماء بنى إسرائيل في مدينة « القدس » التي هي « أورشليم » ذلك قوله : « أما الصبي فكان ينسو ويتعزى بالروح . وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل » {لو ١ : ٨٠} أي كان يدعو إلى « ملوكوت الله » في البراري . حيث كان يقيم الرهبان ، وحيث مخابئ اليهود التي فيها جندهم ، وحيث الطرق التي يمر عليها السائرون إلى القرى والمدن . كبيرة بشر سبع وبرية فاران وغيرهما .

مثل الكرامين الأربداء في رواية برنابا :

تمهيد :

إن الله تعالى طلب من إبراهيم عليه السلام أن يسير أمامه في الناس ، لدعوتهم إليه ، وتعرفهم به ؛ ليعبدوه وبعظموه ، ويعملوا بكتلاته . وقال له : « وتبارك فيك جميع تبائل الأرض » وقسم بركه على نسل إسحق ونسل إسماعيل - عليهما السلام - هنا له مدة من الزمان ، يسير فيها بين الناس بشريعة ، وملك على الأمم ، وهذا يكون له مدة بشريعة وملك على الأمم . وابتداً بركة نسل إسحق

في الأمم من موسى عليه السلام فقد اصطفاه الله على الناس برسالاته ويكلمه ، وجاءه الأئم ، وفتح بلادهم ، وانتشر علماء بنى إسرائيل في جميع الأمم ليعلموا الناس أحكام الله .

ومن بعد سبي بابل ، تخلّى معظم العلماء عن نشر الشريعة ، وامتنع ملوك بنى إسرائيل عن الجهد في سبيل الله ، وكذبوا على الأمم في قولهم : إن النبي الآتي على مثال موسى سيكون من بنى إسرائيل . وتركوا الأمم في طغيانهم يعمرون . وإذا كان هنا هو حالهم ، فلماذا تظل الشريعة معهم ؟ ولماذا يظل الملك معهم ؟ إنهم حملوا أمانة الدعوة إلى الله ، ولم يقوموا بها ، وكلما جاءهم رسول بما لا يهوى أنفسهم . فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون . وحرقوا شريعة الله وأزدوا فيها وأنقصوا منها . وسفكوا الدماء الزكية ، وأكلوا الريا ، وعوجوا أحكام القضاء بالرشاوي وشهادات الزور . وهذا كلّه يجعلهم كالملح الذي إذا فسد ، فإنه يُلقى في الشارع وتذوّسه المارة بأرجلها .

وقد سجّل المسيح عيسى عليه السلام أحوالهم هذه ، في إنجيله ، وبين عليها هدفه من التبشير بِمَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : لأنكم ختمتم الشريعة ولم تعلّمها للناس ؛ فإن الله يأخذها منكم . ويعطيها لغيركم . ما هو محمد سيأتي لهذا الغرض ، وهامم أتباعه سيقومون بها . ولتن فكرتم في أنفسكم : أنكم ستخاربونه وتغلبونه ، كما حاربتم أنبياء الله من قبل ، وقتلتم بعضًا ورجستم بعضاً . فإن أفكاركم لا جلوى من ورائهما ؛ لأن الله ناصره ومعينه ، وسيُمَدِّد دينه إلى أقصى الأرض .

« قال أندراوس : لقد حدثتنا بأشياء كثيرة ؛ فنكرم بالتصريح لنا بكل شيء . فأجاب يسوع : كل من يعمل ؛ فإنما يعمل لنهاية يجد فيها غناه ، لذلك أقول لكم : إن الله لما كان بالحقيقة كاملا ، لم يكن له حاجة إلى غناه ؛ لأن الغناه عنده نفسه . وهكذا لما أراد أن يعمل ، خلق قبل كل شيء نفس رسوله ، الذي لاجله قصد إلى خلق الكل ؛ لكنه تحدى الخلاق فرحاً وبركة بالله ، ويسر رسوله بكل خلائقه ، التي قدر أن تكون عبيدا له . ولماذا ؟ وهل كان هذا هكذا ، إلا لأن الله أراد ذلك ؟

الحق أقول لكم : إن كل نبي متى جاء ؛ فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله . ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمناسة خاتم يده ؛ فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم

الارض الذين يقلون تعليمه . وسيأتي بفقرة على الظالمين . وسيد عادة الاصنام ، بحيث يخزى الشيطان . لانه هكنا وعد الله ابراهيم قائلا : « انظر فلاني بنسلك أبارك كل قبائل الارض . وكما حطمت يا ابراهيم الاصنام تحطينا ، هكذا سيفعل نسلك » أجاب يعقوب : يامعلم قل لنا من بن صنعت هذا العهد . فلن اليهود يقولون يا سحق . والإسماعيليون يقولون يا اسماعيل .

أجاب يسوع : ابن من كان داود؟ ومن أى ذرية؟ أجاب يعقوب : من إسحق . لأن إسحق كان أبياً يعقوب ويعقوب كان أبياً يهودا ، الذي من ذريته داود .

تحببتذ قال يسوع : ومنى جاء رسول الله . فمن نسل من يكون؟ أجاب التلاميذ من داود . فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم . لأن داود يدعوه في الروح؛ ريا قائلاً هكنا : « قال الله لريبي : اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطناً لقدميك . يرسل رب قضيتك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك » فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مسيئاً ابن داود ؟ فكيف يُسميه داود ريا ؟ صدقوني لآتي أقول لكم الحق : إن العهد صنعت يا اسماعيل لا يا سحق .

حيثذ قال التلاميذ : يامعلم هكنا . كتب في كتاب موسى : أن العهد صنعت يا سحق . أجاب يسوع متأوحاً : هنا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتب ولا يشوع . بل أخبرنا الذين لا يخالفون الله . الحق أقول لكم : إنكم إذا عملتم النظر في كلام الملائكة جبريل تعلمون خبث كسبتنا ونفهاتنا ؛ لأن الملائكة قال : يا ابراهيم ستعلم العالم كله كيف يحبك الله . ولكن كيّن يعلم العالم محبتك لله ؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً ؛ لأجل محبة الله . أجاب ابراهيم : ما هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله . فكلم الله حيثذ ابراهيم قائلاً : « خذ ابنك بكرك اسماعيل ، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة » فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين ؟ فأجاب حيثذ التلاميذ : إن خداع الفقهاء جلى . لذلك قل لنا أنت الحق ؛ لأننا نعلم أنك مرسلاً من الله ؛ فأجاب حيثذ يسوع : الحق أقول لكم : إن الشيطان يحاول دائمًا إبطال شريعة الله . فلذلك قد نجس هو وأتباعه ، والمراءون ، وصانعوا الشر ؛ كل شيء اليوم . الأولون بالتعليم الكاذب ، والآخرون بمعيشة الخلاعة . حتى لا يكاد يوجد الحق تقريباً . ويل للمرأتين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذاباً في الجحيم .

لذلك أقول لكم : إن رسول الله يُسر كل ما صنع الله تقريرًا ، لأنَّه مُزدَان بروح النَّفَرِ والمشورة ، روح الحكمة والقدرة . روح الحرف والمحبة . روح التَّبصر والاعتدال . مُزدَان بروح المحبة والرحمة ، روح العدل والتَّقوى . روح اللطف والصَّبر ، التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه ، ما أسعد الزَّمن الذي سيأتي فيه إلى العالم . صدقوني أنتَ رأيَتْهُ ، وقدمت له الاحترام . كما رأه كل نبِيٌّ ، لأنَّ الله يعطيهم روحه نبوة . ولما رأيَتْهُ امْتَلَّاتُ عزَّاءَ قائلًا : يا محمد . ليكن الله معك ول يجعلني أهلاً لأنَّ أحلَ سير حذائك ؛ لأنَّ إذا قلت هذا ، صرتُ نبِيًّا عظيمًا ، وقدوسَ الله ؟ وما قال يسوعَ هذا ؛ شكرَ الله . ثم جاءَ الملاك جبريل إلى يسوع ، وكلمه بصراحة ، حتى أثنا نحن أيضًا سمعنا صوته يقول : قم ، اذهب إلى أورشليم . فاتصرَف يسوع وصعد إلى أورشليم ، ودخل يوم السبت الهيكل ، وابتداً يعلم الشعب . فأسرع الشعب إلى الهيكل مع رئيس الكهنة الذين اتربوا من يسوع قائلين : يا معلم . قيل لنا : إنك تقول سوًاء فينا ، لذلك أحذر من أن يحل بك سوء .

أجاب يسوع : الحق أقول لكم : إنَّني أقول سوًاء عن المرائين ، فإذا كتم مرائين ، فإنَّني أنكلم عنكم . فقالوا : من المرائي ؟ قل لنا صريحاً .

قال يسوع : الحق أقول لكم : إنَّ كلَ من يفعل حسناً ، لكي يراه الناس ؛ فهو مرائي . لأنَ عمله لا ينفذ إلى القلب الذي لا يراه الناس ؛ فيترك فيه كل فكر نجس ، وكل شهوة قنطرة .

أنتعلمون من هو المرائي ؟ هو الذي يعبد بلسانه لله ، ويعبد بقلبه الناس . إنه بغي . لأنَّه متى مات ، يخسر كل جزاء . لأنَّ في هذا الموضوع يقول النبي داود : « لا تتقوا بالرؤساء ، ولا بآباء الناس ، الذين ليس لهم خلاص ؛ لأنَّه عند الموت تهلك أنفكارهم » ، بل قبل الموت يجدون أنفسهم محرومين من الجزاء . لأنَّ الإنسان كما قال أيبوب النبي الله : « غير ثابت فلا يستقر على حال » فإذا مدحك اليوم ، ذمك غداً ، وإذا أراد أن يجزيك اليوم . سلبيك غداً .

وبل إذا للمرائين ؛ لأنَّ جزاءَهم باطل . لعمر الله الذي أتف في حضرته : إنَّ المرائي لعن ، ويرتكب التجديف ؛ لأنَّه يتلزع بالشريعة ، ليظهر صالحًا ، ويختلس مجد الله ، الذي له وحده الحمد ، والمجد إلى الأبد .

ثم أتول لكم أيضاً : إنه ليس للمرأى إيمان . لأنه لو آمن بأن الله برى كل شئ ، وأنه يفاصس الإثم بدينونة ، لكان ينفي قلبه ، الذى يسميه ممتلنا بالإثم ، لأنه لا إيمان له .

الحق أقول لكم : إن المرأى كبر أيض من الخارج ، ولكن مملوء فساداً ودياناً . فإذا كتم أيها الكهنة تعبدون الله ، لأن الله خلقكم ، ويطلب ذلك منكم ، فلا أندد بكم ، لأنكم خدمة الله . ولكن إذا كتم تفعلون كل شئ ، لأجل الربح ، وتبيعون وتشترون في الهيكل ، كما في السوق ، غير حاسين : أن هيكل الله ، بيت للصلوة لا للتجارة ، وأنتم تحولونه مغاربة لصوص . وإذا كتم تفعلون كل شئ ، لتفرضوا الناس وأخرجتم الله من عقلكم ؛ فإني أصبح بكم : إنكم أبناء الشيطان ، لا أبناء إبراهيم ، الذي ترك بيت أبيه حبا في الله راضياً أن يذبح ابنه ، ويل لكم أيها الكهنة والفقهاء إذا كتم هكذا ، لأن الله يأخذ منكم الكهنوت.

« وتكلم يسوع قائلاً : أضرب لكم مثلاً :

غرس رب بيت كرماً وجعل له سباجاً ؛ لكن لا تدوسه الحيوانات . ويني وسطه معصرة للخمر . وأجره للكرامين . ولا حان الوقت ليجمع الخمر أرسل عبيده ، فلما رأهم الكرامون ؛ رجموا بعضاً ، وأحرقوا بعضاً ، ويقرروا الآخرين بمذلة . وفعلوا هذا مراراً عديدة . فقولوا لي : ماذا يفعل صاحب الكرم بالكرامين ؟ فأجاب كل واحد : إنه ليهلكهم شر هلكة ، وسيسلم الكرم لكرامين آخرين .

لذلك قال يسوع : ألا تعلمون : أن الكرم : هو بيت إسرائيل . والكرامين : شعب يهودا وأورشليم . ويل لكم ؛ لأن الله غاضب عليكم ؛ لأنكم بفترتم كثيرين من أنبياء الله ، حتى أنه لم يوجد في زمن أخبار ، واحد يدفن قدّيس الله . ولما قال هذا ، أراد رؤساء الكهنة أن يمسكوه ؛ لكنهم خافوا العامة ، الذين عظموه »

{ ٤٣ : ٥ }

علمات ظهور ملکوت الله :

يقول لوقا :

خراب الهيكل وأورشليم :

« وقال بعضهم في الهيكل إنه مزين بالحجارة الحسنة . وتحف النذور . فقال : « هنا الذي تنتظرون إليه ؛ ستائى أيام لن يترک منه حجر على حجر من غير أن ينقض » نسأله : « يا معلم ، متى تكون هذه ؟ وما تكون العلامة أن هذه كلها توشك أن تحدث ؟ » فقال : إياكم أن يضللكم أحد فسوف يأتي كثير من الناس متخلين أسمى ، فيقولون : أنا هو ! قد حان الوقت ! . فلا يتبعوهم ، وإذا سمعتم بالخروب والفتنة ، فلا تخزعوا ، فإنه لا بد من حدوثها أولاً ، ولكن لا تكون النهاية عند ذلك ثم قال لهم : ستقوم أمة على أمة ، وملكة على مملكة .. وتحدث رلازل شديدة وأوبية ومجاعات في أماكن كثيرة ، وستحدث أيضاً مخاوف تأتي من السماء وعلامات عظيمة . وقبل هذا كله يحيط الناس أيديهم إليكم ، ويفضهودوكم ، ويسلمونكم إلى المجامع . والسجون ، وتساقون إلى الملوك والحكام . من أجل أسمى . فيتيح لكم أن تؤدوا الشهادة . فاجعلوا في قلوبكم أن ليس عليكم أن تدعوا الدفاع عن أنفسكم . فساوتيكم أنا من الكلام . والحكمة . ما يعجز جميع خصومكم عن مقاومته أو الرد عليه . وسيسلمكم الوالدون والإخوة والآقارب والأصدقاء أنفسهم ، ويحيتون أناساً منكم . ويفضكم جميع الناس من أجل أسمى ولن تفقد شرة من رءوسكم . إنكم بثباتكم تكسبون أنفسكم .

حصار أورشليم :

« فإذا رأيتم أورشليم قد حاصرتها الجيوش ، فاعلموا أن خرابها قد اترب . فمن كان يومئذ في اليهودية فليهرب إلى الجبال .. ومن كان في وسط المدينة فليخرج منها ، ومن كان في الحقول فلا يدخلها ، لأن هذه الأيام أيام نكمة . يتم فيها جميع مكتب . الريل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام ، فستنزل بهذا البلد وينزل الغضب على هذا الشعب ، فيسقطون قتلى بعد السيف ، ويؤخرون أسرى إلى جميع الأمم . وتلوس أورشليم أقدام الوثنين إلى أن ينقضى عهد الوثنين .

مجىء ابن الإنسان :

وستظهر علامات في الشمس والقمر والنجوم . وينال الأمم كرب في الأرض وقلق من عجيج جيشه ، وتزهق نفوس الناس من الخوف ومن توقع ما ينزل بالعالم ، لأن أجرام السماء تتوزع . وحيثديرى الناس ابن الإنسان آتيا في الغمام في تمام العزة والجلال . وإذا أخذت تحدث هذه الأمور ، فانتصروا قائمين وارفعوا رؤوسكم لأن انداءكم يقترب .

مثل التبنة :

وخبر لهم مثلا قال : « انتظروا إلى التبنة وسائل الأشجار في أن تخرج براعتها حتى تعرفوا بأنفسكم من نظركم إليها أن الصيف قريب . وكل ذلك أنت إذا رأيتها هذه الأمور تحدث ، فاعلموا أن ملوكوت الله قريب ، الحق أقرب لكم : لن يزول هذا الجيل حتى يحدث كل شئ . السماء والأرض ترولان وكلامي لن يزول .

السهر والصلوة :

« فاحذروا أن يثقل قلوبكم السكر والقصوف وهو سوء الحياة الدنيا ، فياغتنمكم ذلك اليوم . كأنه الفن يأتى ، لاته على جميع من يسكنون وجه الأرض كلها . فاسهروا مواطنين على الصلاة لكي توجلوا أهلا للنجاة من جميع هذه الأمور التي ستتحدث والثبات لدى ابن الإنسان »

اليان :

١- ينذر المسيح عيسى عليه السلام بخراب « أورشليم » و « هدم هيكل سليمان » وأورشليم رمز للملك لأنها عاصمة ملذن بنى إسرائيل ، والهيكل رمز للشريعة ، فكانه ينذر بنسخ الشريعة وضياع الملك ، والسبب في ذلك : هو أن بنى إسرائيل استبعدوا الأمم من الدخول في شريعة موسى ، وقتلوا الآباء بغير الحق ، ونقضوا عهد الله ومباهنه وهو أنهم يسررون أمامه في جميع البلاد ، ويحطمون الأواثان بالقوة ، ويبنون المساجد ، ويقولون للناس حسنا . وفي مقابل السير ؛ يورنهم أراضي الأمم ، و يجعلهم ملوكا ، و يجعلهم من أهل الجنة في الدار الآخرة . وكان بعض الآباء قد انذروا بغراب المدينة والهيكل ؛ للدلالة على أن الله

سينقض العهد والميثاق ، وسيقيم عهدا جديدا وميثاقا جديدا مع أمة أخرى . وهى أمة النبي الأمى المائل لموسى . فقد قال ميخا : « لذلك بسيكيم تُفلح صهيون كعقل . وتصير أورشليم خربا ، وجبل البيت شوامخ وعر » وقال : إن خراب المدينة والهيكل سيكونان فى آخر أيام بركة بنى إسحق فى الأمم : « ويكون فى آخر الأيام : أن جبل بت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب كثيرة .. » { من ٢ : ١٢ - ٧ } يقوله قال إرميا : ١٥ - ٦ و ٢٦ - ١ .

١٩

ويقول النصارى : إن المدينة قد خربت فى حرب بطيوس الرومانى سنة سبعين بعد الميلاد ومائة واثنان وثلاثين فى حرب ادرياتوس . وأن الهيكل قد تهدم أثناء خراب المدينة . وبذلك تكون التبرة قد تحققت من بعد المسيح .

وغرفهم من هذا القول : هو اللغو فى نبوة محمد عليهما السلام بقولهم : إن ملکوت الله : هو ملکوت يسوع المسيح ، وأنه قد تأسس بعد خراب المدينة وهدم الهيكل فى سنة ٧٠ و ١٣٢ م الحق : أن النبوة تدل على أن الذى يخرب المدينة ويهدم الهيكل هو محمد عليهما السلام صاحب الملکوت . وذلك لأنه يخبرها ؛ ليؤسس له ملکا فيها ، ويهدم الهيكل ؛ ليبني له فيه مسجدا ، يعلم فيه شريعته . و Daniels يشهد بذلك فى الأصحاح التاسع . كما روى متى عن المسيح فى الأصحاح الخامس والعشرين . وقد ثبتت هذه المعركة الشرسة فى عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ٦٣٨ م وبها انتهى ملک اليهود فى العالم

٢- فى إنجلترا ومتى ومرقس يدور السؤال حول « تاريخ خراب الهيكل » و « علاماته » وهى علامات نهاية عصر الملکوت فى بنى إسرائيل ، ومجىء « ابن الإنسان » ليؤسس الملکوت الجديد على الأرض . وهذا يدل على أن حرب بطيوس وحرب ادرياتوس ليستا من العلامات . لأن العلامات المذكورة تحدثت فى العالم من قبل خراب أورشليم وهدم الهيكل .

والعلامات المذكورة منها من :

١- ظهور أنبياء كذبة . وكل واحد منهم يدعى أنه صاحب ملکوت الله .

٢- قيام حروب بين الأمم .

- ٣- انقسام الأمم والملك بالحروب .
- ٤- حلوات زلازل شديدة ، وأوربة ، ومجاعات في أماكن كثيرة .
- ٥- اضهاد الأمم لاتباع عبى عليه السلام .
- ٦- استشهاد كثيرين من أتباع المسيح بسبب قولهم الحق في ملوكوت الله .
- ٧- ثم بعد ذلك كله « فإذا رأيتم أورشليم قد حاصرتها الجيوش ؛ فاعلموا : أن خرابها قد اقترب » ويقول المفسرون : إن اقتراب الخراب مأخوذ من الأصحاح التاسع من « فر دانيال الآية السابعة والعشرون .
- وفي أثناء خراب المدينة : يحدث قتال بين اليهود أصحاب المدينة المقدسة عندهم أورشليم ، وبين صاحب المكر التائني لتأسيسها فيها ، ويسقط اليهود قتلى بحد السيف ، ويُخنون أسرى إلى جميع الأمم .
- وبناءً على ذلك : كناية عن هول المعركة .
- وأجرام السماء تترعن : كناية عن هول المعركة .
- وحبيتني يرى الناس « ابن الإنسان » آتيا في الفعام ، وفي تمام العزة والجلال : كناية عن الظفر بأعدائه .
- وإذا حدثت هذه العلامات ، فاعلموا : أن ملوكوت الله قريب وقد وعد الله به ، ووعده لا يختلف « السماء والأرض تزولان ، وكلامي لن يزول »
- وبين أن الملوكوت قد اقترب أوانه بقوله : « لن يزول هذا الجيل ، حتى يحدث كل شيء »
- وحنر من الغفلة عن ظهور الملوكوت ، ودعا إلى الاستعلاد له . ثم قال : « فاسهروا مواطين على الصلاة ، لكي تُوجلوا أملا للنجاة من جميع هذه الأمور ، التي ستحدث ، وللثبات لدى ابن الإنسان»

الفصل الثالث في **دَعْوَةِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَام**

قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل في كتاب التوراة : إن الله سيرسل لكم من بعدي نبياً مثلـي . يُكلـمكم بكلـ وصـاياـه . ومن لا يـسمـع له منـكم ؛ فـإنه سيـعـاقـبهـ بالإـبـادـةـ منـ شـعبـهـ . ذلكـ قـولـهـ : « أـقـيمـ لـهـمـ : نـبـياـ مـنـ وـسـطـ إـخـوـتـهـ . مـثـلـكـ ، وـأـجـعـلـ كـلـامـيـ فـيـ فـمـهـ ؛ فـيـكـلـمـهـ بـكـلـ ماـ أـوـصـيـهـ بـهـ . وـيـكـوـنـ آـنـ الـإـنـسـانـ الـذـيـ لـاـ يـسـمـعـ لـكـلـامـيـ ، الـذـيـ يـتـكـلـمـ بـهـ يـاسـمـيـ ؛ آـنـ أـطـالـبـهـ . وـآـسـاـ النـبـيـ الـذـيـ يـطـغـيـ ؛ فـيـتـكـلـمـ بـاسـمـ كـلـامـاـ ، لـمـ أـوـصـهـ آـنـ يـتـكـلـمـ بـهـ ، أوـ الـذـيـ يـتـكـلـمـ بـاسـمـ آـلـهـةـ أـخـرـيـ ؛ فـيـمـوـتـ ذـلـكـ النـبـيـ .. » { تـثـ ١٨ : ١٨ - }

ولقب النبي دانيـلـ مـلـكـةـ هـذـاـ النـبـيـ الـأـتـيـ بـ « مـلـكـوتـ السـمـوـاتـ » لـانـ فـيـهاـ سـتـسـودـ شـرـيعـةـ إـلـهـيـةـ مـنـ رـبـ السـمـاءـ ، لـاـ شـرـيعـةـ مـنـ وـضـعـ البـشـرـ فـيـ الـأـرـضـ . فـقاـلـ : إـنـهـ بـعـدـ مـلـكـةـ الرـوـمـ عـلـىـ الـأـرـضـ « كـنـتـ أـرـىـ فـيـ رـوـىـ الـلـيلـ ، إـنـاـ مـعـ سـحـبـ السـمـاءـ ، مـثـلـ أـبـنـ إـنـسـانـ ، أـتـيـ ، وـجـاهـ إـلـىـ الـقـدـيمـ الـأـيـامـ ؛ فـقـرـبـوـهـ تـدـامـهـ ؛ فـأـعـطـيـ سـلـطـانـاـ وـمـجـداـ وـمـلـكـوتـاـ ؛ لـتـعـيـدـ لـهـ كـلـ الشـعـوبـ وـالـأـمـمـ وـالـأـسـنـةـ . سـلـطـانـهـ سـلـطـانـ أـبـدـيـ ، مـاـ لـنـ يـزـوـلـ ، وـمـلـكـوـتـهـ مـاـلـاـ يـنـقـرـضـ » { دـاـ ٧ : ١٣ - ١٤ } .

وقد أـرـسـلـ اللـهـ النـبـيـنـ الـكـرـمـيـنـ ، يـوـحـنـاـ الـمـعـدـانـ ، وـيـسـعـ الـمـسـيـحـ ، لـلـدـعـوـةـ إـلـىـ اـقـرـابـ مـلـكـوتـ السـمـوـاتـ . فـدـعـوـاـ مـعـاـ إـلـىـ قـتـرـابـهـ ؛ فـقـدـ قـالـ مـتـىـ فـيـ إـنـجـيلـهـ : « وـفـىـ تـلـكـ الـأـيـامـ جـاءـ يـوـحـنـاـ الـمـعـدـانـ ؛ يـكـرـزـ فـيـ بـرـيـةـ الـيـهـوـدـيـةـ . قـائـلاـ : توـبـواـ ؛ لـاـنـهـ قـدـ اـقـرـبـ مـلـكـوتـ السـمـوـاتـ . فـإـنـ هـذـاـ هـوـ الـذـيـ قـيـلـ عـنـهـ يـأـشـعـيـاـ النـبـيـ الـقـاتـلـ : صـوـتـ صـارـخـ فـيـ الـبـرـيـةـ ؛ أـعـلـوـاـ طـرـيقـ الـرـبـ . اـصـنـعـوـ سـبـلـهـ مـسـتـقـيمـةـ » { مـتـ ٣ : ٢ - ٣ } .

يـقـولـ الـمـعـدـانـ : بـابـنـ إـسـرـايـلـ غـيـرـواـ أـفـكـارـكـ عنـ هـذـاـ النـبـيـ الـأـتـيـ . وـلـاـ تـقـولـواـ : إـنـهـ سـيـأـتـيـ مـنـ بـنـ إـسـرـايـلـ ، وـاـتـرـكـواـ الـكـبـيرـ وـالـعـنـادـ ، وـاـدـخـلـواـ فـيـ مـلـكـهـ إـذـاـ ماـ جـاءـ ، وـاـعـمـلـواـ بـشـرـيـعـتـهـ . وـلـسـتـ آـنـ وـحدـىـ الـذـيـ أـكـرـزـ بـهـ ، فـقـدـ كـرـزـ بـهـ الـأـنـبـيـاءـ مـنـ زـمـانـ إـشـعـيـاءـ ، وـصـرـخـواـ فـيـ مـدـنـ بـنـ إـسـرـايـلـ قـائـلـينـ : اـسـتـعـلـوـاـ لـقـبـوـلـ رـسـوـلـ

الرب . وصرحوا بأنه لن يكون من بنى إسرائيل . ففي سفر إشعياء : « عَزَّوْا شَعْبِي . يَقُولُ إِلَهُكُمْ . طَيْرَا قَلْبَ أُورْشَلَيمْ ، وَنَادُوهَا بِأَنْ جَهَادَهَا قَدْ كَمُّلَ » إنه شبههم بالموتى الذين انتهى دورهم في الحياة . وعبر بالتعزية عن انتهاء أجلهم . وذلك تصریح بأنه مدة بنى إسرائيل قد أوشكـت على الانتهـاء ، وأن مدة بنى إسماعيل قد أوشكـت على الظهور ، فإن لـإسحق بـرـكة ، ولـإسماعيل بـرـكة ، ثم قال إشعياء : « صَوْتٌ صَارِخٌ فـي الـبـرـيـةـ . أـعـدـوا طـرـيقـ الـرـبـ . قـوـمـوا فـي الـقـفـرـ سـيـلاـ لـإـلـهـاـ . كـلـ وـطـاءـ يـرـتفـعـ ، وـكـلـ جـبـلـ وـأـكـمـةـ يـنـخـفـضـ ، وـيـصـيرـ الـمـوـجـ مـسـتـقـبـاـ ، وـالـعـرـاقـيـبـ سـهـلاـ . فـيـعـلـمـ مـجـدـ الـرـبـ ، وـيـرـاهـ كـلـ بـشـرـ جـمـيعـاـ ؛ لـأـنـ فـمـ الـرـبـ ؛ تـكـلـمـ » { إـشـ ٤ـ : ١ـ - ٤ـ }

قد كمل الزمان :

ولما انتقل يوحنا إلى رحمة الله تعالى ؛ قام من بعده بسوع المسيح بالدعوة إلى انتساب ملوكوت السموات . فقد روى مرقى : « وَيَعْلَمَا أَسْلِمَ يَوْحَنَةَ جَاءَ يَسُوعَ إِلَى الْجَلِيلِ ؛ يَكْرُزُ بِيَشَارَةِ مَلْكُوتِ اللَّهِ ، وَيَقُولُ : قَدْ كَمُّلَ الزَّمَانُ ، وَاقْتَرَبَ مَلْكُوتُ اللَّهِ ، فَتَسْتَوِيَا وَآمَنُوا بِالْإِنْجِيلِ » { مر ١ : ١٤ - ١٥ } أي بما أتوله لكم عن النبي الثاني .

يشير بالزمان إلى برـكة إسـحقـ - عليه السلام - فإن الله - تعالى - قال لإبرـاهـيمـ - عليه السلام - : « سـرـ أـمـامـيـ وـكـنـ كـامـلاـ » { تـكـ ١٧ : ١ـ - } أي امشـ في جميعـ الـبـلـادـ ، لـدـعـوـةـ النـاسـ إـلـىـ مـعـرـفـتـ ، وـالـعـمـلـ بـشـرـيـعـتـ ، وـكـنـ قـدـوةـ لـهـمـ فيـ الجـهـادـ ، وـفـلـ الخـيـرـاتـ » وقال الله لإبرـاهـيمـ : سـارـاـيـ اـمـرـأـتـكـ لـاـ تـدـعـ اـسـمـهاـ سـارـاـيـ ، بلـ اـسـمـهاـ سـارـةـ . وـأـبـارـكـهاـ وـأـعـطـيـكـ أـيـضاـ منـهاـ اـبـنـاـ . أـبـارـكـهاـ فـتـكـونـ أـمـاـ . وـمـلـوـكـ شـعـوبـ منـهاـ يـكـونـونـ » { تـكـ ١٧ : ١٥ - ١٦ } « وقال إبرـاهـيمـ للـهـ : لـيـتـ إـسـمـاعـيلـ يـعـيشـ أـمـامـكـ . فقال اللهـ ... وأـمـاـ إـسـمـاعـيلـ فـقـدـ سـمـعـتـ لـكـ فـيـهـ . هـاـ أـنـاـ أـبـارـكـهـ » { تـكـ ١٨ : ١ـ - }

فقد قـسـمـ السـيـرـ أـمـامـهـ بـينـ بـنـيـ إـسـحـاقـ وـبـنـيـ إـسـمـاعـيلـ . وجـعـلـ نـسـلـ إـسـحـاقـ أـمـ مـلـوـكـ عـلـىـ الشـعـوبـ وـجـعـلـ نـسـلـ إـسـمـاعـيلـ أـمـمـ وـمـلـوـكـ عـلـىـ الشـعـوبـ . وهـنـاـ يـدلـ عـلـىـ أـنـ الشـرـيـعـةـ التـيـ سـيـعـطـيـهـاـ اللـهـ لـلـنـسـلـ ؛ شـرـيـعـةـ عـالـيـةـ . وـقـدـ بـدـأـتـ بـرـكـةـ إـسـحـاقـ

من نبى الله موسى عليه السلام ، ويدأت بركة إسماعيل ، من نبى الله محمد ﷺ وقد فسر يوحنا المعمدان البركين بقوله : « قد كمل الزمان » زمان بركة إسحق ، ليبدأ زمان جديد . هو زمان بركة إسماعيل ،

شهادة بسوع للمعلمان :

وقد شهد عيسى عليه السلام بأن المعلمان أعظم من نبى . فقد قال لبني إسرائيل عنه : « ماذا خرجتم إلى البرية ؟ لتتذمروا ؟ أتصبّة تحرّكها الريح ؟ بل ماذا خرجتم لتتذمروا ؟ أنساناً لابساً ثياباً ناعمة ؟ هو ذا اللعن في اللباس الفاخر والتنعم ؛ هم في تصور الملوك . بل ماذا خرجتم لتتذمروا ؟ أئسيا ؟ نعم أقول لكم : وأفضل من نبى . فإن هنا هو الذي كتب عنه : « ها أنا أرسل أمام وجهك ملائكي ؛ الذي يهين طريقك قدامك » لأنني أقول لكم : إنه بين المولودين من النساء ، ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن « الأصغر في ملکوت الله ؛ أعظم منه » { لو ٧ : ٢٤ }

لاحظ : أن شهادته للمعلمان معناتها أنه استحسن بشيره بمحمد ﷺ

ويريد أن يقول : إن المعلمان ثابت في آرائه ، وليس متزعماً كفشاً في مهب الرياح ، وأنه رجل ناسك ، وزاهد في متع الحياة الدنيا ، وأنه نبى من أنبياء الله . وقد أرسله الله ليعد طريق رسول الرب ، كما قال إشعيا وملائخى وأنه نبى عظيم ، ولكن النبى الذى يشير به ، هو خاتم النبيين ، وهو أعظم منه . ففى ملائخى : « ها أنذا أرسل ملائكي ، نبهن الطريق أمامى ، ويأتى بـ : إلى هيكله السيد الذى تطلبوه ، وملائكة العهد الذى تسرُون به . هو ذا يأتي . قال رب الجنود . ومن يحتمل يوم مجىئه ؟ ومن يثبت عند ظهوره ؟ لأنـه مثل نار الممحص ، ومثل أشنان القصار ، في مجلس محاصـاً ومنقبـاً للفضـة فـيـقـى بنـ لـاوـى ، ويـصـفـيـهم كالـذـهـبـ والـفـضـةـ ، ليـكونـوا مـقـرـيـنـ لـلـرـبـ ، تـقـدـمـةـ بـالـبـرـ » { إـمـلاـ ٣ : ٣-١ }

لقد شبـهـ النـبـىـ الصـالـحـ بـالـمـلـاـكـ ، فـىـ الطـهـرـ وـالـعـفـافـ . وـبـينـ أـنـ مـلـاـخـىـ الطـاهـرـ ، يـمـهـدـ الطـرـيقـ لـلـسـيـدـ ، وـهـوـ النـبـىـ الـأـمـىـ الـسـائـلـ لـمـوـسـىـ . وـفـىـ يـوـمـ ظـهـورـهـ ستـكـونـ حـرـبـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ بـنـ إـسـرـاـيـلـ وـأـنـ مـنـهـ بـقـيـةـ سـتـؤـمـنـ بـهـ ، بـعـدـ حـرـبـ وـقـتـالـ .

وـهـلـ «ـالـأـصـفـ فـىـ مـلـکـوـتـ اللهـ»ـ هـوـ يـسـوعـ ؟ـ وـهـلـ هـوـ أـىـ قـسـ أـوـ رـاهـبـ ؟ـ

وهل هو أقل رجل محترم عند النصارى؟ وهل هو محمد رسول الله ﷺ؟ ليس إلا محمد رسول الله ﷺ وذلك لأن المسيح عيسى قد دعا بمثل ما دعا به ، ولأنه يفاضل بين نبى ونبي .

وكان من عادة علماء بنى إسرائيل أن يطلقوا لقب «مسيح الله» على أى :

(أ) نبى

(ب) أو عالم

(ج) أو ملك .

للدلالة على أنه مصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة .

وأصل كلمة «مسيح» من المصح بالزيت المقدس أو الدهن . وبمرور الزمان أصبحت كلمة «مسيح» تدل على المختار والمصطفى من الله ولو لم يسمه أحد . ولقب «مسيح الله» هو نفسه لقب «مسیاً الله» في بعض اللغات . وقد أطلقه علماء بنى إسرائيل على النبي الأمى الآتى على مثال موسى . بلقب «المسيح» و «المسیاً» لا مسیاً . وكان بنو إسرائيل يتظرون هذا النبي إلى زمان العمدان . ففى إنجيل يوحنا : « قالت له المرأة : أنا أعلم : أن مسیاً ، الذى يقال له المسيح ، يأتي . فمتنى جاء ذاك ، يخبرنا بكل شيء » { يو ٤ : ٢٥ } وقد سلر العمدان ، فتنى عن نفسه أنه هو المسیا الذى يقال له المسيح . وقال : إنه سيأتى من بعدي . وذكر من أوصافه التي قالها موسى عنه أوصافا . وهى أنه سيكون ملكا وسيكون محاربا ، ومتصرفا على أعدائه . يقول لوقا : «إذا كان الشعب يتظاهر الجميع يفكرون فى قلوبهم ، عن يوحنا ، لعله المسيح(١)؟ أجاب يوحنا الجميع قائلا: أنا أعمدكم بماء . ولكن يأتي

(١) مما يدل على أن اليهود ما يزالون فى انتظار هذا النبي اللقب بالمسيح . وهو محمد ﷺ ما يلى :
كان يحسى بين ركريا بن سعيدة الظهيرى البين شاعرا طيورا قوى الشخصية خصب الإنتاج .
ونسج على متوال مقطمات الحريرى . وكان رحلة إلى مصر على الحساب الذيق لمحمد ظهور «المسيح
المرتقب» فى كل آذ ووجه . وقد نزع إلى مصر حوالي سنة ١٥٦٢ لو ١٥٦٣ ثم أعلم بعد ذلك :

من هو أقوى من الذى لست أهلاً أن أحلى سبور حذاته . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذى رفعه فى يده وسبقى بيده ، ويجمع القمح إلى مخزنه . وأما التبن ، فيحرقه بنار لا تطفأ » [لو ۳ : ۱۵ - ۱۷]

وأسأله علماء بنى إسرائيل هذا السؤال : لماذا تدعوا إلى «المسيح الرئيس» ؟ Messiah Christ فإنك تعمد الناس ، لتهينهم لاستقباله والإيمان به . وأنت تعلم أنه لن يظهر من جنسنا . ورد عليهم بأن علماء بنى إسرائيل دعوا له ، وأنتم استفتحتم به على الذين كفروا . ففى سفر ملاخي :

«ما أنشأ أرسل ملاكي ، فهو بين الطريق أمامي . ويأتى بعنة إلى هيكله ، السيد الذى تطلبونه ، وملوك العهد الذى تُشرون به . هو ذا يأتي . قال رب الجنود . ومن يتحمل يوم مجبيه ؟ ... »

فقد بين أنه فى الأيام التى سيظهر فيها : ستكون حرب بينه وبين بنى إسرائيل . ولن يحتملها الكافرون من بنى إسرائيل ، من شدتها . وقال إشعيا :

«صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب . قوموا فى القرى سيراً لإلهنا ... » {إِرْ ۴۰ : ۳} وقال داود : «غنا الله ، ربوا لاسمـه ، أعدوا طريقاً للراكب فى القفار ... » [مز ۶۸ : ۴] وقال النبي حجى : «وازيل كل الأمم ، ويأتي مشتى كل الأمم ؛ فاماًلاً هنا البيت مجدنا ، قال رب الجنود » [حج ۲ : ۷] فهذا «السيد» الذى تطلبونه ، الراكب فى القفار ، والذى هو مشتى كل الأمم ، ورسول الله ؛ لم يأت من قبلي ؛ وأنا أذكركم به وأدعوكم إلى الإيمان به ، وهو لن يظهر من جسركم ؛ لأن موسى قال إنه مثلى . وقال : إنه لن يقوم مثلى من بنى إسرائيل . وقال : إن الله رضى بأن يسير نسل إسماعيل أمامه فى دعوة الناس إليه . فلماذا تختجون على ؟

عداء علماء بنى إسرائيل للمعذبان :

ويبدل ذم المعذبان لعلماء بنى إسرائيل بقوله : «يا أولاد الأفاعى» على أنهم

= إن كل نبومات التوراة عن «المسيح المرتقب» الذى هو محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه قد سرتها النصارى وطبقوها على ميسى عليه السلام ظلماً وبدراً وهم يعلمون أن ميسى «مسيح» ولكن ليس هو «المسيح» ونحن المسلمين نعتقد أن ميسى «مسيح» ولكن ليس هو «المسيح» وليس من ميسى عليه السلام نبومات فى التوراة . وقد بينا ملائى كتابنا «البشرة بنى الإسلام فى التوراة والإنجيل» وغيره

استاءوا من كلامه ، الذى هو : أن النبي الأمى الآتى لن يأتي من جنسهم . وهو نفس الذى ذمهم به عيسى عليه السلام فإنه قال لهم : « يا أولاد الأفاسع . كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟ » [أمتى ١٢ : ٣٤] ولو أنها كانا يوافقان العلماء فيما يقولونه عن النبي الآتى لما انكر العلماء عليهمَا ، ولما أطلقا الستهنا فيما بالذم . وقد حدث الإنكار والله لما صرخ المعدان باتقارب ملوك السموات ، وهذا يدل على أن نقطة الخلاف هي في صاحب الملوك . من نسل من سياتي؟ وبين لهم : أنه في مجده سيصب الله غضبه عليهم وذلك لإهلاكم على يديه . ففي إنجيل متى : « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعدان ، يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا ، لأنه قد اقترب ملوك السموات . فإن هذا هو الذي قبل عنه يائعيه النبي القائل : صوت صارخ في البرية

« فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصلوقين يأتون إلى معموديته ، قال لهم : يا أولاد الأفاسع من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى؟ فاصنعوا أثماراً تليق بالtorية ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم : لنا إبراهيم آبا ، لأنني أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . والأآن قد وضعت الفاس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تتقطع وتلقي في النار ، أنا أعمدكم بماء للتوريه ، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ، ونار . الذي رفعه في يده ، وسيبني في يده ، ويجمع قممه إلى مخزنه وأما الذين فيحرقه بالنار لا تنطفأ » [أمتى ٣ : ١ - ١٢] وقد ردوا عليه بعدم إيمانهم [أمتى ٢١ : ٢٥ ، ٣٢] والبعض عامله معاملة من به شيطان [أمتى ١١ : ١٨] لوقا ٧ : ٣٣

شهادة بسوع في يوحنا :

وجاء في الأنجليل : أن المعدان أرسل اثنين من تلاميذه إلى عيسى عليه السلام لبيانه: هل أنت النبي الأمى الآتى على مثال موسى أم ننتظر خلافك؟ وهذا السؤال يدل على أن النبي الآتى ، لم يكن قد آتى إلى زمانه . وإذا هو لم يأت إلى زمانه . وعيسى معاصر له ، وهو لم يحارب ولم يتصر . ومن أوصاف النبي الآتى أن يحارب ويتصر ، فإن عيسى لا يكون هو النبي الآتى من بعدهما . والذى آتى من بعدهما وملك وحارب وانتصر هو محمد عليه السلام فبكون هو النبي الآتى .

يقول متى : « أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه . وقال له : أنت هو الآتي أم نتظر آخر ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : اذهبوا وأخبروا يوحنا بما تسمعان وتتظاران . العمى يتصرون والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقرون ، والمساكين يشرون . وطوبى لمن لا يعثر فين ».

ويبنما ذهب هذان ابتدأ يقول للجميع عن يوحنا : ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟

أتعجبة تحركها الربيع ؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا ، إنساناً لا يلبس ثياباً ناعمة ؟ هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة في بيوت الملك . لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ اتبباً ؟ نعم أتول لكم وأفضل من نبي . فلأن هنا هو الذي كتب عنه : « ما أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهين طريقك تدamlk » الحق أتول لكم : لم يقم بين الملوكدين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر في ملوكوت السموات أعظم منه ، ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن ملوكوت السموات ينصب والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تباوا . وإن أردتم أن تقبلوا ، لهذا هو إيليا المزمع أن يأتي . من له أذنان للسمع فليسمع » **أمتى ١١ : ٢ - ١٥**

لم يصرح المسيح عيسى عليه السلام في هذه الشهادة بأنه النبي الأمي الآتي إلى العالم . وعمل معجزات أمام الاثنين ، كما كان يعمل من قبل . وقال لهم : اذهبوا وأخبروا يوحنا بما شاهدتما . ثم مدح يوحنا وأتى عليه بعد انتصار الاثنين بأنه راهد في متع الحياة الدنيا ، وبيانه ثابت على آرائه ، وبيانه أعظم من نبي . وشهادته تدل على أنه موافق على تبشيره بمحمد رسول الله .

ثم قسم زمان الملوكوت ، فقال : إن شريعة الله على الأرض كانت في بنى إسرائيل من زمان موسى . وهذا هو الملكوت الأول . وسوف تأتى شريعة بعدها مع النبي الآتي ويقوم بها قوم آخر ، وهذا هو الملكوت الآخر .

فانتظر في رواية متى ... **« تمجيد أن ملية الملكوت الأولى هي من أيام المعمدان إلى يسوع . كيف يصبح هنا ؟**

كيف وهو يقول : إن جميع أنبياء بنى إسرائيل ، والتوراة نفسها من زمان

موسى ؛ تين أن نبيا سيائى ليقيم ملكا لله على الأرض ؟ هذا تناقض .

وقد صحق لوقا رواية متى فقال : « كان الناموس والأنبياء إلى يوحا . ومن ذلك الوقت يشير بملكتوت الله . وكل واحد يفتضي نفسه إليه ، ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » [لو ١٦ : ١٦ - ١٧] يريد أن يقول : إن توراة موسى التي هي الناموس وأسفار الأنبياء . يُظهرون : أن نبيا مائلاً لموسى ؛ سيائى ليقيم ملكتوت الله على الأرض . والعبرانيون يفتضيونه لأنفسهم ، والسامريون كذلك . ولا يمكن أن ينقض المكتوب في التوراة وأسفار الأنبياء عن مجئي هذا النبي من بنى إسماعيل الذي سكن في فاران . وقد وضع لوقا : أن مدة الملکوت الأول هي من أيام موسى لا من أيام العهدان .

وقال عيسى عليه السلام : إن أردتم أن تقبلوا نبيا لتعلموا بشريعته . فهذا هو نبي بعدى سيائى ؛ فاسمعوا منه ، واعملوا . وسماء «إيليا» أى أنه سيائى بروح إيليا - الذي هو إلياس عليه السلام - وقوته . وحساب إيليا هو نفسه حساب «احمد» بالجمل .

١ = ١ ، ٢ = ١٠ ، ٣ = ٣٠ ، ٤ = ٤٠ ، ٥ = ٥٣ المجموع = ٥٣

١ = ١ ، ٨ = ٨ ، ٩ = ٩٠ ، ١٠ = ١٠ المجموع = ٥٣

وإيليا أيضا تكتب «إلياهو» وهي تساوى ٥٣

تَهْدِيَ الْعَمَانَ لِحَمْدِ مُكَبَّلِهِ :

يقول لوقا : إن النبي زكريا عليه السلام قال عن ابنه : إن موسى نبي الله قد أخبر عن ظهور نبي على مثاله ؛ وأن هنا النبي سيخلص بنى إسرائيل بالحرب من تلك ألم الكفر عليهم . وأن يوحا قد اصطفاه الله ليعد الناس لاستقباله والإيمان به ، قال لوقا : « وانتلا زكريا أبوه من الروح القدس ، وتنبأ قاتلا : مبارك الرب إله إسرائيل ، لأنك افتقى وصنع فداء لشعبه . وأقام لنا قرن خلاص في بيته داود فتاه ، كما تكلم بضم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر . خلاص من أعدائنا ، ومن أيدي جميع مبغضينا . ليصنع رحمة مع آبائنا ، ويدرك عهده المقدس . القسم الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطيانا : إتنا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا ، نعبدك بقلنسوة وبر قدامه ، جميع أيام حياتنا . وأنت أبها الصبي ، نبي العلي ؛ تدعى؛ لأنك تتقدم أمام وجه رب تعدد طرقه ، لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمنفحة

خطاياهم . بأحسنه رحمة إلها ، التي بها افتقى علينا الشرق من العلاء ، يهسّن على :
الجالسين في الظلمة وظلال الموت ، لكن يهدى أنفسنا في طريق السلام » {لو ۱ : ۶۷ - ۶۹}

ويقول مرسق : إن المعمدان كان قبل يسوع ومعه في تهين طريق رسول
الرب . ففي بده إنجيله : « كما هو مكتوب في الآية : « ها أنا أرسل أمّا وجهك
ملاكي ، الذي يهسّن طريقك قدامك » - « صوت صارخ في البرية : أعدوا طريق
الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة » كان يوحنا يعمد في البرية ويذكر بعمودية التوبة
لمغفرة الخطايا .

وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم ، واعتمدوا جميعهم منه ،
في نهر الأردن ، معترفين بخطاياهم . وكان يوحنا يلبس وير الإبل ، ومنطقة من
جلد على حقويه ، ويأكل جراداً وعشلاً برياً . وكان يكره قائلًا : يأتي بعدي من
هو أقوى مني ، الذي لست أهلاً أن أنهني وأحل سبور حذائه . أنا عمدتك بالماء
وأما هو فيعمدكم بالروح القدس .

وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل ، واعتمد من يوحنا في الأردن ،
أمر ۱ : ۹ - ۲ { يريد أن يقول : في أسفار الأنبياء نبوة تان عن ظهور مهدين للنبي
الآتي على مثال موسى . مما في سفر ملاخي ، وسفر إشعيا . وأنا أشهد له
بهاتين النبوتين .

وأن يسوع قد اعتمد من يوحنا ، وهل هو كان من الخطأ والمتين حتى
يعتمد ويتب ؟ كلامه اعتمد منه ، وعمد معه ، واتفقا سوياً على التمهيد للنبي
الآتي . وذلك لأن يوحنا لما منعه أن يعتمد منه . رد عليه بقول : « اسمع الآن ،
لأنه مكنا يليق بنا أن نكمل كل بِرٍ ، حيث سمع له » { متى ۳ : ۱۳ - } أي أنهما
اتفقا على تكمل كل بِرٍ . فما هو هنا البر ؟ هو الدعوة إلى اقتراب ملوكوت
السموات .

تلاميذ يوحنا المعمدان :

تظهر الأنجليل : أنه كان للمعمدان تلاميذ يساعدونه في الدعوة إلى اقتراب
ملوكوت السموات . وهذه نصوص تدل على ذلك :

«كان يوحنا واقفا هو واثنان من تلاميذه » {أيو ١ : ٣٥} « وكان تلاميذ يوحنا والفرسيون يصرون على علم الرب أن الفرسين سمعوا : أن بسوع يصير ويعد تلاميذ أكثر من يوحنا ... » {أيو ٤ : ١ - ٤}

شهادة المعلمان لمحمد صلوات الله عليه :

في بده الجليل يوحنا كلام عن محمد صلوات الله عليه مقتبس من نبوءات في التوراة عنه . نصه : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله »

ومعنى « في البدء كان الكلمة » هو أن موسى عليه السلام قال عن الله تعالى : إنه سيرسل نبياً مثلـ إلى العالم . ووعده هنا هو كلـته في الـبدء . وقد قال عنها إشعياء : « وأما الكلمة إليها ؛ فثبتت إلى الأـبد » بعد حدـيثـه عن الصوت الصارـخ في البرية لـاش : ٤ : ٤ - ١

ويعبـرـ بنـو إـسـرـائـيلـ عـنـ الحـكـمـةـ .ـ وـهـيـ أـيـفـعـاـ كـلـمـةـ اللـهـ .ـ بـأـنـهـاـ مـنـذـ الـقـدـمـ .ـ فـقـىـ سـفـرـ الـأـمـالـ :ـ «ـ الرـبـ قـنـاـنـيـ أـوـلـ طـرـيقـهـ .ـ مـنـ قـبـلـ أـعـمـالـهـ .ـ مـنـذـ الـقـدـمـ ،ـ مـنـذـ الـأـلـأـلـ مـُـســحــتــ .ـ مـنـذـ الـبـدـءـ ،ـ مـنـذـ أـوـاـلـ الـأـرـضـ ...ـ »ـ {ـ آـمـ ٨ـ :ـ ٢ـ٢ـ

وقولـهـ «ـ وـالـكـلـمـةـ كـانـ عـنـ اللـهـ »ـ هـوـ تـصـوـرـ لـلـكـلـمـةـ بـإـنـسـانـ ،ـ كـصـوـرـ الـحـكـمـةـ بـإـنـسـانـ قـدـ مـســحــهـ اللـهـ بـالـزـيـرـتـ أوـ بـالـدـهـنـ مـنـذـ أـوـاـلـ الـأـرـضـ .ـ وـالـحـكـمـةـ شـيـئـ مـعـنـىـ ،ـ لـاـ يـســحــ .ـ وـعـبـرـواـ عـنـهاـ بـقـوـلـهـاـ :ـ «ـ كـنـتـ عـنـهـ صـانـعـاـ »ـ {ـ آـمـ ٨ـ :ـ ٣ـ٠ـ

وـالـحـكـمـةـ لـاـ تـصـنـعـ ،ـ وـهـوـ يـرـيدـ أـنـ يـقـولـ :ـ إـنـ عـنـدـيـ عـلـمـ مـاـ كـانـ وـمـاـ يـكـونـ ،ـ وـمـنـ هـنـاـ عـلـمـ إـيـجادـ النـبـيـ الـأـكـنـىـ فـيـ حـيـنـهـ .ـ

وـقـوـلـهـ «ـ وـكـانـ الـكـلـمـةـ اللـهـ »ـ هـوـ إـظـهـارـ أـنـ مـنـ يـطـعـ اللـهـ فـقـدـ أـطـاعـ الرـسـولـ .ـ وـمـنـ يـطـعـ الرـسـولـ فـقـدـ أـطـاعـ اللـهـ ،ـ وـذـلـكـ لـأـنـهـمـاـ مـتـحـدـانـ فـيـ الـهـدـفـ .ـ

ولـذـلـكـ قـالـ الـفـسـرـوـنـ :ـ إـنـ الرـادـ بـالـكـلـمـةـ فـيـ يـوحـنـاـ «ـ فـيـ الـبـدـءـ كـانـ الـكـلـمـةـ »ـ هـوـ «ـ الـمـسـيـاـ »ـ الـأـكـنـىـ إـلـىـ الـعـالـمـ .ـ وـمـنـ الـقـابـهـ فـيـ كـتـبـ أـهـلـ الـكـتـابـ «ـ الـكـلـمـةـ »ـ (١)

(١) وقد يـيـناـ مـنـاـ فـيـ كـاتـبـاـ «ـ اـقـبـاسـاتـ كـاتـبـ الـأـنجـيلـ مـنـ التـورـةـ »ـ وـغـيـرـهـ .ـ

نفع الشهادة :

« وهذه هي شهادة يوحنا ، حين أرسل اليهود من أورشليم ، كهنة ولاوين ، ليسالروه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر : أني لست أنا المسيح ، فسألوه : إذاً ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا ، النبي أنت ؟ فأجاب لا . فقالوا له : من أنت ، لنعطي جوبا للذين أرسلونا ؟ ملأنا نقول عن نفسك ؟ قال : أنا صوت صارخ في البرية : « قوموا طريق الرب » كما قال إشعيا النبي » [ميو ١ : ١٩ - ٢٣] إنه يادر فتن عن نفسه ، أنه هو «المسيح» الآتي إلى العالم . والمسيح هو «المسيء» وهو «النبي» وهو «سيد الخبيثة» وهو «الكلمة» وهو «القدوس البار» و«رئيس الحياة» اللقب كثيرة لواحد ، ثم نهى عن نفسه أنه «إيليا» ويقول النصارى : إن «إيليا» هو النبي إلياس عليه السلام وله قصة طويلة مذكورة في سفر الملوك الثاني وأن النبي سيأتي بروحه وقوته . وهم يسألون المعمدان هل أنت الآتي بروح إيليا وقوته ؟ وأجاب بقوله : لا . ثم سأله هل أنت النبي الذي وعد به موسى في سفر الشفاعة ، الذي قال عنه : « يقيم لك الرب إلهك : نبيا ... » وأجاب بقوله : لست أنا إيه .

وهذا النهي يدل على أن النبي الآمن الآتي على مثال موسى لم يكن قد أتى إلى زمان المعمدان والمسيح عيسى بن مريم ، وأنه سيأتي من بعدهما ، كما قالا .

ويقول النصارى : إن «المسيح» و«النبي» في ظاهر هذه الشهادة ، اثنان . وفي الحقيقة هما واحد . وذلك لأن «المسيح» فيها هو نفسه «النبي» وكان بنو إسرائيل يطلقون عليه تارة «المسيح» وتارة «النبي» وهذا يوهم أنهما اثنان . ولذلك رفعوا هذا الوهم من نفوس الأميين بالسؤال عن هذا الواحد ، باللقب الأول وهو «المسيح» واللقب الآخر وهو «النبي» ذلك هو قولهم كلهم . ثم يقولون : إن «المسيح» هو يسوع ، و «النبي» هو يسوع . وكما قالوا : إن المعمدان آتي بروح إيليا ، قال المسيح عيسى عليه السلام إن الآتي سيأتي باسم إيليا ، في قوله : « وإن أردتم أن تقبلوا ، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي »

والحق : أن عيسى عليه السلام ؛ مسيح . ولكن ليس هو «المسيح» وهو نبي ولكن ليس هو «النبي» ولو كان هو «المسيح» لما كان ينهى بطرس ويونس ، لما قال

لَهُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ مَرْقُسُ : « فَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ : إِنِّي أَنَا ؟ فَأَجَابَ بَطْرُوسٌ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ . فَأَنْتَ هُوَ مَنْ كُنْتَ لَا يَقُولُوا لَاحِدًا عَنْهُ » { مر ٨ : ٢٩ - ٣٠ }

وَمِنْ بَعْدِ رُفْعِ الْمَسِيحِ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ ، نَادَى بَطْرُوسَ بَأْنَ يَسْرُعَ كَانَ هُوَ « الْمَسِيحُ الْمُتَظَهِّرُ » أَيِ النَّبِيُّ الْأَكْثَرُ إِلَى الْعَالَمِ عَلَى مَثَلِ مُوسَى ، مَعَ أَنْ يَسْرُعَ كَانَ قَدْ اَنْتَهَرَ فِي حَيَاتِهِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ . يَقُولُ بَطْرُوسُ : « فَلَيَعْلَمَ يَقِينًا جَمِيعَ يَهُودَ إِسْرَائِيلَ : أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يَسْرُعَ هَذَا ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ ، رَبِّا وَمَسِيحًا » { إِعْ ٢ : ٢٦ } وَهَذَا التَّنَاقْضُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَحْرُفَ سَفْرِ الْأَعْمَالِ نَسْبَةً إِلَى بَطْرُوسَ مَا لَمْ يَقُلْهُ . وَسَارَ عَلَى نَهْجَهُ بُولِسُ . فَإِنَّهُ فِي سَفْرِ الْأَعْمَالِ : « وَأَمَّا شَارُولُ فَكَانَ يَزْدَادُ قُوَّةً ، وَيَحِيرُ الْيَهُودَ السَاكِنِينَ فِي دُمْشِقَ ، مَحْقِقًا : أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ » { إِعْ ٩ : ٢٢ } وَقَالَ كَاتِبُ سَفْرِ الْأَعْمَالِ : « وَدَعَى التَّلَامِيدَ مُسْبِحِينَ فِي آنَطاُكِيَّةِ أُولَاءِ » { إِعْ ١١ : ٢٦ }

..... خطاباً للعالم :

وَمِنْ أَوْصَافِ النَّبِيِّ الْأَكْثَرِ إِلَى الْعَالَمِ : أَنَّ يَحْلُوبَ أَعْلَمَهُ ، وَيَتَسْمَرُ عَلَيْهِ ، وَيَخْلُصُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ شَرِّهِمْ ؛ لَنْ لَا يَكُونُوا وَثَنِينَ مِثْلَهُمْ . وَلَيْسَ هَذَا الْوَصْفُ مَتَّحِقًا فِي عِيسَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . الَّذِي أَرَادَ النَّصَارَى وَضَعَ نَبِومَاتِ التَّوْرَاةِ عَلَيْهِ زُورًا ، لِيَصْلُوَ النَّاسُ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَذِلِكَ قَالُوا : إِنَّهُ سَيَدْفَنُ فِي التَّرَابِ ، وَسَيَتَسْمَرُ عَلَى الْمَوْتِ ، وَيَصْعُدُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ قُتُلَ وَصَلَبَ لِيَكُونَ كُفَّارَةً عَنْ خَطَايَا بَنِي آدَمَ ، وَنَسَبُوا التَّكْفِيرَ فِي الْأَنْجِيلِ إِلَى الْمَعْدَنَانِ .

فَقَى لَوْقاً عَنِ الْخَلَاصِ : « خَلَاصٌ مِنْ أَعْدَاتِنَا ، وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مَغْفِيَنَا » { لو ١ : ٧١ }

وَفِي صَفَّنَى : « الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي سَكَكِ ، جِبَارٌ ، يَخْلُصُ » { صَف ٣ : ١٧ } وَفِي إِشْعَيَا : « الرَّبُّ مَلِكُنَا ، هُوَ يَخْلُصُنَا » { إِش ٣٢ : ٢٢ } { وَفِي إِرْمِيَاهُ : « هَا أَيَّامَ تَائِي يَقُولُ الرَّبُّ ، وَأَقِيمَ لَدَاؤِدَ غَصْنَ بَرِّهِ فِيمَلِكُ مَلِكٌ ، وَيَنْسُجُ ، وَيَجْرِي حَقًا وَعَدْلًا فِي الْأَرْضِ ، فِي أَيَّامِهِ ، وَيَخْلُصُ » { إِر ٥ : ٦ - ٢٢ }

وَفِي مُنْتَى عَنْ مَسْتَوَيِّ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى أَعْمَالِهِ : يَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«إن كل كلمة بطالة ، يتكلم بها الناس ، سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر ، ويكلامك تدان » [ميت ١٢ : ٣٦ - ٣٧]

وقد نسبوا إلى يوحنا المعمدان أنه قال عن عيسى عليه السلام : «هوذا حَمِلَ الله الذي يرفع خطية العالم» [أيو ١ : ٢٩] وهذا تحريف ، لأن كل امرئ بما كسب رهين .

وفي سِفِر الحكمة : أن آدم - عليه السلام - تاب ، وقبل الله توبته ، وأنقذه من رأته ، ذلك قوله : «والحكمة هي التي خلصت كل من أرضاك بارب منه البدة . وهي التي حفظت أول من جبل أبو للعالم ؛ لما خلق وحده ، وأنقذته من رأته ، وأتته قوة ؛ ليسلط على الجميع » [حكمة ٩ : ١٩ -]

والصادقة أتباع يوحنا المعمدان يقولون بنعيم أو بعنان بحسب أعمال المرء .
وهم بقولهم هذا يكتنفون محرف الانجيل في قوله : إن يسوع قد حمل خطايا العالم . ولكنهم يوافقون النصارى الكاثوليك في قولهم بالطهر ، ويوافقون جميع النصارى في قولهم بالبعث الروحاني . فإنه مات الميت ووضع في القبر ، يستقبله مكان يسمى أحدهما «صارويل شروبيه» ويسمى الآخر «تمايززرو» ويحاسبانه على ما عمله في دنياه . فإن كانت الروح شريرة ، تعذب على قدر شرها في عالم الظلم ثم بعد ذلك تتوضع في محل كوكب الميزان . مع أرواح الأخبار في عالم الأنوار . إلى أن يأتي يوم القيمة . وهم يقولون بالبعث الروحاني للغوف فيحقيقة «ملكت السموات» كما يبنا في كتابنا «حياة القبور»

صديق العريس :

وقال يحيى عليه السلام : إن العريس هو الذي له العروس ، وإن صديق العروس ليست هي له . ودائما له الفرح بفرح صديقه . والعروس والعريس وصديق العريس هم ثلاثة ، وقد رمز بهم يوحنا المعمدان إلى :

(أ) نفسه .

(ب) والي محمد صلوات الله عليه .

(ج) والي ملكت السموات .

وقال : «من له العروس ؟ فهو العريس »

فقد روى يوحنا ما نصه :

«وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا ، مع اليهود ، من جهة التطهير ، فجاءوا إلى يوحنا ، وقالوا له :

يا معلم ، هو ذا الذي كان معلمك في عبر الأردن ، الذي أنت قد شهدت له ، هو يعمد والجميع يتأتون إليه . أجاب يوحنا وقال : لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً ، إن لم يكن قد أعطى من السماء ، أنتم أنفسكم تشهدون لي : أني قلت : لست أنا المسيح ، بل أنا مرسل أماه .

من له العروس ؟ فهو العريس ، وأما صديق العريس ، الذي يقف ويسمعه : فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس . إذاً فرحي هنا ، قد كمل ، ينبغي أن ذلك يزيد ، وأنى أباً أنقض . الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع ، والذي من الأرض ، هو أرضي ، ومن الأرض يتكلم . الذي يأتي من السماء ، هو فوق الجميع ، وما رأه وسمعه ، به يشهد ، وشهادته ليس أحد يقبلها . ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق ، لأن الذي أرسله الله ، يتكلم بكلام الله ، لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح .

الآب يحب الابن^(١) ، وقد دفع كلَّ شحنٍ في يده ، الذي يؤمِّن بالابن ، له حياة أبدية .

والذي لا يؤمِّن بالابن ، لن يرى حياة ، بل يمكث عليه غضب الله » {٣} :
{٣٦ - ٢٥}

البيان :

١- هل يشهد يوحنا المعمدان لعيسي عليه السلام بأنه النبي الآتي إلى العالم؟
الشهادة مفقودة من الأنجليل . ويزعم النصارى بأن المعمدان شهد بأن يسوع هو النبي الآتي إلى العالم ، وهي شهادة قد كتبها باليديهم . وذلك لأن يسوع كان

(١) الابن : لقب لمحمد عليه السلام في الزمور الثاني للداود عليه السلام

مع المعدان في الدعوة إلى اقتراب ملوك السموات ، وتحدى معاً عن النبي الآتي بلقب «الابن»

٢- وقد شهد المعدان بأنه ليس هو «المسيح الرئيس» وقال : «أني مرسل أمامك»

٣- فمن هو «المسيح الرئيس» ؟ الذي له الملوك . الذي شبهه المعدان بالعروض ، وشبه ملوكه بالعروسة ؟

٤- ولقد قال المعدان عن «المسيح الرئيس» إنني أفرح لفرحه ، وأسر لسروره .

٥- وفرق بين المسيح الرئيس وأدعية النبوة ، فقال : « الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع »

٦- فمن هو «المسيح الرئيس» ؟ هو الذي قال المعدان عنه : « الأكب يحب الابن ... » فمن هو الابن ؟ هو «المسيح الرئيس» نفسه . وهو لقمان الواحد . لقب «المسيح الرئيس» من دانيال ، ولقب «الابن» من داود ، وهو لقمان لمحمد عليهما السلام ونص كلام داود عنه في المزמור الثاني هو . « لماذا ارتحت الأمم ، وتفك الشعوب في الباطل . قام ملوك الأرض ، وتأمر الرؤساء معاً ، على رب ، وعلى مسيحيه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطير عن ربطهما ، الساكن في السموات بضحك . الرب يستهزئ بهم . حيث يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون ، جبل قدس . »

إنني أخبر من جهة قضاة رب ، قال لي : أنت ابني . أنا اليوم ولدتك ، أسألك فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأنا صاحب الأرض ملكا لك . تحطّهم بقضيب من حديد ، مثل إبراهيم خراف تكسرهم . فلأنّ يا أيها الملوك تعقلوا ، تأدبويا ياقضاة الأرض ، اعبدوا رب بخوف ، واهتفوا برعدة ، قبلوا ابن ، لثلا يغصب ، فيديوا من الطريق ، لأنّه عن قليل يتقدّم غصبه . طوبي لجميع التكلىين عليه » {مز ٢} : السراج المنير :

وقد شهد عيسى عليه السلام ليعي عليه السلام بأنه «كان هو السراج المؤقت

الثير ، وأنت لم تتهجوا بنوره ساعة » كما شهد له بقوله : « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر في ملوكوت الله أعظم منه »

وقال في شهادته عن «ابن» كما قال يحيى سواه بسواء

تطييق ميس نبوة «ابن الله»

في المزמור الثاني على محمد :

النص :

« فأجاب يسوع ، وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا ، إلا ما ينظر الآب ، يعمل ، لأن مهما عمل ذاك ، فهذا يعمله الابن كذلك . لأن الآب يحب الابن ، ويربه جميع ما هو يعمله ، وسيريه أعمالاً أعظم من هذه ، لتعجبوا أنتم .

لأنه كما أن الآب يقيم الآموات ، ويحيى . كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء ، لأن الآب لا يدين أحدا ، بل قد أطعى كل الدّيانتة للابن ، لكن يكرم الجميع الابن ، كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن ، لا يكرم الآب الذي أرسله .

الحق الحق أقول لكم : إن من يسمع كلامي ، ويؤمن بالذى أرسلينى ، فله حياة أبدية ، ولا يأتى إلى دينونة ، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة (١) الحق الحق أقول لكم : إنه ثانية ساعة . وهي الآن ، حين يسمع الآموات صوت ابن الله ، والسامعون يحيون ، لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته ، كذلك أطعى الابن أيضاً

(١) راجع تفسير إنجيل يوحنا - تلى هنرى .

(٢) اثغر النصارى إلى المزמור ١٤٣ في شوامدهم على هذا النص . ونصه :

« يا رب اسمع صلاتى واصنع إلى تضرعاتى . بأمثالك استعجب لى بذلك ، ولا تدخل في المحاكمة مع عبديك ، فإنه لن ينبرأ تمامك حنى ، لأن العلو قد اضطهد نفس ، سحق إلى الأرض حياتى ، أجلسنى في الظلمات ، مثل الموتى ، منذ الضرر ، وأعيبت في روحي ، تمييز في داخلى قلبى ، تذكرت أيام القدم ، لهجت بكل أعمالك ، بصنائع بدبك ، أتأمل . بسطت إليك يدى ، نفس تحرك كأرض بابـة ، سلاـه

أن تكون له حياة في ذاته ، واعطاه سلطاناً أن يدين أيها ، لأنَّه ابن الإنسان^(٢) .

لا تتعجبوا من هذا ، فإنه ثانية ساعة ، فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته^(٣) ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة ، أنا لا أقدر أن أفعل من نفس شينا ، كما أسمع أدين . ودينونتي عادلة ، لأنَّي لا أطلب مشيتى ، بل مشيتة الآب الذي أرسلني .

إنْ كنتَ أشهد لنفسِك ، فشهادتك ليست حقاً ، الذي يشهد لك ، هو آخر . وإنَّا أعلم أنَّ شهادته التي يشهد لها لي ، هي حق . أنتَ أرسلتَ إلى يوحنا ، فشهادتك للحق ، وإنَّا لا أقبل شهادة من إنسان ، ولكنَّي أقولُ هنا لتخلصوا أنتَ . كان هو السراج الموقد المثير ، وأنتَ أردتم أن تبهجوا بنوره ساعة ، وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا ، لأنَّ الاعمال التي أعطيتني الآب ، لا كملها . هذه الاعمال بعينها التي أنا أعملها ، هي تشهد لي : أنَّ الآب قد أرسلني .

والآب نفسه الذي أرسلني ، يشهد لي ، لم تسمعوا صوته فقط ، ولا أبصرتُم هويته ، وليس لكم كلمته ثابتة فيكم . لأنَّ الذي أرسَلَهُ هو ، لستَ أنتَ تومنون به» *لبر ٥: ١٩ -*

البيان :

إنه يتكلّم عن النبي الأنبياء ، اللقب من داود عليه السلام بالقب «الابن» ويقول : إنَّ هذا النبي لن يخالف الله في شيء ، وإنَّه لا يقدر أن ي يعمل شيئاً إلا ياذن الله . فهل «الابن» الأنبياء هو يسوع ؟ لا يمكن أن يكون هو يسوع . وذلك لأنَّه لم يقل : لا أقدر أن أعمل - فهذا أعمله - لأنَّ الآب يحبّني . وإنما قال عن غيره : «لا يقدر الابن أن ي العمل من نفسه شيئاً» *ويدعى الأرثوذكس* أنه هو الله ، ولو كان هو ، لعمل باستقلال ، وقدر على ما يفعل .

= لسرع اجبن برب ، فبيت روحي . لا محاجب وجهك عنـ ، فأشبه المهابطين في الجب ، أسمعني رحمتك في الشفاعة ، لأنَّ عليك توكلت ، عرفت الطريق التي أسلك فيها ، لأنَّ إليك رفعت نفسَ أثقلنى من أعدائى . يا رب إليك التعبات علمت أن أعمل رضاك ، لأنَّك أنت إلهي . روحك الصالح يهدبني في أرض مستوية . من أجل امسك يا رب ، تمحيين ، بعلنك تخرج من الفتن نفس ، وبرحمتك تناضل أعدائي ، ونيد كل مضايق نفس ، لأنَّا عبدك *{مز ١٤٣: ١ - ١٤٢: ١}*

وغير بين الله وبين الابن ، وتكلم عن العاملين وشبههم بالاحياء ، وشبه الرافضين بالأموات ، وقال : كما كانت شريعة موسى حياة ؛ فشريعة ابن الآتى هي حياة مثلها وفي أيام ظهوره لن يحارب الله الرافضين بسيفه ، وإنما سيجعل الابن سبيلا لهلاكهم ، وسيعيته بحد من عنده ، وهو قد أعطى الدينونة للابن ، لانه قال له : سلني فأعطيك الامم ميراثا لك ، وأنا صاحب الارض ملكا لك ، تحطيمهم بقضيب من حليدي... »

وصرح بأنه رسول الله في قوله : « إن من يسمع كلامي ، ويؤمن بالذى أرسلنى ؛ فله حياة أبدية »

وعبر عن اقتراب زمان هذا النبي الملقب من دلود بالابن فقال : « إنه تأتى ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » يعني أن الجهل بالحقائق هو موت ، وأن السمع من النبي الآتى واجب ، وذلك بأن شريعته هي حياة .

وما قاله المعلم عن النبي الآتى من أنه سيفلك الأشرار ، بنار لا تطفأ ، قاله المسيح عيسى عليه السلام فقد قال : إن ابن الإنسان يسمع جميع بنى إسرائيل صوته . الأميون منهم والعلماء . والعاملون بشرعية موسى ، والرافضون لها في حال ظهوره ؛ أولئك هم الأخيار وسيتبعون ابن الإنسان ، وستكون لهم حياة . والذين هم أشرار سيخرجون إلى قيامة الدينونة ، فإنه سيدينهم بكلامه ، وسيهلكهم بالحرب والقتال.

وقال المسيح : إن كلامي عن النبي الآتى ، هو إدانة للرافضين له ، لأنه لن يكون لهم عنر في تركه لعدم معرفتهم له ، فأننا قد كتبنا عنه ما فيه الكفاية وفي أناجيل تلاميذى ما يشهد بذلك . وذلك لأننى « كتت عليهم شهيدا ما دمت فيه »

وقال المسيح : إن شهادة المرء لنفسه غير مقبولة ، وذلك لأن التوراة تنص على شاهدين أو ثلاثة « على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود ، يقروا الأمر » [ت ١٩ : ١٥] والمعجزات التي أعملها هي تدل على صدقى فيما أقول ، وأيضا : الله يشهد لي . وذلك بأننى إذا طلبت منه شيئا ، يعطينى إياه ، فأننا هو الشاهد لنفس ، ويشهد لي الله الذى أرسلنى ، فتحعن اثنان « أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد

لى ، الآب الذى أرسلنى » [يو ۸ : ۱۸] وعلى ذلك فشهادة المعبدان لى بانى مرسلا من الله ؛ تكون هى الشهادة الثالثة .

وقال المسيح : إن الله لم يره أحد نظر ، كما قال عنه موسى فى سفر الخروج ، وهذا القول منه يهدى عقيدة التثلث هذا ، وذلك لأن الناس قد رأوا المسيح وتحدثوا معه ، فكيف يكون هو الله ؟

خبر قتل يوحنا المعبدان :

روى مرقس :

«فسمع هيرودس الملك . لأن اسمه صار مشهورا ، وقال إن يوحنا المعبدان قام من الأموات ولذلك تُعمل به القوات ، قال آخرون إنه إيليا ، وقال آخرون إنه نبي أو كأحد الأنبياء . ولكن لما سمع هيرودس قال : هذا هو يوحنا الذي قطعت أثنا رأسه ، إنه قام من الأموات .

لأن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه فى السجن من أجل هيروديا امرأة فيليس أخيه . إذ كان قد تزوج بها لأن يوحنا كان يقول لهيرودس : لا يحل لك أن تكون لك امرأة أخيك . ففتحت هيروديا عليه ، وأرادت أن تقتلنه ولم تقدر لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالما أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه . وإذا سمعه فعل كثيرا وسمعه بسرور . واذ كان يوم موافق لما صنع هيرودس فى مولده عشاء لعظمائه وقاد الآلوف ووجوه الجليل ، دخلت ابنة هيروديا ورقصت ، فسرت هيرودس ، والتكفين معه . فقال الملك للصبية : مهما أردت ، اطلبى منى فأعطيك . وأقسم لها : أن مهما طلبت منى ، لاعطينك حتى نصف ملكتى ، فخرجت وقالت لأمها : ماذا أطلب ؟ فقالت : رأس يوحنا المعبدان . فدخلت اللوقة بسرعة إلى الملك وطلبت قائلة : أريد أن تعطيني حالا رأس يوحنا المعبدان على طبق . فحزن الملك جدا ، ولاجل الأقسام والتكفين لم يرد أن يردها ، فللوقت أرسل الملك سيفا ، وأمر أن يؤتى برأسه ، فمضى وقطع رأسه فى السجن وأنى برأسه على طبق وأعطاه للصبية .

والصبية أعطته لأمها . ولا سمع تلاميذه ، جاءوا ورفعوا جسنه ووضعوها فى

فبر » [مر ۶ : ۱۴ - ۲۹]

وروى متى :

ففي ذلك الوقت سمع هيرودوس رئيس الريع خبر يسوع ، فقال لغلمانه : هذا هو يوحنا المعمدان . قد قام من الأموات ولذلك تعلم به القروات .

فإن هيرودوس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في سجن من أجل هيروديا امرأة فيليب أخيه - لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك - ولا أراد أن يقتله خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي ، ثم لما صار مولود هيرودوس ، رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرت هيرودوس ، من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها . فهى إذ كانت تلقت من أمها قالت : أعطنى هنا على طبق رأس يوحنا المعمدان ، فاغتم الملك ، ولكن من أجل الأقسام والمتkin معه ، أمر أن يعطى . فارسل وقطع رأس يوحنا في السجن فأحضر رأسه على طبق ، ودفعه إلى الصبية . فجاءت به إلى أمها . فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنه . ثم أتوا وأخبروا يسوع «

{ متى ۱۴ : ۱ - ۱۲ }

البيان :

إنه لما صار اسم يسوع للسيع على كل لسان بسبب المعجزات التي كان يعملها ، فإنه كان يشفى المرضى ، ويحيى الموتى بإذن الله ، ظن هيرودوس الملك أن الذي يعمل هذه المعجزات هو يوحنا المعمدان ، لا يسوع . ثم تغير في ظنه . كيف يكون هو المعمدان ، وأنا قد قتله ؟

ولماذا قتل ؟ لأن «ميروديا» كانت لمرأة لفيليب أخيه وأرادت أن تفارقه ، وتتزوج هيرودوس في حياة فيليب ، وهو لم يطلقها . وشريعة موسى لا تصرح بذلك ، فإن في سفر الأخبار : «عورة امرأة أخيك لا تكشف» {لا ۱۸ : ۱۶} ولذلك امتنع المعمدان عن إعطاء قوى لها بحسب رغبتها ، وهذا يدل على أن المعمدان كان مصدقا لما بين يديه من التوراة .

أما أنه قد قتل بسبب امتناعه عن هذه الفتوى : فإن هذا السبب ضعيف ، وذلك لأن مخالفة الشريعة ، لا يقدم عليها إلا من سمه نفسه . والدليل على كذب هذه الحكاية : هو أن «ميرودوس» ميت من قبل ولادة يحيى وعيسي ، بحسب روایات الانجیل . وأن الصابئین يقولون بأن يحيى «مات» ولم يقتل .

وقد صرخ القرآن الكريم بأن يحيى عليه السلام لم يقتل ، وإنما مات موتا عاديا ، كما هو سبيل كل الناس ، وذلك في المقارنة بينه وبين عيسى عليه السلام فقد قال تعالى : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا ، وحنانا من لدنا وزكاة ، وكان تقينا ، ويرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا ، وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ويوم يبعث حيا » وقال تعالى : « قالوا : يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هرون ما كان أبوك امراً سوء ، وما كانت أمك بغيها ، فأشارت إليه ، قالوا : كيف تكلم من كان في المهد صبيا ؟ قال : إنني عبد الله ، آتاني الكتاب ، وجعلني نبيا ، وجعلني مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلوة والزكاة مادمت حيا ، ويرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم يموت ويوم أبعث حيا ، ذلك عيسى بن مريم »

وقد فرق الله تعالى بين الموت والقتل ، فقال : « أفإن مات ، أو قتل » وبين أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب في قوله : « وما قتلوه وما صلبوه » ولماذا قالوا بقتل المعلمان وهو لم يقتل ؟

إنهم يريدون مثابته بيسوع المسيح في العقاب لكن يكون عبرة لغيره فلا يجرؤ أحد على مثل ما قال . وذلك لأنه بشر محمد ﷺ وهو ليس من بنى إسرائيل ، وشتم العلماء بقوله : « يا أولاد الأفاني »

رسالة يحيى عليه السلام :

لم يؤثر عنه أنه خالف شريعة موسى عليه السلام لا هو ولا أبوه . وأثر عنه أنه كان يعظهمها غاية التعظيم . وكان يستدل منها على مجده محمد ﷺ فقد فسر نبوة ملكوت السموات المذكورة في سفر دانيال على محمد ، وفسر عليه أيضا نبوة ابن المذكورة في سفر الزامير ، وخرق بنى إسرائيل من رفضه ، فقال : « يا أولاد الأفاني من أراكם أن تهربوا من الغضب الآتي ، فاصنعوا أئمara تلبي بالنتيجة ، ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم : لتنا لإبراهيم أبا لأنني أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم ، والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، نكل شجرة لا تصنع ثمرا علينا ، تقطيع وتلقي في النار ، أنا أعدكم بما للنتيجة » ويقول الصابحة : إن يحيى عليه السلام - لما دنت ساعة وفاته ، أرسل الله إليه

ملكا ؛ فتراءى له على هيئة طفل وطلب منه أن يصبهه ؛ فاصطحبه إلى نهر الأردن . إلى المكان الذي يمتد فيه ، ولا هما بالدخول في الماء ، ووضع بحبي به في يد الطفل . خر ميتا على شاطئ النهر . فنقله تلاميذه إلى مكان التعميد . ودفنه . ويعتقد الصابيون المذاهبون : أن جسده ورأسه مدفونان معا في مدينة «شستر» في «إيران» ويقال : إنه مدفون في المسجد الأموي بمدينة «دمشق» ويقول بعض النصارى : إن جسده مدفون في «وادي النطرون» بمصر . ويقول بعضهم : إن رأسه مدفون في «القدس» ويقول بعضهم : إن رأسه مدفون في مدينة «نابلس»

وفي الكتب : أن اسم الصابئة مأخوذ من «صين» العبرانية . والذين تطلق همزة أو عين . وأول من قام بالصيغة نبي الله يحيى . من أجل محمد صلى الله عليه وسلم . فتكون رسالة يحيى إلى بنى إسرائيل هي :

١ - التصديق بالتوراة الموجودة في زمانه .

٢ - والتثمير بمحمد رسول الله .

وعلى ذلك فإنه لا يصح لباحث أن يبحث في عقائد الصابئين وشرائعهم في غير كتب التوراة والأنجيل . وفي القرآن كلام كثير عن هذا المعنى ، منه « مصدقا بكلمة من الله . وسيدا . ومحصورا . ونبيا من الصالحين » وكلمة الله التي صدق بها ودعا إليها هي نبوة عن محمد رسول الله بلقب الكلمة في الأصحاب الأربعين من سفر إشعيا . والعالم الديني في اليهود يطلق عليه « سيد » والمحصور هو المنذور لله . وهو نبي من أنبياء بنى إسرائيل . ولا يحق لأحد منهم أن يخرج عليها . فلماذا مع بيان القرآن عن أن يحيى كاننبيا من أنبياء بنى إسرائيل ، على شريعة التوراة ، واعتراف الصابئين أنفسهم بأنهم أتباعه ؛ يجهد الناس أنفسهم في التعرف على معتقداتهم وشرائعهم ؟ وهى معروفة لهم مما ترکه يحيى نفسه ، ووافق عليه وعلمه لاتباعه من قبل وفاته . وهو مدون في التوراة والأنجيل إلى هذا اليوم ..

والصابئون أنفسهم يقولون : إن كلمة صابة أطلقت علينا من المجاورين لنا ، الذين كانوا يعرفون اللغة الآرامية ، ويعرفون التصيغ وهو التعميد . ولم يأت من « صبا » التي تعنى الخروج من دين إلى دين ، مع أننا خرجنا على اليهود في شأن

النبي المتظر ، كما علمنا يحيى عليه السلام . ومن المأثور علننا : « مصيبح متفرغ من بهونته إلى مندوته » وتفسيره : « الصبغة لك تخرجك من اليهودية إلى المندائية »

وعند الصابئين كتب كما عند النصارى ، وكما عند اليهود كتب ، وكما علننا نحن المسلمين كتب فيها أساطير وخرافات . مثل شمس المعارف الكبير ، ورجع الشيخ إلى صباح في قرة الباه ، ومجريات الديرى الكبير والباحثون يظنون حينما يعشرون على مثل هذه الكتب عند الصابئة ، أنهم عثروا على كتب عقائد فرم وشرائعهم . وهذا ظن يجب أن يتزره عنده العاقل ولا يسعى إلى معرفته ، كما لا يحق له أن يسعى في البحث عن السر المكتوم ونبع أصول الحكمة وكتب أبي معشر الفلكي . واستخدام المزامير في علم السحر ^(١) ودليل الدلال . وغير ذلك . بما هو عندنا نحن المسلمون . ويقول : إنني عثرت على كتب عقائد المسلمين وشرائعهم .

نسب يوحنا المعمدان وصيسي بن مريم :

وقد جاء في التوراة : أن يعقوب عليه السلام أحب اثنى عشر ولدًا هم :

- | | | |
|-----------------|---------------|-----------------|
| ١ - رُؤوبِن | ٢ - شِمُّون | ٣ - لَوْيٍ |
| ٤ - يَهُوْنَا | ٥ - زِبُولُون | ٦ - يَسَّاكَرٌ |
| ٧ - دَانٌ | ٨ - جَادٌ | ٩ - أَشِيرٌ |
| ١٠ - نَفَالِيٌّ | ١١ - يَوْسَفٌ | ١٢ - بَيَانِيٌّ |

وأمر الله أن يكون سبط لاوي لحمل التوراة وحفظ طقوسها . واصطفى الله هارون عليه السلام من سبط لاوي ، ليكون من نسله الانمة والفقهاء . ولما كثر نسله في عهد داود - عليه السلام - نظم داود عملهم في الهيكل وخارجيه ، وجعلهم فرقا ، وكانت فرقه « أليا » هي الفرقه الثامنة .

وكان ركيزا النبي عليه السلام من فرقه أليا ، من نسل هرون من سبط لاوي . أى أنه كان مصدقا للتوراة . وشرعية التوراة محروم الإرث في إسرائيل على البنات ، التي تتزوج في غير سبطها { عدد ٣٦ : ٨ } فلذلك كان كل رجل يتزوج في سبطه ،

(١) نشر مكتبة مدبولي الصغير بالقاهرة .

وكل بنت تتزوج في سبطها ، وكانت امرأة ركريا تسمى «البيصابات» وفي بعض اللغات «البيزاب» من نسل هرون ، وزكرييا رجلها كان من نسل هرون .

وكان لها قريبة لها من نسلها ، ومن سبطها هي «مريم العذراء» وكانتا معاً من قرية واحدة . وكانتا في زمان حكم «هيرودس» على بلاد فلسطين .

وقد ولدت «البيصابات» يحيى عليه السلام وهي عاقر ، وولدت «مريم» عيسى عليه السلام وهي غير مفترضة برجل . وكان ركريا عليه السلام هو وأمرأته ، يسارعان في المغيرات ، أو كما قال لوقا : « كانوا كلاماما بازعن أمام الله ، سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه ، بلا لوم » و قال لوقا : إن يحيى عليه السلام كان حصورا ، أى متورا لله تعالى من بطن أمه ، خدمة الله تعالى على وفق شريعة موسى {أعده ٦ : ٣ وقضاه ١٣ : ٤ } والمتور لا يتزوج طوال حياته ، ويعيش كراهب في صومنته .

وقال : إن المفترض من دعوة يحيى عليه السلام هي : «لكي يهين للرب شعباً مستعداً» بدل شعب بني إسرائيل الذي كان مستعداً في الماضي لشريعة موسى ، ثم تركها .

و مع هذا يقول المحرفون : إن يسوع من نسل داود ، من سبط يهودا ، وأنه سيجلس ملكاً على كرس داود ، وسيعيد لأورشليم مجدها وعزّها . كيف وهو لم يجعل لحظة من ليل أو من نهار ؟ كيف وأمه قريبة ونسية لالبيصابات ؟ كيف وهو يدعوا مع المعدان باقتزاب ملكرت الله ؟ كيف ولم يفتق متى ولوقا علي إظهار نسبة وكيف ينسبونه إلى داود وهو لم يكن له أب ؟ .

نعم إنحيل لوقا عن ولادة يحيى عليه السلام :

«إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المثبتة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدماء للكلمة ، رأيت أنا أيضاً إذ قد تبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به »

« كان في أيام هيرودوس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقه أيامها ، وأمرأته من بنات هارون واسمها البصبات . وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم . ولم يكن لهما ولد إذ كانت البصبات عاقرا . وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما .

في بينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله ، حسب عادة الكهنة ، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويصغر . وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور . فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رأه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك : لا تخاف يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت ، وأمرأتك البصبات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ويكون لك فرح وابتهاج ، وكثيرون سيفردون بولادته ، لأنه يمكن عظيمًا أمام الرب ، وخرموا ومسكرا لا يشرب ، ومن بطنه ينتلن من الروح القدس ويرد كثيرين منبني إسرائيل إلى الرب إليهم . ويتقدم أمامه بروح ليليا وقوته ، ليرد قلوب الآباء إلى الابناء والعصاة إلى نكر الأبرار ، لكنه يهين للرب شعباً مستعداً . فقال زكريا للملاك : كيف أعلم هذا لأنني أناشيخ وأمرأني متقدمة في أيامها ؟ فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وما أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم ، إلى اليوم الذي يكون فيه هذا ، لأنك لم تصدق كلامي الذي يكون في وقته . وكان الشعب متظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ، ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل . فكان يومئذ يهم ويقى صامتاً »

وفي الجليل لوقا :

« ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته . وبعد تلك الأيام حبت البصبات أمرأته ، وأخفت نفسها خمسة أشهر فائلة : « مكنا قد فعل بي الرب في الأيام التي فيها نظر إلى ليترع عاري بين الناس »

الناصوري:

هو الشخص الحاذق في الأمور الدينية . ويقول الصابرون : « إن يحيى كان معلماً عظيماً وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن ، وأن تغيرات دينية معينة تسبب إليه كثيل أوقات الصلة من خمسة إلى ثلاثة يومياً . وكان ضلبيعاً ذا معجزات ، تشفى أبدان الناس وأرواحهم »

تعاليم يحيى عليه السلام :

يقول الصابرون : « إنه كان على أكمل أوصاف الصلاح والتقوى منذ صباه . وكان يدعى الناس إلى التوبة من الذنب . وكان صوته الداوى يصبح بالغوفود المجتمعه حوله يقوله : « توبوا فقد اترب ملكت السموات » وكان يعمدتهم - أي يغسلهم - في نهر الأردن للتوبة من الخطايا . وقد اعتمد منه أيسوع المسيح »

نشأة يحيى عليه السلام :

يقول الصابرة : « وفي بعض الأخبار : أنه لما ولد يحيى رفع إلى السماء ، فتغذى بانهار الجنة ، حتى نظم ، ثم أنزل إلى آيه ، وكان يضيّن البيت لدوره وحسن وجهه وجماله . وفي بعض الأخبار ، وفي كتاب « أرشاداً أيديهها » - أي تعاليم يحيى - أنه بعد ولادته مباشرةً أخذ من أمّه خوناً من أن يقتلها اليهود ، وأرسل إلى مسكن الناصوري - وهو كل صابري متبخر في الديانة الصابرية - في طور أديبيا - جبال ميديا - ونشأ هناك حتى بلغ العشرين من العمر ، ثم أُعبد إلى « أورشليم » - القدس - بصحبة أحد ملائكة الله « إنش اترا » وبهذا يعمد الناس للتوبة من الخطايا »

شريعة الصابرين :

يقولون : « إن النبي يحيى لم يأت بجديد للصابرية ، وإنما خفف من بعض التعاليم الدينية السابقة »

الإشارة ببلاد يسوع :

في الخليل لروا :

« وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملائكة من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ، إلى عنتراء مخطوبة لرجل من بيت لود اسمه يوسف . واسم

العلاءه مريم فدخل إليها الملائكة وقال : سلام لك أيتها النعم عليها . الرب معك مباركة أنت في النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه ، وفكترت : ما عسى أن تكون هذه التحية . فقال لها الملائكة : لا تخافي يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وما أنت ستحببن وتلدين ابنا وتسميه يسوع . هنا يكون عظيمها ، وابن العلي يدعى ، وبعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ، وعيلك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية »

قالت مريم للملائكة : كيف يكون هنا وأنا لست أعرف رجالاً ؟ فأجاب الملائكة وقال لها : الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضاً القدس المولود منك يدعى ابن الله . وهذا أليصابات نسيتك هي أيضاً حبل بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً ، لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله . فقالت مريم : هونا أنا أمّة الرب ؛ فليكن لى كقولك . فمضى من عندها الملائكة .

العلاءه مريم تزور أليصابات :

فcameت مريم في تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهودا ، ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات . فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنه ، وأمتنلات أليصابات من الروح القدس ، وصرخت بصوت عظيم وقالت : مباركة أنت في النساء ومبركة هي ثمرة بطنك . فمن أين لي هنا أن تأتى أم ربي إلى ؟ فهوذا حين صار سوت سلامك في أذني ؛ ارتكض الجنين بابتهاج في بطني . فطوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب .

تسبيحة مريم :

قالت مريم : تعظم نفسي الرب ، وتبتهج روحي بالله مخلصي ، لأنه نظر إلى اتضاع أمّته . فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطربني ، لأن القدير صنع بي عظامي ، واسمه قدوس ، ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه . صنع قوة بنراعيه . شتت المستكبرين بفكير قلوبهم . أنزل الأعزاء عن الكراسي ودفع المنفعين . أشبع الجياع خيرات ، وصرف الأغنياء فلارغين . عصد إسرائيل فتاه ، ليذكر رحمة ، كما كلم آباما . لإبراهيم وسله إلى الأبد فمكثت مريم عندها نحو

ثلاثة أشهر ، ثم رجعت إلى بيتها .

مِلَادُ يُوحَنَّا الْمَعْدَنَانَ :

وَأَمَا الْبَصَابَاتِ فَتَمْ زَمَانُهَا لَتَلَدْ فَوْلَدَتْ ابْنًا وَسَمِعَ جِيرَانَهَا وَأَفْرَيَازَهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ رَحْمَتُ لَهَا ، قَفَرُوا مَعْهَا ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوهَا لِيَخْتَرُوا الصَّبِيَّ ، وَسَمِوَهُ بِاسْمِ أَيْهَ زَكْرِيَا .

فَأَجَابَتْ أُمُّهُ وَقَالَتْ : لَا . بَلْ يُسَمِّي يُوحَنَّا . فَقَالُوا لَهَا : لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكَ تُسَمِّي بِهَذَا الْاسْمِ . ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَيْهَ مَاذَا يَرِيدُ أَنْ يُسَمِّي ؟ فَطَلَبَ لَوْحَةً وَكَتَبَ فَائِلَّا : اسْمُهُ يُوحَنَّا . فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ . وَفِي الْحَالِ افْتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللَّهُ . فَوْقَ خَرْفٍ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ ، وَتَحْدَثَ بِهَذِهِ الْأَمْرَ جَمِيعُهَا فِي كُلِّ جَيْلٍ الْيَهُودِيَّةِ ، فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّاعِدِينَ فِي قَلْرِيْهِمْ فَائِلَّينَ : أَتَرِي مَاذَا يَكُونُ هَذَا الصَّبِيُّ ؟ وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ .

تَسْيِحةُ زَكْرِيَا :

وَامْتَلَأَ زَكْرِيَا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقَدِيسِ ، وَتَبَأَ فَائِلَّا : مَبَارَكُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لَأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فَنَاءَ لِشَعْبِهِ ، وَأَتَامَ لَنَا قَرْنَ خَلَاصَ فِي بَيْتِ دَاؤِدَ فَنَاهُ . كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَبْيَاهِهِ الْقَدِيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْذَ الدَّهْرِ ، خَلَاصَ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَبْدِي جَمِيعِ مِبْغَضِنَا . لِبَصْنَعِ رَحْمَةٍ مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرُ عَهْدَهُ الْمَقْنُسِ ، الْقَسْمُ الَّذِي حَلَّ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيَّنَا : أَنْ يَعْطِنَا إِنَّا بِلَا خَوْفٍ ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَبْدِي أَعْدَائِنَا ، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةِ وَبِرِّ قَدَامِهِ جَمِيعُ أَيَّامِ حَيَاتِنَا . وَأَنْتَ أَبْيَاهُ الصَّبِيُّ نَبِيُّ الْعَلَى تَدْعُنِ ، لَأَنَّكَ تَتَقدِّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لَتَعْدُ طَرْقَهُ . لِتَعْطِي شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلَاصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ ، بِأَحْشَاءِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدْنَا الْمَشْرُقَ مِنَ الْعَلَاءِ لِيَضْمِنَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظُلُلَ الْمَوْتِ ، لَكِي يَهْدِي أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلَامِ .

أَمَا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْسُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ ، وَكَانَ فِي الْبَرَارِى إِلَى يَوْمِ ظَهُورِهِ لِإِسْرَائِيلِ ۚ أَهـ

مَعْوِدَةُ يُوحَنَّا :

الْعَمَادُ : هُوَ التَّصْبِيْغُ بِالْمَاءِ . إِمَّا تَغْطِيْسٍ . كَمَا تَقُولُ بَعْضُ الْكَنَائِسِ ، إِمَّا

رش بالماء . وتفرض التوراة في العديد من حالات النجاسة^(١) ، اغتصالات طقسيّة ، تطهير وتوهّل للعبادة . منها الغسل من الجنابة أنت ٢٣ : ١٠ - ١١ } ومنها حرق بقرة حمراء ، ذبيحة خطيبة { عدد ١٩ - ٢ - ١٠ }

وفي أسفار الأنبياء نبوءات عن النبي الأنبياء :

١- فيها : أن الله يظهر ينبع ما دائم ليظهر بنى إسرائيل من آثار الذنب ، إذا قبلوا النبي الأنبياء . وهو يمكن ينبع الماء عن طهارة قلوب المؤمنين بالنبي الأنبياء . لا أنه سيظهر من الأرض ينبوعا ، وقد حسب بنو إسرائيل أن المعنى على الظاهر ، فلذلك طلبوا من محمد عليهم أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا **﴿وقالوا: لَن نُؤْمِن لَكَ حَتَّى تُفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَبْيَعًا﴾** وهذا النص في سفر زكريا هو نبوءة . وقد أخذها الصاري لعيسي عليه السلام بعدما حرفوا لفظها ومعناها .

ومن النص : « وأنيض على بيت داود ، وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات ، فينظرون إلى » - بشدید اليماء مفتوحة - الذي طعنوه وينحون عليه » إلى أن قال : « في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحاً لبيت داود ولسكان أورشليم ، للخطبة وللنحو ، ويكون في ذلك اليوم قال رب الجنود : أنا أقطع اسماء الأصنام من الأرض ... » **﴿رَكِيَا ١٢ : ١٠ - ١١﴾**

يريد أن يقول الله : إنهم لما رفضوا الشريعة ، صرت في نظرهم كمطعون في جبه بسکین . ولذلك سأسلب الملك منهم والشريعة ، ومصحف إنجيل يروحنا قد حرفها بقوله : « فينظرون إلى الذي طعنوه» آن، ينظرون إلى يسوع المسيح وهو مطعون بالحرية على الصليب . وقد بينا هنا في كتاب « اقتباسات كتاب الأنجليل من التوراة »

٢- وفي سفر حزقيال بين أنه سيكون لبني إسرائيل زمان يكثر فيه الخير ، ويعم فيه السلام وأنه سيجمعهم من كل الأمم ، ويأتي بهم إلى فلسطين ، لتعظيم اسمه القدس ، وليس ذلك إلا في زمان النبي الأنبياء ، وبين أنه في الزمان الجديد ،

(١) لاحظ : أن كلامه يدل على أن التعبد لا سند له من التوراة . فيكون أصل التعبد « علامة » ميزة لمن يقبل الإثبات بمحض عقل لا يقبل .

سيغير قلوبهم القاسية بقلوب رحيمة . وسيرش عليهم ماء طاهرا ، كنابة عن تغير
زمان سبب زمان حسن .

من النص : «أَخْذُكُم مِّنْ بَيْنِ الْأَمْمَ ، وَجَمِيعَكُم مِّنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ،
وَأَتَى بِكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْكُمْ مَاءً فَتَطَهَّرُونَ مِنْ كُلِّ سَاكِنٍ ، وَمِنْ كُلِّ
أَصْنَامِكُمْ ، أَطْهَرُكُمْ ، وَأَعْطَيْكُمْ قُلْبًا جَدِيدًا ، وَأَجْعَلَ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ ،
وَأَقْلَمَ قُلْبَ الْحَجَرَ مِنْ لَحْمِكُمْ ، وَأَعْطَيْكُمْ قُلْبَ لَحْمٍ ، وَأَجْعَلَ رُوحًا فِي دَاخِلِكُمْ
وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِسِ ، وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَسْلُمُونَ بِهَا ، وَتَسْكُنُونَ
الْأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ أَبَاءَكُمْ لِيَاهَا ، وَتَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا ،
وَأَخْلُصُكُمْ مِنْ كُلِّ نَحْسَاتِكُمْ ، وَأَدْعُو الْخَنْثَةَ ، وَأَكْثُرُهَا .

وَلَا أَصْبَعُ عَلَيْكُمْ جَوْعًا وَأَكْثُرُ ثَمَرِ الشَّجَرِ ، وَغَلَةِ الْحَقْلِ ، لَكِبْلًا تَالُوا بَعْدَ
عَارِ الْجَمْعِ بَيْنِ الْأَمْمِ ...

فيقولون : هذه الأرض المخربة ، صارت كجنة عدن ... » [حزقيال ۳۶ :

{ - ۲۲

ولذلك قالوا لِمُحَمَّدٌ : « لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفَجُّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ
بِنَوْعًا ، أَوْ نَكُونَ لَكَ جَنَّةً مِنْ نَخْلٍ وَعَنْبَرٍ ، تَفَجُّرَ الْأَنْهَارَ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا »

٣- ويتحدث النبي الأمي عن نفسه وعن أمته التي ما جاءها من نذير .
فيفقول على لسان داود عليه السلام « ارحمني يا الله حسب رحمتك ، حسب كثرة
رأفك ، امح معاishi ، اغسلني كثيرا من ائمي ، ومن خطبني طهرني ، لأنني عارف
بعماشي ، وخطبتي أمامي دائما . إليك وحدك أخطات ، والشر قدام عينيك
صنعت ، لكى تسرر في أقوالك ، وتذكر وفى قضائك . ها أننا بالإثم صورت ،
وياختفية حبت بي أمى .

هاقد سرت بالحق في الباطن ، ففي السريرة تعرفني حكمة ، طهرنى
بالزوفا ، فأظهر . اغسلنى فانيض أكثر من الثلوج ، أسمعني سرورا وفرحا ، فتبهج
عظام سحتها . استر وجهك عن خطابي ، وامع كل أئمي .

قليا نقبا اخلاق في يا الله ، وروحًا مستقبلا جلد في داخلي . لا نظر حنى

من قدام وجهك ، وروحك القدس لا تزعه مني . ردّل بهجة خلاصك ،
وروح متيبة اعضلني ، فأعلم الآية طرقك ، والخطاة إليك يرجعون .

لهم من الدماء يا الله ، إله خلاصي ، فسيبح لسانى بيرك . يارب افتح
شفتي فيخبر فمي بتسيحك ، لأنك لا تسر بذريحة ولا فكت أندمها ، بمحرقة لا
ترضى ، ذبائح الله هي روح منكسرة . القلب المنكسر والمسحون يا الله لا تخفره .
أحسن برضاك إلى صهيون . ابن أسوار أو دشليم . حيثذا تسر بنبائع البر .
محرقه ، وتقديمة تامة ، حيثذا يصعدون على مذبحك عجولا ، {مزמור ٥١}

والغسل ه هنا كنایة عن تطهير القلوب من العناد والكبر ، تستعد للدخول في
ملکوت النبي الآتی ، ولذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم : «صيغة الله ومن
أحسن من الله صيغة ؟ ونحن له عابدون»

ولماذا كثروا في الأنجليل : أن المعلمان صبغ بالماء ، وما مصدقان للتوراة ،
وليس فيها ما يوجب على العاصي إذا أراد التوبة أن يغسل بالماء بنفسه أو بغیره ؟
إن المعلمان ويسع قد صبغنا . والصيغ هو علامة مميزة لمن صار معهما وللن
بقى من اليهود في اليهود . فجعلهما تمييزاً لمن سيؤمن من محمد ولمن لا يؤمن به حال
ظهوره . ومن يؤمن به حال ظهوره يلزمـه أن يعرف الناس به من الآن . ومن بعد
التعريف :

يريدن أن يجعلوا النبي الآتی هو يسوع ، ويريدون أن يجعلوا المؤمنين به من
اليهود والأمم هم الشعب الجديد ، الذي قال زكريا وحزقيال ودارد عنهم إنهم
سيظہرون . فماذا فعلوا ؟

ادعوا : أن المعلمان وتلاميذه ، ويسع وتلاميذه قد اجتهدوا في تطهير
الشعب الجديد بالماء ، في نهر الأردن . وبذلك يكون النصارى هم الشعب الجديد ،
الآتی عوضاً عن شعب بنى إسرائيل .

وادعوا : أن المعلمان عمداً يسوع في نهر الأردن . أى غسل بالماء . وذلك
لكي يقتنعوا الناس بأن يسوع هو النبي الآمی ، الذي قال عن نفسه لله بنم داود :
«اغسلنى فـأـيـضـ أـكـثـرـ مـنـ الثـلـجـ» - «اغسلنى كثيراً من إنسى» ويؤكد ذلك : أن

المعروفين قد أصقوا نبوة الابن يسوع حال صعوده من الماء ، وهي ليست له وإنما هي لـ محمد ﷺ فقد روى متى : « حيث ذهب يسوع من الجليل إلى الأردن ، إلى يوحنا ، ليعتمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأني إلى ؟ فأجاب يسوع وقال له : اسمع الآن ، لأنك مكتنباً بليق بنا أن نكمل كل بير ، حيث ذهب سمع له ، فلما اعتمد يسوع ، صعد للوقت من الماء ، وإذا السموات قد افتتحت له ؛ فرأى روح الله نازلاً مثل حمامات وأتاها عليه . وصوت من السموات قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سرت » [متى ۳ : ۱۳ - ۱۷]

هل روح الله يتتجسد ، ويترى من السماء ويستقر على رأس يسوع ؟ وهل حال استقراره ، يظهر من السماء صوت ؛ ليعلن : أن يسوع هو ابن الله الآتي إلى العالم ؟ لو كان روحه قد فارق جسده ، لكان جسداً بلا روح . ولو كان جسداً بلا روح ، ما كان ينادي . وإذا كان قد نادى ، فمن سمعه ؟

ومن يقرأ نص نبوة الابن لا يجد لها تنطبق على عيسى عليه السلام . وهذا يكفي في بيان أن العمودية لم تكن له ، وإنهم قد أذاعوها على ما هي عليه الآن للغور في نبوة محمد ﷺ وفيها : « لماذا ارتجت الأمم ، وتتفكر الشعوب في الباطل ، قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معاً ، على رب وعلى مسيحيه ... »

فهل تآمرت الشعوب على يسوع ؟ وفيها أنه ملك ، فهل كان ملكاً ؟ وفيها : « أسألتني فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأقصاصي الأرض ملكاً لك . تحطّمهم بقضيب من حديد » فهل كان عيسى محارباً ؟ وهل انتصر على أعدائه ؟

تُحير المسيح لعلماء بنى إسرائيل في عمودية يوحنا :

وروى كتاب الأنجليل : أن يسوع المسيح حير علماء بنى إسرائيل في عمودية يوحنا ، هل هي من السماء أم هي من الأرض ؟

يعنى : أنه إذا ثبّتت عندكم نبوة يسوع ، ثبّت أن عموديته من السماء . ويكون تمييز المؤمن به عن الكافر به بالصريح في الماء من إلهام الله له . وأنا أعمل عمله في الصريح فلماذا ترفضونني ؟ وقد تجبروا ، لأنهم قبلوا نبوة يسوع ومعموديته . وروى متى : أنه عقب تحريرهم ، ذكر لهم ثلاثة أمثلة عن ملوكوت السموات . المثل الأول مثل الابنين وهو يدل على أن الابن الأول رمز لبني

إسماعيل عليه السلام والابن الآخر رمز لبني إسرائيل . والمثل الثاني هو مثل الكرامين الأرديةاء . والمثل الثالث هو مثل عرس ابن الملك

والغرض من الأمثال الثلاثة : هو انتقال الشريعة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل ، لأنهم في نظر اليهود من الأمم .

يقول متى : « ولما جاء إلى الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيخ الشعب ، وهو يعلم قاتلين : بأى سلطان تفعل هذا ؟ ومن أعطيك هذا السلطان ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : وأنا أيضًا أملككم كلمة واحدة ، فإن قلتم لي عنها أقول لكم : وأنا أيضًا بأى سلطان أفعل هذا . معودية يوحنا من أين كانت ؟ من السماء أم من الناس ؟ ففكروا في أنفسهم قاتلين : إن قلنا من السماء يقول لنا : فلماذا لم تؤمنوا به ؟ وإن قلنا : من الناس ، تخاف من الشعب ، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي . فأجابوا يسوع وقالوا : لا نعلم . فقال لهم أيضاً : ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا .

ماذا تظنون ؟ كان لإنسان ابنيان فجاء إلى الأول وقال : يا بني اذهب اليوم أعمل في كرمي ، فأجاب وقال ما أترى . ولتكن ندم أخيراً ومفي ، وجاء إلى الثاني وقال كذلك فأجاب وقال : ما أنا با سيد ولم يمض ، فأى الاثنين عمل إرادة الآب ؟ قالوا له : الأول . قال لهم يسوع : الحق أقول لكم : إن العشرين والزواجي يسبقوتكم إلى ملكوت الله ، لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به ، وأما العشرون والزواجي فآمنوا به . وأنتم إذ (أيتم) لم تتدموا أخيراً لتؤمنوا به . اسمعوا مثلاً آخر : كان إنسان رب بيت ، غرس كرما وأحاطه بسياج وحرف فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الائتمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ انماره ، فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً ، وتخلوا بعضها ورجموا بعضاً . ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين . ففعلوا بهم كذلك . فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً : يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوا ابن قالوا فيما بينهم : هنا هو الوارث . هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخلوه . وأخرجوه خارج الكرم وتخلوه . فمعتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأرديةاء يهلكهم ملائكة رديباً وسلم الكرم إلى كرامين آخرين ، يعطونه

الاتعلق في أوقاتها ، قال لهم يسوع : أما قرأتم نفع في الكتاب : الحجر الذي رفضه البنامون هو قد صار رأس الزاوية . من قبلَ الرب كان هنا وهو عجيب في أعينا ؟ لذلك أقول لكم : إن ملوكوت الله يتوزع منكم ، ويعطى لامة تعمل أمماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترفض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

ولما سمع رؤساء الكهنة والقريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . فإذا كانوا يطلبون أن يمسكوه ، خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي .

وجعل يسوع بكلمهم أيضاً بآمثال قائلًا : يشبه ملوكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه ، وأرسل عبيده ليدعوا المدععين إلى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا ، فأرسل أيضًا عيدين آخرين قائلًا : قولوا للمدععين : هو ذا غذائي أعددته . ثيراتي وسمناتي قد ذبحت وكل شيء مستعد ، تعالوا إلى العرس ، ولكنهم تهاذنوا ومفسدوا ، واحد إلى حفله . وأخر إلى تمحارته والباقيون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم . فلما سمع الملك ، غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدinetهم . ثم قال لعبيده : أما العرس فمستعد وأما المدععون فلم يكونوا مستحقين فاذهبا إلى مفارق الطريق ، وكل من وجدهم فادعوه إلى العرس ، فخرج أولئك العبيد إلى الطريق وجمعوا كل الذين وجدوهم ، أشراراً وصالحين ، فامتلا العرس من المكتفين . فلما دخل الملك لينظر المكتفين ، رأى هناك إنساناً لم يكن لباساً لباس العرس ، فقال له : يا صاحب كيف دخلت إلى هنا ، وليس عليك لباس العرس ؟ فسكت . حيثشـ قال الملك للخدم : اربطوا رجليه ويديه وخنوه واطرحوه في الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ، لأن كثرين يدعون وتقليلين يتخبون » { منى ٢١ : - ٢٢ }

السنة النبوية :

وفي زمان يحيى وعيسى - عليهما السلام - كان علماء بنى إسرائيل يتمسكون بالتوراة، ويفسرون أحكامها للناس ، ويحثونهم على العمل بها ، وكانتوا يقولون للناس : إن نبى الله موسى قد سلمنا كلاماً مائلاً لها . هو مكمل لاحكامها ، ومبين لا أجمل منها ، وأن ما تركه موسى واجب علينا أن نتعلمه للناس ليعملوا به ، ولم يترك غير التوراة والسنّة ، وأطلقوا على السنة لقب « التلمود » أما المسيح عيسى

عليه السلام فانه أطلق عليها لقب « سُنَّةُ الْبَشَرِ » و « تَقَالِيدُ الشَّيْخِ » و صرخ بأنها من كلام العلماء الفسقة وليس من كلام موسى .

وفي الأنجليل كلام كثير عن نزاع قد حصل بين المسيح عيسى عليه السلام وبين علماء بنى إسرائيل في السنة البربرية ، واستدل على ريفها بآيات من سفر إشعيا ، ففي الأصحاح الخامس عشر من المجليل متن :

« حيثذا جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم ، قاتلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا ؟ فأجاب وقال لهم : وأنت أيضا لماذا تتعلدون وصية الله بسبب تقليدكم ؟ فإن الله أوصى قاتلا : « أكرم أبيك وأمك » و « من يشنم أبيا أو أما ، فلنيت موتنا » وأما أنتم فتقولون: من قال لأبيه أو أمه : قربان هو الذي تتぬف به مني ، فلا يكرم أبياه أو أمه . فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ، يامراون ، حسنا تبا عنكم إشعياه قاتلا : « يقترب إلى هذا الشعب بفمه ، ويكرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا وياطلا يعيديوني ، وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » {متى ١٥ : ١ - ٤} .

وفي الأصحاح الثاني عشر من المجليل برنبابا :

« حيثذا وينج يسوع الشعب باشد عنف ، لأنهم نسوا كلمة الله ، وأسلموا أنفسهم للغرور فقط ، ووينج الكهنة لامعالهم خدمة الله وبخشونهم ، ووينج الكتبة لأنهم علموا تعاليم فاسدة ، وتركوا شريعة الله ، ووينج العلماء لأنهم أبطلوا شريعة الله بواسطة تقاليدهم . وأقر كلام يسوع في الشعب حتى أنهم بكوا جميعهم من صغيرهم إلى كبيرهم ، يستصرخون رحمة الله ، ويضرعون إلى يسوع لكي يصلى لاجلهم ، ما خلا كهنةهم ورؤسائهم الذين أضمروا في ذلك اليوم العداء ليسوع ، لانه تكلم هكذا ضد الكهنة والكتبة والعلماء ؛ فتصمموا على قتله ، ولكنهم لم يبسروا بكلمة ، خوفا من الشعب الذي قبله نبيا من الله » {بر ١٢ : ٢٤ - ١٨} .

ملاحظة :

توبیخ المسيح للشعب في متى ١٣ : ١٣ - ٣٣ وتصميمهم على قتله في متى ٢١ : ٤٦ ومرقس ١٢ : ١٢ ويوحنا ١١ : ٥٣ .

تمت الملاحظة .

وقد تبين مما تقدم : أن المسيح عيسى عليه السلام كان مصدقاً للتوراة ، ورافضاً للسنة . فهل كان يحيى عليه السلام رافضاً للسنة مثله ؟ ليس في الأنجليل ما يدل على أن يحيى قد رفض السنة ، المبر عنها بتأليد الشيوخ ، وإنما فيها : أنه صام كثيراً . وفيها أن عيسى رفض السنة ، وصرح بقوله : « فقد أبطلتكم وصية الله بسبب تقليدكم »

وكان من السنة عند اليهود صيام يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وأما الفرض فإنه

« أما العاشر من هذا الشهر السابع ، فهو يوم الكفارة ، محفلاً مقدساً يكون لكم . تذللون نفوسكم ، وتقررون وقوداً للرب . عملاً ما لا تعملوا في هذا اليوم عنه . لانه يوم كفارة ، للتکفیر عنكم أمام الرب [الحكم] . إن كل نفس لا تتخلل في هذا اليوم عنه ، تقطع من شعبها » { لا ٢٣ - ٢٦ }

والتأمل : هو الصيام ومن لا يصوم وهو قادر عليه ، فجزاؤه القتل ، أى القطع من بين شعبه .

وكان عيسى ويحيى - عليهما السلام - ملتمسان بصيام الفرض ، ثم افترقا . يحيى صام الفرض وصام أيامًا كثيرة حسب السنة ، وعيسي صام الفرض ولم يصم أيامًا كثيرة حسب السنة . وذلك لأن السنة من تقاليد الشيوخ وليس من موسى نفسه ، فقد اشتراكاً الاثنين في صوم أيام ، وانتفقا في الكثير من الأيام . والقليل والكثير من السنة . وهذا يدل على أن رفض المسيح للسنة هو للسنة المكلمة لتشريعات التوراة ، وللسنة المعارضه . وقد جاء في القرآن عن المسيح : « ولا حل لكم بعض الذي حرّم عليكم » من العلماء . وهم لا يحرّمون إلا من دليل منسوب رورا إلى موسى . ولا يمكن أن يصدر عن موسى تحليل وتحريم للشئ واحد . فإن أحل لهم قد حرّموا ، يكون الحديث الذي استندوا عليه في التحرّم معارضًا لا مكملًا . ويدل على ذلك :

« حيثذا أتي إليه تلاميذ يوحنا قائلين : لماذا نصوم نحن والفرسبيون كثيراً ، وأما تلاميذك فلا يصومون ؟ { متى ٩ : ١٤ } في ترجمة البروتستانت وردت الكلمة « كبيراً »

إن الاعتراض الموجه هو في «الصوم الكبير» لا مطلق صوم . فإن صوم الفرض منفق عليه وهم بزدياته ، فماذا كان رد المسيح على هذا الاعتراض ؟ وفي إنجيل مرقس : «لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفرسانيون ، وأما تلاميذك فلا يصومون» [مر ٢ : ١٨ -]

لاحظ : أن «كثيراً» لم ترد في إنجيل مرقس في ترجمة البروتستانت .

تمت الملاحة .

وفي إنجيل لوقا : «وقالوا : لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً ، ويقدمون طلبات ، وكذلك تلاميذ الفرسان أيضاً ، وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون» [لو ٥: ٣٣ -] وردت «كثيراً» في ترجمة البروتستانت .

و «كثيراً» حذفت من إنجيل متى في ترجمة كتاب الحياة ١٩٨٢ م عربي - الميلادي . ولم تختلف من إنجيل لوقا في نفس الترجمة . ونص لوقا هو :

They said to him, John's disciples often fast and pray . and so do the disciples of the pharisees .

اقرأ هنا النص من لوقا :

«وقالوا له : لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً ، ويقدمون طلبات ، وكذلك تلاميذ الفرسان أيضاً . وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون ؟ فقال لهم : أتقدون أن تجعلوا بني العروس يصومون ما دام العريس معهم ؟ ولكن ستائين أيام حين يرفع العريس عنهم ، فحيثذا يصومون في تلك الأيام .

وقال لهم أيضاً مثلاً : ليس أحد يضع رقعة من ثوب جلبي على ثوب عتيق . وإلا فالجلبي يشقه ، والعتيق لا تتوافق الرقعة التي من الجلبي ... »

اقرأ هنا النص من متى :

«حيثذا أتي إليه تلاميذ يوحنا قائلين : لماذا نصوم نحن والفرسانيون كثيراً ، وأما تلاميذك فلا يصومون ؟ فقال لهم يسوع : هل يستطيع بنو العرس أن ينحووا مادام العريس معهم ؟ ولكن ستائين أيام حين يرفع العريس عنهم ، فحيثذا يصومون .

ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق ، لأن الملل يأخذ من الثوب فتصير الخرق أردا ... »

١- ما هي المناسبة بين صوم بنى العرس وصوم تلاميذ المعلمان والفرسانيين ؟

٢- وما هي المناسبة بين الرقعة الجديدة وبين الصيام ؟

نبوة تجليد الشريعة :

اقرأ هنا النص من الجليل بربابا :

« وجتمع يسوع ذات يوم تلاميذه ، وصعد إلى الجبل . فلما جلس هناك ، دنا منه التلاميذ ، ففتح فاه وعلهم قائلا : عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله علينا ، فترتب علينا من ثم أن نعبده بإخلاص قلب ، وكما أن الخمر الجديدة تتوضع في أوعية جديدة ، هكذا يترتب عليكم أن تكونوا رجالة جدد (١) ، إذا أردتم أن تعوا التعاليم الجديدة التي ستخرج من فمك ، الحق أقول لكم : كما أنه لا يتأتى للإنسان أن يتظر بعيته السماء والأرض معا في وقت واحد ، فكذلك يستحيل عليه أن يحب الله والعالم .

لا يقل رجل أبداً أن يخدم سيدين ، أحدهما على الآخر ، لاته إذا أحب أحدهما أبغض الآخر ، فكذلك أقول لكم حقاً : إنكم لا تقدرون أن تخدموا الله والعالم ، لأن العالم موضوع في النفاق والجشم والخبث .. لذلك لا تجدون راحة في العالم ، بل تجدون بدلاً منها اضطهاداً وخسارة . إذاً فاعبدوا الله ، واحقرموا العالم . إذ متى تعبون الله تجدون راحة لنفسكم .

أصيغوا السمع لكلامي ، لأنني أكلمكم بالحق » {بر ١٦ : ١ - ١٢}

واقرأ هنا النص من الجليل متى :

« لا يقدر (٢) أحد أن يخدم سيدين ، لاته إما أن يبغض الواحد ، ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » {متى ٦ : ٢٤}

(١) روى متى عن هذا التجليد : « متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده ، عند تمجيد كل شئ ، فالتجليد لحمد صاحب ملكوت السوابات {مت ١٩ : ٢٨} وهو تمجيد الشريعة .

(٢) ورد هنا النص في الجليل ترجمة القبط

اترا هنا النص من الجيل لوقا :

« لا يقدر خادم أن يخدم سيدين ، لاته إما أن يغفل الواحد ويحب الآخر أو يلام الواحد ويحتقر الآخر لا تقدرون أن تخدمو الله والمال » { لوكا 16 : 13 }

ملاحظة :

النص في رواية برنابا ، مصدر قوله : « جموع يسع ذات يوم تلاميذه ، وصعد إلى الجبل ... »

والنص الذي أورده متى وهو : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ... » هو من خطبة المسيح على الجبل ، وبذاتها : « ولا رأى الجموع صعد إلى الجبل ، فلما جلس ، تقدم إليه تلاميذه ، ففتح فاه ، وعلمه قائلًا ... »

نمت الملاحظة .

وعلى ضوء ما ذكرناه من النصوص ، نعيد السؤالين :

١- ما هي المناسبة بين صوم بنى العرس وصوم تلاميذ المعبدان والفرسانيين ؟

٢- وما هي المناسبة بين الرقعة الجديدة وبين الصيام ؟

غرض المسيح :

وغرض المسيح : هو أن بين الناس أن علماء بنى إسرائيل قد ملأوا قلوبهم بتعاليم فاسدة . أكبرها استعدادهم لرفض محمد ﷺ في حالة ظهوره وأنت يا أتباعي يجب عليكم تغيير ما في قلوبكم وذلك بوضع تعاليم الجديدة مكان التعاليم الفاسدة . وأكبرها هو استعدادكم لقبول محمد في حالة ظهوره . وفي اليهود منافقون يضعون التعاليم القديمة مع الجديدة ، وذلك لانتفاعهم بالدنيا وزيتها . أما أنت فلا أريد لكم النفاق . إما الله وإما المال .

والدليل على أن عيسى عليه السلام يعني بالتعاليم الجديدة : الاستعداد لقبول محمد رسول الله : ١ - هو أن خطبته على الجبل تبدأ بالحديث عن ملوكوت السموات . وهو الملوكوت الذي أنبأ دانيال بأنه سيتأسس بعد مملكة الروم . ذلك قوله : « ولا رأى الجموع صعد إلى الجبل ، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ، ففتح

فاه وعلمهم فائلا : طوبي للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات... {متى ٥ : ١ + } «ورفع عنبه إلى تلاميذه وقال : طوباكم أيها المساكين ، لأن لكم ملكوت الله... » {لور ٦ : ٢٠ + } ٢ - ونسب التجديد إلى ابن الإنسان صاحب ملكوت السموات فقال : «متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شئ ... » {متى ١٩ : ٢٨ }

وغرض معرفى الإنجيل :

هو أن يحيى عليه السلام وهو يشير بمحمد عليهما السلام قال لعلماء بنى إسرائيل : «أنت نفسكم تشهدون لي : أني قلت لست أنا المسيح^(١) ، بل إنّي مرسل أمامه ، من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فإنه يفرح فرحا من أجل صوت العريس . إذاً فرحي هنا قد كمل ، ينبغي أن ذلك يزيد ، وأنّي أنا أنقض .

الذى يأتي من فوق ، هو فوق الجميع والذى من الأرض ، هو أرضى ومن الأرض يتكلّم . الذى يأتي من السماء هو فوق الجميع ، وما رأه وسمعه ، به يشهد ، وشهادته ليس أحد يقبلها ، ومن قبل شهادته ، فقد ختم أن الله صادق ، لأن الذى أرسله الله ، يتكلّم بكلام الله ، لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح .

الأب يحب الابن ، وقد دفع كل شئ في يده . الذى يؤمّن بالابن ، له حياة أبدية ، والذى لا يؤمّن بالابن ، لن يرى حياة ، بل يمكث عليه غضب الله » {لور ٣ : ٢٨ - ٣٦ }

البيان :

- ١- أنه ليس هو المسيح المرتقب ، النبي الأمى الذى إلى العالم {أث ١٨} الذي هو محمد رسول الله عليهما السلام .
- ٢- لقبه بالعروس .
- ٣- يرثنا المعدان هو صديق العريس . الذي يفرح لقدمه .
- ٤- صرخ المعدان بمحمد بلقب «الابن» حسب نبوءة المزמור الثاني عليه .

(١) راجع كتابنا «المبا المتظر» نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

٥- من لا يؤمن بالابن سيمكت عليه غضب الله .

ومحرف الإنجيل وضع عبارة «هل يستطيع بنو العريس أن ينوجوا ما دام العريس معهم ، ولكن ستائى أيام حين يرفع العريس عنهم ، فحيثتد بصومون» لبيان أن «العرис» هو عيسى عليه السلام وأنه سيরفع على الصليب ويقتل ويصلب .

يقول مفسرو الإنجيل برئاسة فرنسيس دافيلسن :

«حين يرفع العريس عنهم » عدد ١٥ هذه إشارة إلى موته هو ، وصعوده . في عدد ١٦ ، ١٧ المينا العبر عنه : هو أن يسع المسيح قد جاء ليأتى بتدبر الله جديد كلية ، لا يمكن أن ينسجم مع صورة التدبر اليهودي القديم . إن حكم الناموس ينبغي أن يتبع حتى يكون للنعمة تصرف حرّ»

والرد عليه : هو أن المسيح لم يمت ولم يصلب ، لأن الفرق من موته وصلبه عندهم هو التكبير عن خطيئة آدم ، وفي سفر الحكمة أن آدم تاب وتاب الله عليه ، وأنقذه من رله . ذلك قوله : «والحكمة هي التي خلصت كل من أرضها برب منذ البدء . هي التي حفظت أول من جبل لها للعالم لما خلق وحده وأنقذته من رله ، وأنته قوة ، ليسلط على الجميع » { حك ٩ : +١٩ }

وليسأل بعد ذلك عن تدبره الإلهي الجديد ما هو ؟ هل هو شريعة مستقلة عن شريعة موسى ؟ كلا فإنه قد قال بصريح العبارة : « لا نظنوا أنني جئت لانقض الناموس » فالتدبر الإلهي إذاً هو التربة التي دعا إليها . وهي تغيير العقلية عن النبي الأمي الآتى .

الفصل الرابع

من أمثال ملوكوت الله في الإنجيل

تمهيد :

مثل الكرامون الأردياء أو القتلة :

في رواية لوقا :

«غرس رجل كرما ، فأجره بعض الكرامين ، وسافر مدة طويلة ، فلما حان وقت الشمر ، أرسل خادما إلى الكرامين ، ليؤدوا إليه نصيبه من ثمر الكرم ، فضربه الكرامون وصرفوه فارغ اليدين ، فارسل خادما آخر ، وذاك أيضا جرّحه وطردوه .

فقال رب الكرم : ما أصنع ؟ سأرسل ابن الحبيب ، لعلهم يهابونه ، فلما رأه الكرامون ، تشاوروا فيما بينهم قائلين : هو ذا الوارث ؛ فلقتله ، ليعمود الميراث إلينا ، فالقوه في خارج الكرم ، وتلوه .

فماذا يفعل بهم رب الكرم ؟ سيأتى وبذلك هؤلاء الكرامين ، ويُعطى الكرم لأخرين فلما سمعوا ذلك قالوا : حاش ، فحقّ إليهم وقال :

فما معنى هذه الآية : «الحجر الذي رنله البنامون : هو الذي صار رأس الزاوية » كل من وقع على ذلك الحجر : تهشم ، ومن وقع عليه هذا الحجر ، حطمته ؟ فحاول الكتبة وعظماء الكهنة أن يسيطرّوا أيديهم إليه في تلك الساعة ، لكنهم خافوا الشعب ، فقد أدرکوا أنه بهم عرض في هذا المثل »

مثل الكرامون الأردياء أو القتلة :

في رواية مرتضى :

«وأخذ يكلّمهم بالآمثال ، قال : غرس رجل كرما ، فسيجه ، وحفر فيه معصرة ، وبنى برجا ، وأجره بعض الكرامين ، ثم سافر ، فلما حان وقت الشمر ، أرسل خادما إلى الكرامين ، ليأخذ منهم نصيبه من ثمر الكرم ، فامسكوه وضربوا وأرجعواه فارغ اليدين ، فارسل إليهم خادما آخر ، وهذا أيضا شجوا رأسه وأهانوه ، فارسل آخر ، وهذا أيضا قتلوه ، ثم أرسل كثيرين غيرهم ، فضربوا

بعضهم، وقتلوا بعضهم : فبقي عنده واحد ، وهو ابنه الحبيب ، فأرسله إليهم آخر الأمر ، وقال : سيهابون أبني ، فقال أولئك الكرامون بعضهم البعض : هو ذا الوراث ، هلموا نقتله : فيكون الميراث لنا ، فامسکوه وقتلوه ، والقوه فى خارج الكرم ، فماذا يفعل رب الكرم ؟ يأتي وبهلك الكرامين ، ويُعطي الكرم لآخرين ، أو ما قرأت : «الحجر الذى رذله البناءون : هو الذى صار رأس الزاوية ، من عند رب كان ذلك وهو عجيب فى أعيننا » فحاولوا أن يمسکوه ، ولكنهم خافوا الجمع ، وكانتوا قد أدركوا أنه يُعرض بهم فى هذا المثل ، فتركوه واتصرفوا »

لاحظ :

١- من هم المتهمنون بعدم إخراج الشمار التى يتظاهرها الله ؟ والمراد بإخراج الشمار : هداية الأمم إلى الله ، ودخولهم فى الإسلام على شريعة موسى عليه السلام ، هل المتهمنون هم بنو إسرائيل جمِيعاً ، أم هم علماء بنى إسرائيل ؟ إن المتهمنين هم علماء بنى إسرائيل ، ويعتَلُهم فى النص : عظيم الكهنة ، والكتبة ، والشيوخ { الآية ١٢ ، وراجع ١٤:٥٣ و ٢٧:١١ }

٢- ما هو المراد بالحجر المرفوض من البناءين ؟

إن داود عليه السلام فى سفر التزبور ، قال مزمورا عن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم هو للزومر المثة والثامن عشر ، وجاء فيه : «الحجر الذى رذله البناءون ..» كتابة عن أن المرفوض من بنى إسرائيل هو الذى سيكون إماما وقائدا .

٣- ما هو الابن فى النص ؟

٤- لماذا لم يذكر برتايا فى روایته وجود الابن وقتله ؟

٥- ذكر لوقا أنهم ثلاثة .

٦- فى إنجيل مرقس ١٢ : ٨ يُقتل الابن ، ويُلقى فى الخارج ، وفي متى ولوقا : يُلقى فى الخارج ، ويُقتل .

٧- انفرد لوقا بذكر احتجاج العلماء على نزع الملكوت من بنى إسرائيل ، بقولهم : حاش .

وقد بينا : أن ملكوت الله هو سيادة شريعته على المؤمنين به من جميع

الام، وأن الدعاء إلى ملكته في البدء هم بنو إسرائيل بشرعية موسى عليه السلام، وفي شريعته : أن بنى إسماعيل سيدعون إلى الله من بعدهم ، وأن النبي الذي سيظهر فيهم مثل موسى ، سيعطيه الله سلطانا ومجدا وملكتا ، لتخضع الأمم لشريعته ، وأن سلطانه سلطان أبي ما لن يزول ، وملكته مالا ينقرض . وعبر بالسلطان عن الملك ، وعبر بالملكت عن الشريعة ، وأوضحت جميع الأنجليل ، أن المسيح عيسى عليه السلام قال لعلماء بنى إسرائيل : إن السبب في نزع الملوك منكم : هو أنكم تقتلون أئياء الله ، ولا تحكمون بالعدل ، ولا تشررون شريعة الله بين الأمم .

وأوضحت جميع الأنجليل : أن المسيح عيسى عليه السلام أظهر حقيقة الملوك القديم ، والملوك الجديد ، وقال : إن ملكتوت الله قريب ، واقتبس عبارات من نصوص التوراة وأسفار الأنبياء عن النبي الأمي الأكثى ، ووضعها في الأمثال التي ضربها عن مجن ملكتوت الله ، ووضعها أيضاً في خطبه ووعظه وحديثه عنه .

و سنذكر من أمثاله أمثالاً ، وسنوضح معزاها ومرماها :

{ تم التمهيد }

مثل الزارع :

«خرج الزارع ليزرع زرعه ، وفيما هو يزرع ، سقط بعض على الطريق ، فانداس ، وأكلته طيور السماء وسقط آخر على الصخر ، فلم ينبت ، جفّ ، لأن لم تكن له رطوبة ، وسقط آخر في وسط الشوك ، فنبت معه الشوك وخنقه ، وسقط آخر في الأرض الصالحة ، فلم ينبت ، صنع ثمراً ، منه ضعف . قال هذا ، ونادي: من له أذنان للسمع فليسمع .

فقاله تلاميذه قائلين : ما عسى أن يكون هذا المثل؟ فقال : لكم قد أعطيت أن تعرفوا أسرار ملكتوت الله ، وأما للباقين ، فبأمثال ، حتى إنهم مبصرؤن لا يصرؤن ، وسامعين لا يفهمون ٖ »

وملما هو المثل :

الزرع : هو كلام الله ، والذين على الطريق : هم الذين يسمعون ثم يأتى

إيليس ، ويترع الكلمة من قلوبهم ؟ لئلا يؤذنوا ، فيختلصوا ، والذين هم على الصخر : هم الذين متى سمعوا ؟ يقبلون الكلمة بفرح ، وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون إلى حين ، وفي وقت التجربة يرتدون ، والذى سقط بين الشوك : هم الذين يسمعون ، ثم يذهبون ، فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمرا ، والذى فى الأرض الجيدة : هم الذين يسمعون الكلمة، فيحفظونها فى قلب جيد صالح ، ويشرون بالصبر. وليس أحد يوقن سراجا ، ويفطنه إلاته أو يضعه تحت سرير ، بل يضعه على منارة لينظر الداخلون النور ، لأنه ليس خفي لا يُظهر ، ولا مكتوم لا يُعلم ويُعلن ، فانظروا كيف تسمعون ؟ لأن من له ؛ سيُعطى، ومن ليس له ، فالذى يظنه له^(١) ، ويؤخذ منه ؛ { لو ٨ : ٥ - }

الشرح والبيان :

البنا : - وهو كلامه - عليه السلام - وكلام علماء بنى إسرائيل الذين آمنوا به عن ملكوت الله - :

- ١- سقط منه بعض على الطريق من قبل أن يوضع في الحقول .
- ٢- سقط منه بعض على الأرض الصخرية .
- ٣- سقط منه بعض على الشوك ، و على من لم تهـيـ جـيـداً لـلـزـرـاعـة ، وفيها شوك وحسـك وعـشـبـ كـبـيرـ .
- ٤- سقط منه بعض على الأرض الجيدة الصالحة للزراعة .

والذى يسقط على الطريق ، يشبه العلماء الذين يسمعون كلام الله عن المـلـكـوتـ الملـقـىـ إـلـيـهـ منهـ ، أو بـوـاسـطـةـ الـحـوارـيـنـ ، ثـمـ يـصـرـفـهـمـ «إـيلـيـسـ» عن الاهتمام به ، والـدـعـوـةـ إـلـيـهـ . وهـؤـلـاءـ لـاـ يـاتـونـ بـشـرـ ؟ لـاـ نـهـمـ لـاـ يـجـذـبـونـ غـيـرـهـمـ إـلـىـ الـمـلـكـوتـ ولاـ يـهـتـمـونـ بـهـ .

والذى يسقط على الأرض الصخرية ، يشبه العلماء الذين يسمعون كلام الله عن المـلـكـوتـ ، ويـتـحـمـسـونـ لـلـدـعـوـةـ بـهـ ، وـإـذـاـ أـوـذـنـواـ فـيـ اللـهـ ، يـتـرـكـونـ الـكـلـامـ وـلـاـ

(١) قال الله تعالى : «وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ» فـنـ شـانـ مـحـمـدـ «وـإـنـ هـمـ إـلـاـ يـثـنـونـ» انـ النـبـيـ الـأـمـيـ الـأـنـيـ سـيـكـرـنـ مـنـ الـيـهـودـ .

يدعون به ، خوفا من الأذى ، وهم لا يأتون بشر ؛ لأنهم خافوا من الناس ، فلم يدعوا .

والذى يسقط بين الشوك ، يشبه العلماء الذين يسمعون الكلام ، ويدعون به ، ثم يشغلون بالسعى على الأرزاق ، ويهتمنون به ، أكثر من اهتمامهم بالدعوة ، ثم تأتى عليهم أيام ينسون فيها كلام الدعوة إلى الملائكة ، ويجذلون في الحياة الدنيا ، فسيكونون مع المال ، ولا يكونون مع الله ، وهم لا يأتون بشر ؛ لأنهم تركوا الدعوة .

والذى يسقط على الأرض الجيدة ، يشبه العلماء الذين يسمعون كلام الله ، وينادون بها ، وتحمرون الأذى فى سبليها ، وهم لا يأتون بشر كثير ، إذا صبروا على الدعوة ، ولم يخافوا من الناس .
ومراده بالشر : إيمان الكثرين بدعاوتهم .

ثم قال عيسى عليه السلام :

إن الملائكة الآتى مع النبي الآتى ، هل سيكون فى بنى إسرائيل أم فى بنى إسماعيل ؟

إن بنى إسرائيل يظنون أنه سيكون فىهم ، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، وهو لن يكون فىهم ، لأن الله تعالى سيضعه فى موضعه .

ووجه الاستدلال من هنا المثل :

أنه يتكلم عن «ملائكة الله» ، الآتى من بعده ، ويقول : إن كلامي عن الملائكة الآتى : من الناس من يقبله ، ومن الناس من لا يقبله . ثم يطلب من أتباعه : أن يتفرغوا للدعوة الناس إلى الدخول في الملائكة من الآن ، وإذا ما جاء ، وأن يتحملوا الأذى في سبيل الدعوة ، لأن بنى إسرائيل لا يرثونه في بنى إسماعيل عليه السلام ، يوضح هنا : أنه قال لواحد من بنى إسرائيل : اتبعنى ، فقال له : يا سيد ، ائذن لي أن أمضى أولا ، وأدفن أباى ، فقال له يسوع : دع الموتى ، يدفون موتاهم ، وأما أنت فاذهب وناد بملائكة الله ، وقال آخر أيضاً : أتبعك يا سيد ، ولكن ائذن لي أولا : أن أرفع الذين في بيتي ، فقال له يسوع :

ليس أحد يضع يده على المحراث ، وينظر إلى الوراء ، يصلح للملكوت الله» [لو ۵۹:۹]

وقال للدعاة إلى الملكوت : اتركوا أموالكم ، وهاجروا في سبيل الله ، ولا تهتموا بالأكل ولا الشرب ، فإن الله سيعولكم .

وقد ظن كثيرون : أنه ينادي الناس جميعاً بالزهد في الدنيا . وهذا ظن باطل ، وذلك لأنه لا ينادي كل الناس بالزهد فيها وإنما هو يخص صنفاً من سبط لاوي ، الذين هم علماء بنى إسرائيل ، للدعوة معه إلى اقتراب ملكوت الله ؛ لأنهم مثله في معرفة نبوءات التوراة عن النبي الآتي ، وإذا دخلوا بلداً فيها يهود ، يتكلمون عن الملكوت بنبوءات التوراة عنه ، ويقول لهم : إن اليهود سيطردونكم من أجل « ابن الإنسان » من الوظائف الدينية ، فلا تهتموا بهم ، فإن الله سيعطيكم من فضله ، كما أعطى آباءكم المن والسلوى من قبل ، في زمان النبي الله موسى .

«وقال لتلاميه : من أجل هذا أقول لكم : لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون ، ولا للجسد بما تلبسو ، الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس ، تأملوا الغربان ، إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن ، والله يُقْبِلُها ، كم أنتم بالحرى أفضل من الطيور ؟ ومن منكم إذا اهتم بقدر أن يزيد على قامته ذرعاً واحدة ؟ فإن كتم لا تقدرون ، ولا على الأصغر ، فلماذا تهتمون بالبراق ؟ تأملوا الزنابق كيف تنمو ؟ لا تتعب ولا تنزل ، ولكن أقول لكم : إنه ولا سليمان ، في كل مجده كان يلبس كسواحلة منها ، فإن كان العتب الذي يوجد اليوم في الحقل ، ويُطرح غداً في التُّور ، يُلْبِسَ الله هكذا ، فكم بالحرى يُلْبِسُكم أنت يا قليلي الإيمان .

فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون ، وما تشربون ، ولا تقلقا ، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم ، وأما أنتم فابركم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه ، بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه تُزاد لكم»

وبين عيسى عليه السلام : أن ملكوت الله ليس له ، وإنما هو لغيره ، من بعده ، فقد روى لوفا : أنه عيّن سبعين بعد الاثنتي عشر ، وأرسلهم للدعوة إلى اقتراب ملكوت الله ، وميّز عليه السلام بين أ - الداعي ب - والمدعى ، وقال : إن

الدعاة قليلون ، وإنهم لو كثروا وأخلصوا : لأنم كثيرون بما يقولون .

«وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضاً ، وارسلهم اثنين ، اثنين ، أمام وجهه ، إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي ، فقال لهم : إن الحصاد كثير ، ولكن الفعلة قليلون ، فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده ، اذهبوا ، ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب ، لا تحملوا كيساً ، ولا مزوداً ولا أحذية ولا تسلّموا على أحد في الطريق ، وأيُّ بيت دخلتموه ، فقولوا أولاً : سلام لهذا البيت ، فإن كان هناك ابنُ السلام ، يحلّ سلامكم عليه ، وإن فيرجع إليكم ، واقسموا في ذلك البيت أكلين وشاريين مما عندهم ، لأن الفاعل مستحق أجره ، لا تستقلوا من بيت إلى بيت ، وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم ، فكثروا ما يقدم لكم ، وشفوا المرضى الذين فيها . وقولوا لهم : قد اقترب منكم ملوكوت الله ، وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم ، فاخرجوا إلى شوارعها ، وقولوا : حتى الغبارُ الذي لصق بنا من مدحبيكم ، تنقضه لكم ، ولكن اعلموا هنا : أنه قد اقترب منكم ملوكوت الله ... » إلو ١٠ : ١ - ٦ }

وفي إنجيل بَنَابَا : اثنان وسبعون ، وفي ترجمة دار المشرق : «وبعد ذلك أقام الرب اثنين وسبعين» حسب النص اليوناني ، لا النص العبرى الذى يترجم بـ «سبعين» ولماذا كثبا : أنه كان للمسيح اثنا عشر ثم كان له سبعون ؟ لأنهم يريدون كتاباً تشبيهه بموسى عليه السلام وذلك لأن موسى كان ملكاً على أسباط بنى إسرائيل الاثني عشر ، وقال : إن نبياً مثل سياطى ليقيم الدين ، وهو يعني به : نبياً من إخوتهن بنى إسماعيل ، وهم يريدون تطبيق قوله على عيسى عليه السلام ليختتموا به النبوة في بنى إسرائيل إلى الأبد ، فلذلك نسبوا له اثنا عشر حوارياً ، كما كان لموسى اثنا عشر سبطاً ، وموسى لما صعد إلى جبل طور سبأه لتلقي الشريعة كان معه سبعون من مشائخ بنى إسرائيل ، وقد جعلوا لعيسى نفس العدد ، ليقولوا : إن عيسى هو المائل لموسى ولا نبي بعده .

الصلة لله من أجل الملوك :

وطلب عيسى عليه السلام من أتباعه أن يصلوا لله تعالى : وأن يقولوا في صلواتهم لله : «اللآتِ ملکوتک» كما كان يعلم الأنبياء : أن الله سينصرهم ، سواء دعوه أن ينصرهم ، أم لم يدعوه ، ومع ذلك كان الواحد منهم يقول : «اللهم

فنصرك الذي وعدتنى » وقولهم لله : «**اللِّيَاتُ مُلْكُوكُتُكُ**» هو دليل على ظهور الملائكة من بعده ، وهو دليل أيضاً على أن الملائكة إذا ما ظهر ، وصلى مصلى وقال : «**اللِّيَاتُ مُلْكُوكُتُكُ**» فإن صلاتهم تكون باطلة ، لأنها تكون في غير زمانها ووقتها .

فقد روى لوقا : «وإذ كان يصلى في مرضع ، لا فرغ ، قال واحد من تلاميذه : يا رب ، علمنا أن نصلى ، كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه ^(١) ، فقال لهم : متى صليتم فقولوا : أبانا الذي في السموات : ليتقدس اسمك ، ليات ملائكتك لتكن مشيتكم ، كما في السماء كذلك على الأرض ، خيرتنا : كفانا ، أعطنا كل يوم ، واغفر لنا خططيانا ، لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا في نعيمية ، لكن نحننا من الشرير» [لو 11 : 1 - 4] .

مثل الوكيل الأمين :

وهو مثل بين أن ملائكة الله قريب ، وغير عن قربه

أ - بقوله عليه السلام : «لا تکملون مدن إسرائيل ، حتى يأتي ابن الإنسان»
كتابة عن سرعة مجته ، واقتراض زمانه .

ب - ويقوله «لا تخاف أيها القطيع الصغير : لأن أباكم قد سرّ أن يعطيكم الملائكة» وفي ترجمة : «لا تخاف أيها القطيع الصغير : فقد حسن لدى أباكم ، أن ينعم عليكم بالملائكة»

يريد أن يقول : أن الملائكة سيدركه الصغار ، لأنه سيظهر لهم في حالة الكبر . وذلك كتابة عن انتزاع زمانه . ولذلك جاء في بعض الاناجيل : «ليات ملائكتك فينا» أي لندركه ، ونتمتع بخيراته ، وجاء في الجليل لوقا : «وبينما هم يُصطفون إلى هذا الكلام ، أضاف إليه مثلاً ، لأنه قرب من أورشليم ، وكانوا يظنون أن ملائكة الله يوشك أن يظهر في ذلك الحين» [لو 19 : 11] وجاء في سفر الأعمال : أن الحواريين كانوا يتظرون الملائكة عاجلاً [أع 6:1]

واستعارة الخراف هذه مألوفة في التوراة ، لتمثيل بنى إسرائيل بأنهم شعب الله ، والمسيح يتحدث بلغتهم . فلذلك عبر عن الصغار بالخراف [تك 15:48] هو

(١) لاحظ : كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه

١٦:٤ و ١٣:٦٤ ص ٢٧-٦٢ و ١٤:٧ ص ٣١-١٠ و ١٩:٥ حز
٣٤ إيش ١١:٤٠ و ١٠:٩٤٩ طبقها المسبح على بني إسرائيل في مت ٩:٣٦ من
٦:٣٤ وعلى اليهود الخاطئين في مت ١٠:٦ و ١٥:٢٤ ولو ١٥:٦ وعلى فريق
اللاميذ مت ٣١:٢٦ من ٢٧:١٤ يو ١:١٦١

ولأنه قال : «لا تخف أيها القطيع الصغير : لأن أباكم قد سر أن يعطيكم
الملكت » والملكت حسب كلام النصارى لم يظهر بعد ، تجد مفسرى الانجيل
متعبرين في إيجاد معنى لهذا القول .

كان علماء بني إسرائيل يزعمون : أن الملكت سيظهر في بني إسرائيل ،
ويضطهدون من يقول بظهوره في بني إسماعيل ، وكان عيسى عليه السلام يعمل
المعجزات أمامهم ، ليبين لهم : أنه رسول من الله ، وهو قد أرسله ليقول : إن هذه
الملكت سيظهر في بني إسماعيل ، ومن أجل ذلك اضطهدوه ، وقالوا له : إن هذه
المعجزات التي تعملها ليست من الله ، وإنما هي من الشيطان الرجيم الذي نلقبه
«بعل زبول» ورد عليهم بقوله : إن كنتُ أعمل المعجزات بواسطة بعل بول : فإن
ملكت الله لن يأتي فيكم ، ولا في غيركم ، وإن كنت أنا أعملها بواسطة الله ،
فإن كلامي عن الملكت صحيح ، فانتظروا ، وتأملوا فيه إذا جاء ، واحكموا أنتم ،
حال ظهوره في كلامكم ، ثم قال : إن الشيطان إذا حلَّ في جسد رجل
أوجسَ امرأة ، فإنما يحلَّ فيه لإرهاقها وهذه فواه ، وهذا هو غرض الشياطين من بني
آدم ، فلو أتني استعنتُ بشيطان على إخراج شيطان ، لبطل غرض الشياطين ،
وانقسموا على أنفسهم ، هذا يحلَّ فيه للضرر ، وهذا يريد إخراجه منه للنفع ،
ومملكة الشياطين قائمة على الضرر ، لا على النفع ، وإذا انقسم الشياطين على
أنفسهم ؛ بطل عملهم .

يقول لوقا : «وكان يخرج شيطاناً ، وكان ذلك أخرس ، فلما أخرج
الشيطان ، تكلم الآخرين ، فتعجب الجموع ، وأما قوم منهم فقالوا : ييعزز بول
رئيس الشياطين : يُخرج الشياطين . وأخرون ، طلبوا منه آية من السماء ،
يُجرِّبونه ، فعلم أفكارهم ، وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها ، تخربُ ،
وبيت منقسم على بيت ، يسقط ، فإن كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته ، فكيف
ثبتُ مملكته ؟ لأنكم تقولون : أني ييعزز بول أخرج الشياطين ، فإن كنت أنا ييعزز

بول أخرج الشياطين ، فابناؤكم من يُخْرِجُون ؟ لذلك هم يكونون تضائلكم ، ولكن إن كنت يا صبيح الله أخرج الشياطين ، فقد أتبل عليكم ملكتوت الله» {لو ١٤: ١١ - ١٥} وفي رواية متى : «ولكن إن كنت أنا بروح الله ، أخرج الشياطين ، فقد أتبل عليكم ملكتوت الله» {مت ١٢: ١٧}

ودوح الله وأصبع الله يعني واحد . وهو الكتابة عن قدرة الله .

نص مثل الوكيل الأمين :

«لتكن أحقاؤكم مُمنطقة ، وسرّجكم مُوقلة ، وانتم مثل أناس يتظرون سبلهم ، متى يرجع من العرس ، حتى إذا جاء وقع ، يفتحون له ، للرقت ، طوبي لا ولنك العبيد الذين إذا جاء سيدهم : يجدهم ساهرين ، الحق أقول لكم : إنه يتمنطق ويُتكتّهم ، ويتقدم ويخلدهم ، وإن أتي في الهزيع الثاني ، أو أتي في الهزيع الثالث ، ووجدهم هكنا ، فطوبى لا ولنك العبيد ، وإنما اعلموا هنا : أنه لو عرف رب البيت في آية ساعة يأتي السارق ، لسره ولم يدع بيته يُتقب ؟ ف تكونوا أنتم إذاً مستعدين ، لأنه في ساعة لا تظنوون ، يأتي ابن الإنسان .

فقال بطرس : يا ربُّانا تقول هنا المثل ، أم للجميع أيضاً ؟

قال رب : فمن هو الوكيل ، الأمين الحكيم الذي يُقيمه سيده على خدمه ، ليعطيهم العلّوة في جيتها ؟ طوبى لذلك العبد ، الذي إذا جاء سيده ، يجلده بفعل هكنا ، الحق أقول لكم : إنه يُقيمه على جميع أمواله ، ولكن إن قال ذلك العبد في قلبه : سيدى يطعن تدومه ، فيتدنى بضرب الغلام والجواري ويأكل ويشرب ويسكر ، يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا يتظره ، وفي ساعة لا يعرفها ، فيقطنه ويجعل نصيه مع الخاتين ، وأما ذلك العبد الذي يعلم إرادة سيده ، ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته ، فيُضرب كثيراً ، ولكن الذي لا يعلم ويفعل ما يستحق ، ضربات يُضرب قليلاً ، فكل من أعطى كثيراً ، يطلب منه كثير ، ومن يُودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر » {لو ١٢: ٣٥ - ٣٦}

مفزي المثل :

واضح من قوله : «فكونوا أنتم إذاً مستعدين ، لأنه في ساعة لا تظنوون يأتي ابن الإنسان» أن «ابن الإنسان» هو صاحب ملكتوت الله ، والوكيل الأمين : رمز

للعالم الذى لا يخون دينه ، ويعلم عن الملوك باجتهد شديد .

والسيد : رمز للنى الآتى صاحب ملوكوت الله .

والعبد الكافر الذى لا يؤمن بظهور الملوكوت : رمز لعلماء اليهود الخونة .

والعبد الكسان : رمز للذى يعلم ، ولا يعلم .

وقد ذكر متى هذا المثل وهو يتحدث عن علماء مجئ ابن الإنسان ، ولم يذكر فيه شيئاً عن العبد الكسان ، ولم يذكر سؤال بطرس ، ومن أول : «أما ذلك العبد» إلى آخر النص غير موجود في متى ، وذكر متى بعده مثل العناري العشر ومثل الرزنات ، وهما للاستعداد لمجيء الملوكوت .

مثل الشجرة الجدباء :

«وقال هذا المثل : كانت لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه ، فأتى يطلب فيها ثمرا ، فلم يجد ، فقال للكرم : هو ذا ثلاثة سنين آتى ، أطلب ثمرا في هذه السنة ولم أجد ، إنقطعها ، لماذا تُطلِّل الأرض أيها ؟ فأجاب وقال له : يا سيد ، اتركها هذه السنة أيضا ، حتى أثنيب حُرْلَها ، وأفعع زيلا ، فإن صنعت ثمرا ، وإن قفيما بعد : إنقطعها» [لو 13: 9- 12]

البيان :

هذا المثل عودة إلى الإنزال الذى سبق أن وجهه لعلماء بنى إسرائيل هو ويوحنا المعمدان ، في قوله : «ما من شجرة جيدة تمر ثمرا رديا ، ولا شجرة ردية تمر ثمرا جيدا ، لأن كل شجرة تُعرف من ثمرها ، فإنهم لا يجتنون من الشوك تينا ، ولا يقطفون من العلائق علينا» [لو 2: 3 - 4] «فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقطع وتلقى في النار» [لو 2: 9] وهذا يدل على أنهم لم يقوموا بواجب الملوكوت الأول ، وأنهم لن يكونوا أصحاب الملوكوت الآخر ، ومفرز المثل : هو التوبة والاستعداد لقبول ملوكوت الله الآتى ، ولا يتربوا ، فإنهم يهلكون .

وقال بُرنابا :

إن المسيح حذر المؤرثين من الكل في الدعوة إلى الاقتراب ملوكوت الله ، وقال لهم : إذا تكاسلتم فإن الله وحده هو الذي سيعطيكم الجزاء على الكل «لأن

كل شجرة لا تمر ثمرا صالحًا : تقطع وتلقى في النار»

وقال المسيح : إن . السنة المهملة في شجرة التين ، ستنجى الشجرة من القطع ، لأنها ستر ، وغرضه من ذلك : أن الله لن يهلك علماء بنى إسرائيل في زمانه ، لأن منهم «بقيّة» أمنت به ، ودعت بدعوته ، ونابوا عن الكل في الدعوة ، والدعوة عمل والإنسان مخلوق للعمل ، وإذا لم ي العمل ، فإنه يهلك .

ففي الاصحاح الثالث عشر بعد المئة :

«ولما جاء التلاميذ ، أحضرُوا حقَّ صنوبر ، ووجدوا ياذن الله مقداراً ، ليس بقليل من الرطب ، وبعد صلاة الظهر ، أكلوا مع يسوع ، فلما رأى من ثمَّ الرسل والتلاميذ مع من يكتب عنه كالوحى الوجه ، خشوا أن يكون قد وجب على يسوع الانتصار من العالم سريعاً ، فعزّاهُم من ثمَّ يسوع قائلاً: لا تخافوا ، لأن ساعتى لم تحن حتى الآن ، لكي أنصرف عنكم ، فسامكت معكم زماناً يسيرًا بعدُ ، فلذلك يجب أن أعلمكم الآن - كما قد قلت وسط كل إسرائيل - ليشرروا بالتوبية ، ليرحم الله خطيئة إسرائيل ، وليرث كل أحد الكسل ، وخصوصاً من يستعمل العقوبة البدنية ، لأن كل شجرة لا تمر ثمراً صالحاً ، تقطع وتلقي في النار .

كان لأحد الأهالى كرم ، فى وسطه بستان ، فيه شجرة تين ، ولما لم يجد فيها صاحبها ثمراً - عندما كان يجى - مدة ثلاثة سنين ، ولا كان يرى أن كل شجرة أخرى ، أمرت قال لكرمه : اقطع هذه الشجرة الريدينة ، لأنها تنقل على الأرض.

فأجاب الكرام : ليس كذلك يا سيدى ، لأنها شجرة جميلة ، فقال له صاحب الأرض : صه ، فإنه لا يمكننى الجمال بغير جدوى ، وأنت يجب أن تعرف أن النخل والبلسان ، هما أجمل من التينية ، ولكنى غرستُ سابقاً فى صحن دارى نسيلاً من النخل ، ومن البلسان ، وأحطتها بجلران نفيسة ، ولكنهما لما لم يحملَا ثمراً ، بل أوراقاً تراكمت ، وأفسدت الأرض أمام الدار ، أمرتُ بقتلهما كليهما ، فأغافو إذاً عن شجرة تين بعيدة عن الدار ، تشقق على بستانى ، وعلى كرمى ، حيث كل شجرة أخرى تحمل ثمراً؟ إننى لا أحتملها فيما بعد .

فقال حيتى الكرام : يا سيد إن التربة لخيبة جداً ، فانتظر إذا سنة أخرى ، فإنى أشدّب أغصان شجرة التين ، وأزيل عنها التربة المسعدة ، وأضع تربة فقيرة وحجارة . أجاب صاحب الأرض : فاذهب إذاً ، واقع هكنا ، فإنى متظر ،

وستحمل التبنة ثمرا . أنهمتم هذا المثل ؟ أجاب التلاميذ : كلا ، يا سيد ، فسره لنا .

أجاب يسوع : الحق أقول لكم : إن صاحب الملك : هو الله ، والكرام : شريعته ، فكان عند الله إذا في الجنة النخل والبلسان ، لأن الشيطان هو النخل ، والإنسان الأول هو البلسان ، فطردهما كلديهما ، لأنهما لم يحملوا ثمرا من الأعمال الصالحة ، بل فاما بالفاظ غير صالحة كانت قضاة على ملائكة وأناس كثيرين ، ولا كان الله قد وضع الإنسان في وسط خلائقه التي تعبد كلها بحسب أمره ، فإذا كان كما قلت : لا يحمل ثمرا ، فإن الله يقطعه ويدفعه إلى الجحيم ، لأنه لم يعف عن الملك والإنسان الأول فتكل بالملائكة تكيلاً أبداً وبالإنسان إلى حين . فتقول من شرعة الله : إن للإنسان طيبات أكثر مما يجب في هذه الحياة ، فوجب عليه إذا أن يتحمل الضيق ويحرم من الطيبات العالية ، ليعمل أعمالاً صالحة ، وعليه فإن الله يهلك الإنسان ليتوب ، الحق أقول لكم : إن إلهنا قضى على الإنسان بالعمل ، للغرض الذي قاله أليوب خليل الله ونبيه : « كما أن الطير مولودة للطيران ، والسمك للسباحة ، هكذا الإنسان مولود للعمل »^(١)

وهكذا يقول داود أبوانا نبي الله : « لأننا إذا أكلنا تعب أيدينا ، بُبارك ، ويكون خير لنا »^(٢)

لذلك يجب على كل أحد أن يعمل بحسب صفتة ، لا فقولوا لي : إذا كان أبونا داود ، وابنه سليمان ، اشتغلَا بأيديهما ، فماذا يجب على الخاطئ أن يفعل ؟ {بر ١: ١١٤}

وليس من المصادفة أن يصرخ المثل بينين أربعة ، وذلك لأن الملة من موسى إلى عيسى حسب حسابهم ألف وخمسمائة وأحدى وسبعين سنة ، فالمدة بالتقريب الفان ، لكل خمسمائة سنة ، أعطى بالمثل ستة .

مثل حبة المفردة :

وهو الذي جاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : « ومثلهم في

(١) أليوب ٧: ٥ والنص هو : « ولكن الإنسان مولود للثمنة ، كما أن الجوارح لارتفاع البناء »

(٢) مزمور ١٢٨ : ٢ والنص هو : « لأنك تأكل تعب يديك ، طويلاً ، وخير لك »

الإنجيل كزرع ، أخرج شطته ، فازره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه)
ولم يرد هذا المثل في يوحنًا ويرنابا ، وإنما ورد في متى ومরقس ولوقا ،
ونصه في لوقا هو : «ماذا يُشبه ملکوت الله ؟ وبماذا أثبته ؟ يُشبه حبة خردل ،
أخذها إنسان ، وألقاها في بستانه : فنمّت ، وصارت شجرة كبيرة ، وتأتى طيور
السماء في أغصانها» [لو ۱۳ : ۱۸ - ۱۹]

البيان :

أخذ عيسى عليه السلام تشبّه ملك محمد صلى الله عليه وسلم بالشجرة ،
من التوراة من سفر النبي المعلم دانيال ، ففي تفسيره لحلم «بلطفاصر» الملك ، قال
له : «الشجرة التي كبرت وقويت وبلغ علوها إلى السماء ، ومنظرها إلى كل
الأرض ، وأوراقها جميلة ، وثمرها كثير ، وفيها طعام للجميع ، وتحتها سكن
حيوان البر ، وفي أغصانها سكنت طيور السماء : إنما هي أنت يا أيها الملك الذي
كبرت وتقويت ، وعظمتك قد زادت ، وبلغت إلى السماء ، وسلطانك إلى أقصى
الارض» [دا ۴ : ۲۰ - ۲۲] وأيضاً : هنا التشبّه الذي يدل على قدرة الملوك العظام
موجود في حزقيال ۱۷:۲۳ و ۶:۳۱ وهو يدل على انتشار الملکوت الآتي بين
شعوب العالم . ويقول البصاري : إنه يدل على انتشار الإنجيل بين شعوب العالم ،
وقولهم باطل ، لأن الإنجيل يبشر باتراك الملکوت ، وليس هو كتاب الملکوت ،
فإن للملکوت كتابه المبين على كتاب موسى ، وهو كتاب القرآن الكريم ، والمثل
يبين بدأة الإسلام ونحوه روينا روينا ، حتى ملا الأرض كلها .

أمثال الرحمة للخاطئين :

نهيد :

كان علماء بنى إسرائيل من طائفة الفريسيين ، يكرهون عيسى عليه السلام ،
لأنه خالفهم في أمر النبي المنتظر ولأنه شتمهم لسوء سلوكهم ، وتنكّرهم على
خلق الله ، وكان يقول للحواريين عنهم : «ألا قولوا لي : هل فرِيسْيو اليوم هم
فريسيون؟ هل هم خدم الله؟ لا ، لا ، البتة ، بل الحق أقول لكم : إنه لا يوجد
هنا على الأرض شرّ من أنا يسّر الإنسان نفسه بالعلم ، ووشاح الدين ، ليخفى
» خبته

وحكى لوقا في إنجيله : إن **الفرّيسى** ، كان يتتجنب مخالطة الخطأ والفسقة ، ولا يقترب منهم ، لوعظهم وتخويفهم من الله ، فكان الخطأ يزدادون خطأ ، وكان **الفرّيسى** يخطئ مثلهم خطأين : الخطأ الأول : أنه إذا خلا بنفسه ، وابتعد عن أعين الناس ، سرق وزرنا وعمل كل شر ، والخطأ الآخر : أنه لما ابتعد عن وعظ الخطأ ، تسبب في ترويع الأمنين بالخطأ ، وضياع ثرواتهم ، وأظهر لهم : أنه بخيانته لدینه ، هو معهم في فعل الشر ، لأن من يجرم في واحدة من مناهي الله ، كان قد أجرم في الكل .

ومن كلامه لهم : « أيها الفريسيون ، إنكم تطهرون ظاهر الكأس والصحفة ، وباطنكم متلئ نهبا وخبثا . أيها الأغبياء ، أليس الذي صنع الظاهر قد صنع الباطن أيضاً؟ فصدقوا بما فيهما ، يكن كل شيء لكم ظاهرا .. الويل لكم ، أنتم أشبئ بالقبور التي لا عالمة عليها ، يمشي الناس عليها ، وهم لا يعلمون »

وفي ترجمة أخرى : « أنتم الآن أيها الفريسيون تُنْتَلِون خارج الكأس والقصعة ، وأما باطنكم فملؤوا اخْتَطافَا وَخَبْثَا ، يا أغبياء ، أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضاً ، بل أعطوا ما عندكم صدقة ، فهو ذا كل شيء يكون نقلا لكم .. إلخ { ١١: ٣٩ }

وتنص التوراة على أن رجل الدين إذا قصر في الدعوة ، يحمل ذنبين ، ذنب التقصير ، وذنب مساوى للذنب الخاطئ ، ففي سفر النبي حزقيال :

« إذا قلتُ للشَّرِيرُ : موتاً موتُ ، وما أنتَ أنتُ ، ولا تكلمتَ إنذاراً للشَّرِير من طريقه الرديئة ، لإحياءه ، فذلك الشَّرِير ، يموت بإيمانه . أما دمه ، فمن يدك أطلبه ، وإن أنتَ أنتَ الشَّرِير ، ولم يرجع عن شره ، ولا عن طريقه الرديئة ، فإنه يموت بإيمانه ، أما أنت ، فقد نحيتَ نفسك . والبار إن رجع عن بره ، وعمل إثما ، وجعلتَ معثرة أمامه ، فإنه يموت ، لأنك لم تذره ، يموت في خططيه ، ولا يذكر بره الذي عمله ، أما أنا فمن يدك أطلبه ، وإن أنتَ أنتَ البار من أن يخطئ البار ، وهو لم يخطئ ، فإنه حياة يحيا ، لأنه أنتَ ، وأنتَ تكون قد نحيتَ نفسك » { حز ٣: ١٨ - ٢١ }

اليهود والأمم :

اليهودي العبراني المظاهر بالغيرة على الشريعة ، يكره اليهودي السامری ،

ويكره اليهودي العبراني المظاهر بالفسق ، ويكره الأعنى ، ويكره الإسماعيلي ، ويكره المصري ، والكتعاني ، والأعجمي ، واليوناني والروماني ، ويقول : «ليس علينا في الأميين سيل» أي : يحل لليهودي أكل أموال الأمم ، والاستعلاء عليهم ، والتعدى على حرمتهم ، وهم يُعدون بني إسماعيل عليه السلام من الأمم ، الذين هم في نظرهم كالكلاب النجسة ، ويقولون : إن ملوكوت الله الآتى لن يكون للأمم فيه نصيب ، يعنون : أنه لن يظهر في بني إسماعيل عليه السلام^(١) ويرد النصارى عليهم : بأن الأمم سيكون لهم فيه نصيب ، ولكن صاحبَ الملوكوت سيكون من اليهود ، وهم يعنون بالأمم كل من يدخل في النصرانية سواء أكان من بني إسماعيل أم من اليهود ، أم من العجم ، فكلمة «الأمم» عند اليهود ، في الملوكوت الآتى ، لها معنى ، وهو استبعاد جميع الأمم منه ، وعند النصارى لها

(١) والدليل على أنهم يعنون ببني إسماعيل عليه السلام : هو أن بني إسرائيل كانوا يدعون الأمم بشريعة موسى من أيامه إلى سبب بلبل ، بالجيش المظلمة ، ومن سبب بابل إلى عيسى عليه السلام بواسطة العذاب فقط ، وقد سجل عيسى عليه السلام ذلك في قوله : «تطوفون البر والبر لنكسوا متنيلا واحدا...» فإذا ظهر الملوكوت ليهم فما من الفائدة منه ، وقد كان معهم ملوكوت ولم يقوموا به؟ وإذا ظهر في الأمم ، فلما أن يكون في بني إسماعيل لور في غيرهم ، ولا يمكن أن يكون في غيرهم ، لأن بني إسماعيل يعرفون الله ، ويمظرون الكعبة ، ولهم بركة كبيرة ببني إسرائيل ، ففي التوراة يقول الله تعالى ل Ibrahim عليه السلام : «وأنا إسماعيل ، فقد سمعت لك قي ، ما أنا أبلركه...»

وفي الإنجيل : يقابل الميع بين جيلين ، جيل أبناء الدهر ، وهم اليهود ، وجيل أبناء النور . وهم الإسماعيليون المبارك فيهم .

فيقول :

مثل وكيل الظلم :

«وقال أباً لתלמידه : كان إنسان فس له وكيل ، فتوش به إليه : بأنه يلدرّ أمواله ، فدعاه ، وقال له : ما هذا الذي أسعح حنك ؟ أصط حساب وكالتك ، لأنك لا تقدر أن تكون وكيلًا بعده إلى أن قال : «فندح السيد وكيل الظلم إذ بحكمة فعل . لأن أبناء هذا الدهر حكم من أبناء النور في جيلهم » ثم قال : «ولما أتوك لكم : اصتنعوا لكم أصدقاء بحال الظلم ، حتى إذا فتيتم يقبلونكم في المظل الابدية ، الامهـنـ في القليل : أمن أباً في الكثير ، والظلم في القليل ، ظالم أباً في الكبير ، فإن لم تكونوا أبناء في مل الظلم ، فمن ياتكم على الحق ؟»^{١٦}

معنى ، وهو دعوة الأمم إليه في المسيح ، والكل يتفق على أمرين : الأمر الأول : أن صاحب الملوك الآتي سيكون من بنى إسرائيل ، سواء أكان هو المسيح عيسى أم غيره ، والأمر الآخر : أن اليهود يريدون استبعاد الأمم من الدخول في دين النبي الآتي صاحب الملوك ، وأن النصارى لا يستعملونهم .

وعلى هنا ، فإنه إذا قال عيسى عليه السلام لليهود : إن ملوكوت الله يتزع منكم ، ويعطى لامة غيركم تقوم به ، وتهوى إلية الأمم ، يقول اليهود : حاشا ، أى لن يكون ذلك ، لأنهم يعلمون أن مراده بالامة الأخرى : امة بنى إسماعيل ، لا جميع الأمم ، ويقول النصارى : حقا إن الملوك سيعطى لامة أخرى : لكنها ليست امة بنى إسماعيل ، بل جميع امم الأرض . فالكل متفق على إبعاد الملوك عن بنى إسماعيل ، والصافه باليهود بهتانا وزورا .

وعلى هذا المعنى ، يشرح النصارى الإنجيل ، و يجعلون المقابلة بين بنى إسرائيل والأمم ، ويرسمون المسلمين ، و يجعلون المقابلة بين بنى إسرائيل وبين إسماعيل فقط ، ثم وهم يلزمون النصارى بما يألفون ويعتقدون .

يقولون لهم : سنجعل المقابلة بين بنى إسرائيل والأمم ، فإن بنى إسماعيل من الأمم ، وينو إسماعيل والأمم - عندكم - سواء في الفسال ، من قبل محمد صاحب الملوك ، وهذا من المسلمين استدراج لهم بما يألفون ويعتقدون ، وفي الحقيقة يجعل المسلمين المقابلة بين اليهود وبين الإسماعيليين فقط ، ويوضح هذا :

مثل الابن الضال ، فهو بين أنه كان لاب ولدان ، أحدهما : ترك بيت أبيه وأسرف على نفسه ، والأخر بقي معه وكان معتلا ، ولا تاب المسرف ورجع إلى أبيه ، فرح به ، ولم يفرح برجوعه الابن ، وهذا المثل يوضح أن الله يقبل التوبة من عباده ، سواء أكان النائب من اليهود أم كان من الأمم ، ويوضح أيضاً : أن الابنين هما رمزان عن إسحق وإسماعيل - عليهما السلام - فإذا قال مفسر : إن الله يقبل التوبة من عباده ، أى من جميع الأمم ؛ فبني إسماعيل منهم ، لأنهم كانوا ضالين ، نهداهم الله ، وإذا قال مفسر : إنهما رمزان للنبي الذي أتى من إسحق وهو موسى وللنبي الذي سيأتي من إسماعيل وهو محمد ، فإسماعيل له بركة .

وأمثال الرحمة للخاطئين :

وهي ١- مثل المخروف الفبال ٢- والترهم المقود ٣- والابن الفبال .

تين : أن علماء بنى إسماعيل لما تكاسلوا في نشر الشريعة ، ظهر في كل الأمم خطأة ، والله تعالى لا يُسر بهلاك الخاطئ ، وإنما يُسر برحمته ، وهو من أجل رحمته بهم ، يريد دعاء غيرهم ، يفرجون بتوبية الخطأة ، كما يفرح بها الله ، وإنما ظهر الملوك الأثني ونشط الدعاة في الدعوة ، فإنهم سيجلبون إلى الآخيار كثرين من فعلة الشر ، وذلك عكس ما يفعله علماء بنى إسرائيل ، فإنهم يتربعون عن مخالطة الخطأة ، ويتجنبون عن مخالطة الأمم ، وعلى ذلك لا يفرح علماء بنى إسرائيل بتوبة الخاطئ ، ويفرح بها علماء الملوك الأثني .

فكان المسيح عيسى عليه السلام يعزى بنى إسرائيل في نزع الملوك منهم بقوله : إن رحمة الله للخاطئين ، هي السبب في نزع الملوك منكم . ذلك قوله : «لأن الكلمة قوة على أن تحمل نفساً على التوبية ، على حين أن الأموال لا تقدر أن ترد الحياة للبيت ، وعليه ، فإن من له قدرة على مساندة فقير ، ثم لم يساعد ، حتى مات الفقير جوعاً ، فهو قاتل ، ولكن القاتل الأكبر : هو من يقدر بكلمة الله على تحويل الخاطئ للتوبية ، ولم يحوله ، بل يقف كما يقول الله ككلب أبكم . ففي مثل هؤلاء يقول الله : أيها العبد الخائن منك أطلب نفس الخاطئ الذي يهلك ، لأنك كنت كلمتني عنه .»

فعلى أية حال إذا يكون الكتبة والفرسانيون ، الذين معهم المفتاح ، ولا يدخلون ، بل يمنعون الذين يريدون الدخول في الحياة الأبدية ؟ »
ملائكة الله :

وملاك الله على الحقيقة : هو جسم نوراني لطيف قادر على التشكّل بالأشكال الحسنة ، وملاك الله على المجاز : هو الإنسان الطاهر ، على حد قوله تعالى : «ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم » وفي التوراة عن النبي الأمي الأنبياء ملائكة ، أى : رجال طاهرون ، كما في نبوة البركات الثلاث ، وفي الإنجيل : تمجد أن عيسى عليه السلام وهو يذكر علامات مجيء ابن الإنسان يقول : «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه » {مت ٢٥: ٣١}

وفي أمثال الرحمة للخاطئين : يقول عيسى عليه السلام : إن الذي الآتني صاحب المكروت ، سيفريح أتباعه - وكلهم متعلمون من الله - بتربة الخطأة ، كما يفرح الزارع بزرعه ، وذلك لأنهم يعظونهم وبهدونهم إلى الله ، الذي يفرح بتوتهم أيضاً ، وهذا واضح من النصوص الآتية :

١- في مثل الحروف الضال:

«حيثذ اجتمع الكتبة والقريسيون ، فقال لهم يسوع : قولوا لي : لو كان لأحدكم مئة حروف وأضعاف واحدا منها ، ألا ينشد تاركا التسعة والتسعين ؟ ومني وجدته ، ألا تضنه على منكبيك ؟ وبعد أن تدعوا الجيران ، تقول لهم : افرحوا معن : لأنني وجدت الحروف الذي فقدته ، حقا إنك تعلم مكاننا .

الا قولوا لي : أليحب الله الإنسان أقل من ذلك ، وهو لاجله قد خلق العالم ؟ لعم الله ، مكاننا يكون فرح في حضرة ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب ، لأن الخطأة يُظهرون رحمة الله .

قولوا لي : من هم أشد حبا للطيب ؟ الذين لم يفرضوا مطلقا ، أم الذين شفاهم الطيب من أمراض خطرة ؟ قال له القريسيون ، وكيف يحب الصحيح الطيب ؟ حقا إنه لا يحبه ، لأنه ليس بمحرض ، ولما لم تكون له معرفة بالمرض ، لا يحب الطبيب إلا قليلا ، حيثذا تكلم يسوع بحلة الروح قائلا : لعم الله إن لسانكم يدين كبراءكم ، لأن المخاطئ النائب يحب إلها أكثر من البار ، لأنه يعرف رحمة الله العظيمة به ، لأنه ليس للبار معرفة برحمة الله ، لذلك يكون الفرح عند ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين بارا» [إبر ٢٠: ١ - ١٤] .

وجاء في لوقا : أن المسيح قال لعلماء اليهود : أنتم مثل الملح ، لا يستنقى عنكم أحد ، ولكن إذا فسد الملح ، فإنه يُلقى في الشوارع ليلاس بأرجل المارة ، لأنه إذا فسد ، لا يمكن إصلاحه ، ولا يمكن وضعه في الأرضي الزراعية ليقوى النباتات ، ولا يمكن وضعه في سماد أو زيل لتغريبة الأرض .

وغرقه من هذا التشبيه : أن ملوك الله سيتغلب إلى أمة أخرى ، لأنه لا يمكن إصلاح قلوب علماء بنى إسرائيل . و كانوا يتلمرون منه ، لأنهم يعرفون : أن الكلام عليهم ، وأنهم لن يتواضعوا مع الخطأة .

يقول عيسى عليه السلام : «الملح جيد ، ولكن إذا فسد الملح ، فبماذا يصلح؟ لا يصلح لارض ولا لمزبلة ، فيطرحونه خارجا ، من له أذنان للسمع ، فليس معن ، وكان جميع العشارين والخطابة يدلون منه ، ليسمعوه ، فتلذم الفرسين والكتبة ، قائلين : هنا يقبل خطأ ويأكل معهم ، فكلهم بهذا المثل قائلًا :

أى إنسان منكم له مئة حروف ، وأصوات واحدا منها ، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ، ويلهث لأجل الفضال حتى يجعله؟ وإذا وجده ، يضعه على منكبيه فرحا ، ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلًا لهم : افرحوا معى ، لأنني وجدت حروفي الفضال ، أقول لكم : إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا ، لا يحتاجون إلى توبة »

١ - مثل الدرهم المفقود :

«أو أية امرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهما واحدا ، الاتوفد سراجا وتنكس البيت وتقتضي باجتهد حتى تجده ، وإذا وجنته تدعى الصديقات والجبارات قائلة : افرحن معى ، لأنني وجدت الدرهم الذي أضعته ، هكذا أقول لكم : يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» {لو ١٤: ٣٤ - }

انظر إلى قوله عليه السلام : «إنه هكذا يكون فرح في السماء» وقوله : «يكون فرح قدام ملائكة الله» هذا في رواية لوقا ، وفي الرواية السابقة : «الفرح عند ملائكة الله» - «فرح في حضرة ملائكة الله»

فهل الفرح في السماء أم الفرح عند ملائكة الله؟ وعقب رواية مثل ابن الفضال : «العمر الله هكذا يكون فرح بين ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب»

وفي مثل الدرهم المفقود في ترجمة دار المشرق : «هكذا يفرح ملائكة الله» أي أن الفرح يكون من الملائكة فقط ، وفي تعليقهم على العبارة يقولون : «الترجمة اللفظية : «هكذا يُفرح أمام ملائكة الله» المقصود : هو فرح الله {راجع ١٢: ٨+٨+٨} وهو يُشرك فيه ملائكته» أ.هـ .

ويعنون براجع ١٢: ٨+٨+٨ إلى أن المسيح قال للحواريين عن ملوكوت الله : «أقول لكم : كل من شهد لى أمام الناس ، يشهد له ابن الإنسان أمام ملائكة الله ، ومن أنكرنى أمام الناس ، يُنكر أمام ملائكة الله» {١٢: ٨-٩}

يريد أن يقول : إن من يذيع كلامي على وجهه الصحيح عن محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن محدثا إذا جاء يشهد له أمام أتباعه الاطهار بأنه أذاع الحق . وقد حدث هذا . فإن الذين كتبوا أناجيلهم على الحق ، تدل أناجيلهم - وهي توب عن أشخاصهم - على أنهم قالوا الحق ، ومن يسمع القرآن - وهو ينوب عن النبي - يجد فيه : أن محمدا ، قد مدح الذين كتبوا عنه ، وأثنى عليهم ، وشهد لهم بالصدق ، وحث أتباعه على التشبه بهم ، وذلك مذكور في سورة الصاف .

٢- مثل الابن الضال :

« كان لأب ابنان ، فقال أصغرهما : يا أبت أعطني نصيبي من المال ، فأعطاه أبوه إيه ، فلما أخذ نصيه ، اتصرف وذهب إلى كورة بعيدة حيث بنر كل ماله على الزانيات بسراف ، فحدث بعد ذلك جوع شديد في تلك الكورة ، حتى أن الرجل التعيس ذهب ليخدم أحد الأهالي ، فجعله راعيا للخنازير في ملكه ، وكان وهو يرعاها يخفف جوعه بأكل ثمر البلوط ، مع الخنازير ، ولكنه لما رجع إلى نفسه ، قال : كم في بيت أبي : من في سعة عيش ، وأنا أهلك هنا جوعا ، لذلك فلأقم ولاذهب إلى أبي ، وأقل له : يا أبت أخطأت في السماء ، إليك ، فاجعلني كأحد خدمك .

فذهب المسكين وحدث أن أباء رأه قادما من بعيد ، فتحنن عليه ، فذهب لللاقاته ، ولما وصل إليه ، عانقه وقبله ، فاتحنى الابن أمام أبيه ، قائلا : يا أبت لقد أخطأت في السماء ، إليك ، فاجعلني كأحد خدمك ، لأنني لست مستحينا أن أدعى ابنك .

أجاب الأب : لا تقل يا بني هكذا ، فإنك ابنى ، ولا أسمح أن تكون عبدا لي ، ثم دعا خدمه وقال : أخرجوه الحال ، وألبسوه ابنى لياما ، وأعطوه سراويل جديدة ، واجعلوا الخاتم في إصبعه ، واذبحوا حالا العجل المسمن ، فنطرب ، لأن ابنى هذا كان ميتا ، فعاش ، وكان ضالا فوجد .

وحيثما كانوا يطربون في البيت ، إذ بالبكر جاء إلى البيت ، فلما سمعهم يطربون في الداخل ، تعجب ، فدعا أحد الخدم وسأله : لم كانوا في مثل هذا الطرف ؟

أجاب الخادم : لقد جاء أخوك ، فلنجعل العجل المسمن ، وهم في طرب ،
فلم يسمع البِكْر هذا تغبيطاً شديداً ، ولم يدخل البيت ، فخرج أبوه إليه ،
وقال له : يا بني لقد جاء أخوك فتعال إذاً وأفرح معنا .

أجاب الابن بغيظ : لقد خدمتك خيراً خدمة ، فلم تعطني نظرة حملاً لافرح
مع أصدقائي ، ولكن لما جاء هنا الخبيس ، الذي اتصرّف عنك مبتراً نصيبي كله
على الزانيات ، ذبحت العجل .

أجاب الأب : يا بني أنت معى في كل حين ، وكل مالٍ ، فهو لك ،
ولكن هنا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجده ، فارداد الكبير غضباً وقال :
اذهب ، وفر ، فإني لا أكل على مائدة الزناة ، وانتصر عن أبيه دون أن يأخذ قطعة
واحلاة من التقدُّد .

ثم قال يسوع : لعمر الله ، هكذا يكون فرح بين ملائكة الله بخاطئ واحد
يتوب »أبر ١٢٦ : ٧ - {

الخطأ والأبرار في الملائكة الأكثى :

كان رجل يسمى زَكَا في بنى إسرائيل ، وكان قصير القامة ، وكان من فئة
العشّارين ، وهو المرابون الذين يأخذون من الناس أموالاً بغير حق . وهو في نظر
الناس خطأة ومذنبون ، هذا لما أراد أن يرى المسيح عيسى عليه السلام وهو قصير
القامة ، تسلق شجرة جميلة ، وانتظر مروره وهو عليها ، فلما مر عليه ، رفع عينيه
نحوه ، وقال : انزل يا [زَكَا] لأنّي سأقيم في بيتك ، فنزل الرجل وتسلّمه بفرح
وصنع له وليمة عظيمة . فتدمرَّ الفَرِّيسِيون قائلين لתלמידيه : لماذا يذهب معلمكم
ليأكل مع العشّارين والخطأة ؟ فأجاب وقال : لاي سبب يذهب الطيب إلى بيت
المريض ؟ قولوا لي : أفل لكم لماذا ذهبت إلى هناك ؟ أجابوا : ليشفى المرضى .

فقال يسوع : لقد قلتُم الحق : فإنه لا حاجة بالاصحاء إلى طبيب ، بل
المرضى فقط ، لعمر الله الذي تتفق نفسى في حضرته : إن الله يرسل أنياءه
وخدماته إلى العالم ، ليتبّع الخطأة ، ولا يرسلهم لأجل الأبرار ، لأنّه ليس بهم
حاجة إلى التوبة ، كما أنه لا حاجة بمن كان نظيفاً إلى الحمام .

وعندئذ قال زَكَا لعيسى عليه السلام : يا سيد ، انظر ، فإني أعطى حباً في

الله أربعة أضعاف ما أخذتُ بالرiya ، ورد عليه بقوله : «اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، حقا ، إن كثرين من العشارين والزوانى والخطأة ، سيمضون إلى ملکوت الله ، وسيمضى الذين يحسبون أنفسهم أبرارا إلى اللھب الابدية»

فلمَا سمعَ الْفَرِسِيُّونَ هَذَا ، اتَّصَرُفُوا حَانِقِينَ ، ثُمَّ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّذِينَ تَحْوِلُوا إِلَى التَّوْبَةِ وَلِتَلَامِيْنَهُ : «كَانَ لَابْ ابْنَانَ^(١) ، فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا : يَا أَبْتَ أَعْطُنِي نَصِيبِي مِنَ الْمَالِ ، فَأَعْطَاهُ أَبُوهُ لِيَاهُ . . . الْخَ»

وَيَعْلَمَا فَرَغَ مِنْ ذِكْرِ مَثَلِ الابنِ الضالِّ ، قَالَ : «لَعْنُ اللَّهِ مَكَذَا يَكُونُ فَرَحَ بَيْنَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ ، يَتُوبُ»

(١) مثل الابن الضال في رواية لوقا : ١٥

«إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانٌ ، فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِيَاهُ : يَا أَبْتَ أَعْطُنِي الْقَسْمَ الَّذِي يَصِينِي مِنَ الْمَالِ ، فَقُسِّمَ لَهُمَا مَعِيشَتُهُ ، وَيَعْدُ أَيَامًا لَيْسَ بِكَثِيرٍ ، جَمِيعُ الابنِ الْأَصْغَرِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَسَافَرَ إِلَى كُورَةِ بَعِيدَةٍ ، وَهَنَاكَ بَلَرَ مَالَهُ بَعِيشٌ مُسْرِفٌ ، فَلَمَا آتَنَقَ كُلُّ شَيْءٍ ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تُلُكَ الْكُورَةِ . فَابْتَدا يَحْتَاجُ ، فَمَضَى وَالْتَّصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تُلُكَ الْكُورَةِ ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حَوْلَهُ لِيَرْعِي خَنَازِيرَ ، وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلِأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرُونَبِ ، الَّذِي كَانَتْ خَنَازِيرُ تَاكِلُهُ ، فَلَمْ يَعْطِهُ أَحَدٌ ، فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ كُمْ مِنْ أَجْرٍ لِيَ؟ يَفْضُلُ عَنِ الْخَبِيزِ ، وَإِنَّا أَهْلُكَ جَرْوَاعَا ، أَتَدُومُ وَأَنْفَبُ إِلَى أَبْنِي وَأَتَوْلُ لَهُ يَا أَبِي اخْتَطَاتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَامِكَ ، وَلَسْتُ مُسْتَحْقًا بَعْدَ أَنْ أَدْعُنِي لَكَ ابْنَا ، اجْعَلْنِي كَاحِدًا لِأَجْرَاكَ ، فَقَامَ وَجَاهَ إِلَيْيَهِ ، وَإِذَا كَانَ لَمْ يَزُلْ بَعْيَدًا ، رَأَهُ أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عَنْقِهِ وَقَبَلَهُ ، فَقَالَ لِهِ الابنُ : يَا أَبِي اخْتَطَاتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَامِكَ وَلَسْتُ مُسْتَحْقًا بَعْدَ أَنْ أَدْعُنِي لَكَ ابْنَا ، فَقَالَ الْأَبُ لِعَبِيدِهِ : اخْرُجْ جَوَاهِرَةَ الْأَوَّلِيِّ وَالْبَسُودِ وَاجْعَلْهَا خَاتِمًا فِي يَدِهِ وَحْنَاءً فِي رِجْلِهِ ، وَقَدَمُوا الْعَجْلَ السَّمْنَ وَأَذْبَحُوهُ ، فَنَاكِلُ وَتَفَرَّجُ ، لَآنَ ابْنِي هَذَا كَانَ مِنْنَا فَعَاشَ ، وَكَانَ ضَالًا فَوْجَدَ ، فَابْتَدا يَأْفِرُهُنَّ ، وَكَانَ ابْنَهُ الْأَكْبَرُ فِي الْمَهْلَفِ ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْرَبَ مِنَ الْيَتَمِّ ، سَمِعَ صَوْتَ أَلَاتِ طَرَبٍ وَرَقَاصَ ، فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْفَلَمَانِ وَسَأَلَهُ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ : أَخْرُوكَ قَدْ جَاءَ ذَنْبِي أَبُوكَ الْعَجْلَ السَّمْنَ ، لَآنَّهُ قَبِيلَ سَالَّا ، فَنَفَضَبَ وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَدْخُلَ ، فَنَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَ وَقَالَ لِيَاهُ : هَا أَنَا أَخْدُمُكَ سَنِينَ ، هَذَا عَدْدُهَا ، وَقَطْ لَمْ أَتَبْاُرُ وَصِيتِكَ وَجَدِيَا لَمْ تَعْلَمْ نَطَ ، لَافَرَجَ مَعَ أَصْدِقَائِي وَلَكِنْ لَا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكْلَ مَعِيشَتِكَ مَعَ الزَّوَافَاتِ ذَبَحَتْ لَهُ الْعَجْلَ السَّمْنَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بْنَ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حَيْنٍ وَكُلِّ مَالٍ فَهُوَ لَكَ ، وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَفَرَّجَ وَنَسِرَ ، لَآنَ احْتَاكَ هَذَا كَانَ مِنْنَا فَعَاشَ ، وَكَانَ ضَالًا فَوْجَدَ» إِلَوْ ١٥: ١١ - ٣٢

ثم نظر إلى الفريسيين ، وقال لهم : «أنتم تزكرون أنفسكم في نظر الناس ، لكن الله عالم بما في قلوبكم لأن الرفيع عند الناس ، رجس في نظر الله»
فههنا ثلاثة أمور :

١- الأبرار ٢- والخطأة ٣- وملكتوت الله .

ويدعى علماء بنى إسرائيل الفريسيين : أنهم أبرار ، ويقول عيسى عليه السلام : إنهم ليسوا من الأبرار . فهم أ - خطأة ب - والفسقة خطأة . ج - وهم في ملكتوت موسى . وأمامهم ملكتوت .

يقول عيسى عليه السلام : إن العلماء لن يدخلوا فيه وهم يتكبرون ، وإنهم إذا تراصعوا وتابوا وقبلوا الحق ، فإنهم يتسارون مع الفسقة الثنائيين في قبول الملكتوت .

ويقول عيسى عليه السلام : إن الفسقة أسرع منهم إلى الشربة ، ولذلك سيسقطونهم إلى الدخول في الملكتوت إذا جاء . ذلك قوله : «الحق أقول لكم : إن العشرين والزاواني ، يسبونكم إلى ملكتوت الله» (مت ٣١: ٢١)

وقال: إن الفسقة الذين سيسقطونهم إلى الملكتوت ، هم من جميع أمم الأرض، ذلك قوله : «إن كثيرين سياترون من المشارق والمغارب ويتكونون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكتوت السموات ، وأما بني الملكتوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية» {متى ١١: ٨- ١٢} ويقول المفسرون: إن «بني الملكتوت» الذين سيسهلون: هم اليهود، لأن الملكتوت التقديم ما زال معهم ، وهم يريدون قتل المبشر بالملكتوت الجديد .

وروى لوقا في ١٣ :

أن المسيح عيسى عليه السلام ضرب مثلاً للملكتوت السموات. هو مثل الخميرة، ونصله :

«وقال أيضاً : بماذا أشبه ملكتوت الله ؟ يُشبه خميرة أخذتها امرأة ، وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق ، حتى اختمر الجميع» والغرض منه : كالغرض من مثل حبة المحرشل ، وهو أن الخميرة الصغيرة اختمرت عجيناً ضخماً ؛ فكذلك الإسلام في بلته تمذب الكلمة من فم الداعي ، أنصاراً كثيرين .

وإن سائلًا سأله : «يا سيد ، أقليل هم الذين يخلصون» ؟ ورد عليه بقوله : «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق ، فإني أقول لكم : إن كثيرين سيطربون أن يدخلوا ولا يقدرون ، من بعد ما يكون رب البيت ، قد قام وأغلق الباب ، وابتداهم تفرون خارجا وتقرعون الباب قائلين : يا رب ، يا رب . افتح لنا ، يجيب ويقول : لا أعرفكم ، من أين أنتم ؟ حيثذا تبتذلون تقولون : أكلنا قدامك ، وشربنا ، وعلمت في شوارعنا فيقول : أقول لكم : لا أعرفكم ، من أين أنتم ؟ تباعلوا عن يا جميع فاعلى الظلم ، هناك يكون البكاء وصرير الاسنان .

مني رأيت إبراهيم راسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملوكوت الله ، وأنتم مطروحون خارجا ، ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ، ويتذکرون في ملوكوت الله . وهو ذا آخرون يكونون أولين ، وأولون يكونون آخرين» {لو ٢٠ : ١٣}

وغرض السائل من سؤاله هو : في حالة ظهور الملوكوت مع ابن الإنسان وأصحابه الشبيهين بالملائكة ، هل سيفنى كثيرون من اليهود على يديهم ؟ وقد رد بقوله : ولماذا السؤال ؟ اجتهدوا من الآن في الاستعداد للدخول في الملوكوت ، فإنه سيكون لجميع أمم الأرض .
الأكبر في ملوكوت الله :

«في تلك الساعة ، تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين : فمن هو أعظم في ملوكوت السموات ؟ فدعا يسوع إليه ولدا ، وأقامه في وسطهم ، وقال : الحق أقول لكم : إن لم ترجعوا ، وتصيروا مثل الأولاد ، فلن تدخلوا ملوكوت السموات ، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد ، فهو الأعظم في ملوكوت السموات ، ومن قبل ولدا واحدا مثل هذا باسمي : فقد قبلي ، ومن أكثر أحد هؤلاء الصغار ، المؤمنين به ، فخير له أن يعلق في عنقه حجر الرحي ، ويُعرف في لجة البحر ، ويل للعالم من العثرات ، فلابد أن تأتي العثرات ، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة ... » {مت ١٨ : ١ - ٦}

يريد أن يقول : إن الأولاد الصغار ، لأنهم لم يعرفوا الحسد والكبر ، يتخاصمون وبعد لحظات ينسون الخصم ، ويلعب بعضهم مع بعض ، وإذا لم

يتبه بهم علماء بنى إسماعيل ، فلأنهم لن يقدروا على الدخول في الملوك إذا جاء ، لأن الملوك لا يكونون في جنسهم ، وهم يذبحون في الصغار وفي الكبار ، أن الملوك سيكونون في جنسهم ، ليشكروا الناس فيه إذا ما جاء ، وال المسيح يحذّرهم من التشكيك فيه ، لثلا يحملوا أوزار الذين يصلونهم بغير علم .

وقد نقلت الأنجليل هذا المعنى وأكّدت عليه : ففي لوقا : إن المسيح سخر من الفريسيين مثل الغربي والعاشر ، ذلك قوله : «وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ، ويحتقرن الآخرين ، هذا المثل : إنسان صعد إلى الهيكل ، ليصلّيا ، واحد فَرِيسٌ ، والأخر عَشار ، أما الفريسي فوقف يصلّى في نفسه هكذا : اللهم أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ، ولا مثل هذا العشار ، أصوم مرتين في الأسبوع ، وأعشر كل ما أقتله ، وأما العشار فوقف من بعيد ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل قرع على صدره قاتلا : اللهم ارحمني أنا الخاطئ . أقول لكم : إن هذا نزل إلى بيته مُبرا دون ذاك ، لأن كل من يرفع نفسه ، يتضخ ، ومن يضع نفسه ، يرتفع .

قدموا إليه الأطفال ، ليسلمهم . فلما رأهم التلاميذ ، انتهروهم ، أما يسوع فدعاهم وقال : دعوا الأولاد يأتون إلى ، ولا تمنعهم ، لأن مثل هؤلاء ملوك الله ، الحق أقول لكم : من لا يقبل ملوك الله مثل ولد ، فلن يدخله» [لو ۹: ۱۸ - ۱۷]

ملوك الله ، وبجي ابن الإنسان :

وقال عيسى عليه السلام : إن «ابن الإنسان» وهو محمد صلى الله عليه وسلم سيؤسس ملوكوت الله الآتي ، بالحرب ، وإن حربه ستكون شديدة الوطأة على بنى إسرائيل ، وشّبه أتباع ابن الإنسان بنسور العدل الإلهي ، وشّبه بنى إسرائيل المتكبرين الملائجين بالجيف ، الملقاء على الأرض . وقال إن الجيففة في أي مكان ، تحوم السور حولها ، وكذلك يكون اليهود مع أتباع ابن الإنسان .

حيثما يوجد اليهود ، يوجد أتباع ابن الإنسان ، ليهلكوهم وليمحو من الأرض ذكرهم .

وقال عيسى عليه السلام : إن خراب ديار بنى إسرائيل سيكون كفرق

الكافرين بتوح عليه السلام وسيكون كهلاك قوم لوط ، ووصف الرهبة من هول المعاشر الحربية بقوله : «فمن كان في ذلك اليوم على السطح وأمتعته في البيت ، فلا ينزل ليأخذها»

وقال للحواريين : إن ابن الإنسان لن يظهر في أيامكم ، بل من بعدكم «ستائى أيام تشتهر فيها أن تروا يوما واحدا ، من أيام ابن الإنسان ، ولن تروا» وقال : إنه من قبل أن يستقر الملوك في فلسطين ، سيعانى ابن الإنسان ألاما شديدة ، لأن اليهود القربين من دياره ، لن يقبلوه .

ولما سأله الفريسيون عن الوقت الذي سيظهر فيه ملوكوت الله ، أجاب بقوله : «إنه في متراولكم» أي : قريب منكم ، وفي ترجمة : «فها إن ملوكوت الله بينكم» ويقول بعض المفسرين : «هناك من يتترجم «فيكم» لكن من عيب هذه الترجمة أنها تجعل من ملوكوت الله حقيقة باطنية ، مع أنه في نظر يسوع يعني : شعب الله كلهم ، إنه في متراولكم»^(١) ، هـ .

يقول لوقا^(٢) : «وسأله الفريسيون : متى يأتي ملوكوت الله؟» فأجابهم : «لا يأتي ملوكوت الله على وجه يُرَاقِبُ ، ولن يقال : ما هو ذا هنا ، أو ما هو ذا هناك ، فها ملوكوت الله بينكم .

وقال للتلاميذ : ستائى أيام تشتهر فيها أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان ، ولن تروا . وسيقال لكم : ما هو ذا هناك ، ما هو ذا هنا ، فلا تذهبوا ولا تندفعوا ، فكما أن البرق ييرق ، فيلمع من أفق إلى أفق آخر ، فكذلك يكون ابن الإنسان ، يوم مجئه ، ولكن يجب عليه قبل ذلك ، أن يُعْانِي ألاما شديدة ، وأن يرْدُلَه هنا الجيل .

وكما حدث في أيام نوح ، فكذلك يحدث في أيام ابن الإنسان ، كان الناس يأكلون ويسربون ، والرجال يتزوجون والنساء يتزوجن ، إلى يوم دخل نوح السفينة فجاء الطرفان ، وأهلكرهم أجمعين ، وكما في أيام لوط إذ كانوا يأكلون ويسربون

(١) تعليق دار المشرق على المختصر لوقا .

(٢) النص من ترجمة دار المشرق بلبنان

ويشترون ويبعون ويغرسون وينتون ، ولكن يوم خرج لوط من سدوم ، أمطر الله ناراً وكيروا من السماء ، فأهلهم أجمعين ، فكذلك يكون الأمر ، يوم يظهر دين ابن الإنسان .

فمن كان في ذلك اليوم على السطح ، وأمتعه في البيت ، فلا ينزل
لأخذها ، ومن كان في الحقل ، فلا يرتد إلى الوراء . تذكروا امرأة لوط .

من أراد أن يحفظ حياته ، يفقداها ، ومن فقد حياته ، يخلصها ، أقول لكم: سيكون في تلك الليلة رجلان على سرير واحد ، فيقبض أحدهما ويترك الآخر ، وتكون امرأتان تطحان معاً ، فتقبض إحداهما ، وتترك الأخرى ، فسألوه: أين يا رب؟ فقال لهم: حيث تكون الجيفة ، تجتمع النسور، إلو ١٧: ٢٠ - ٣٧

البيان:

إن معنى متى يأتي ملوكوت الله؟ أي متى يظهر محمد صلى الله عليه وسلم؟

إن تاريخ ملوكوت الله هو المسألة الكبرى في الدين اليهودي ، فالريانيون وكتب الرؤى يبحثون عن علامات ، تمكن من تحديده ، والاصحاح التاسع من سفر دانيال : يؤكد عدداً من السنين ، يأتي الملوكوتُ بعدها . ولو كان عند السنين معلوماً على وجه اليقين من هذا الاصحاح ، لما سأله علماء اليهود هذا السؤال ، وهو غير واضح لأنَّه قال بعد سبعين أسبوعاً ، أي أربعين سنة وسبعين سنة : يظهر «المسيح الرئيس» الذي يؤسس ملوكوت الله ، ثم قال : من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى «المسيح الرئيس» سبعة أسابيع ، واثنان وستون أسبوعاً ، ثم قال : بعد اثنين وستون أسبوعاً يقطع المسيح ، ثم قال : وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس ، وفوق ذلك كله : يختلفون في بده الحساب هل هو من رجوع اليهود من بابل ، أم من حين تلوين السفر؟ أم من تشتيت إدريانوس الروماني لليهود سنة ١٤٢م؟ أم من أي وقت آخر؟ فلذلك سألاًوا عيسى عليه السلام عن السنين بالضبط ، ولم يذكر عدداً محدداً ، بل ذكر علامات ، واستشهد بهذه الاصحاح وهو يذكرها في متى ١٤: ٢٤ ومرقس ١٣: ٢٤ . ولو فـ ٢١

ففي سفر دانيال^(١): «وبينما أنا أنكلم وأصلع وأعترف بخطيبي وخطبة شعب إسرائيل . . . [جا ٩]

(١) قى الأصحاح التاسع من سفر دانيال الذى يحدى الله الذى سيظهر فيها ملوكوت الله :
ففى السنة الأولى للداروس بن أخنوبروس، من نسل الماديين الذى ملك على مملكة الكلدانيين فى السنة الأولى من ملوكه ، أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت منها كلمة الله ، إلى يومها التي لكتة سبعين سنة على خراب أورشليم ، فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلوة والضرورات بالصوم والمسح والرماد ، وصلت إلى الله الذى واعترفت وقلت : ليها الله السيد المظيم المهووب ، حافظ العهد والرحمة لحيه وحائفى وصايه . اخطأنا وأثنا وعملنا الشر ومردنا وحدنا من وصايك ومن حكماتك ، وما سمعنا من عييلك الآية الدين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساتنا وأبائنا وكل شعب الأرض ، لك يا سيد البر ، أما لنا نخزى الوجوه كما هو اليوم لرجال يهودنا ولسكان أورشليم ولكل إسرائيل القريبين والبعيدين فى كل الأراضى التي طردتهم إليها ، من أجل خياتهم التي خاتوك لياما ، يا سيد لنا خزى الوجوه للملوكنا لرؤساتنا ولآبائنا ، لأننا اخطأنا إليك ، للرب إلينا المراحم والمغفرة لأننا مردنا عليه ، وما سمعنا صوت رب إلينا نسلك فى شرائمه التي جعلها أمامنا عن يد عييل الآية ، وكل إسرائيل قد تندى على شريحتك ، وحادوا ، للا يسمعوا صوتك فسبكت علينا اللعنة والخلف المكتوب فى شرعة موسى عبد الله ، لأننا اخطأنا إليه ، وقد أقام كلماته التي تكلم بها علينا ، وعلى ثقافات الذين قضوا لنا ليجلب علينا شرا عظيما ، ما لم يُجرِ تحت السoras كلها كما أجري على أورشليم ، كما كتب فى شرعة موسى قد جاء علينا كل هذا الشر ، ولم تتغىّر إلى وجه رب إلينا : لنرجع من أكلنا ونقطن بحتك ، فشهر رب على الشر ، وجبله علينا ، لأن رب إلينا يار فى كل أعماله التي عملها إذ لم نسمع صوته ، والأآن ليها السيد إلينا الذى أخرجت شعبك من أرض مصر ، يدي قوية ، وجعلت نفسك اسمًا كما هو هذا اليوم ، فقد اخطأنا . عملنا شرا ، يا سيد حسب كل رحمةك ، اصرف سخطك وغضبك من مدبتك أورشليم ، جبل نفسك إذ خطابانا ولأثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا ، فاسمع الآن يا إلينا صلاة مبدك وتضروراتك وأنت يوجهك على مقدسك المغرب من أجل السيد . أمل اذنك يا إلينا واسمع . افتح عينيك ، واتظر خربتنا ، والمدينة التي دعن اسمك عليها ، لأنه لا لأجل بربنا نطرح تضروراتنا أمام وجهك ، بل لأجل مراحنك العظيمة ، يا سيد اسمع يا سيد انصر يا سيد اسمع واسمع ، لا توخر من أجل نفسك يا إلينا ، لأن اسمك دعى على مدبتك وعلى شعبك . وبينما أنا انكلم وأصلع وأعترف بخطيبي وخطبة شعبي إسرائيل وأطرح تضروري أمام رب إلينا من جبل قدس إلينا ، وأنا متكلم بعد الصلاة إنا بالرجل جبرائيل الذى رأيته في الرؤيا في الابتها مطارا واقفا ، لمن

وفي الإنجيل متى : «فمنى نظرتم رجمة الخراب التي قال عنها دانيال النبي
قائمة في المكان المقدس . . . [مت ٢٤]»

وقد بينا هذا في كتابنا «البشرارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل»

ولماذا نصح بالهروب من هول المارك ؟

إن الدعوات إلى «الهرب» كثيرة في التوراة عند الحديث عن نزول غضب الله على اليهود في اليوم العظيم والمحرف ، وهو يوم ظهور المسايا . ونزول غضبه يدل على هلاكم ، والهرب لا يمنع من الهلاك ، فلماذا نصح المسيح والنبيون من قبله بالهرب من هول المارك وهو لا يجدى نفعا ؟ يقول المفسرون : إن الهرب لا يعني إمكانية الإفلات من الدينونة ، بل تشير إلى طابعها الرهيب [أر ٦:٤ و ٦:٦ و ٤٩:٨ و ٥١:٦]

ولماذا ذكر انتصارات الجوارح على المارك ، أو على الجيف ؟

يقول المفسرون : كثيراً ما نرى «الجوارح» في وصف مشاهد الدينونة في

عند وقت تقدمة الماء ، وفهمي وتكلم معن وقال : يا دانيال ابنى خرجت الآن لاعلمك الفهم ، في ابتداء تفسير عاتك خرج الأمر ، وأنا جئت لأنخبرك لأنك أنت محبوب . فتأمل الكلام وفهم الروا ، سبعون أسبوعاً قضيت على شبك ، وعلى مدبتك القديمة لتكميل المقصبة ، وتعميم الخطايا ، ولকفارة الآثم ، ولزيانة بالبر الأبدى ، ولتحم الرؤيا والتبيرة ولتح قلوس القدس ، فأعلم وافهم : أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبناتها إلى المسيح الرئيس ، سبعة أيام واثنان وستون أسبوعاً يعود وينهى سوق وخليل فس ضيق الازمة ، وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقطع المسيح وليس له . وشعب رئيس آت يخرب المدنة والقدس واتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب نفس بها ، وثبت عهداً مع كثيرين في أسبوع واحد وفي وسط الأسبوع يطل المذبح والشقيقة وعلى جناح الأرجاس مغرب حتى يتم وينصب المغض على المغرب» [Daniyal ٩]

وقال الإمام القرافي أحمد بن إدريس الملاكي في كتابه الأجرمية الفاخرة : «قال دانيال ، عليه السلام : سأله الله تعالى ، وتضرعت إليه أن يبين لي ما يكون من بنى إسرائيل ، وهل ينوب عليهم ، ويعيد إليهم ملكهم ، ويبعث فيهم الآيات - عليهم السلام - لو ينقل ذلك في غيرهم ؟ فظهر له الملك في صورة شاب حسن الوجه ، فقال : السلام عليك يا دانيال ، إنه بنى إسرائيل أغضبوني ، وتمردوا علىَّ ، وعبدوا من دوني آلهة آخر . . . الخ» يشير إلى الأصحاح التاسع من سفر دانيال .

العهد القديم [أيش ٦:١٨ و ٩:١٢ و ٣٣:٧ و ١٥:٣٤ - ١٦] و حزب ٣:١٥ و حزب ٣٩:١٧] وفي هنا السياق من الكلام ، تعنى هذه الاستعارة : أنه ما من أحد يُقتل من الديون ، وفي متى ٣٨:٢٤ تهدف إلى الدلالة على وجود «ابن الإنسان» وأتباعه نواب عنه ، في كل مكان عند مجنته .

مثل القاضي والأرملة :

تبين التوراة : أنه في وقت ظهور النبي الأمي الأنبياء إلى العالم سيؤمن به من بني إسرائيل قليلون ، هم «مختراري الله» وهم سينجرون من الهلاك على يديه ، وذلك لأنهم لما رأوا أن الظلم قد عم البلاد ، صلوا الله لكن يجعل بإرسال رسوله ، رحمة للعالمين . وقد عقد المسيح مقارنة بين الله العادل ، وبين قاضي ظالم ، وقال : إذا كان القاضي وهو ظالم ، يسمع للمظلومين ، فهل الله عز شأنه وهو عادل ، لا يسمع للمصلين ؟ وإذا كان القاضي ظالم ينصف ، فهل الله العادل لا ينصف ؟

ثم قال المسيح : إن ابن الإنسان وهو النبي الأنبياء إلى العالم إذا ظهر ، فإنه في حالة ظهوره لن يجد من المؤمنين إلا قليلا ، وغرضه من ذلك : أن يستمر أتباعه في طلب الملائكة من الله ، ليجعل بإرسال رسوله إلى العالم .

النص : «وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصْلَى كُلُّ حَبْنٍ وَلَا مَبْلٍ ، فَانْلَا : كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٌ لَا يَخَافُ اللَّهَ ، وَلَا يَهَابُ إِنْسَانًا ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ ، وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَاتِلَةً : أَنْصَفَنِي مِنْ خَصْمِي ، وَكَانَ لَا يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ ، إِنَّ كُنْتُ لَا أَخَافُ اللَّهَ ، وَلَا أَهَابُ إِنْسَانًا ، فَإِنِّي لِأَجْلِ أَنْ هَذِهِ الْأَرْمَلَةَ تُرْعَجِنِي ، أَنْصَفَهَا ، لَتَلَا تَأْتِي دَائِمًا ، فَتَقْبَعُنِي .

وقال رب : اسمعوا ما يقول قاضي الظلم .

أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلـا ، وهو متسلل عليهم ؟ أقول لكم : إنه ينصفهم سريعا ، ولكن متى جاء ابن الإنسان . العـلم يجد الإعـانـة على الأرض ؟ » [لو ١:١٨ - ٨]

لاحظ قوله :

١- « وهو متسلل عليهم » وفي ترجمة : « وهو يتسلل في أمرهم » أو « حتى

لوتمهل في أمرهم» أو «مع أنه صابر عليهم» أو المقصود : هو أن النبي الأمي لم يكن قد ظهر في أيامه ، وليس هو المسيح عيسى عليه السلام لأنه إلى زمانه «متمهل عليهم» ولأن ابن الإنسان وهو لقب للنبي الأمي لم يكن قد جاء ، على حد كلامه ، وإذا جاء فإنه لن يجد إيمانا على الأرض ، وكان داود عليه السلام يصلى لله من أجله مع المختارين ، ويقول في المزמור الرابع والأربعين : «لماذا تسخافني يا رب؟» «لماذا تحجب وجهك؟»

٢- «إنه ينصفهم سريراً» أي : يظهر حريا في حال ظهوره لتخلص المختارين من أيدي اليهود المتكبرين الملائين، وقد أكد المسيح عليها في {مر ٩: ٣٠ و ١٣: ٣٠}

مثل الآيات العشرة :

تمهيد :

أ - البار ب - والخاطئ .

هل شريعة الله للأبرار أم للخطئة؟ هل هي لليهود الذين يفخرؤون بأنهم أبرار، وأنهم أبناء إبراهيم عليه السلام وبيان لهم الهيكل وشريعة الله، أم هي لجميع نسل إبراهيم . الأبرار منهم، والخاطئون؟

يقول المسيح عيسى عليه السلام: هي لجميع نسل إبراهيم . الأبرار منهم والخاطئون ، وأن «ابن الإنسان» جاء ليبحث عن الخاطئ ، لكنه يهديه، وذلك لأنه من نسل إبراهيم .

وقد أيد قوله بفعله ، وضرب مثلاً بين به سبب انتقال دعوة الأمم إلى الله من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل .

يقول لوقا : «ودخل أريحا ، وأخذ يجتازها ، فإذا رجل يدعى زكا ، وهو رئيس للعشرين ، غنى ، قد جاء يحاول أن يرى من هو يسوع ، فلم يستطع لكثره الزحام ، لأنَّه كان قصيراً القامة ، فتقدم مسرعاً ، وصعد جميزة ، ليراه ، لأنَّه أواشك أن يمر بها ، فلما وصل يسوع إلى ذلك المكان ، رفع طرفه ، وقال له : يا زكا انزل على عجل ، فيجب علىَّ أن أُقيم اليوم في بيتك ، فنزل على عجل ، وأضفافه مسروراً ، فلما رأوا ذلك . قالوا كلهم متذمرين : دخل متزلاً رجل خاطئ ليبيت عنده ، فوقف زكا ، فقال للرب : بلرب ، ها إني أعطى الفقراء نصف

أموالى ، وإذا كنت قد ظلمت أحداً شيئاً ، أرده عليه أربعة أضعاف .

فقال يسوع : اليوم حصل الخلاص لهذا البيت ، فهو أيضاً ابن إبراهيم ، لأن ابن الإنسان جاء ليبحث عن الهاulk ، فيخلصه .

وينما هم يُصغون إلى هذا الكلام ، أضاف إليه مثلاً ، لأنه قرب من أورشليم ، و كانوا يظلون أن ملکوت الله يوشك أن يظهر في ذلك الحين ، قال : ذهب رجل شريف النسب إلى بلد بعيد ، ليحصل على الملك ، ثم يعود ..

روى هنا لوقا ويرنابا ، واتفقا معاً : على أن المسيح قد قبل مخالطة المخطاة ، وأكل معهم ، وأنه بتوبته ، قد حصل خلاص لبيه ، وقال المسيح : إن هذا الخاطئ لا يصح أن ينبذ « فهو أيضاً ابن إبراهيم » ولماذا قال عنه : « فهو أيضاً ابن إبراهيم ؟ » لأن النبي الأنبياء إلى العالم « هو أيضاً ابن إبراهيم » وإنه « جاء ليبحث عن الهاulk ، فيخلصه » ولأنه « ابن إبراهيم » لا يجب على اليهود ، رفضه ، بحجة أنه من الأمم .

ويبين النص : أن اليهود كانوا يتوفرون ظهور ملکوت الله في زمان عيسى عليه السلام ، وأن المسيح ضرب لهم مثلاً يبين به أنه سيظهر من بعده ، وأن الشريعة ستنتقل من اليهود إلى أمم أخرى هي أمم صاحب الملکوت ، وأنهم سيهلكون على بديه .

وضرب مثل الأمثال العشر ، ليبين به تقصير علماء بنى إسرائيل في دعوة الأمم إليه ولتفصيلهم نزع منهم الملکوت وعاقبهم أشد العقاب .

ورموز المثل :

أ - الرجل الشريف النسب : رمز إلى الله تعالى ، وأنه يريد سيادة شريعته على الأرض . وسيادة الشريعة تدل على الملك وعلى الطاعة له .

ب - والخدم : رمز لعلماء بنى إسرائيل ، فلأن منهم من دعا إلى الله ، ومنهم من لم يدعوه .

ج - والذين رفضوا ملکه : رمز لليهود وللأمم ، الذين لا يريدون تقييد حرياتهم بشريعة .

د - والذى أخفى فضة سيله : رمز لعلماء بنى إسرائيل الذين أهملوا دعوة الأمم .

ه - وضرب الملك للذين رفضوا ملكه : هو حرب الله للأمم بواسطة النبي الآتى ، صاحب المكوت .

نص المثل :

ذهب رجل شريف النسب إلى بلد بعيد ، ليحصل على الملك ، ثم يعود ، فدعا عشرة خدام له ، وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم : تاجروا بها إلى أن أعود ، وكان أهل بلده يغضونه ، فارسلوا وفدا في أثره يقولون : لا تزيد هذا ملكا علينا ، فلما رجع ، بعدما حصل على الملك ، أمر بأن يدعى هؤلاء الخدم الذين أعطاهم المال ، ليعلم ما بلغ مكب كل منهم ، فمثل الأول أمامه ، وقال : يا مولاي ، ربع مناك عشرة أمناء ، فقال له : أحسنت أيها الخادم الصالح ، كنت أمينا على القليل ، فليكن لك السلطان على عشر مدن ، وجاء الثاني فقال : يا مولاي ، ربع مناك خمسة أمناء ، فقال لهذا أيضاً : وأنت كن على خمس مدن ، وجاء الآخر ، فقال : يا مولاي ، هو ذا مناك قد حفظته في متليل ، لاتي خفتك ، فأنت رجل شديد ، تأخذ ما لم تستودع ، وتحصد ما لم تزرع ، فقال له بكلام فمك ، أدينك . أيها الخادم الشرير ، عرفتى رجلا شديدا ، أخذ ما لم استودع ، وأحصد ما لم أزرع ، فلماذا لم تضع مالى في بعض المصادر وكتت في عودتى ، أسترده مع الفائدة ؟

ثم قال للحاضرين : خلوا منه المنا ، وأعطوه لصاحب الأمناء العشرة ، فقالوا له : يا مولانا ، عنده عشرة أمناء ، أقول لكم : كل من كان له شئ ، يُعطي ، ومن ليس له شئ ، يُستزع منه حتى الذى له ، أما أعدائي أو تلك الذين لم يريلونى ملكا عليهم ، فأتوا بهم إلى هنا ، واخربوا عنائهم أمامى^(١) { ٢٧-١٢ }

في هذا المثل :

إن المنا : وزن يساوى واحد على ستين من الورنة ، أي نحو رطلين ، وفي الحسابات النقدية يساوى مائة درهم ، وقد ذكر لوفقا أنه أعطاهم عشرة أمناء وذكر

متى : أنه أعطى واحداً خمس وزنات ، وهم أكبر بكثير من العشرة أمناء ، لأن الوزنة نحو خمسة وعشرين كيلو من الذهب .

٢- قوله : «فمثيل الأول أسامه» ، وقال : «يا مولاي» ، وفي ترجمة : «يا سيد» ، كلمة «مولاي» ترجم في البديل متى : «يا معلم» أو «يا سيد»

٣- وبين هذا المثل : أن الرجل الذي أخفي المانا ، عاتبه سيده بقوله : «فلماذا لم تضع مالك في بعض المصادر ، وكانت في عودتك ، أستردك مع الفائدة؟» يعني : أنك مؤمن على الشريعة ، لتشيرها بين الناس ، فلماذا أخفيتها؟ ما كان يجب عليك أن تخفيها ، فإنه كان بإمكانك أن تسلمها إلى أمي ، وهو يتولى ترجمتها ونشرها ، بدلاً منك .

٤- قوله : «كل من كان له شئ يُعطي ، ومن ليس له شئ يُبتزع منه ، حتى الذي له» يريد به : أن الملوك صانرون إلى أهله ، وهم بنو إسماعيل عليه السلام ، لأن لإسماعيل بركة .

٥- قوله «واضرسوا أعناقهم أمامي» يريد به : أنه ستكون حرب شديدة في وقت ظهور الملوك ، وإن اليهود سيهزمون فيها .
مثل الوزنات العشر :

ومثل الوزنات العشر الذي يشبه مثل الأمانة العشرة ، ضربه المسيح عيسى عليه السلام للاستعلاد للملوك السموات ، وعدم التغافل عنه ، وقال بعده : «إذا جاء ابن الإنسان في مجده ، توأبه جميع الملائكة ، يجلس على عرش مجده . . .»
النص : «فمثيل ذلك كمثل رجل أراد السفر ، فدعاه خدمه ، وسلم إليهم أمواله ، فأعطى أحدهم خمس وزنات ، والثانية وزنتين ، والأخر وزنة واحدة ، كلًا منهم على قدر طاقته ، وسافر ، فأسرع الذي أخذ الوزنات الخمس إلى المتاجرة بها ، فربح خمس وزنات غيرها ، وكذلك الذي أخذ الوزنتين ، فربح وزنتين غيرهما ، وأما الذي أخذ الوزنة الواحدة ؛ فإنه ذهب وحفر حفرة في الأرض ، ودفن مال سيده .

(١) ترجمة طار المشرق بلبنان سنة ١٩٨٩ م ، ولم يذكر هنا المثل إلا لوقا وحده ، وذكر متى شبهاته . هو مثل الوزنات الخمس .

ويعد مدة طويلة ، رَجَعَ سيد أولئك الخدم وحاسبيهم ، فدنا الذي أخذ الوزنات الخمس ، وأدى معها خمس وزنات ، وقال : يا سيد ، سلمت إلى خمس وزنات ، فإليك معها خمس وزنات ربحتها ، فقال له سيده : أحسنت إليها الخادم الصالح الأمين ، كنت أمينا على القليل فسأقيمك على الكثير ، أدخل نعيم سيدك ، ثم دنا الذي أخذ الوزنتين ، فقال : يا سيد ، سلمت إلى وزنتين ، فإليك معها وزندين ربحتهما ، فقال له سيده : أحسنت إليها الخادم الصالح الأمين كنت أمينا على القليل ، فسأقيمك على الكثير ، أدخل نعيم سيدك ، ثم دنا الذي أخذ الوزنة الواحدة فقال : سيدى عرفتك رجلا شديدا تحصد من حيث لم تزرع ، وتجمع من حيث لم تزرع ، فخفت وذهبت ، ودفنت وزنك في الأرض . فإليك مالك .

فأجاب سيده : إليها الخادم الشّرير الكلان ، عرفتني أحصد من حيث لم أزرع ، وأجمع من حيث لم أروع ، فكان عليك أن تضع مالي عند أصحاب المصارف ، وكانت في عودتي ، أسترده مالي مع الفائدة ، فخانوا مني الورنة ، وأعطوها للذى معه الوزنات العشر ، لأن كل من كان له شيئا يعطي ، فيفيض ، ومن ليس له شيئا يُترع منه حتى الذى له ، وذلك الخادم الذى لا خير فيه ، القوة فى الظلمة البراتية ، فهناك البكاء ، وصريف الأسنان » [منى ١٤:٢٥ - ٣٠]

فلما سمع ذلك واحد من المكتبين ، قال له : طوبى لمن يأكل خبزا فى ملوكوت الله ، فقال له : «إنسان صنع عشاء عظيما ودعا كثرين» والفرض منه : هو نزع الملكوت من اليهود ، وبيان أن الملكوت الأكثى سيكثر فيه الخبر ، ويعم فيه السلام والأمن .

النص : «إنسان صنع عشاء عظيما ودعا الكثرين وأرسل عبده فى ساعة العشاء ليقول للمدعىين : تعالوا الآن كل شئ قد أعد ، فابتدا الجميع برأى واحد يستعنون ، قال له الأول : إنى اشتريت حفلا وأنا مضطر أن أخرج وانتظره ، أسألك أن تعفيني ، وقال الآخر : إنى اشتريت خمسة أرواح بقر ، وأنا ماض لامتحنها ، أسألك أن تعفيني ، وقال آخر : إنى تزوجت بامرأة فلنذلك لا أقدر أن أجني ، فأتى ذلك العبد وأخبر سيده بذلك ، حيثند غضب رب البيت وقال لعبدة : أخرج عاجلا إلى شوارع المدينة وأرقتها ، وأدخل إلى هنا المساكن والخدع والعرج والعمى ، فقال العبد : يا سيد قد صار كما أمرت ، ويوجد أيضاً مكان ، فقال

السيد للعبد : اخرج إلى الطرق والسباجات ، وألزمهم بالدخول حتى يتعلّم بيته ،
لأنّ أقول لكم : إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعىين بلوق عثائى ، هرقا
١٢: ٤٢

مثل عرس ابن الملك :

النص : «يُشَبِّه ملوك السموات إنساناً ملكاً ، صنع عرساً لابنه ، وأرسل عبيده ليُدعى المدعىين إلى العرس ، فلم يربدوا أن يأتوا ، فارسل أيضاً عبيداً آخرين ، فائلاً : قولوا للمدعىين : هو ذا غدائى ، أعدته ، ثيرانى وسمناتى قد ذبحت ، وكل شئ معذ ، تعالوا إلى العرس ، ولكنهم تهاونوا ، ومضوا ، واحد إلى حفله ، وأخر إلى تجارتة ، والباقيون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلهم ، وبينما سمع الملك ؛ غضب ، وأرسل جنوده ، وأهلك أولئك القاتلين ، وأحرق مدحبيهم ، ثم قال لعبيده : أما العرس فمستعد ، وأما المدعىين فلم يكونوا مستحقين ، فاذهبو إلى مفارق الطرق ، وكل من وجدتُمُوه فادعوه إلى العرس ، فخرج أولئك العبيد إلى الطرق ، وجمعوا كل الذين وجلوهم ، أشراراً وصالحين ، فامتلا العرس من المتكفين ، فلما دخل الملك ليُنظر المتكفين ، رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس ، فقال له : يا صاحب كيف دخلت إلى هنا ، وليس عليك لباس العرس ؟ فسكت حيثُنَّ . قال الملك للخدم : اربطوا رجليه ويديه وخلوه في الظلمة الخارجية ، هناك يكون البكاء وصبر الآستان ، لأن كثيرين يدعون ، وقليلين يتغبون » [منى ٣٠ - ٢٢]

مفزي المثل :

هو الاستعداد والتربّق لملوك السموات ، وقد ضربه بعد مثل عرس ابن الملك ، وقال بعده : « ومنى جاء ابن الإنسان في مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ، فحيثُنَّ يجلس على كرسي مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم عن بعض ، كما يميز الراعي الخراف من الجداء ، فيقيّم الخراف على بيته ، والجداء على يساره ، ثم يقول الملك للذين على بيته : تعالوا يا مباركي أبي ، رثوا الملوك المعد لكم منذ تأسيس العالم » [منى ٢٥ - ٣٤] وهذا يدل بوضوح على أن ابن الإنسان الذي أشار إليه داتيال النبي ، متى جاء في عظمته وبصحته أتباعه الأطهار المشبهين بالملائكة ، ويتم له السلطان على الأرض ؛ سبّيّز الأخبار من

الأشرار ، كما يميز الراعي الخراف من الجداء ، وسوف يهلك الأشجار ، وأما الآخيار فسيجلسهم معه ، ويقول لهم : رثوا الملوك المعد لكم من زمان طويل .

وينوب عنه من بعده أتباعه ، السائرون على سنته والعاملون بشريعته .

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى ، فيقول : «في هذا المثل نرى :

١- أن السيد هو المسيح ، الذى هو صاحب حق الملك المطلق ، لكل الأشخاص والنفوس ، سيداً لكتبه ، نكل الأشياء سلمت لديه .

٢ - والعبيد : هم المسيحيون »

ونره عليه : أن السيد رمز لله عز وجل ، وعيسى عبد من عباده الصالحين ، والعبيد رمز لعلماء بنى إسرائيل المرسلون للأمم قبل عيسى ، وقوله : إن العبيد هم المسيحيون : قول ظاهر الخطأ ، لأن المثل مفترض لما قبل عيسى ، ومغزاها : لم يأتى من بعده ، والعبيد هم : ١ - من أخذ خمس وزنات ، وربع مثلهن ٢ - ومن أخذ وزنتين ، وربع مثليهما ٣ - ومن أخذ وزنة واحدة ، وأخفهاها . أما صاحب الحمس وصاحب **بـلـورـنـتـيـنـ** : فرمز للعلماء الذين ذهروا إلى الأمم من قبل سبي بابل ، ففى القرآن الكريم : « وإن من أمة إلا خلا فيها ثنيان » والعبد الذى أخذ الورنة وأخفهاها : رمز للعلماء اليهود من بعد بابل ، فقد أنزل الله عليهم التوراة ، وأمرهم أن يعملوا بها ، وأن يهدوا بتعاليمها ، فقصرها اليهود على أنفسهم ، من زمان سبي بابل ، بالرغم من أنه مكتوب فيها : « فإذا نزل عنكم غريب فى أرضكم فلا تطلبوه ، كالوطني منكم ، يكون لكم ، الغريب النازل عنكم ، وتجبه كنفسك ، لأنكم كتم غرباء فى أرض مصر » { لا وين ١٩ - ٣٣ - ٣٤ } ومعنى وضعها عند الصيارة : إشارة إلى أن يضع اليهود علمهم الإلهي فى أماكن العلم لدى المشتغلين به ، كسائر الكتب التى تدرس .

وتجدد فى محاسبة العبد الكسول ما ينبع من طباع اليهود :

١ - فهو قد اعتذر عن نفسه ، وهذا الاعتذار ينم عن عواطف عدو ، واليهود أعداء الله ، والدليل على ذلك من المثل : قول العبد الشير : «عرفت أنك إنسان قاس» وهذا يشبه القول السنى الذى صرخ به بيت إسرائيل . فقد جاء فى التوراة : «وبيت إسرائيل يقول : ليست طريق الرب مستوية ، أطريق غير مستقيمة يا بيت

إسرائيل ؟ أليست طرفةكم غير مستحبة ؟ من أجل ذلك أقضى عليكم يا بيت إسرائيل ، كل واحد كطرفه ، يقول السيد الرب » {أحزقيال ٢٩:٢٨ - ٣٠ }

ب - وأنه تكلم بجرأة وواقحة على الله : إذ قال : «عرفت أنك ..» ولذلك نظير في التوراة ، يقول الله لليهود على لسان إرمياه : «ماذا وجد في آيازكم من جور ، حتى ابتعدوا عن وساروا وراء الباطل ، وصاروا باطلًا .. الكهنة لم يقولوا أين هو رب ؟ وأهل الشريعة لم يعرفوني» {إرمياه ٥:٢ - ٧}

ولقد وجهت إليه تهمتان :

١ - الكسل «أيها العبد الشرير والكسلان»

ب - إهانته لله واتهامه إياه ، بأنه يأخذ ماليس له ، ويرد الله عليه بما يشากل تفكيره - ولله المثل الأعلى - فيقول : «عرفت أنني أحصد حيث لم أزرع .. فكان ينبغي أن تصفع فضتي عند الصيارة» ويمكن فهم هذه العبارة على ثلاثة أوجه حسب ظاهر النص الذي يظهر تقاليد اليهود في المعاملة :

الأول : هب أنني سيد قاسي ، أما كان ينبغي من أجل هذا أن تكون أكثر اجتهادا ، وأوفر حرصا على إرضاعي ، إن لم يكن لأنك تحبني ، فعلى الأقل لأنك تخشائي ، ومن أجل هذا أقما كأن ينبغي أن تلتفت إلى عملك ؟

الثاني : إن كنت تظن أنني سيد قاس ، ولذلك لم تمحرو على التجارة بأموالي ، خيبة أن تخسر فيها ، ثم تطالب بتعويض الخسارة ، فإنه كان في إمكانك أن تصفعها عند الصيارة أو المصارف ، وعند مجيئي ، كنت آخذ أقل ربح من تشغيلها عند الصيارة ، وبينه آخذ الذي ليس مع ربي ، إن لم يكن مكتنا أن أحصل على أكثر ربح بتشغيلها في التجارة ، كما كان الحال في أمر الوزنات الأخرى .

الثالث : هب أنني حصلت ما لم أزرع ، ولكن هنا لا يعنيك ، فلأنني زرعت فيك ، والوزنة التي أؤثنت عليها ، هي ملكي ، وأنت لم تأخذها لكن تحفظها ، بل لكى تتميها .

والفرض من العبارة ؛ هو وضع التوراة عند المستغلين بالعلم من الأمم

كالفلسفه والمصلحين ، و غيرهم ليتداولوا معانها كتداول الصيارة للنقد ، إذا لم يربدوا دعوة الأمم بها .

ولقد حكم على العبد الكسان - وهو رمز لعلماء اليهود - بحكمين :

الأول : الحرمان من وزنته ، فقد قال : « فخنوا منه الوزنة » إن الله عز وجل له مطلق التصرف في الكون ، وقد أخذ الوزنة من العبد الكسان ، كمال حر التصرف في ملكه ، وليس أخذها منه ظلم للعبد ، فهو لم يؤد بها الحق المطلوب ، الذي ينبغي أن يكون ، وهذا ينطبق على اليهود ، فإن الله أعطى الشريعة لهم ، ليس ليقصرواها على أنفسهم ويحرموا غيرهم من الفوز برضوان الله ، بل أعطاها لهم ليكونوا معلمين في الأرض ، فلما أخذ الوزنة من العبد الكسان أعطاها لغيره . أعطاها للعبد النشيط ، وهذا ما حدث . فإن الله عز وجل سلب الشريعة من بني إسرائيل وسلمها لبني إسماعيل عليه السلام كما في الإنجيل : « هكذا يكون الآخرون أولين ، والألون آخرين ، لأن كثيرين يدعون وقليلين يتذمرون » **أمتى ٢٠ - ١٦**.

وجاء في حديث الحكم : « كل من له يعطى في زده ، ومن ليس له ، فالذي عنده يؤخذ منه » أى من سيدعى أنه صاحب الملكوت فسيؤخذ منه رغم أنه ، ويعطى لصاحبه ، ثم يزيده الله من فضله . وقد ادعى النصارى أنهم أصحاب الملكوت ، وهم ليسوا بأصحابه لأن عيسى عليه السلام من اليهود وهو يضرب مثل العبد الكسان لسلب الملكوت من اليهود .

والحكم الثاني على العبد الكسان : هو « أخرجوه إلى الظلمة الخارجية » وهذا التعبير كناية عن العذاب الذي يصيب اليهود في نهاية مجدهم على يد نبي الإسلام عليه السلام والتاريخ يقول : إنه لما جاء حارب اليهود في شبه الجزيرة العربية . وانتصر عليهم ، وفي خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - استولى المسلمين على بلاد الشام وأقاموا المسجد الأقصى .

الفصل الخامس في الحج إلى الكعبة من قبل الإسلام

لاحظ :

من المزامير التي تكلم عن الحج: (١٥) - ٢٤ (ب) - ٩١ - ١٢١ -
- ١٢٢

(ج) ٤٦ - ٤٨ - ٧٦ - ٨٧ - ١٣٢ . راجع الكتاب المقدس في الشرق
الأوسط - لبنان - سنة ١٩٩٥ م.

يقول الله تعالى : «إن أول بيت وضع للناس ، للذى يبكة ؛ مباركا ، وهدى
للعالمين . فيه آيات بيئات ؛ مقام ل Ibrahim ، ومن دخله كان آمنا ، والله على الناس
حج البيت ، من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين»

وفي الإنجيل عن يحيى عليه السلام : «اما الصَّمْدُ ، فَكَانَ يَنْمُو وَيَغْرُو
بِالرُّوحِ ، وَكَانَ فِي الْبَرَادِ إِلَى يَوْمِ ظُهُورِ إِسْرَائِيلِ» [لو ١: ٨٠]

وفي التوراة عن سُكْنَى إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَسَكَنَ فِي بَرِّيَةٍ فَارَانَ»
وكان الناس يحجون إلى الكعبة من قبل محمد عليه السلام وليس بعيد أن يكون يحيى
قد حج ، وجاور وارتاح منه وعاد إليه ، وأعلم الناس بمحمد الآتي من بعده .

البيان : «وضع» بالبناء للمجهول ، يدل على واضح من قبل الله عز
وجل . وفي التوراة : أن نوحا عليه السلام من بعد استقرار الفلك ، بنى بيته لله ،
والبيت في لسان بنى إسرائيل هو «المذبح» على معنى أن الناس عند هذا البيت
يدبحون الانعام تقبلا إلى الله ، وطلبوا لرضاه ، ففي الأصحاح الثامن من سفر
التكوين : «وَبَنَى نُوحَ مِنْبِحًا لِلَّهِ ، وَأَخْذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ ، وَأَصْعَدَ
مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبُحِ» [تك ٨: ٢٠]

Then Nouk built an altar to the LORD

وهذا البيت كان في أرض «مكة المكرمة» ويدل على ذلك : ارتحال المؤمنين
شرقا إلى أرض «العراق» وال伊拉克 شرقى «مكة» ولو كان استواء الفلك في

«أَرَادَاط» أو «سُرْنِدِيب» لكان يقول : ارتحلوا غربا ، ذلك قوله : «وَكَانَ أَهْلُ الْأَرْضَ جَمِيعاً يَتَكَلَّمُونَ أَوْلَا بِلْسَانٍ وَاحِدٍ ، وَلِفَةً وَاحِدَةً ، وَإِذَا رَتَحَلُوا شَرْقًا ؛ وَجَدُوا سَهْلًا فِي أَرْضِ شِنْعَارٍ ، فَاسْتَوْطَنُوا هَنَاكَ» {نَكٌ ١١ : ٢ - ٣}

As men moved eastward, they found a plain in Shinar and settled there .

والآيات البينات : هي ١ - وجود مقام إبراهيم عند الكعبة ٢ - والامن للملتجأ إلى الحرم ٣ - والحج إلىه من بنى إسرائيل .

أما مقام إبراهيم : فإنه ما يزال إلى هنا اليوم بجوار الكعبة ، وأما الأمان : فإنه من سنة إبراهيم عليه السلام من حين تجديده لبناء الكعبة هو وإسماعيل ، ومعناه : أن الملتجأ إلى الحرم لا يقتصر أحد بسوء حتى يُنظر في أمره ، ويُفصل في دعوه إن كان له دعوى ، وأما الحج إلى الكعبة : فإن نوحاماً بني الكعبة علامة على نجاته من الفرق ، أمر المؤمنين بأن يأتوا إليها في كل عام ، من يستطيع منهم ، ليشكراً الحاج الله على أن نجاه من الفرق ، وهذه هي الإيذان . وصارت من بعده سنة وطريقة ، ولما جدد إبراهيم بناءها ، أذن في الناس بالحج وللمرصاد بالناس نسل إسحق ومنهم سيكون بنى إسرائيل ، وأمر أتباعه به ، من يستطيع منهم كل سنة ، وألزم نسله من «إسماعيل» بتطهير «الكعبة» من الأصنام ، على طول الزمان ، وبإكرام الحجاج ولركع السجود .

وأرخ الناس ، وعدوا سنينهم بمرات الحج كل سنة . ذلك قوله تعالى : «عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَجٍ» أي : ثمانى سنوات .

ولما أنزل الله التوراة على موسى - عليه السلام - لم يكتب فيها له : أن يتوجه المصلى قسراً إلى الكعبة ، وإنما كتب له فيها : أن أى جهة يتوجه إليها المصلى ، فإن الله يسمعُ ويري ، إذ له المشرق والمغرب ، فاتجه المصليون من المؤمنين ومن بنى إسرائيل إلى الكعبة ، على أنها جهة من الجهات ، وحجوا إليها كل سنة ، - كإعلان إبراهيم فيهم - إلى ما بعد داود وسليمان - عليهما السلام - وإلى ما بعد سبي بابل سنة ٥٨٦ ق.م ، وكان داود قد بنى بيتاً لوضع ثابوت العهد فيه ، وقال اليهود : إن سليمان قد أكمله ، وجعله عوضاً عن الكعبة . وقالوا : إن نبوخذ ناصر قد هدمه . وأنهم لما رجعوا من سبي بابل أنسوا هيكلاً سليمان بإذن من قوروش الفارسي . ثم

كتبوا وقال : إن داود قد وضع أساس «المسجد الأقصى» المشهور بهيكل سليمان سنة ألف قبل الميلاد ، ووضع فيه تابوت العهد ، ولو سلمنا نحن بذلك جدلا ، فإنه لم يلزم أحدا يجعله قبلة له في صلاته ، وذلك لأنه متبع لشريعة موسى ، التي فيها : «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا ، آتني إليك وأباركك » { خر ٢٤:٢٠ }

Make an alter of earth for me and sacrifice on it your burnt offerinys and fellowship offerinys, your sheep and goats and your cattle, wherever I cause my name to be honored , I will come to you and bless you .

وقد ابتدأ بنو إسرائيل في صرف الناس عن الحج إلى الكعبة من بعد الرجوع من سبي بابل التي ظلوا فيها مائة عام ، وحيبرهم في الحج إلى «هيكل سليمان» في القدس «أورشليم» أو إلى هيكل «سبيلط» المُحُورون في «نابلس» ولما لم يقدروا على صرف الناس عن الحج إلى الكعبة ، تركوا كثيرين من علمائهم عند الكعبة لإقامة الشعائر الدينية للحجاج ، وتركوا كثيرين من علمائهم عند هيكل سليمان وهيكل نابلس لإقامة الشعائر الدينية للحجاج من بنى إسرائيل ، وظلوا على هذا الوضع إلى سنة ظهور محمد صلوات الله عليه وسلم الذي طردتهم من «مكة» عن أمر الله تعالى وهو : «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ، فَلَا يُقْرِبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا» والمشركون هم اليهود لاتخاذهم أحبارهم أربابا من دون الله .

والدليل من التوراة على أن الحج كان إعلانا من إبراهيم للناس ، وعلى أنه كان في مكة :

أن داود عليه السلام في سفر الزبور تكلم عن «بكة» باليه لا باليم ، وقال : إن «بكة» ديار الرب ، وأنه يعن إلى ديار الرب ، وأن «بكة» بلد الأمن .

وكتب عن الأمن بقوله : «إن العصفور أيضا وجد له وكراء ، واليمامة غزرت نفسها على عرش تضع فيه فراخها» لاحظ : كلمة «أيضاً» فإنها تدل على سابق - لم يذكر في الصن - وجد أمينا قبل أن يجد «العصفور» له أمينا ، وقبل أن تجد «اليمامة» لها أمينا .

ثم قال داود : « طوبى لمن يسكنون فى بيتك ، فإنهم يسبحونك دائمًا » أى أن الأمان والرخاء وسعة الارزاق ورحمة الله . كل ذلك عند « بيت الله » فطوبى للذى يسكن فى جواره ، لأنه سيعطى من جوع ويأمن من خوف .

ثم نتكلم عن منسك الحج ، فقال : « طوبى لأناس أنت قوتهم » لأن الرمل فى أشواط السعى بين الصفا والمروة ، والإفاضة من جبل عرفات ، والمبيت فى منى ، والانحدار إلى الكعبة ؛ كل ذلك يحتاج إلى قوة من الله تحمل فى جسد الحاج ، وهم خارجون من كل فح عميق ، يتلهفون لسلوك الطرق السهلة المؤدية إلى بيت الله المقدس ، وهو الكعبة المشرفة ، ذلك قوله : « طوبى لأناس أنت قوتهم ، المتلهفون لاتباع طرق المفضية إلى بيتك المقدس » والطرق المفضية إلى بيته المقدس ، منها طرق عبور فى « وادى بكة » وما هى الترجمة الإنجليزية^(١) مع النص العربى :

الزهور الرابع والثمانون

« ما أحلى مساكتك يا رب الجنود . ترق بل تحن نفسى إلى ديار الرب ، قلبى وجسمى يرمان بفرح للإله الحى . العصفور أيضاً وجد له وكرأ ، والبسمامة عشرت لنفسها على عش تضع فيه فراخها ، بجوار مذبحك يا رب الجنود ، يا ملکي وإلهي ، طوبى لمن يسكنون فى بيتك ، فإنهم يسبحونك دائمًا .

طوبى لأناس أنت قوتهم ، المتلهفون لاتباع طرقك . المفضية إلى بيتك المقدس ، وإذا يعبرون فى وادى البكاء الجاف ، يجعلونه ينابيع ماء ، ويغمرهم المطر الخريفى بالبركات ، ينمون من قوة . إلى قوة . إذ يمثل كل واحد أمام الله فى صهيون ، يا رب إله الجنود اسمع صلاتى ، واصفح إلى يا إله يعقوب ، يا الله مجتنا ، انظر بعين الرحمة إلى من مسحته ملكا^(٢) ، إن يوماً واحداً أقضيه داخل ديارك خير من ألف يوم خارجها ، اخترت أن أكون ببابا فى بيت إلهى على السكن فى خيام الأشرار ، لأن الرب الإله شمس وترس ، الرب يعطى نعمة ومجدًا ، لا

(١) مُولى بايكل - هربرت / المليزى - كتاب الحياة - مطبعة بريطانيا العظمى ١٩٩٩ م .

(٢) من هو المسح ملكاً؟ من هو من أهل بكرة؟ هو محمد بن عبد الله

يَنْعِي أَيْ خَيْرٍ عَنِ السَّالِكِينَ بِالْاسْفَافَةِ ، يَا رَبَّ الْجَنُودِ طَوْبَى لِلْإِنْسَانِ التَّكَلُّ عَلَيْكَ ۝

Psalm 84

How lovely is your dwelling plass, O lord almighty ! My soul yearns, even faints, for the courts of the LORD My heart and my flesh cry out for the living god, even

The sparrow has found a home, and the swallow a nest for herself, where she may have her young - a place near your altar, O LORD almighty, my King and god. Blessed are those who dwell in your house, they are ever praising you .

Blessed are those whose strength is in you, who have set their hearts on pilgrimage. As they pass through the Valley of Baca, they make it a place of springs, the autumn rains also cover it with pools. they go from strength to strength, till each appears before God in Zion. Hear my prayer, O LORD God Almighty, listen to me, O God of Jacob. Look upon our shield, O God, look with favor on your anointed one. Better is one day in your courts than a thousand elsewhere, I would rather be a doorkeeper in the house of my God than dwell in the tents of the wicked. For the LORD God is a sun and shield, the LORD bestows favor and honor, no good thing does he withhold from those whose walk is blameless.

O LORD almighty, blessed is the man who trusts in you .

لاحظ :

As they pass through the valley of Baca,

الترجمة :

«إذ هم يعبرون خلال وادي بقة» .

وبينما هم يعبرون من طريق إلى طريق^(١)، تفيض أعينهم من الدموع ، طلبًا للرحمة من الله ، وندما على التقصير في مرضاته الله ، وكفى عن كثرة دموعهم

يقوله : إنهم وهم يعبرون ، ي يكون بكاء غزيرا ، للدرجة أن هذا البكاء لو جُمع في أوعية ، وصب ماء الأوعية في آبار ، لخَلِيل للرأني أن الآبار ليست آبارا ، بل هي بنابع ماء .

وكتى داود عن رحمة الله بهم بقوله : إن المقابل للبكاء ، هو الرحمة . وعلامة الرحمة : أن الله يغمرهم بالغفران ، والغفران يُكثر النعم والخيرات ، في مقابل العصيان الذي يتزع البركة من الرزق ، وكفى عن كثرة النعم والخيرات بقوله : «ويغمرهم المطر الخريفى بالبركات» لأن الخريف فصل معتدل يأتي بعد الصيف ، وفيه تكثُر ثمار الأرض .

ثم نكلم داود عن توجههم إلى الكعبة فقال : «ينمون من قوة إلى قوة ، إذ يمثل كل واحد أمام الله» وهذا يدل على أن فرض الحج كان على المستطعين من المؤمنين .

ثم نكلم داود عن محمد عليه السلام فقال : «انتظر بعين الرحمة إلى من مسحته ملكا» من هو المسروح ملكا ؟ وفي ترجمة أخرى : «انتظر يا الله ، والتفت إلى وجه سبحك» والمسروح ملكا : هو محمد عليه السلام أي المصطفى من الله من أرض «بكة» ثم قرن بين «خيام الأشرار» كتابة عن الفصور والذور الفاخرة ، وبين «أكواخ الأخبار» فقال : «اختارت الوقوف على العتبة في بيت الله على السكن في خيام الأشرار»

وفي هذا المعنى : «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويُيشى في الأسواق» كتابة عن تواضعه ، ورد بقوله : «تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا

(١) يقول مفسرو التوراة في المزمر ٨٤ : ٦ - ٧ «اعibern في وادي البكاء...» ما نصه : «وهم في سفرتهم ، والأمل يلاً قلوبهم ، يجعلون من وادي البكاء بدلاً من أن يلاوه بالدموع إذا به يتحول بنبوعا . ذلك لأن عظمة ما يتوقعون ، يجعلهم ينسون ما هم فيه من وعثاء السفر ومشائنه ، وحيثذا فإن الطريق التي يسرون فيها بمحفظتهم الكثيفة المختلفة تصبح أمينة نسمة وغيطة ، ويرون البركات المتعددة كلما جلدوا في السير بعد ، ومكثنا فإن ضعفهم يتحول إلى قوة ، وتعبهم يتحول إلى راحة ، ولا يزالون كذلك إلى أن يقفوا أمام الحجة التي يقصدونها .

وصلاته : من أن يصل إلى ما يتصده بخير وسلام ، ذلك لأن المهم ليس تعب الطريق ، بل الوصول إلى نهاية السفرة ، لتربيح بالاطمئنان ، وتسعد بدار الأمان، ١ - هـ [الستان القويم] .

من ذلك ، جنات تغمرى من تحتها الأنهار ، ويجعل لك تصوراً كـما هو متى
آمال الأشرار .

موضع التحريف في النص :

هو : «إذ يمثل كل واحد أمام الله في صهيون» وـهل كان الحج إلى صهيون؟
إن صهيون ليس جبلًا مقدساً ، وإن هيكل سليمان المقام عليه ليس معبدًا مقدساً ،
ويدل على ذلك : نزاع السامريين واليهود في تقديرهما ، وـهم يقدسون «جرزمهم»
وهيكل سُبْلَط المعروف بهيكل السامريين ، وـاختلافهم يدل على كذبهم ، هنا من
جهة المكان ، وأما من جهة الأشرار ، فإن الأشرار هم اليهود ، ذلك قول عيسى
عليه السلام : «يا أولاد الأفاغى ، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات ، وأنتم
أشرار؟» {متى ١٢: ٣٤}

والنبي الأمى الآتى - المعبـر عنه بالملـك وبالـسيـح فـي النـص - لـن يـأتـى مـن بـنـى
إسـرـائيل ، ذـلـك قـولـه : «هـم أـغـارـونـى بـا لـيـس إـلـهـا ، أـغـاظـونـى بـا بـاطـيلـهـم ، فـأـنـا
أـغـيرـهـم بـا لـيـس شـعـبـا ، بـا مـةـ غـيـرـهـم» {أـنـثـ ٢٢: ٢١} وـيـأتـى مـن بـنـى إـسـمـاعـيل ،
لـآن لـه بـرـكـة {أـنـكـ ١٧: ٢٠}

من نبوءات الكعبة الـبيـت الـحرـام :

مزموـر ٥: ٧ «فـبـكـثـرـة رـحـمـتـكـ أـدـخـلـ بـيـتـكـ»

مزموـر ٢٦: ٨ «يـا ربـ أـحـبـتـ مـحلـ بـيـتـكـ»

مزموـر ٣٦: ٨ «بـرـيدـونـ مـن دـسـمـ الـبـيـتـ»

مزموـر ٦٥: ٤ «الـشـبـعـنـ مـن خـيـرـ بـيـتـكـ»

مزموـر ٦٦: ١٣ «ادـخـلـ إـلـى بـيـتـكـ بـمـحـرـقـاتـ»

مزموـر ٦٩: ٩ «لـآن غـيـرـةـ بـيـتـكـ أـكـلـتـنـىـ»

مزموـر ٩٣: ٥ «بـيـتـكـ تـلـيقـ الـقـدـاسـةـ ، يـا ربـ»

وـفي نـبـوـةـ المـزـمـور ٢٦ : «أـغـسلـ يـدـيـ فـي النـقاـوةـ فـأـطـوـفـ بـمـنـبـحـكـ يـا ربـ
لـاسـعـ بـصـوتـ الـحـمـدـ ، وـأـحـدـتـ بـجـمـيعـ عـجـابـكـ ، يـا ربـ أـحـبـتـ مـحلـ بـيـتـكـ ،
وـمـوـضـعـ مـسـكـنـ مـجـدـكـ» يـقـصـدـ الطـهـارـةـ بـالـمـاءـ مـنـ أـجـلـ الـطـوـافـ بـالـكـعـبـةـ ، الـمـعبـرـ عـنـها

بالمذبح ، وعنها : «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ» أى يتطهروا ويتظفروا .

وفي المز默ر ٣٦ «يُرَوُونَ مِنْ دَسْمِ يَتِكَ ، وَمِنْ نَهْرٍ نَعْمَكَ تَسْقِيمَ ، لَأَنْ عَنْكَ يَنْبُوْعُ الْحَيَاةُ ، بِنُورِكَ نَرِي نُورًا» يقول علماء أهل الكتاب : إن المراد بنورك : نور النبي الأمى الذى إلى العالم ، ويلقبونه بلقب «المسيح» وفي هذا المعنى : «أَوْ لَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ حَرْمًا آمَنُوا ، يُجْبِي إِلَيْهِ ثُمَراتُ كُلِّ شَنْ ، رِزْقًا مِنْ لَدْنَاهُ» - «أَطْعَمُهُمْ مِنْ جَوْعٍ ، وَآمِنُهُمْ مِنْ خَوْفٍ»

وفي المز默ر ٦٥ كلام عن الوفاء بالتلر، والشبع من خير بيته المقدس. وفي المز默ر ٦٦ «أَدْخِلْ إِلَى بَيْتِكَ بِمَحْرَقاتٍ ، أَوْ فِيكَ نُورٌ ، الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا شَفَّاتِي ، وَتَكَلَّمَ بِهَا فَمِي فِي ضَيْقَى ، أَصْعَدْ لَكَ مَحْرَقاتٍ سَمِيَّةً مَعَ بَخُورٍ كَبَاشِ . أَقْدَمْ بَقَرَا مَعَ تَبُوسٍ» وفي هذا المعنى «ولِيُوفُوا نُورَهُمْ» - «وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»

وفي المز默ر ٦٩ يقول النبي يظهر الغيب لله : إنهم أبغضوني بلا سبب ، وقد يينا هنا في كتابنا الإنجيل في التوراة ، وبيننا أن المسيح استدل به على محمد في الإنجيل يوحنا وهو يتكلّم عن «بِيرَكْلِيَسْتُوسَ الرُّوحَ الْقَدِيسَ» وأن ابن هشام صاحب السيرة قد نقله في السيرة .

وفي المز默ر ٩٣ «الرَّبُّ قَدْ مَلَكَ» يعني أن : النبي الذى سيأتي وسيملك على العالم بشريعة ، ثم قال إن شريعته إلى نهاية الزمان «بِيَتِكَ تَلْبِقُ الْقَدَاسَةَ بِأَرْبَابِ الْأَيَّامِ»

جبل بيت الرب في آخر الأيام في سفر النبي إشعيا :

في الأصحاح الثاني من سفر النبي إشعيا :

١ - نبوة بإقامة مملكة «المسيح» المتضرر ، وامتدادها .

٢ - ذكر الشرود الذى لا جلها ترك الرب شعبه ، بنى إسرائيل .

٣ - نبوة بانتهاء العبادة الباطلة .

النص :

«الْأَمْرُ الَّتِي رَأَاهَا إِشْعَيَا بْنُ آمُوسَ ، مِنْ جَهَةِ يَهُوْنَا وَأُورَشَلَيمَ :

ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال ، وتُمْرِي إلَيْهِ كُلُّ الْأَمْمَ ، وَتَسِيرُ شُعُوبَ كَثِيرَةً ، ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب ، فيعلمونا من طرقه ، ونسلك في سبله ، لأنَّه مِنْ صَاهِيْوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ ، وَمِنْ أُورْشَلِيمَ كَلْمَةُ الْرَّبِّ ، فَيَقْضِي بَيْنَ الْأَمْمَ ، وَيُنْصَفُ لِشُعُوبَ كَثِيرَيْنَ ، فَيَطْبَعُونَ سِيَوفَهُمْ سِكَّاً ، وَرِمَاحُهُمْ مَنَاجِلٌ ، لَا تَرْفَعُ أَمَّةٌ عَلَى أَمَّةٍ سِيفًا ، وَلَا يَتَعْلَمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدِ

يا بيت يعقوب ، هَلَمْ فَسَلَكَ فِي نُورِ الْرَّبِّ ، فَإِنَّكَ رَفَضْتَ شَعْبَكَ بَيْتَ يَعقوب ، لَأَنَّهُمْ امْتَلَأُوا مِنَ الْمَشْرُقِ ، وَهُمْ عَانِقُونَ كَالْفَلَسْطِينِيْنَ ، وَبِصَافَحُونَ أَوْلَادَ الْأَجَابِ ، وَامْتَلَاتُ أَرْضِهِمْ فَضْةٌ وَذَهَبٌ ، وَلَا نَهَايَةَ لِكَثْرَتِهِمْ ، وَامْتَلَاتُ أَرْضِهِمْ خَيْلًا ، وَلَا نَهَايَةَ لِرَكْبَاتِهِمْ ، وَامْتَلَاتُ أَرْضِهِمْ أُرْثَانًا ، يَسْجُدُونَ لِعَمَلِ أَيْدِيهِمْ ، لَمَّا صَنَعُتْهُ أَصَابِعُهُمْ ، وَيَنْخُفْضُ الإِنْسَانُ ، وَيَنْطَرِحُ الرَّجُلُ ، فَلَا تَغْرِيْهُمْ .

أَدْخُلُ إِلَى الصَّخْرَةِ ، وَاخْتَبِئُ فِي التَّرَابِ مِنْ أَمَامِ هَيَّةِ الْرَّبِّ ، وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ ، تُرْسَعُ عَيْنَا تَشَامِخَ الْإِنْسَانُ ، وَتُخْفَضُ رَفْعَةَ النَّاسِ ، وَيُسْمَوْ الْرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

فَإِنَّ لَرْبِ الْجَنْدِ بِوَمَا عَلَى كُلِّ مُتَعْظَمٍ وَعَالٍ ، وَعَلَى كُلِّ مُرْتَقٍ ، فَيُؤْرِضُ ، وَعَلَى كُلِّ أَرْزَ لِبَنَانِ الْعَالَىِ الْمُرْتَفَعِ ، وَعَلَى كُلِّ بُلْوَطِ باشَانَ ، وَعَلَى كُلِّ الْجَبَالِ الْعَالِيَّةِ ، وَعَلَى كُلِّ التَّلَالِ الْمُرْتَفَعَةِ ، وَعَلَى كُلِّ بَرْجِ عَالٍ ، وَعَلَى كُلِّ سُورِ مُنْبِعٍ ، وَعَلَى كُلِّ سُفَنِ تَرْشِيشٍ ، وَعَلَى كُلِّ الْأَعْلَامِ الْبَهْجَةِ ، فَيُخْفَضُ تَشَامِخَ الْإِنْسَانِ ، وَتُرْسَعُ رَفْعَةَ النَّاسِ ، وَيُسْمَوْ الْرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَتَزُولُ الْأُوْثَانُ بِتَمَامِهَا ، وَيَدْخُلُونَ فِي مَغَایرِ الصَّخْرَةِ ، وَفِي حَفَائِرِ التَّرَابِ ، مِنْ أَمَامِ هَيَّةِ الْرَّبِّ ، وَمِنْ بَهَاءِ عَظَمَتِهِ عِنْدِ قِيَامِهِ لِيَرْعَبَ الْأَرْضَ .

كَفُوا عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي فِي أَنْفُهُ نَسْمَةُ حَيَاةٍ ، لَأَنَّهُ مَاذَا يُحْسِبُ؟ {إِشْ ۚ ۱:۲} -

{٤٢}

البيان :

١ - إنَّه يتكلَّمُ عنِ نَهَايَةِ أَيَّامِ الْيَهُودِ ، فَهَلِ النَّهَايَةُ لِصَالِحِهِمْ؟ مَلِ يَكُونُ النَّبِيُّ المُتَرَّضُ مِنْهُمْ أَمْ لَا يَكُونُ؟

٢ - وَعَبَرَ عَنِ نَهَايَةِ أَيَّامِ مُلَكِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ ، بِقَوْلِهِ «وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ» وَتَعْبِيرُ آخِرِ الْأَيَّامِ هُوَ تَعْبِيرٌ خَاصٌ بِاِنْتِهَاءِ بَرَكَةِ إِسْحَاقٍ وَابْتِدَاءِ بَرَكَةِ إِسْمَاعِيلَ ، مَأْخُوذٌ

من قول يعقوب لبني لا حضره الموت : «اجتمعوا لاتبتكم بما يصيبكم في آخر الأيام» {إتك ٤٩} ثم قال عن النبي الأنبياء من غيرهم ، الذي ستختفي له الشعوب : «لا يزول تفاصيـلـ من يهودا ، ومشتريـنـ من بين رجليـهـ ، حتى يأتي شيلون ، وله يكون خضرـعـ شعوب» {إتك ٤٩} **وأشيلون** هنا ، هو نبـىـ السلام الآتـىـ من نسل إسـمـاعـيلـ ، لأن إسـمـاعـيلـ مبارك فيه .

٣ - ما هو المراد بـيتـ الـربـ ؟ هو الكـعبـةـ الـبـيـتـ الـحـرامـ ، ولا يمكن أن يكون هو هـيـكلـ سـلـيـمانـ فـىـ أـورـشـلـيمـ ، لأنـهـ يـتكلـمـ عن نـزعـ الـمـلـكـ والـشـرـيعـةـ مـنـهـ .

٤ - وأـينـ كانـ النـاسـ يـحـجـونـ مـنـ قـبـلـ مـوسـىـ صـاحـبـ الشـرـيعـةـ وـمـنـ بـعـدـهـ ؟
الـمـ بـيـنـ نـوحـ مـنـ بـعـدـ الطـوفـانـ مـنـبـحاـ للـهـ ؟

٥ - وقد وضع المحرف «لـأنـهـ منـ صـهـيـونـ تـخـرـجـ الشـرـيعـةـ وـمـنـ أـورـشـلـيمـ كـلـمـةـ الـرـبـ» والـدـلـلـ علىـ التـحـرـيفـ : قولهـ فيماـ بـعـدـ : «فـإـنـكـ رـفـضـتـ شـعـبـ بـيـتـ يـعـقوـبـ»
كيفـ يـرـفـضـهـمـ وكـيـفـ يـخـرـجـ الشـرـيعـةـ مـنـهـ ؟

٦ - ثمـ بـيـنـ السـبـبـ فـىـ رـفـضـ اللهـ لـلـيهـودـ مـنـ السـيـرـ أـمـامـهـ فـقـالـ : لأنـهـ عبدـوا
الـأـصنـامـ .

٧ - ثمـ تـكـلـمـ عنـ الـيـومـ الذـىـ سـيـظـهـرـ فـيـ النـبـىـ الـمـتـظـرـ ، فـقـالـ : إنـهـ سـيـكونـ
عـسـيـراـ عـلـىـ الـيـهـودـ ، وـفـىـ حـالـ ظـهـورـهـ سـيـعـزـ اللهـ أـمـةـ ، وـسـيـئـلـ أـمـةـ ، ذـلـكـ قـوـلـهـ :
«ادـخـلـ إـلـىـ الصـخـرـةـ .. إـلـخـ»
تطـابـقـ نـوـءـ جـبـلـ بـيـتـ الـرـبـ معـ التـورـاـةـ وـأـسـفـارـ الـأـسـيـاهـ :

١ - آخرـ الأـيـامـ : مـاخـوذـ مـنـ التـكـوـنـ ١:٤٩

٢ - جـبـلـ بـيـتـ الـرـبـ : موـافـقـ لـلـمـزـمـورـ ١٥:٦٨ - ١٦

٣ - وـتـجـرـىـ إـلـيـهـ كـلـ الـأـمـمـ : موـافـقـ لـلـمـزـمـورـ ٨:٧٢

٤ - وـتـسـيرـ شـعـوبـ كـثـيـرـةـ ، وـيـقـولـونـ هـلـمـ نـصـعدـ إـلـىـ جـبـلـ الـرـبـ : موـافـقـ
لـزـامـيرـ الـحـجـ ٨٤ـ وـغـيـرـهـ .

٥ - فـيـطـبـعـونـ سـيـوـقـهـمـ سـكـكـاـ : موـافـقـ لـلـمـزـمـورـ ٩:٤٦

٦ - وـلـاـ يـتـعـلـمـونـ الـحـربـ فـيـماـ بـعـدـ : موـافـقـ لـلـمـزـمـورـ ٧٢:٧٢ـ وـ٧ـ

٣ - وتحبى إلية كل الأمم : موافق للمزمور ٨:٧٢

٤ - وتسير شعوب كثيرة ، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب : موافق
لزامير الحج ٨٤ وغيره .

٥ - فيطعون سيفهم سكاكا : موافق للمزمور ٩:٤٦

٦ - ولا يتعلمون الحرب فيما بعد : موافق للمزمور ٧٢:٧٣ و ٧٢

٧ - ويصانحون أولاد الأجانب : موافق للمزمور ٦:٣٥ وهكذا .

والمزمور ٦٨ نبوة عن الكعبة ، كما بيانا .

والمزمور ٧٢ نبوة عن وصف العدل في مملكة النبي الآتى وعموميتها
وجودتها وأبديتها .

والمزمور ٤٦ نبوة عن نصر الله للنبي .

والمزمور ١٠٦ نبوة عن ذكر معاصى بنى إسرائيل وطلبهم من الله أن يعجل
 بإرسال النبي المتظر .

اسم أحمد في الإنجيل

في الإنجيل يوحنا عن اسم أحمد عليه السلام :

«إن كتم تحيونني ، فاحفظوا وصيائى ، وأنا أطلب من الآب ، فيعطيكم
معزيا آخر ليمكت معكم إلى الأبد .. إلخ» {يو ١٤: ١٥ +}

يقول الاستاذ عبد الأحد داود الأشوري في كتابه «محمد كما ورد في كتاب
اليهود والنصارى» : إن المعزى موضوعة بدل كلمة «بيرقلطوس» اليونانية ، وهي
من الناحية اللغوية البحتة تعنى (الأمجد والأشهر والمحظى للمدح) ، والكلمة اسم
مركب من مقطعين الأول Peri والثانى Kleitos ويكتب Periqueitos أو Periqlytos
ما يعني تماماً اسم أحمد باللغة العربية . أى أكثر ثناء وحمدًا ،
ولكن ما هو الاسم السامي الأصلى الذى استخدمنه عيسى المسيح بلغته العربية أو
الآرامية؟

١ - تحتوى نسخة البشتبنا Peshitta السريانية على كلمة (براقليطا) دون
تفسير لعناتها ، وإذا لم أكن مخطئا ، فإن الصيغة الآرامية كانت «محمدة» أو

«جِنْدَه» ما يقابل كلمة «محمد» أو «أحمد» بالعربية ، وكلمة «البرقليطوس» باليونانية .

ب - يصف الجيل يوحنا البرقليطوس بأنه شخص محدث العالم .

ج - ادعى بعض^(١) الناس في العصر النصري الأول أنه البرقليطوس أى :
أحمد ، الذي تنبأ به المسيح .

د - الأوصاف الواردة بعد كلمة «البرقليطوس» تدل على نبي ، ومنها أنه يوحنا
العالم على الخطايا ، ولا يتكلم من عنده ، بل يتكلّم بما يسمع ، ويخبر بأمور
آتية .

ه - إن الكلمة التي نطقها المسيح هي «Periqlyt» بيرقليط وليس هي
«Paraclete»

و - هل من عجب أن يكون أحد الرهبان النصري أو النساخين قد حرف اسم
أحمد إلى Paraklytos

هذا هو ملخص كلامه .

ونحن عليه أن يكمله بقوله : إن حرف السين في اللغة اليونانية يوضع في
آخر أى اسم ، وحرف السين موجود في اليونانية في آخر بيركليت ، فستكون
بيركليت اسمًا لا صفة . وشكل الكلمة في اليونانية هو بدون تشكيل وبدون حروف
علة التي هي الآلف والباء والواو ، وعلى ذلك يمكن أن تُنطق الكلمة بكسر الباء ،
وعكن أن تُنطق بفتحها . وكسر الباء يدل على «أحمد» أى اسم إنسان هو أَحَمَّ لِهِ
من غيره ، ووجود السين في آخر أَحَمَّ ، يدل على أن الكلمة اسم لا صفة .

* * *

ومن كلام عيسى عليه السلام عن بيراكليت الروح القدس :

«إن كتم تحيونني فاحفظوا وصيادي ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً
آخر ، ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله ؛ لأنَّه

(١) منهم ماتن الفارس .

لَا بِ يَنْبَقُ ؛ فَهُوَ يَشَهِدُ لِي ، وَتَشَهَّلُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا ؛ لَا نَكُمْ مَعِنِي مِنَ الابْتِدَاءِ ...
وَأَمَا مَنْ جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ ؛ فَهُوَ يَرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ ؛ لَا تَهُوَ لَا يَنْكُلِمُ
مِنْ نَفْسِهِ ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَنْكُلِمُ بِهِ ، وَيَخْبُرُكُمْ بِأَمْرِكُمْ آتِيَةً ... الْحُكْمُ } يُوحَنَّا : ١٤ + ١٥ }

وَسِيَّانِي مُزِيدٌ بِيَانٍ عَنْ « بِيرَكَلِيتُ » فِيمَا يَعْدُ .

محاكمة الأستاذ الدكتور
طه حسين
على كتابه «في الشعر الجاهلي»

في سنة ألف وتسعمائة وستة وعشرين ميلادية . في مدينة القاهرة ؛ ظهر كتاب للأستاذ الدكتور طه حسين - رحمة الله - يسمى « في الشعر الجاهلي »

وكان أخطر ما فيه هو الجاحظ الدينى الذى شرحه مدرس بدار العلوم اسمه « محمد عبد المطلب » فى مقال طربل له فى عد الاهرام الصادر يوم ٢ مايو عام ١٩٢٦ . وقد خص بالرد ما جاء فى صفحة ٢٦ وما بعدها (يقع الكتاب فى ١٨٣ صفحة) عن قصة إبراهيم وإسماعيل بأنه « كان بين اليهود والعرب فى القديم حرب انتهت بالهدنة وأراد كل من العرب واليهود أن يتقرب بعضهم من بعض فاخترعت القصة لإيجاد هذه الصلة ثم وافقها هوى فى نفوس قريش ومصلحة لهم فى أن يثبتوا لكة مجدًا كمجد روما تدبوا فوافقوا على القصة لأن فيها الكعبة من بناء إبراهيم وإسماعيل . فمجد مكة بهذا قديم ينفع قريشا .. ولما جاء الإسلام وقامت الرؤية تناقضه انتهز فرصة وجود هذه القصة فى العرب فاستغلها لإثباتات الصلة بينه وبين الدينين القديمين . دين النصارى ودين اليهود ، وبيانات هذه الصلة يتقوى على الرؤية العربية »

وزاد الطين بلة حين خلص إلى القول « أمر هذه القصة إذاً واضح فيها حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلتها الإسلام لسبب ديني وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً وإذاً يستطيع التاريخ الأدبي واللغوي إلا بحفل بها عندما يريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى »

ونشرت الأهرام فى عدتها الصادر يوم ١٥ سبتمبر نص البلاغ الذى رفعه عبد الحميد بك البنان إلى « حضرة صاحب العزة رئيس نيابة مصر ». وقد جاء فيه: أن « حضرة الدكتور طه حسين المدرس بالجامعة المصرية نشر ووزع وبأى وسيلة فى المحافل وال محلات العمومية كتاباً أسماه « في الشعر الجاهلي » طعن وتندى فيه على الدين الإسلامي وهو دين الدولة بعبارات صريحة واردة فى كتابه، الأمر الواقع تحت نصوص المواد ٣٠ و ١٣٩ و ١٤٨ من قانون العقوبات ، ولما كان هذا الأمر جريمة،

ولى الحق في التبليغ عنها ، وطلب التحقيق بخصوصها حتى إذا تبيّنت صحة التهمة؛ ترفع الدعوى العمومية عليه » وأرفق نسخة من الكتاب بيلاغه .

٤- تبع ذلك حملة شارك فيها أطراف عديدة . بدا وكان الهدف منها التأثير على قرار النيابة .

فمن ناحية صدرت خلال الفترة القصيرة التي أعقبت تقديم هذا البلاغ مجموعة من الكتب التي ترد على ما جاء «في الشعر الجاهلي»

أولها : وضعه محمد فريد وجدى . الكاتب الإسلامي المرموق الذي رأى أن الدكتور طه حسين قد انتهج منهج الغلو في تحري أسباب الاختلاف على الجاهلين . وقد جرء إلى المبالغة فيه ؛ اعتماده على كتب المحضرات «والكتاب به أخطاء اجتماعية وسيكولوجية وفلسفية لا يصح السكوت عليها »

ثانيها : من تأليف الشيخ محمد الخضر «المعروف بتحقيقه وسعة معارفه العلمية والأدبية»

والثالث : بقلم الكاتب الفاضل «محمد حسين أفندي الموظف بالجمعية الزراعية الملكية» والذي «اشتمل على عدة مباحث قيمة، بعضها تاريخي وبعضها أدبي وأكثرها ديني . وهى فى جملتها شاهد بسعة اطلاع المؤلف وقوته حجته»

من ناحية أخرى شكل عدد من رجال الأزهر ما أسموه «جمعية الدفاع عن حقوق العلماء» والتي دعت إلى اجتماع كبير في حرم الأزهر الشريف يوم الجمعة ١٢ نوفمبر عقب الصلاة «للنظر في شأن المحدث طه حسين ومطالبة الحكومة بإخراجه من الجامعة المصرية »

وخلصت النيابة الاتهامات التي وجهها المبلغون في أربعة :

١- تكذيب القرآن في إخباره عن إبراهيم وإسماعيل

٢- تعرضه للقراءات السبع المجمع عليها وزعمه بعدم إزالتها من عند الله ،
وأن «هذه القراءات إنما قرأتها العرب لا كما أوحى الله بها إلى سيدنا محمد عليه السلام»

٣ - تعریضه بنسب الرسول ﷺ فيما جاء في قوله: إن اتحال الشعر ،
ونسبة للجاهلين جاء بهدف «تعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبة في قريش»
٤ - وأخيرا إنكار أن الإسلام دين إبراهيم

ويعد أن حقن «محمد نور» رئيس نيابة مصر في القضية : وبعد أن فرأ كل ما
اتصل بالكتاب من سائر الأطراف ، جاء رده على الاتهامات التي وجهت لطه
حسين

بالنسبة للتهمة الأولى : رأى أن المبلغين قد انتزعوا العبارات من موضوعها
والنظر إليها منفصلة وأنها جاءت في الكتاب «في سياق الكلام على موضوعات كلها
متعلقة بالغرض الذي ألف من أجله الكتاب»

أما فيما يتصل بالتهمة الثانية : فقد رأى أن ما ذكره المؤلف في هذه المسألة هو
بحث علمي لا تعارض بينه وبين الدين

وفيما يتعلق بالاتهام الثالث : وافق على أن المؤلف تكلم فيما يختص بأسرة
الرسول ونسبة في قريش بعبارات خالية من كل احترام غير أنه لا يوجد اعتراض
على بعثه على هذا التو

كما لم يعرض على أن يكون مراد المؤلف بما كتبه في الاتهام الرابع ما ذكره
غير أنه «كان سىء التعبير جدا في بعض عباراته»

وخلص محمد نور من كل ذلك إلى القول بأن غرض المؤلف لم يكن مجرد
الطعن والتعدى على الدين

أما من الوجهة العلمية : فإن «أستاذ الجامعة المصرية كغيره في الجامعات
الأخرى من واجبه أن ينشر نتيجة أبحاثه ولا يحكم على أعماله إلا النقاد
المتخصصون . وأن مجلس الجامعة بصفته الهيئة التأديةة للجامعة هو الذي يحاكم
الأستاذ المخطئ، وليس غيره»

وأغلقت النيابة بذلك ملف القضية بعد أن خيت آمال خصوم طه حسين بدعا
من عبد الحميد البنا واتهاء بالأهرام.

الرد على الأستاذ الدكتور طه حسين

اعلم : أن البركة تدل على مكان نزول الشريعة . ومن أيام آدم عليه السلام
إلى قيام القيمة ؛ ثلات شرائع إلهية عالمية لجميع الأمم .

الأولى : شريعة نوح عليه السلام وقد نزلت في مكة المكرمة عقب استقرار الفلك فيها على جبل الجودي ، وبناء نوح للکعبه . ف تكون مكة مكاناً مباركاً من حين نزول شريعة نوح إلى حين نزول التوراة على موسى عليه السلام . وكان الناس من بعد ارتحالهم من مكة ، وتفرقهم في البلاد يأتون كل ستة إلى مكة لحج البيت . ويعرفون الشريعة . شريعة نوح من أهل مكة (١).

فَلِمَا نَزَّلَتِ التُّورَاةُ اَنْتَقَلَتِ الْبَرَكَةُ إِلَى مَكَانٍ تَنْزُولُهَا لِقُولِهِ تَعَالَى : ﴿أَنْ بُوْرُكْ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا﴾ . وَظَلَّتِ بَرَكَةُ الْمَكَانِ قَائِمَةً إِلَى ظَهُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي مَكَةِ الْمَكْرُمَةِ ، وَلَا ظَهَرَ وَنَزَّلَ الْقُرْآنُ . أَصْبَحَتِ مَكَةُ هِيَ الْمَبَارَكَةُ فِي أَيَّامِ الشَّرِيعَةِ الْثَالِثَةِ . وَتَظَلُّ مَبَارَكَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . لَانَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَسِّخَ التُّورَاةَ .

وفي القرآن أن الله أعطى بركة لإسماعيل ، وأعطى بركة للإسحق . ذلك قوله تعالى : « ويأركنا عليه وعلى إسحق » وقد بدأ ببركة إسحق من نبي الله موسى . ولذلك قال : « أن بورك من في النار ومن حولها » وبذات بركة إسماعيل من نبي الله محمد ﷺ ولذلك قال : « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء ذكر الملتحفين ، الذين يخشون ربهم بالغيب . وهم من الساعة مشفقون . وهذا ذكر مبارك أنزلناه ، فأفأنت له منكرون » ؟

(١) في التوراة : أن نوحًا عليه السلام لما خرج هو والمؤمنون بالله من السفينة بني منبعاً للرب . والذى يحيى هو المسجد فى لغة أهل الكتاب . وائز الله عليه شريعة بعدمها باركه . ولهذا هو النص : « وبارك الله نوحًا وينبه وقال لهم : انتموا وأكثروا وأملأوا الأرض . ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء ، مع كل ما يدب على الأرض ، وكل اعتتاب البحر قد دفعت إلى أيديكم . كل دابة خبيثة تكون لكم طعاماً .. الخ » [تكتوبين ٩:٦ - ١٠:٢] .

ثم إن الناس ارتحلوا من مكة إلى الشرق إلى جهة العراق ، ذلك قوله : « وكانت الأرض كلها لسانا واحداً ولغة واحدة ، وحدث في لغتهم شرقاً آثيم وجنوا بقعة في أرض شمار ، وسكنوا هناك » [تكتوبين ١١:٢ - ١٣:١]

وعلى هذا الذى قلت فى « البركة » نظر فى الآيات التالية :

١ - **﴿وَأُورثَنَا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضْعِفُونَ مُشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا . وَتَمَتْ كَلْمَةُ رَبِّ الْحَسَنِ عَلَى بَنِ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾**

ي الخبر على زمان مضى لبني إسرائيل . فيقول : إنهم كانوا مستعبدين لفرعون مصر ، وأنه خجاهم من فرعون ، وجعل لهم ملكا فائما على شريعة التوراة ، وهذا الملك محمد بـ مشارق الأرض ومغاربها . الأرض **﴿الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا﴾** ولم يقل : باركنا فيها للعالمين ؛ ليميز بين أرضين مباركين . فيعرف بالتمييز المراد منها . وفي القرآن أن أرض بركة موسى وهي إسرائيل من **﴿طُورِ سِينَاء﴾** ذلك قوله تعالى : **﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمَبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾** قوله تعالى : **﴿إِنَّ بُورَكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا﴾** ولما كانت بركة موسى من طور سيناء ، فإنهم يكونون وارثين للأراضي التي هي حوله . وراثة ملك لنشر التوراة فيها . وقال ابن كثير المعشنى رحمه الله في تفسيره : أخبر - تعالى - أنه أورث القوم الذين كانوا يستضعفون . وهم بنو إسرائيل . مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها . يعني الشام .

والصحيح : أن مشارق ومغارب البلاد التي حول جبل طور سيناء . ليست كلها متوجهة إلى جهة واحدة هي الشام . فإنه لو فرضنا بذلك أسفل جبل الطور . لفرضنا مشرقتها إلى العراق ، ومغاربها إلى مصر . فكيف تكون المشارق والمغارب كلها نحو الشام ؟

وقوله تعالى : **﴿بَارَكَنَا فِيهَا﴾** هو خبر عن زمان مضى . وكان بدؤه في حياة موسى نفسه وكان انتهاءه في زمان محمد نفسه . وتعبيره بالماضي ؛ يدل على أن بركة بنى إسرائيل قد زالت عن هذه الأرض بظهور محمد **ﷺ** ونسخه شريعة موسى عليه السلام . وأن هذه الأرض مباركة من زمان محمد بشريعته ، وتظل مباركة بشريعته إلى يوم القيمة .

٢ - **﴿سَبَحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبْدِهِ لِيَلَامِنَ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى . الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ﴾**

إن قوله تعالى : **﴿الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ﴾** :

١ - إما أن يراد به الآن في هذا الزمان الحاضر . وهو مدة شريعة القرآن .
٢ - وإنما أن يراد به الماضي . وهو مدة شريعة التوراة . وعلى أي احتمال ،
لا يكون المسجد الأقصى مبارك الآن . وذلك لأنه إن كان المراد به الزمان الحاضر .
فإن الفس米尔 الذي هو الهاء في «حوله» يعود إلى المسجد الحرام ولا يعود إلى
المسجد الأقصى . وذلك لأن المسجد الحرام هو المبارك في شريعة القرآن ، لقوله :
«إن أول بيت وضع للناس للذى يبكره مباركاً الآن . فإن محمداً قد بُعث من
بلده . وإن كان المراد به الماضي . وهو مدة شريعة التوراة . فإن المعنى يكون :
«إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» سابقاً من قبل القرآن . وهو الآن غير
مبارك . فالبارك الآن ، هو المسجد الحرام ؛ لتزول القرآن عنه . وهو كأى مسجد
من مساجد المسلمين .

وكيف يكون مباركاً ماضياً أو حاضراً . والمكان المبارك بالمعنى هو جبل طور
سيناء ؟ فيكون المعنى الصحيح : هو عود الفس米尔 إلى المسجد الحرام . الذي باركتنا
حوله من بدء نزول القرآن .

عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى أَقْرَبِ مَذْكُورٍ :

ونقد يكون عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى أَقْرَبِ مَذْكُورٍ في الكلام ؛ كلمة حتى أريد بها
باطل . وبيان ذلك :

قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : «فَامْنَ لِهِ لَوْطٌ . وَقَالَ : إِنِّي مُهَاجِرُ إِلَى
رَبِّي . إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَوَهْبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ . وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النَّبِيَّةَ
وَالْكِتَابَ» إن الفس米尔 وهو الهاء في «ذرته» أقرب مذكور له هو «يعقوب» بن
إسحق .

ولو قلنا بعد عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ ؛ لانحصرت النبوة في نسل يعقوب ، وانحصر
الكتاب أيضاً في نسله . وانحصر «النبوة والكتاب» في نسل يعقوب هو إسقاط
محمد رسول الله ﷺ من عدد النبيين . وذلك لأنَّه من نسل إسماعيل عليه
السلام . فإذاً محمد رسول من الله ، يكون عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى إِبراهيم ؛ ليدخل
محمد في نسله .

وينصرف هذا الكلام على قول الله تعالى : «مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الاتضى . الذى باركنا حوله ﴿ نعندنا مسجدان . أحدهما مبارك بمنص القرآن . وهو
﴾ إن أول بيت وضع للناس للذى يبكة مبارك ، وهدى للعالمين ﴾ والآخر ليس فى
القرآن نص صريح على أنه مبارك الآن . فإن قلنا بعود الضمير وهو الهاء فى
﴾ حوله ﴾ على أقرب مذكور ؛ ليم أن يكون ﴿ المسجد الأقصى ﴾ مباركًا الآن .
ولزم أن لا يكون ﴿ المسجد الحرام ﴾ مباركًا . وهذا لا يقول به عاقل . وال الحال أن
أحدهما مبارك الآن . ولا كان يقول : حولهما . فلنبحث فى القرآن عن المبارك
الآن ؛ لنعيد الضمير إليه .

وفى القرآن الكريم : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها . قرى
ظاهرة ﴾

يخبر عن أرض سبا - وهى أرض اليمن - أنه أكرمهم بأن جعل بينهم وبين
القرى المباركة ؛ قرى ظاهرة . وهذا يدل على أن اليمن ليست من القرى المباركة ،
وعلى أن القرى الظاهرة ليست هي أيضًا من القرى المباركة . فما هي حدود القرى
المباركة القرية من اليمن ، والقرية أيضًا من القرى الظاهرة مثل مدينة « أبهأ » وما
قبلها وما بعدها ؟

إنها مكة وما حولها من القرى التي هي امتداد طبيعي لها . وهل هي مباركة
الآن ، أم كانت مباركة ؟ إن قرى مكة وما حولها مباركة في مدة شريعتين اثنتين .
المدة الأولى : مدة شريعة نوح عليه السلام وتنتهي بظهور التوراة . والمدة الأخيرة :
مدة شريعة القرآن وتنتهي بانتهاء الدنيا . وفي زمن إكرام أهل اليمن من الله : كانت
شريعة التوراة موجودة . ولها البركة . ومكان بركتها هو طور سيناء . فقوله : ﴿
القري التي باركنا فيها ﴾ يعني في الماضي أم في الحاضر ؟ لا يعني الماضي ؛ لأنها
في أيام الإكرام كانت شريعة التوراة هي الموجودة . ولها البركة . وإنما هو يعني
الحاضر . على معنى : ﴿ وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ الآن من بعث محمد
عليه السلام .

الفرق بين الأرض المباركة ، والأرض المقدسة :

وقد وصف الله أرض طور سيناء بأنها مباركة ، وبأنها أيضًا مقدسة .
ووصف مكة بأنها مباركة ، ولم يصفها صراحة بأنها مقدسة . وهي مقدسة في

التوراة في قوله : « جبل قدس » وفي القرآن ما يفهم منه أنها مقدسة وهو « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عاصمهم هنا » لأنها أرض طاهرة والطاهر مقدس . وفي القرآن « وهذا البلد الأمين » ووصف فلسطين صراحة بأنها كانت مباركة ومقدسة . في قوله : « ادخلوا الأرض المقدسة »

وبسبب التقديس : هو أن الله تعالى تجلى لموسى في جبل طور سيناء . وقال له : « اخلع نعليك : إنك بالواد المقدس طوى » وفي التوراة : « اخلع حذاءك من رجليك . لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة » وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه ظهر له رئيس جند الله وقال له : « اخلع نعلك من رجلك ، لأن المكان الذي أنت واقف عليه ، هو مقدس »

ولم يتجل الله لمحمد ﷺ في مكة المكرمة . وإنما هدد بنى إسرائيل بتجليه فقال : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » ؟ ولم يأت في الظلل .

ولازم التجلى هو التقديس . ولو لا التجلى ، ما كان التقديس : فعل بقى التقديس للأرض وللبلاد من بعد نزول القرآن ؟ من المؤكد أنه انقطع من بعد نزول القرآن ، لأن التقديس بسبب التجلى ، والتجلى لنزول التوراة وقبولها . ونسخها يدل على رفع التقديس من مكانية . الأرض والرادي .

٣ - « ونجناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين » يريد أن يقول : إنه في زمن هجرة إبراهيم ولوطا عليهما السلام . كانت الهجرة إلى مكة . التي في هذا الزمان باركنا فيها بشريعة نوح للعالمين . أو يكون المعنى : إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين الآن من حين نزول القرآن وإلى الأبد (١).

(١) في تفسير شيخ الإسلام محمد بن عمر رحمة الله :

« ثم إنه - سبحانه - أتم النعمه عليه بإن نجاه ونجي لوطا معه وهو ابن أخيه . وهو لوط بن هاران ، إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين . وفي الأخبار : أن هذه الواقعة كانت في حدود « بابل » فنجاه الله تعالى من تلك البقعة إلى الأرض المباركة .

ثم قيل : إنها « مكة » وقيل : أرض الشام ، لقوله تعالى : « إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » والسبب في بركتها : أما في الدين ، فلان أكثر الآباء - عليهم السلام - بعثوا فيها ، وانتشرت شرائعهم وأثارهم . وأما في الدنيا ، فإن الله تعالى يبارك فيها بكثرة الماء والشجر .. الخ »

٤ - «تجرى بأمره إلى الأرض التي باركتنا فيها» ي يريد أن يقول : (أ) إن سليمان عليه السلام في زمان بركة التوراة كانت الريح العاصفة مسخرة له إلى الأرض التي باركتنا فيها . ولم يقل للعالمين . ليميز مدينة حكمه . وقد كانت أورشليم التي هي القدس . وكانت تدور في مساحة من الأرض «غدوها شهر ، ورواحها شهر» أي في مساحة تقدر بنحو ألفي كيلومتر . (ب) ومن المحتمل : «التي باركتنا فيها» الآن . وهي أرض مكة . وعلى هذا الإحتمال؛ يكون المعنى إلى نهاية الأرض التي باركتنا فيها الآن . ويلزم هذا المعنى أن يكون سليمان كان ملكا على مكة ، في أيامه . ومدّ ملكه إلى اليمين . مع ملاحظة : أنه كان في «الطائف» لما جاءه الهدى بالخبر .

٥ - «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركتنا فيها قرى ظاهرة» باركتنا فيها الآن من نزول القرآن .

وقد وصف الله القرآن بأنه مبارك . في قوله تعالى : «وهذا كتاب أنزلناه مبارك»

ووصف مكان نزوله بأنه مبارك في قوله تعالى : «إن أول بيت وضع للناس للذى يكثرة مباركا»

وفي القرآن أن العالم الذي يبلغ الشريعة مبارك في قوله تعالى : «وجعلنى مباركًا أينما كنت»

وفي القرآن : أن الأرض مباركة بشرائع الله . في قوله تعالى : «وجعل فيها رواسى من فوقها ، وببارك فيها ، وقدر فيها أتوانها» والبركة غير تقدير الأقواء . ولو كانت البركة هي زيادة الخير والنماء . لما كان يغاير بين البركة والتقدير .

وفي القرآن أن ليلة نزول القرآن مباركة . في قوله تعالى : «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» وفي القرآن أن مكان نزول التوراة كان مبارك . في قوله تعالى : «فلمَا أنناها نودى من شاطئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمَبَارَكَةِ مِنْ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» عود الفسیر :

ونرجع إلى عود الفسیر إلى أقرب مذكور . ونقول : إن الفسیر إذا وجب

عوده إلى أقرب مذكور ؛ فإن وجوب عوده يكون بنص . يُعرف من سياق الكلام . ونبين ذلك بقول الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : « وتلك حجتنا آتيناها لإبراهيم على قومه . نرفع درجات من شاء . إن ذرك حكيم عظيم . ووهبنا له إسحق ويعقوب ، كلا هدينا . ونوحًا هدينا من قبل . ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون . وكذلك لجئي للحسنين ، وزكرياء ويعقوب وعيسى والباس . كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا . وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وأخواتهم واجتبيناهم وهدينناهم إلى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده . ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . فإن يكفر بها هؤلاء ؛ فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين »

البيان :

١ - قوله : « ووهبنا له إسحق ويعقوب » يدل على موهوب له من قبل . والدليل على ذلك : وجود الواو في قوله : « ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة » وأيضاً : النافلة تدل على فرض قبلها . شبه طلب إبراهيم لإسماعيل بالفرض ، لأنه مقدم على النافلة . وهو البكر . وعليه النص في سورة الصافات . وبعد ما فرغ من الكلام عن ذبحة لم يقل « بشرناه بإسحق » وإنما قال : « وبشرناه بإسحق » بالواو العاطفة ليدل على ثان مبشر به بعد أول .

٢ - وينصرف هذا على قوله : « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ؛ ووهبنا له إسحق ويعقوب . وكلا جعلنا نبيا » فإن المعنى هو : « ووهبنا له إسحق ويعقوب » نافلة . ولم يذكر نافلة . لذكرها في موضع آخر ، ولذكره أيضاً في موضع آخر : أنه لما اعتزلهم قال : « إنى ذاهب إلى ربى سيهدين . رب هب لي من الصالحين » وهو إسماعيل الذي يحيى .

٣ - والضمير في « ومن ذريته » وهو الهاء . هل يعود إلى أقرب مذكور وهو نوح أم يعود إلى إبراهيم ؟ إنه يجب عوده إلى نوح . وذلك لأنه لو عاد إلى إبراهيم للزم أن يكون لوط عليه السلام من ذريته ، والحال أنه ليس من ذريته .

٤ - قوله : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » المراد بالكتاب

التوراة . والمراد بالحكم : الملك والسلطان على الناس . وفي المذكورين من لم يحز الثلاثة معاً . فإن التوراة نزلت على موسى عليه السلام وآتاه الله سلطاناً مبيناً .

وهذا هو البيان :

- | | |
|---|--------------|
| ملك ونبوة | ١ - إبراهيم |
| ملك ونبوة | ٢ - إسحق |
| ملك ونبوة | ٣ - يعقوب |
| نبوة فقط | ٤ - نوح |
| آتاه الله الكتاب ؛ لأنّه كان على شريعة التوراة وآتاه الحكم
والنبوة | ٥ - داود |
| معه الثلاثة كائيه | ٦ - سليمان |
| نبوة فقط | ٧ - أيوب |
| ملك ونبوة | ٨ - يوسف |
| معه الثلاثة | ٩ - موسى |
| النبوة والكتاب | ١٠ - هارون |
| النبوة والكتاب | ١١ - زكريا |
| مثل أبيه . وحكم على بنى إسرائيل بالهلاك على يد النبي
الآخر من بعده | ١٢ - يحيى |
| الكتاب والنبوة . وحكم على بنى إسرائيل بالهلاك على يد
النبي الآخر من بعده | ١٣ - عيسى |
| النبوة والكتاب | ١٤ - إلياس |
| النبوة فقط | ١٥ - إسماعيل |
| النبوة والكتاب | ١٦ - اليسع |
| النبوة والكتاب | ١٧ - يونس |
| النبوة فقط | ١٨ - لوط |

وعلى ما قدمنا لا تكون الثلاثة لكل واحد . ومثل ذلك : هؤلاء الجنود
أعطيناهم ثلاثة قرئ . فمنهم من يملك الدور ، ومنهم من يملك البساتين ، ومنهم

من يقيم الشعائر الدينية . ومنهم من يملك أكثر منهم من يملك أقل .

٥ - قوله تعالى : «فَإِن يَكْفُرُ بِهَا» **الضمير وهو «هَا» يعود إلى النبوة . المنوحة لـ محمد عليه السلام . والمراد بـ «هَذَا» اليهود خاصة . في مقابل الذين «لَبِسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ» وهم العرب أبناء إسماعيل .**

هجرة إبراهيم إلى مكة

ويقول بولس في رسالته إلى العبرانيين عن إبراهيم عليه السلام : إنه خرج من أرض آبائه^(١) . وهو لا يعلم إلى أين يذهب . ذلك قوله : «بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يُدْعُ أَطْاعَ إِنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتَيْدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا . فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَينَ يَأْتِي» {أع ١١ : ٨}

وفي التوراة : «وقال رب لآبرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت آبائك إلى الأرض التي أريك » {إنك ١٢ : ١} وهي أرض حaran .

وفي القرآن : «وقال : إنني ذاهب إلى ربى سيدين» ولم يبين له الأرض التي سيذهب إليها . ويمكن تقدير مضان هو : إلى بيت ربى لأنها كان معلوماً للناس من رمان نوح عليه السلام . وهذا كله يكذب كاتب التوراة في قوله : إن تارحاً أبا إبراهيم أخذ إبراهيم ولوطا ، من أور^(٢) الكلدانين . التي هي عند بلاد العراق لينهبا إلى أرض كنعان {إنك ١١ : ٣١} والدليل على أنه كذب : هو أن آر آبا إبراهيم وليس هو تارح ، وأن تارح كان كافراً والهجرة هجرة إيمان ، وأن عشيرة إبراهيم كانت في حaran عند بلاد الأتراك . قوله «لينهبا إلى أرض كنعان» يكذب قوله : إنه خرج ولا يعلم إلى أين يأتي . وفي التوراة : «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانين» {نك ١٥ : ٧} وفي الإنجيل : «ظهر إلى المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين قبلما سكن في حaran ، وقال له : اخرج من أرضك ومن عشيرتك .

(١) أور : في نهاية خليج فارس مقابل الصحراء العربية .

(٢) أرض آبائه هي حaran عند تركيا والتوراة تقول إنه خرج من أور . وفي موضع آخر تقول إنه خرج من حaran .

وهلم إلى الأرض التي أربك . فخرج حيثشـ من أرض الكلدانين ، وسكن في حاران . ومن هناك نقله بعد ما مات أبوه إلى هذه الأرض » {أع ٧ : ٢ - ٤}

لاحظ :

« اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك » ما هي أرضه ؟ وأين كانت عشيرته ؟ يوجد تناقض في التوراة في أرضه ومكان عشيرته . ففي الأصحاح الخامس عشر من سفر التكويرن : « أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانين » وفي الأصحاح الرابع والعشرين من سفر التكويرن : إن إبراهيم عليه السلام أوصى عبده أن يزوج ابنه إسحق من أقربائه : « إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق » وفي الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكويرن « أخى لابان إلى حاران ». « أور » في أرض العراق قرية من « مكة المكرمة » و « حاران » عند « تركيا » فإذا خرج من « أور » إلى بيت الله . فلنبحث في التوراة عن المكان الذي فيه بيت الله . ليس في أرض الشام بيتاً لله . وإنما هو في مكة وهو من وضع نوح عليه السلام . ففي التوراة : أن إبراهيم كان ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من أرضه ومن عشيرته مع لوط عليه السلام ومسارة . وخرج من « حاران » ذلك قوله : « لما خرج من حاران » {تك ١٢ : ٤}

لماذا قال الكاتب : إنه خرج من « أور » وهو قد خرج من « حاران » ؟ إنه يريد اللغو في هجرته إلى « مكة المكرمة »

يقول الكاتب : « واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم . إلى بلطة مورأة وكان الكنعانيون^(١) حيثشـ في الأرض . وظهر الرب لأبرام ، وقال: لنسلك

(١) نوح - حام - كنعان

أولاد كنعان : ١- صِيدُون ٢- حَنَّا ٣- الْيُوسُ ٤- الْأَمُورِي ٥- الْجِرْجَاشِي ٦- الْمُوْيِي ٧- الْعَرْقِي
الْمَالِيْنِ ٩- الْأَرْوَادِي ١٠- الصِّمَارِي ١١- الْحَمَائِي . وبعد ذلك تفرق قبائل الكنعاني . وكانت تاخوم الكنعاني من صيدون ، حينما تمحن نحو جرار ، إلى غرة ، وحينما تمحن نحو سلوم وعمورة وادمة وصبيويم إلى لاشع {تك ١٠}

نسب إبراهيم عليه السلام :

نوح - سام - أرفكشاد - شالم - عابر - فالج - رعو - سروج - ناحور - نارح - إبراهيم .

أعطى هذه الأرض . فبني هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له . ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقى بيت إيل ، ونصب خيمته ، وله بيت إيل من المغرب ، وعاصى من المشرق . فبني هناك مذبحاً للرب ، ودعا باسم الرب ، ثم ارتحل ارتحالاً متواالياً ، نحو الجنوب ٩-١٢ { تك ١٢: ٩-٦ }

شكيم : هي مدينة « نابلس » ويُلوّطه مزورة : غير معروفة مكانها عند أهل التوراة . قوله « وكان الكتيعانيون حيتذ في الأرض » يدل على أن نسل كنعان كان موجوداً في فلسطين زمن إبراهيم ، وأنهم استولوا هذه الأرض . والمفسرون يشككون في هذا الخبر .

وقوله « فبني هناك مذبحاً للرب » معناه : أنه بني مسجداً لعبادة الله تعالى .
وقوله « إلى الجبل » بالآلف واللام يدل على جبل معروف للعالم ولا كان يقول : إلى جبل . بغير ألف ولا م . وهذا الجبل « شرقى » بيت إيل » و « إيل » هو الله تعالى . وأهل كنعان كانوا يعبدون الأصنام . وعلى عبادتهم لها ، لا يكون « بيت إيل » أى بيت الله في أرض كنعان ، وإنما يكون في أرض مكة . ونصب خيمته شرقى بيت إيل ، يدل على أن مقام إبراهيم نحو هذا البيت أى خيامه ومساكنه .
ويوجد حجر يدل على مقام إبراهيم في عصرنا هنا بجوار الكعبة . فإنك تجد جدار الكعبة الذي فيه الباب . وبعده إلى الشرق ووجهك نحو الباب مقام إبراهيم .
وقوله « ودعا باسم الرب » يدل على أنه هدى الناس إلى الله ، والزمهم بعبادته .
وقوله « ارتحل ارتحالاً متواالياً نحو الجنوب » والجنوب في لغة التوراة : جنوب أرض فلسطين . ولأن فلسطين في الشمال تكون مكة في الجنوب .

وقد فسر عيسى عليه السلام أرض الجنوب بأنها مكة . وقال : إن النبي الأمي الآتى على مثال موسى ، سيأتى منها لفتح فلسطين . ففى الجليل بربنا با : « أجاب يسوع : لعم الله الذى تقف بحضرته نفسى : أنى لست مسيئاً الله الذى تتظاهر كل قبائل الأرض . كما وعد الله آبائنا إبراهيم قائلاً : « بنسلك أبارك كل قبائل الأرض »^(١) ولكن عندما يأخذنى الله من العالم ، سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة ، لأن يحمل عادمى التقوى على الاعتقاد بأنى الله وابن الله . فيتجسس بسبب هذا كلامى وتعليمى ، حتى لا يكاد يبقى ثلاثة مؤمناً . حيتذ يرحم الله

(١) تكرين ٢٢ : ١٨ .

العالم ، ويرسل رسوله الذى خلق كل الأشياء لاجله . الذى سبأته من الجنوب بقوة . وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام ، وسيتزع من الشيطان سلطته على البشر . وسيأتى برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به . وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا »

{بر ٩٦ : ٨ - ١٤}

وكاتب التوراة صرخ بأن إبراهيم عليه السلام قد دخل مصر هو ولوط وغيره الغرض من دخوله من دخول للدعوة إلى الله ، إلى دخول من شدة الجوع . وأنه احتال بسارة امرأته ليحصل على خير(١).

ثم صعد من مصر إلى الجنوب هو ولوط عليه السلام « وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل . إلى المكان الذى كانت خيمته فيه في البداية » أى أنه رجع إلى مكة ، إلى مقامه بجوار بيت الله بعدما دعا إلى الله وأذن في الناس بالحج . وأكد الكاتب على هذا المعنى بقوله : « إلى مكان المنبع الذى عمله هناك أولا ، ودعا هناك أبرايم باسم رب » {تك ١٣ : ١ - ٤}

ثم قال الكاتب : إن لوطا ارتحل عن إبراهيم إلى جهة الشرق . وأبرايم سكن في أرض كنعان . فلتحدد جهة الشرق ، لنعرف مكان سليمون وعموره ويقول مفسرو التوراة : « إن الموضع الصحيح لمديتي « سليمون » و « عمورة » غير معروف تماما » وهذا غير معروfan من تغيير الكاتب مكان مقام إبراهيم .

(١) في كتاب بناء الزهور لابن إيس / القسم الأول / الجزء الأول :

« ثم إن الملك رد سارة على إبراهيم ، ووحب له جارية جميلة تسمى هاجر . وكان لها من العمر أربع عشرة سنة . وكان أصلها من مدينة عين شمس التي في المطيرية . فأحب إبراهيم هاجر ونسرى بها فجاءه منها ولده إسماعيل - عليه السلام - وقيل : إن الملك طوطيس أسلم على يد إبراهيم عليه السلام »

« قال ابن نصر المصرى : كان على باب قصر الشمع عند الكتبة المعلقة حنم من نحاس أصفر ، على خلقة الجبل . وعليه شخص راكب . وله عامة مثل العرب وفي رجلية نعلان من جلد . كانت القبط إذا نظلوا ، واعتدى بعضهم على بعض تحاكموا إليه ، ويقفون بين يدي ذلك الصنم . ويقول المظلوم للظالم : إن أنتفني قبل أن يخرج هناراكب الجبل . فيأخذ الحق لى منك ثنت أم أيت . يعني بالراكب النبي مُهَمَّةٌ فلما فتح عمرو بن العاص مصر ، أخذت القبط ذلك الصنم ، للا يكون حجة عليهم »

ويمكن تحديد الموضع بنهاية أملاك إبراهيم عليه السلام في مكة . وذلك لأنهما كانا يسيران معاً في الدعوة إلى الله . ثم قال إبراهيم للوط : « لا تكون مخاضمة بيني وبين رعاتك . لأننا نحن أخوان . أليست كل الأرض أمامك . اعزز عنى . إن ذهبت شمالي فأنما يمينا وإن يمينا فأنما شمالي . . . فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن ، وارتحل لوط شرقاً ، فاعزل الواحد عن الآخر » فعلى هذا يكون بهذه ملك لوط من أسفل ناحية الأردن . وبهذه ملكه هو نهاية ملك إبراهيم من تحت الأردن إلى ناحية مكة .

ولا يمكن أن يكون بهذه ملك إبراهيم من فوق الأردن إلى أرض فلسطين . وذلك لأنه لما ماتت سارة لم يجد لها موضع قبر يدفنها فيه . ففي الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التكويرين : « وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان . فأتى إبراهيم ليذهب سارة ويكيى عليها وقام إبراهيم من أمام ميته ، وكلم بنى حث قائلاً : أنا غريب ونزل عنكم ، أعطوني ملك قبر معكم ، لادرف ميتى من أمامي » ثم اشتري القبر باربع مئة شاقل فضة جائزة عند التجار .

وقال الكاتب : إنه حدثت معركة بين ملوك البلاد . وأنهم أغادروا على لوط وأسروه . ولما علم إبراهيم بأسر لوط خرج بجيشه لاستقاده وبعد ما أنقذه ، خرج ملك سدوم لاستقباله هو وملكي صادق ملك شاليم . وباركه ملك شاليم .

ولو فرضنا وجود إبراهيم في أرض كنعان ساكناً بين الوثنين . فكيف كان سيتأتى له أن ينقذ لوطاً من بين أيديهم ؟ أما سكته بقرره وهو مع أنصاره المؤمنين عند الكعبة ؛ فإنه سيمكته من إنقاده .

شك مفسرى التوراة في زمان هذه المعركة :

في تفسير الكتاب المقدس لفرنسيس دافيدسن وآخرين . ما نصه :

« معركة الملوك (١٤: ١- ١٢) إن طريقة الحديث غير العادية ، عن أبرام ، التي تصفه بأنه «أبرام العبراني» (١٣) قد جعلت الكثيرين يعتقدون أن هذه القصة ربما أنت أصلاً من مصدر أجنبي ، ولما كان «أمراً» قد أعطى مكاناً ممتازاً ، إذ ذكر في المقدمة ، مع أن الحلة كانت تحت قيادة «كلرلورمر» بكل تأكيد ، فإن هنا يبين أن مكان كتابة هذه القصة كان غالباً «بابل» قبل وقت الحادثة المذكورة هنا بأربعة عشر

عاماً ، كان «كدرلعومر» قد أخضع دائرة الأردن ، وكان أبرام وقتنذ ما زال في «حاران» (لاحظ التاريخ المذكور في تلك ١٦:٣) ولا غرابة خمس من مدن الدائرة ، قام عليها «كدرلعومر» وقد اتحد معه ثلاثة حلفاء .

«أبرافل»: إن عدداً كبيراً من المؤرخين قد عرف أبرايل بأنه «حمورابي» الذي ما زالت قوانينه التي وضعها لبابل مشهورة جداً ، لكن هنا التعريف قد استبعد لعدم إمكان إثباته »

«مهاجر إلى ربي» :

وفي حديث التوراة عن إبراهيم تصفه بأنه «أبرام العبراني»

يقول مفسرو التوراة :

«إنقاذ لوط (١٤:١٢-١٣). «أبرام العبراني» (١٣) إن أصل هذا الاسم ومعناه ؛ غير متيقن تماماً ، وهناك احتمالان ؛ فاما أنه يأتي من كلمة «عابر»^(١) (انظر سرح تلك ١٤:١١) وأما أنه مشتق من فعل معناه «عبور» النهر ، وفي هنا إشارة إلى عبور أبرايم لنهر الفرات مع رفاته الكثرين ، وفي هذه الحالة الأخيرة يمكن أن تترجم الكلمة إلى «مهاجر» وهذه قد تظهر طريقة الكنعانيين في التحدث عن أبرايم . وهناك احتمال آخر ، وهو أن تكون هذه الكلمة هي «عيرو» ومعناها «شبه بلوى»

التوراة السامرية :

إلى هنا . ونراجع التوراة العبرانية على التوراة السامرية فيما قدمتنا .

في النص السامری : «وقال الله لأبرم : امض من أرضك ، ومن مولده ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أرشدك » وأنهم خرجوا من حاران . وجاءوا إلى أرض كنعان ، وعبر أبرايم في الأرض إلى موضع نابيس إلى مرج البهاء ، وتجلى الله لأبرم . وبين هناك مذبحاً لله المتجلى إليه ، وانتقل من هناك إلى الجبل ، شرقى بيت القادر ونصب مضربيه . بيت القادر من الغرب والكثير من الشرف ، وبين هناك مذبحاً لله ونادي باسم الله ورحل أبرايم سائرًا وراحلا إلى الجنوب .

وفي الأصحاح الحادى عشر من سفر التكوين : «٣١ تاريخ أبرايم ولده ،

(١) عابر : جد إبراهيم

ولوطا ابن هاران ابن ابنته ، وساراى مملكة كتبه زوجته ابرام ونحوه ابنته ، وأخر جهم من بياض خراسان للمضى إلى كنعان . فجاءوا إلى حران وسكنوا هناك » وفي العبرية « من أور الكلدانيين » بدل « بياض خراسان » . وفي السامرية « شرقى بيت القادر » وفي العبرانية « بيت ليل » وفي السامرية : « بيت القادر من الغرب ، والكبير من الشرق » وفي العبرية : « وله بيت ليل من المغرب ، وعاصى من المشرق» واتفقت النسختان على « إلى الجبل » والجبل بالالف واللام يدل على أنه معروف للعالم ، وليس من جبل معروف غير جبل عرفات . وهناك « بنى مذبحاً لله المتجلى إليه » أي مسجداً لله الذي أمره ببنائه . ولا يمكن أن يكون هذا المسجد غير الكعبة المعظمة .

وفي العبرانية: أن لوطا ارتحل شرقاً . وفي السامرية « فاختار له لوط كل مرج الأردن ، ورحل لوط من قبل ، وانفرد الرجل عن أخيه » وليس فيها أن الارتحال إلى الشرق . بل إلى الأردن . وهو إلى الشرق من أعلى مكة .

لقد ابراهيم ونسله للأرض :

يقول الكاتب : « بعد هذه الأمور ، صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا . قائلًا : لا تخاف يا أبرام . أنا تُرس لك . أجرك كثير جداً »

وقوله « أنا ترس لك » أي أنا سأنصرك على أعدائك ، وسأحميك منهم ، كما يحتمي الترس الفارس المحارب في أرض المعركة . ثم وعده بأجر عظيم . وهذا يدل على تصريح التوراة ببعث الأموات إلى الحساب في الدار الآخرة . لأن الموعد بأجر من الله لا بد من أن يحصل عليه ، لأن الله لا يخلف وعده . فإذا ما قتل في أرض المعركة وهو لم يحصل على أجر في الدنيا . وهو موعد من الله بأجر ، فإنه لا بد من أن يحصل عليه في الدار الآخرة .

وبلغهاد إبراهيم مع الله ، قال له : سأوريك هذه الأرض التي أنت مقيم فيها وهي أرض مكة . ثم أوسع ملكك في العالم ليشمل كل أرض الأرض :

وكاتب التوراة حرف الأرض إلى أرض كنعان . والدليل على أنها مكة : أن إبراهيم قال لله : كيف تكون لي ملكاً وليس لي من وارث ؟ فرد عليه بقوله :

سيكون لك وارث . فإن « أليعازر الدمشقي » مالك بيتك لن يرثك « بل الذي يخرج من أحشائك ، هو يرثك » والذى خرج من أحشائه عقب هذا الوعد ، هو نبى الله إسماعيل عليه السلام . فيكون الوارث لارض مكة ؛ نسل إسماعيل . والدليل على ذلك : أن الكاتب شرع فى كيفية ميلاده عقب الوعد به . وأن ملاك الله بشر أمه بقوله : « تكثيرا أكثر نسلك » ولكنه يرث مكة بالملائكة والنبوة من محمد عليهما السلام ثم يرثسائر الأرض ومنها أرض كنعان . من النيل إلى الفرات . وارث نسل إبراهيم لا يكون إلا بعد عهد . وذلك لأن النسل سيكون للقيام بتبلیغ شريعة من الله للأمم . ومن قبل تبلیغها لابد من عهد من أجل التبلیغ ، ويكون نسل إسماعيل والله طرفاه .

ونظر إبراهيم إلى أرض مكة . فإذا هي أرض غير ذى زرع ، وتأمل فى الوعد بالنسل الذى سيسكن فيها . وتعجب كيف يحيا فيها ويعيش ؟ وقال فى نفسه : كيف أرزق بنسل فى أرض غير ذى زرع ؟ لهذا وعد باموات أم وعد بأحياء ؟ « رب أرنى كيف تحى الموتى ؟ » هؤلاء الذين وعدتني بهم أنهم يأتون من صلبي ، ويعيشون فى هذا المكان . كيف تحييهم فيه ؟ إنهم إن لم يأكلوا ، ماتوا . وليس من زرع يذكر يأكلونه حتى أطمئن على بقائهم أحياء من بعدى « كيف تحى الموتى ؟ » من بنى إسماعيل فى واد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ؟

عند هنا نقف . ونقول :

١ - إن مفسرى التوراة من اليهود والنصارى ، يقولون : إن إبراهيم لما وعده الله بابن وارث لارض فلسطين من صلبه . قال له : « أيها السيد رب بماذا أعلم أنى أرثها ؟ » فهو يطلب علامه على كيفية الإرث للإبن . ورد عليه بقوله : « خذ لي عجلة ثلاثة ، وعتزة ثلاثة وكبشًا ثلاثة ، وعيماء وحمامة » ولا تشق الطير من الوسط ، وشق الحيوانات من الوسط . فشقها ، وجعل كل شق مقابل صاحبه . فترلت الجوارح على الجثث . وكان إبراهيم يزجرها . ثم نعش إبراهيم عند غروب الشمس . وإذا رعية مظلمة عظيمة واقعة عليه . وصوت من السماء قائلاً لأبراهام : أعلم بقيينا أن نسلك سيكون غريبًا فى أرض ليست لهم ، ويُستبعدون لهم . فيذلونهم أربعين سنة » ولما صارت العتمة إذا تور دخان ومصباح يجوز بين تلك القطع .

« في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض . من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »

يقول المفسرون : « كانت العهود القديمة تثبت أحياناً عن طريق شفاعة نصيفين ومرور الغريقين المتعاهدين بينهما ، ولقد تناول الرب بنعمته ليؤكد وعده لأبرام عن طريق الموافقة على تلك العادة المتبرعة »

النقد :

نص التوراة يدل على أن إبراهيم يطلب علامة على كيفية إرث نسل إسماعيل لكتة ، ثم إرث العالم من بعدها . والحرف عكس فقال : إرث نسل إسحق فلسطين فقط . مع أن إسحق لم يكن قد ولد بعد .

وعكسه يدل على قطع عهد « أيها السيد الرب بماذا أعلم أنني أرثها؟ » ليجاهد نسل سكانها . لأن الإرث يكون بنسلي ، والنسل لتبلیغ شریعة . والتبلیغ يلزم عهد وكيف يقطع عهداً وليس من وارث قد وجد على الأرض ليقطع معه العهد ؟ لقد ناب إبراهيم عن نسله . و هو يقطع العهد مع الله نيابة عن نسله من إسماعيل .

وعلى هذه العادة القديمة كان الطرفان يمران معاً من وسط الذبيحة . وإننا نرى علامة واحدة فقط تمر بين القطعتين . إذ يقول : « وإذا تصور دخان ومصباح نار يحوز بين تلك القطع » وهذه إشارة إلى أن الله وحده هو الذي التزم بتتفيد كل الشروط المتعلقة بالعهد . فأين الطرف الثاني ؟ إنه هو إبراهيم نيابة عن الآئمـة من ذريته وهم نسل إسماعيل ؛ لأن إسماعيل هو الذي جاء بعد العهد .

وقول الكاتب « أربعين سنة » كذبه بولس بقوله : « أربعين وثلاثين سنة »
[غلاطية ٣ : ١٧]

وقول الكاتب إن نسل إبراهيم سيتغرب في مصر . قول باطل لأن الذين تغربوا هم بنو إسرائيل فقط .

وقول الكاتب « من نهر مصر إلى النهر الكبير ، نهر الفرات » يكذبه الواقع التاريخي فإن بنى إسرائيل ملكوا على اليمن في زمان سليمان عليه السلام . وإن بنى

إسماعيل مالكون من محمد عليه السلام على أراضي لا نهاية لها . وملكتهم في ازدياد .
وهم من نسل إبراهيم عليه السلام .

٢ - وإن مفسرى القرآن الكريم لم يفطنوا إلى المراد من قول الله تعالى : «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّنِي كَيْفَ تُحْمِي الْمَوْتَىْ؟ قَالَ: أَوْلَمْ تَؤْمِنَ؟ قَالَ: بِلِي . وَلَكِنْ لِي طَمَثْنَ قَلْبِي . قَالَ: فَخُذْ أَرْبِعَةَ مِنَ الطَّيْرِ، فَصَرِهَا إِلَيْكَ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىْ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جَزْءًا . ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا . وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(١)

هل يشك إبراهيم في وجود الله ؟ بالتأكيد لا . وهل يشك إبراهيم في أن

(١) في تفسير الإمام ابن كثير الدمشقي :

اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي ؟ وإن كان لا طائل تحت تعينها . إذ لو كان في ذلك مهم
لنص عليه القرآن . فروى عن ابن عباس : أنه قال : هي الغرنوق والطاوروس والديك والحمامة .
وعنه أيضا : أنه أخذ وزرا ورلا - وهو فرغ النعام - ودبكا وطاوروسا . وقال مجاهد : كانت حماما
ودبكا وطاوروسا وغرايا .

وقوله «فَصَرِهَا إِلَيْكَ» أي : وقطعنها . قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جير وأبو مالك وأبي
الأسود الدؤلي . ووهب بن مبه والحسن والسدي وغيرهم . وقال العوفى عن ابن عباس «فَصَرِهَا إِلَيْكَ»
أوتقعن . فلما أتقعن فيجهن . ثم جعل على كل جبل منها جزءا . فذكروا : أنه عمد
إلى أربعة من الطير ، ف QB;جهن ثم قطعهن ، ونصف ريشهن ومزقهن وخلط بعضهن بعض ، ثم
جزاهن أجزاء وجعل على كل جبل منها جزءا . قبل : أربعة أجبال وقيل سبعة . قال ابن عباس :
وأخذ رهونهن بيده ، ثم أمره الله عز وجل أن يدعونهن . فدعاهن كما أمره الله عز وجل .
فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش ، والدم إلى الدم ، واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل
طائر يتصل بعضها إلى بعض حتى قام كل طائر على حلقة ، وآتته يمين سعيا ، ليكون أبلغ له من
الرقية التي سألها وجعل كل طائر يأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام فإذا قلم له غير رأسه
، ياباه . فإذا قدم إليه رأسه ، تركب مع بقية جسده ، بحول الله وقوته . ولها قال : «واعلم لن
الله عزيز حكيم»

التقد :

- ١ - ما روى عن ابن عباس ومجاهد بذلك على حيوانات . والقرآن ينص على طيور .
- ٢ - وفي قصة التمرود التي رواها المفسر ، ذكر نبه على غير ما في التوراة .
قال : مهروذ بن كعنان . . . بالذال المعجمة وفي التوراة بالذال المهملة . وفي التوراة نبه مكنا :
نوح - حام - كوش - مهروذ الذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض ، إلى أن قال الكاتب : كان ابتداء
ملكه بابل .

الله يحيى الموتى ؟ بالتأكيد لا . وطلبه وهو «كيف تحيي الموتى ؟» يدل على الكيفية ولا يدل على الإنكار . وما هو غرضه من معرفة الكيفية ؟ هنا هو السؤال ه هنا . إن كان الغرض تأكده من إحياء الموتى في القبور . فإن القادر على الإيجاد ، قادر على الإعادة . وإن كان غرضه كيفية إحياء الموتى في القبور ، فلماذا لم يشفعه بأن يريه أيضاً كيفية خلق الإنسان من العدم ؟ وأى فائدة من معرفة كيفية إحياء الموتى . إذا كانوا سبّحون حقاً وصدقوا ؟ وهو يعلم أنهم سبّحون حقاً وصدقوا .

وطلبه معرفة الكيفية ، ليطمئن قلبه . محتمل أنه يريد أن يطمئن قلبه على نسله من بعده . كيف يحييون في أرض قفر ، أكثر من احتماله لمعنى أنه يريد كيفية البعث يوم القيمة . بدليل قوله للذى حاجه في ريه : «ربى الذى يحيى ويميت» وقد جاء الموت في القرآن على المعنى الحقيقي . وهو انقطاع النفس والهوا عن الجسد . وعلى المعنى المجازى . وهو الفبيع والهوان . بل في شعر العرب :

مات من كرم الزمان . فإنه . . . يحيا . لدى يحيى بن عبد الله

١ - ومن الآيات الدالة على المعنى المجازى^(١) : «أو كالذى سر على قرية . وهي خاوية على عروشها . قال : أى يحيى هذه الله بعد موتها ؟» - «والله الذى يرسل الرياح فتشير سhabاباً فستناه إلى بلد ميت . فأحيينا به الأرض بعد موتها» قوله «وهي خاوية على عروشها» كتابة عن خرابها على يد «نبي خذ ناصراً» ملك بابل . وليس المعنى أن الخواه على السقوف . وتعجب المار من خرابها وقد كانت مدينة عظيمة بقوله : «أى يحيى هذه الله بعد موتها ؟» معناه : كيف يعيدها إلى سابق

(١) وللمجاز كثير في لغة العرب في جميع الفنون . ومن ذلك ما جاء في بداع الزهور لابن لیاس -

القسم الأول / الجزء الأول

قد بلغ العشق متهاه	وما درى العاشقون ما هو
ولما غرهم دخولى فيه	فهموا به وتساهو
ولى حبيب يرى هوانى	وما تغيرت عن هواه
رياضة الخلق فى احتمالى ..	وروضة الحسن فى حاله
أسمر لبدن القوام الى	بعشقه كل من يراه
ريقته كلها مدام	ختامها المسك من لاه
ليلته كلها رقاد	وليلته كلها انتهاه

عظمتها وقد خربت هكذا ؟ ومدة الحرب كانت « مئة عام » خلافاً لقول أهل الكتاب إنها سبعون عاماً وقد عمرت بعد المائة عام . وهي قرية « أورشليم » « القدس » -

٢ - ونفس المعنى في قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم . وهم ألوه . حذر الموت . فقال لهم الله : موتوا ، ثم أحياهم » يخبر عن أورشليم لما غزا أهلها نبوخذ ناصر ملك بابل سنة ٥٨٦ ق.م وهزمه وأخرجهم منها إلى « بابل » وهم كثيرون وخائفون من الموت . « فقال لهم الله : موتوا » موتاً مجازياً أي حكمنا عليكم بخراب القرية والنفي والهوان والضياع لمدة مائة عام ثم حصل لهم مثله مع الفرس ، ثم اليونان ، ثم أهل الروم « ثم أحياهم » أي مجازاً على يد محمد عليه السلام ولكنهم كفروا به . وأعاد لهم المجد والملك .
معنى « فنصرهن إليك » :

وفي نص التوراة عن شق الحيوانات : أنه شقهن من الوسط « وأما الطير فلم يشقه » وفي التوراة : جاء الصر على المعنى الحقيقي . ومنه : « وصر وزنى فضة في كيسين وحلتني الشياطين . ودفعها لفلايميه فعملاها قداماها » { ٢٣: ٥ مل ٥ } بريده : أنه وزن الفضة ووضعها في ثوب ، وحافظ عليها . وجاء الصر على المعنى المجازى ومنه : « صر الشهادة . اختم الشريعة بتلاميذى » { إش ١٦: ٨ } شبه الشهادة وهي شئ معنوي بشئ محسوس يوضع في قماش ، ويعتني بحفظه .

وعلى ذلك يكون تفسير « فنصرهن » بتفطيع الطير إلى أجزاء ، ووضع كل جزء من طير مقطوع على جبل ؛ هو تفسير ليس على قواعد اللغة . ومن لوازم الحفظ - الواضح من الصر - أن يطعم الطيور الأربعية ويسقيها بالماء لثلاث ثغور ؛ لأنها لو ماتت لا يمكن من حفظهن فائنة ، وفي الحفظ بالطبيعة يمكن بيفض ونفس ، ويلزم للنفس أن يطعم الطير أفراده من مناقيره ؟

ومن بعد أن يصرهن إليه ، خُوطب بأن يجعل على كل جبل منها جزءا . هل من الأربعة أم من الأربعية وما تقع منها في أيام الصر ؟ إن قوله « فنصرهن » يدل على الحفظ عنده في مكان مكين . والعقل يجور بيفض ونفس ونتائج طيور في مدة الصر . والعقل يجور وضع بعض النتاج على كل جبل . فيكون الجزء الموضع على كل جبل ؛ هو فراغ من نتاج الطيور الأربعية . اللذان هما ذكران وأنثيان قد انتجا فراغاً كبيرة . فلو فرضنا أنه وضع عشرة من الفراغ على كل جبل . إذ كان

عنه أربعون غير الذكرين والاثنين . ثم لم يدعهن إليه ؛ ففرض أن بعضهن سبأته بلا دعوة ؛ لأن الحمام بطير إلى مكان نشاته بدون دعوة . ونفرض زغاليل الحمام التي لا تقدر على الطير ؛ لن ثانى طازرة ، وإنما ستانى سعيا على الأقدام . ويسرى هنا الفرض في النوع الآخر . ولذلك وحد طريقة الإتيان بأنها بدعة وبأنها سعيا على الأقدام .

يشبه هذا في الدعوة : أن نسل إسماعيل إذا كثر وتفرق عند الجبال . فإن أحنا لو دعاهم إلى الكعبة ؛ فإنهم يأتون سعيا ويتجمعون . وشبه هنا في السعي على الأقدام . أنهم يأتون رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .
«صر» في اللغة العبرانية :

في اللغة العبرانية ثانى «سُور» بثلاثة أحرف هي السين واللواء والراء . في سفر إشعياء ١٦:٨ «صر الشهادة . اختم الشريعة بتلاميذى» وهي بمعانى منها : بربط - يحزم - يلف . ومنها : الحفظ - الغلق - السيطرة على المدينة . ومنها معاملة الآخر كعدو ، ليضره . كما في الخروج ٢٣:٢٢ والشبيه ٩:٢ وفي قاموس قوجمان : أن صر (حرف السين المفتحة والراء) ثانى بمعان :

- ١ - حاصر - طوق - فرض حصارا على
- ٢ - قوب - شكل - صر - كيف
- ٣ - عادى - ناصب العداء
- ٤ - ربط - صر - حزم - لف

انظر مواضعها في :

ث ١٤:٢٥ / الملوك الثاني ٥:٢٣ / عزرا ٥:٣ / إشعياء ٣:٢٩ / ٢:٣ / سرم ٢:١ / مل ١٥:٢٧ / ١ مل ٦:١٧ / ٢ مل ٦:٢٤-٢٥ / مك ٢:١٧ / مك ٥:٥
خر ٩:٢ / ث ٢٢:٢٣

وعلى هذا الذي ذكرناه ؛ تكون **«صرمن»** الواردة في القرآن محتملة لمعنىين . إما

- أ - الفسق والعناية والرعاية والكافلة
- ب - وإنما القطع والذبح والقتل .

والمرجع للمعنى الاول هو قوله **«إليك»** فيكون المعنى : ضمهم إليك . أى للعنابة بهن . ولو كان يريد المعنى الآخر . لما كان يقول **«إليك»** لأن المعنى يشير اذبحهن إليك . وهذا لا يستقيم في اللغة . والمستقيم هو أحد معนدين :

١ - ضمهم إليك واكفلهن ، ثم من بعد كثرتنهن ، اجعل على كل جل منهن جزءا . وهن أحيا . ثم ادعهن يأتيك سعيا .

٢ - ضمهم إليك واكفلهن . ثم من بعد كثرتنهن ، اذبحهن ، واجعل على كل جل منها جزءا . وهن مذبوحات . ثم ادعهن يأتيك سعيا .

فأى المعندين هو المراد ؟

ما كان الغرض هو كيفية إرث أولاده أرض مكة وهو عقديم والأرض قفر . وذلك بالتمثيل بالطيور أمام عينيه ، والمناسبة لنزارة الأولاد وإحضارهم من البلاد ما أن يكتروا هو عدم ذبح الطيور . يكون المعنى الأول هو المراد . ويضاف إلى ذلك : إن ذبح الطيور ولا حيانهن ، معجزة . والمعجزة للأنبياء . إذ يطلبها أنوارهم ويشاهدونها بأعينهم . ولم يطلب معجزة من إبراهيم طالب .

* * *

ميلاد إسماعيل عليه السلام

{ تكويرن ١٦ - ١ }

« مصرية اسمها هاجر » يقول المفسرون : إن « هاجر » معناه : « هرب » وهذا قد يشير إلى هرويها من سيدتها السابقة في مصر .

وكانت القوانين تسمع في أيام إبراهيم عليه السلام بأن السيدة الحرة كانت تعطي جاريتها لزوجها لتنجب لها منه بنين « فقلت سارة لأبرام : هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة . ادخل على جاريتي . لعل أرزق منها بنين » .

فسمع أبرام لقول سارة . فأخذت ساراً امرأة أبرام هاجر **المصرية** جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان ، وأعطيتها لأبرام رجلها زوجة له فدخل على هاجر ، فحبكت . ولما رأت أنها حبت صفت في عينيها . يقضى الرب بيني وبينك . فقال أبرام لسارة : هو ذا جاريتك في يدك . انفعلي بها ما يحسن في عينيك . فاذلتها ساراً . فهربت من وجهها .

فوجدها ملائكة الرب على عين الماء في البرية

لاحظ :

١ - ملائكة الرب

٢ - عين الماء

٣ - في البرية .

لم يقل عين ماء في برية . لتكون أى عين في آية برية . وإنما قال بالإضافة وبالآلاف واللام ليدل على عين معروفة ، في برية معروفة .

وفاران : أرض فوران الماء من باطن الأرض في زمان سفينة نوح عليه السلام وهي أرض مشهورة بأرض فاران وفيها بنى نوح «مذبح الرب» بعد الطوفان .

ولاشتهرها ! حددوا معالم بها . مثل «إلى بطمة فاران ، التي عند البرية» {إتك ١٤:٧} أى برية مشهورة في العالم .

وفي التوراة عن إسماعيل : « وسكن في البرية . وكان ينمو رامي قوس . وسكن في برية فاران » {إتك ٢١:٢١}

فقد فسر البرية بالآلاف واللام بأنها برية فاران . ومميز الكاتب بين برية سيناء وبرية فاران فقال : « فارتخل بنو إسرائيل في رحلاتهم من برية سيناء ، فحلت السحابة في برية فاران » {عند ١٠:١٢}

« وبعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ، ونزلوا في برية فاران » {عد ١٢:١٦}

وكان موسى عليه السلام مقينا في برية فاران لما أرسل رسلاً ليعرفوا أرض كنعان « فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول رب» {عند ١٣:٣} ورجعوا إليه فيها « إلى برية فاران » من جهة قادش {عند ١٣:٢٦}

وفي أول سفر الشنتية أن موسى أعاد قراءة التوراة على بنى إسرائيل « في عبر الأردن في البرية في العريبة قبلة سوف . بين فاران وتوفل »

وفي آخر سفر الشنتية : أن شريعة الله ستزل في فاران « وتللا من جبل فاران ، وأتي من ريوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم » {أنت ٣٣:٢٤}

وفي أيام داود عليه السلام « نزل إلى برية فاران » { ١ ص ٢٥ : ١ } وفي أيام سليمان عليه السلام « وقاموا من مدیان ، وأتوا إلى فاران ، وأخذوا معهم رجالاً من فاران إلى مصر » { ١ مل ١١ : ١٨ } وفي سفر حبقوف : « الله جاء من تيمان ، والقدس من جبل فاران » إلى أن نكلم عن محمد ﷺ بلقب المسيح فقال : خوجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك » { حب ٣ : ١٣, ٢ }

* * *

لقد أعطيت لهاجر بركة :

يقول مفسرو التوراة : إن هاجر لما هربت من وجه سارة ، قابلها ملاك الله على عين الماء في البرية ، وقال لها : « تكثير أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة » { إتك ١٦ : ١٠ } يقول المفسرون : « لقد أعطيت لهاجر بركة » وهذه البركة معادلة لبركة سارة . وهي : « أباركها فتكون أمًا وملوک شعوب منها يكونون » { إتك ١٧ : ١٦ } في سفر التكرين : « وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك ، فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبل فتلدين ابنا . وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لذلتك . وأنه يكون إنساناً وحشياً . يدُه على كل واحد ، ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن .

فدعوت إسم الرب الذي نكلم معها أنت ليل رئي ؟ لأنها قالت : أمهنا أيضاً رأيت بعد رؤيتك ؟ لذلك دعيت البنر ، بنر لَحَى رئي »

يقول المفسرون : إن اسم إسماعيل معناه : « الله سيسمع وستكون صفاته في إنساناً وحشياً » أي : « إنساناً كالحمار الوحشي » إن الحمار الوحشي في الصحراء العربية كان ضمن الكائنات الراتبة » هذا هو كلام المفسرين بنصه ، ويستدلون عليه بما في سفر أيوب وهو : « من سرّح الفراء ، ومن فلك ربّط حمار الوحش الذي جعلت البرية بيته ... إلخ » { أي ٥ : ٣٩ - ٨ } ويقولون بعد هذا : « لقد أضحي رمزاً مناسباً لحياة العرب الرحل الطلاقة »

« أمام جميع إخوته يسكن » :

هذا يعني أنه سيعافظ على استقلاله ، ويستمر كفصيلة منفصلة وسط الشعوب الخارجة من صلب أبرام .

أنت ليل رُّنى :

يقول المفسرون : هذه عبارة عبرية معناها « إله الرؤيا » وهي في العربية كما في العربية تعني الإله الذي يرى بقدر ما تعني الإله الذي يسمع لنفسه بأن يُرى (١)، ولا أن القراءة ترجع المعنى الأخير ، ثم إن تعبير هاجر هو جملة عبرية يصعب ترجمتها ، وهي قد تعنى « هل ما زلت أحيَا وأرَى ، بعدَ أَن رأَيْتُ اللَّهَ؟ » « بِئْرَ لَحَّى رُّنى »

ويمكن ترجمتها كلمة مكنا : « بئر الحى الذي يرى » وهي تعنى بأكثر تصرف « بئر استمرار الحياة بعد رؤية الرب » وفي التوراة السامرية :

« ودعت اسم الله المخاطب لها : أنت القادر الناظر . إذ قالت أيضا : هنا نظرتُ بعد نظري . بسبب ذلك سميت البئر ، بئر الحى الناظر »

والمعنى : أنت وأنا ساكنة في هذا المكان ، كنت أنظر هذه البشر . ثم لما كلمتني الملائكة عندها ، نظرتها أيضا .

تجديد العهد مع إبراهيم :

ولقد قلنا : إن الله كلام إبراهيم فائلا : « الذي يخرج من أحشائك ، هو يرثك » ثم أراه كيفية إحياء الموتى بالطبيور الأربعية . ومن بعد ما أراه « قطع الرب مع أبرام ميثاقا » وهذا هو العهد . ثم إن الله جلده بعد ولادة إسماعيل ثلاثة عشر سنة ، ومن قبل ولادة إسحق سنة . ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكويرين :

١ - « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لأبرام وقال له : أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملا ؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا»

والمعنى : سر أمامي في جميع أمم الأرض ، وكن قدوة للناس في فعل الخيرات ، وامض عبادة الأصنام بعد السيف . وإن فعلت ذلك « أجعل عهدي بيني

(١) تنص التوراة على أن الله لا يرى ولا يقدر أحد على رؤيته . وإذا جاءت نصوص تدل على رؤية الله ، فال المراد رؤية ملاك نيابة عنه .

وبيك » ومهنا ١ - نسل لإبراهيم . وهو إسماعيل لا غير . ٢ - وإبراهيم قد ابتلاه ربه بكلمات فائمهن . وإذا نجح في امتحان الإيمان والأعمال . وصار إماما ؛ طلب إماما واحدا في نسل إسماعيل . هو محمد عليه السلام

٣ - وطلب أن يكون العهد في نسل إسماعيل من محمدرسول الله . وذلك لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد . وإسماعيل هو الموجود مع أبيه في «مكة» واليه الإشارة بقوله «كثيرا جدا» فإنها في العبرانية «باد باد» وهي بحساب الجمل تساوى «محمد» فيكون المعنى : وأجعل عهدي بيني وبينك وأكثر نسلك من محمد . وهو معنى قول ملاك الله لهاجر : «تكثيرا أكثر نسلك فلا بعد من الكثرة» ووصف الملائكة إسماعيل بأنه يكون إنسانا وحشا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه . أى يكون مخالطا للألم . غالبا مرة ومغلوبا مرة . وهذا لم يحدث لنسل إسماعيل إلا من محمد رسول الله . وفي القرآن الكريم ﴿وإذ ابلى إبراهيم ربه بكلمات فائمهن . قال : إنى جاعلك للناس إماما . قال : ومن ذريتى . قال : لا بنال عهدي الظالمين﴾

علامة العهد :

« وقال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعליך في أجيالهم . هنا هو عهدي الذي تحفظونه ، بيني وبينكم وبين نسلك من بعליך . يُختن منكم كل ذكر »

فلماذا الختان ؟

لأن إبراهيم سيجاهد عباد الأصنام بالسيوف . وسيقتل من المؤمنين والكافرين قتل . ولا يميز المؤمن من الكافر في ساحات الحرب إلا قطع الغرلة . فلذلك جعل الله الختان فرضا . لأن الجهاد فرض .

دخول إسماعيل في العهد :

« في ذلك اليوم عينه ، خُتن إبراهيم وإسماعيل ابنه » أى أن نسل إسماعيل دخلوا في العهد المنصوص عليه في قوله : « أما أنا فهو ذا عهدي معك ، تكون أبا لجمهور من الأمم ، وأتدرك كثيرا جدا ، وأجعلك أمّا . وملوك منك يخرجون »

وقد أشار إلى محمد رسول الله بقوله : « كثيرا جدا » كما أشار إليه في أول العهد « كثيرا جدا » ولا قال الله لإبراهيم : « وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعده في أجيالهم » وقال من قبل : « سر أمامي وكن كاملا »

قال إبراهيم لله : « ليت إسماعيل يعيش أمامك » أى أتمنى أن يسير نسل إسماعيل أمامك في الدعاء إلى دينك . ورد الله عليه بقوله : « وأما إسماعيل فقد سمعت (1) لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » . يقول مفسرو التوراة : « نعم إن إسماعيل سيبارك . أما الوعد فإنه خاص بـ « ساحق » وعلى قوله يكون الإنفاق حاصلا بين القرن وبين التوراه . في بركة إسماعيل . ويكون الاختلاف بين علماء المسلمين وبين علماء أهل الكتاب في العهد .

ويرد علماء المسلمين على أهل الكتاب بقولهم إن إسحق لم يكن قد ولد بعد فكيف يكون العهد له ؟ وأنتم تقولون : إن إسحق قد ولد بعد تجليد العهد ، وتقولون : إنه هو النبيع . فلو فرض أنه قد ذُبْح حقا . فكيف يتم العهد في نسله ؟

إسحق نافلة :

وفي القرآن الكريم : « وياركتنا عليه وعلى إسحق » والمعنى : أنه قسم البركة على إسماعيل النبيع وإسحق . وليس في القرآن أنه قسم العهد على إسماعيل وإسحق . وذلك لأن العهد في إسماعيل وحده . وقد تم من قبل ولادة إسحق . فإذا جاء إسحق أو لم يجيء ، فإن العهد قد أخذ على إسماعيل . وعليه تم . ولذلك عبر القرآن بأن إسحق نافلة . وليس أصلا . وفي التوراة ما يدل على أنه نافلة ، وما يدل على أن الأصل إسماعيل . وهو : « وقال الله لإبراهيم : سارى أمراتك لا تندعوا اسمها سارى ، بل اسمها سارة . وأباركها . وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها ف تكون أمّا . وملوك شعوب منها يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه

(1) يقول الله تعالى : « والذين يجاجون في الله من بعد ما استجيب لهم » يعني اليهود يجاجون في نبوة محمد ﷺ من بعد ما استجاب الله دعاء إبراهيم في إسماعيل أن يسير نسله أمام الله للدعاة إليه من محمد ﷺ .

وضحك ، وقال في قلبه : هل يُولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت
سعين سنة ؟

إنه يقول : « وأعطيك أيضا منها أبنا » وكلمة « أيضا » تدل على أول مبارك
نبه من الله . وأن العهد قد تم له . وإنه يقول : إن إبراهيم قد تعجب من هذه
البشرى .

يقول مفسرو التوراة : في تفسير : « فسقط إبراهيم على وجهه وضحك » : « لقد
وجد إبراهيم من البداية أنه من الصعب تصديق الوعيد . وهذا التفسير الخاص
بضحك إبراهيم هو وليد ما « قاله في قلبه » ١٧ وما طلبه من الله بأن ترتكز
الموعيد في إسماعيل ١٨ .
أ.ه
تفسير بولس للعهد :

يقول الله لإبراهيم وهو يعاذه في السير أمامه : « وأقيم عهدي بيني وبينك
ويبن نسلك من بعديك في أجيالهم عهداً أبداً » { تك ١٧ : ٧ } والنسل الموجود حيث
هو نسل إسماعيل عليه السلام . وإبراهيم قد ثمنى سير إسماعيل أمام الله من نبي
يظهر من نسله . ولما قال الله له : « أتيت جاعلك للناس إماماً » طلب الإمامة أيضاً في
واحد من ذرية إسماعيل لأنه لم يكن له إلا إسماعيل .

وعلى هذا يكون العهد لواحد من نسل إسماعيل . فماذا قال بولس في هذا
الواحد ؟ قال : إن العهد لواحد ، وقال : إن هذا الواحد هو « المسيح » وإلى هنا
يكون كلامه صحيحاً . لأن « المسيح الرئيس » - بلغتهم - هو محمد رسول الله .
ولكته فسره بعيسى عليه السلام . وتفسيره باطل .

وذلك لأن إسحق لم يكن قد ولد وقت إبرام العهد .

يقول ما نصه : « وأما الموعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله . لا يقول : وفي
الأنسال كأنه عن كثرين ، بل كأنه عن واحد . وفي نسلك الذي هو المسيح »
{ غلاطية ٣ : ١٦ }

وهذا العهد الذي كان بين الله وبين إبراهيم في نسله . بدأه من محمد رسول
الله لأن إبراهيم إمام أول . والآتي من ذريته إمام آخر . فهما إمامان . والعهد

للإمام الآخر . ونص عليه بقوله : **﴿لَا يَنْالُ عَهْدِ الظَّالِمِينَ﴾** أى عهدى للإمام الآخر الذي أعطىه لبني إسماعيل وهو محمد رسول الله .

وقوله تعالى : **﴿وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ بِكَلْمَاتٍ فَأَتَاهُنَّ . قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا . قَالَ مَنْ ذَرْتَنِي . قَالَ لَا يَنْالُ عَهْدِ الظَّالِمِينَ﴾** وإرد على حكاية قائل له من علماء بنى إسرائيل وأتبائهم . يحكي ويقول : واذكر يا محمد أن رب إبراهيم قد ابتلاه بمشقات ؛ فنهضها لحبه لله . ولما نفذها ، قال له : **﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾** قال إبراهيم : **﴿وَمَنْ ذَرْتَنِي﴾** اجعل إماما . ورد عليه بقوله : لا ينال عهدى الذى عقدته معك فى نسل إسماعيل ؛ الظالمون من ذريتك . وهم اليهود ، الذين حرفوا التوراة فى العهد ، وجعلوه فى اليهود إلى نهاية الحياة الدنيا .

وليس واردا على حكاية الطلب والرد بين إبراهيم وبين الله . إذ لو كان واردا على الطلب والرد ؛ لما كان يقول **﴿رَبِّهِ﴾** وكان يقول **﴿الله﴾** وما كان يتكلم عن المهد بوصف القلم ؛ لأن التحرير فيه كان من زمان سبي بابل بعد إبراهيم بستين طويلا . والتحرير فيه ظلم لهم . ولم يظهر لهم إلا فى سبي بابل .

ومن أتباء بنى إسرائيل وعلمائهم الذين حكوا عن هذا الموضوع ؛ المسيح عيسى بن مریم - عليه السلام - وقد ذكرنا من قبل نص كلامه . ويقول اليهود فى هذا العهد : إنه فى إسحق من موسى إلى انتهاء الدنيا . ويقول النصارى فيه : إنه من عيسى إلى انتهاء الدنيا . أى أنهم وضعوا عيسى بدل محمد والمهد الذى تتكلم عليه هنا : هو العهد المذكور ، فى هذا النص : **﴿فَقَالَ إِبْرَاهِيمَ لِلَّهِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا . قَالَ اللَّهُ بَلْ سَارَهُ إِمْرَانُكَ سَلَدَ لَكَ ابْنًا وَتَسْمِيهِ إِسْحَاقَ . وَأَتَيْمَ عَهْدِي مَعَهُ مَرْيَمَ بْنَتَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ نَسْلَهُ مِنْ بَعْدِهِ . وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَسَمِعَتْ لَكَ وَهَا أَنَا أَبْارِكُهُ وَأَتَيْهُ وَأَكْرِهُ جَدًا . وَبِلَدَ اتْنِي عَشْرَ رَئِيْسًا ، وَاجْعَلْ نَسْلَهُ أَمَّةً عَظِيمَةً . وَلَكَ عَهْدِي أَقِيمَهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلَهُ سَارَهُ فِي مَثَلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبَلَةِ﴾**^(۱)

رأى بولس فى عهد هاجر :

يقول بولس : **﴿فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ ابْنَانٌ . وَاحِدٌ مِّنَ الْجَارِيَةِ وَالْآخَرُ مِنَ الْحَرَةِ . لَكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وَلَدٌ حَسْبُ الْجَسَدِ وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحَرَةِ**

(۱) ترجمة الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط .

فبالموعد . وكل ذلك رمز ، لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جيل سيناء والوالد للعبودية الذي هو هاجر ، لأن هاجر جبل سيناء في العربية ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة ، فإنها مستبولة مع بنيها . وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعا ، فهي حرة ، لأنه مكتوب : « أفرحى أيتها العاقر التي لم تلد . اهتني واصرخى أيتها التي لم تتمخض . فإن أولاد الملوحة أكثر من التي لها زوج . وأما نحن أيها الإخوة فنظير إسحق أولاد الموعد » { غلاطية ٤: ٢٢ - ٢٨ }

يقول : إن إسحق جاء بموعد ، استنادا على التكوير ١٨: ١٠ « إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة ، ويكون لساره أمرأتك ابن » والرد عليه : هو أن إسماعيل هو الذي جاء بموعد وأن إسحق نافلة . فإن ملاك الله قابل هاجر « وقال لها ملاك رب : تكثرا أكثر نسلك فلا يبعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لذلتك ... إلخ » وفي سفر إشعيا نبوة عن ظهور محمد رسول الله من نسل هاجر . وقد استدل بها المسيح عيسى عليه السلام على محمد عليه السلام في الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا . ويدوها : « ترئنى أيتها العاقر التي لم تلد ، أشيدى بالترنم أيتها التي لم تتمخض » إلى أن قال : « وكل بنيك تلاميذ الرب . وسلم بنيك كثيرا » وقد استدل بها المسيح على محمد فقال : « لا يقترب أحد أن يقبل إلى إن لم يجتنبه الآب الذي أرسلني ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير . إنه مكتوب في الآيات : « ويكون الجميع متعلمين من الله » { يو ٦: ٤٤ - ٤٥ } البرية :

وإذا جاءت البرية بالآلف واللام . فإنها تدل على برية معروفة للعالم . هي برية أرض الحجار . برية فاران . ومن ذلك :

١ - « فاران التي عند البرية » { إتك ١٤: ١٦ }

٢ - « على عين الماء في البرية » { إتك ٣٦: ٧ }

٣ - « نكير وسكن في البرية » { إتك ٢١: ٢٠ }

٤ - والمزمور الخامس والخمسون نبوة عن النبي المتظر . وفيه يتحدث عن

نفسه ويقول : «اصح يا الله إلى صلاتي ولا تغافل عن تضريعي . استمع لي واستجب لي » إلى أن قال عن اضطهاد اليهود له : « هانذا كنت أبعد هاربا ، وأليت في البرية » ثم دعا على اليهود فقال : « أهلك يا رب . فرق الستهم ... »

٥ - والمزمور الخامس والستون هو من مزامير النبي المتظر . وفيه يتحدث عن نفسه ويقول : « لك ينبع التسبيح يا الله » ثم وضع المحرف « في صهيون » ليوهم الناس أن الحج في جبل صهيون وليس في الكعبة . ثم قال لله : « ولك يوفى النثر . يا سامي الصلاة . إليك يأتي كل بشر . أيام قد قويت على معاصينا أنت تكرر عنها . طوبى للذى تخاته وتقريبه ليسكن في ديارك . لتشبع من خير بيتك ، قدس هيكلك » إلى أن تكلم عن كثرة الخيرات في زمن النبي المتظر فقال : « وأثارك تقطر دسما . تقطر مراعلى البرية ، وتتنطق الأكام بالبهجة ... »

٦ - وفي المزمور الثاني والسبعين يقول عن النبي المتظر : « أمامه تجشو أهل البرية ، وأعداؤه يلحسون التراب » أى يخضع قومه له ، مع العالم ويكون رئيسا عليهم . ثم قال : « و يصلى لأجله دائماً » أى أن الله يصلى على النبي . ثم قال : « قدام الشمس يمتد اسمه ، ويتباركون به . كل أمم الأرض يطربونه ... »

٧ - وفي المزمور الرابع والسبعين . يقول النبي لله : « أنت رضخت رؤوس لوبياثان . جعلته طعاما للشعب . لأهل البرية ... »

٨ - وفي سفر إشعياء وهو يتحدث عن النبي المتظر : « تفرح البرية والأرض اليابسة ، ويتهجد القفر ، ويزهر كالنرجس ... » [إش ٣٥: ١+] {

٩ - وفي سفر إشعياء : « صوت صارخ في البرية : أعدوا طريق الرب ، قوموا في القفر سبيلا لإلهانا ... » [إش ٤٠: ٣+] {

١٠ - والنصارى يفسرون البرية ببرية فلسطين - أرض اليهودية . ويفسرون الصراخ : بأنه تعريف الناس بأن النبي المتظر أوشك أن يظهر . مع أن إشعيا نفسه قد فسر البرية بارض مكة في قوله : « غنو للرب أغنية جديدة . تسبيحه من أقصى الأرض . أيها المنحدرون في البحر وملؤه ، والجزائر وسكانها . لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار التي سكنها قيدار . لترتفع سكان سالع . من رؤوس الجبال

ليهروا...» [إش ٤٢: ١٠+] وفیدار هو ابن اسماعيل عليه السلام . والجبال الكثيرة في مكة ، ولذلك وضع ابراهيم على كل جبل من الجبال الكثيرة متنهن جزما .

١١ - وفي سفر إشعياه ٤٣: ١٨ + : « لا تذكروا الأوكيات . والقدیمات لا تاملوا بها . هانذا صانع أمرا جديدا ، الآن بنت . لا تعرفونه ؟ أجعل في البرية طریقا ، في القرى أنهارا . يمجنن حیوان الصحراء . الكتاب وبنات النعام ، لأنّ جعلت في البرية ماء ، أنهارا في القرى ، لاسقى شعبي مختاری . هذا الشعب جبلته لنفس . يحدث بتسبیحی » ثم قال : إن الشعب للختار ليس هو شعب بنى إسرائيل : « وانت لم تدعني يا يعقوب حتى تتعب من أجلني يا إسرائيل . لم تحضر لى شاة محرقتك ، وينباتحك لم تكرمني »

وهكذا أمثلة كثيرة . وإذا أراد الكلام عن بريه غير هذه البرية . يعرّفها ببيان الكلام أو بالإضافة . مثل : « آباواكم أكلوا المن في البرية » ومعلوم أنها بريه سيناء ومثل « في بريه جبل سيناء » ومثل : « إلى غزة التي هي بريه »

الجبال :

وقال الله لإبراهيم عليه السلام : « ثم أجعل على كل جبل متنهن جزما » وهذا يدل على أنه كان في مكان . به جبال كثيرة . وأرض مكة فيها جبال كثيرة . وفي التوراة في الكلام عن ذبح إبراهيم لابنه : « خذ ابنيك وحيبك الذي تحبه إسحق . واذهب إلى أرض البرية ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك »

[إنك ٢: ٢٢]

لاحظ : « أحد الجبال »

ثم قال الكاتب : إن إبراهيم يذكر في الصباح ، وشدّ على حماره . وسار إلى الموضع هو وابنه . وقال لغلاميه : « اجلسا أنتما هنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ، ونسجد ، ثم نرجع إليكما »

لاحظ : « ونسجد » ومعناها : أنه في الجبال جبل مقدس يبح الناس إليه من قديم الأيام ، ويسجلون عنده لله عز وجل . وليس من جبل مقدس من أيام نوح عليه السلام إلا الجبل الذي بنيت عنده الكعبة . وفي هذا المعنى يقول إشعياه : « ويكون في

آخر الأيام أن جبل بيت الرب ، يكون ثابتاً في رأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال ، وتجري إليه كل الأمم ، وتسير شعوب كثيرة »

لاحظ :

١ - آخر الأيام : وهو اصطلاح عند أهل الكتاب يدل على انتهاء بركة إسحق ، وبده بركة إسماعيل . وعلى هذا الاصطلاح لا يصح لأهل الكتاب أن يفسروا جبل بيت الرب بجبل صهيون في أورشليم . لأن آخر الأيام معناها : نزع الملك منهم ونسخ الشريعة على يد النبي الآتي من فاران .

٢ - ولاحظ : أن الحج في آخر الأيام يكون إلى جبل بيت الرب في مكة . الواقع يؤيد ذلك .

ويقول النبي ميخا : « ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال ، وتجري إليه شعوب ، وتسيرون كثيرة »

ويقول النبي داود في المزמור ٧٢ عن جريان الأمم إلى مكة في الحج : « ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقصى الأرض »

ويقول النبي حَمَّاً : « لَأَنَّهُ مَكَنَا قَالَ رَبُّ الْجَنُودِ . هِيَ مَرَةٌ بَعْدِ قَلِيلٍ فَأَزْلَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابَسَةَ وَأَزْلَلَ كُلَّ الْأَمْمَ ، وَيَأْتِي مُشْتَهِي كُلِّ الْأَمْمِ ، فَامْلأَاهَا هَذَا الْبَيْتُ مَجْداً . قَالَ رَبُّ الْجَنُودِ . لِيَقْنُصَهُ وَلِيَذَهَّبَ . يَقُولُ رَبُّ الْجَنُودِ . مَجْدُ هَذَا الْبَيْتِ الْآخِيْرِ يَكُونُ أَعْظَمُ مِنْ مَجْدِ الْأَوَّلِ . قَالَ رَبُّ الْجَنُودِ . وَفِي هَذَا الْمَكَانِ أَعْطِيَ السَّلَامَ . يَقُولُ رَبُّ الْجَنُودِ » [حج ٢ : ٦ - ٩]

الجبال المقدسة :

وجبال مكة مقدسة . وقد عبر داود عليه السلام عن ظهور النبي المنتظر منها بقوله : « أَسَاسِهِ فِي الْجَبَالِ الْمُقْدَسِ » [مز ٨٧ : ١] « الرَّبُّ يَعْدُ فِي كِتَابِ الشَّعُوبِ : أَنَّهُ هَذَا وَلُدُّ هَنَاكَ » أي في بريه فاران ، لأن لإسماعيل بركة . وقد حرف الكاتب أبواب مكة ، بباب صهيون . ثم قال : « قَدْ قَيْلَ : بَكَ أَمْجَادُ يَا مَدِينَةَ اللَّهِ » ومدينة الله هي مكة .

جبل قدسى :

ومن هذه الجبال المقدسة جبل واحد . عبر عنه الله بقوله «جبل قدس» وهو يتحدث عن الشعب الآتى بدل شعب اليهود الملعون . وفي آخر الحديث : « لا يزدرون ولا يهلكون فى كل جبل قدس . قال رب » إش ٦٥ : ٢٥ فبُنِيَ الْابْنُ الْوَحِيدُ عَلَى أَحَدِ الْجَبَالِ :

« خذ ابنته وحيبك الذى تحبه إسحق . واذهب إلى أرض المريّا ، وأصعده هناك محمرة على أحد الجبال الذى أقول لك » وفي السامرية بدل «المريّا» الأرض المرشدة . ويقول اليهود والنصارى : إن الابن الوحيد هو إسحق . وقولهم باطل . لأن إسماعيل وحيد إبراهيم ، ووحيد هاجر ، ووحيد سارة - بحسب شريعتهم - وفي تفسير التوراة : « أرض المريّا : لا يوجد في المخطوطات القديمة ما بين المكان المضبوط لتلوكه البقعة ، ولا حتى للجبل نفسه»

يهوه يراؤ :

« فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه مسكا في الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محمرة عوضا عن ابنه . فدعى إبراهيم اسم ذلك الموضع : يهوه يراؤ . حتى إنه يقال اليوم : في جبل رب ، يُرى »

لاحظ :

١ - يهوه يراؤ . وفي التوراة السامرية : « ودعى إبراهيم اسم ذلك الموضع : الله ينظر ، الذي يقال اليوم : في جبل الله يستجاب » وذكر هاجر لما ظهر لها ملاك الله على عين الماء في البرية ودعت البشر « بشر لى رنى » أي بشر المجرى الرانى . وإبراهيم دعا موضع النسب « يهوه يراؤ » أي مكان الله الرانى . وهذا المكان في « جبل رب » فيكرون مكان النسب عند بئر زرم في مكة .

وفي تفسير التوراة : « القول «الله يرآ» وبالعبرية « الوهيم يرآ» فالاسم الثاني يربنا الاستعمال القديم لاسم يهوه . وإن الاختلاف في أسماء الله بين «الوهيم يرآ» وبين « يهوه يرآ» لا يمكن أن ينفي دليلا على تعدد الكتاب » ١. هـ . وقولهم باطل . فإنه ينفي دليلا على تعدد الكتاب .

رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت :

ويعدما فين الكاتب من قصة الذبيح ، أكد على بركة إبراهيم فقال : « وناعى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء ، وقال : بناتي أقسمت يقول الرب . انى من أجل انك فعلت هذا الامر ، ولم تمسك ابنك وحيبك . أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذي على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب اعدائه ، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولي »

البحث عن زوجة لإسحق :

« وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام . وبارك الرب إبراهيم في كل شئ . وقال إبراهيم لعبدة كبير بيته ، المستولى على كل مكان له : ضع يدك تحت فخذى ، فاستحلفك بالرب إله السماء أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين ، اللعنون أنا ساكن بينهم ، بل إلى أرضى والى عشيرتى تذهب ، وتأخذ زوجة لابنى إسحق »

لاحظ :

إلى أرضى والى عشيرتى .

فما هي أرض إبراهيم ؟ وأين كانت عشيرته ؟

هي حاران عند حدود سوريا وتركيا ، فلماذا يقال : إنها هي أور في أرض العراق ؟

نفي تفسير التوراة :

« إلى أرضى وعشيرتى » كان المكان الذى ذهب إليه اليعازر هو حاران (قلرن ٢٧ : ٤٣ و ٤٤) على أن هذا لا يعني أن إبراهيم وُلد في حاران كما يجادل البعض في هذا الشأن ، فهذا التغيير يمكن أن يُفهم بمعنى من اثنين ، فلماما أن تعتبر القول الثاني وصفا للأول ؛ فيكون الشى المهم هو أن تأتى زوجة إسحق من بين عشيرته ، وإنما أن تعتبر قصد إبراهيم هو أنه إذا فشل اليعازر في إنجاز مهمته في حاران ، فإن عليه أن يذهب إلى أور حيث كان يوجد غالباً عدد كبير من أقارب إبراهيم ، على أنه من الأفضل فهم الجملة بالمعنى الأول ، لأن الثاني غير محتمل »

زواج إسحق عند بئر زمزم في مكة :

لما ذهب عبد إبراهيم إلى « حاران » وأخذ زوجة لإسحق من بنات عشيرة أبيه ورجع بها ليسلما إلى إسحق . وكان اسمها « رِفْقَةٌ » يقول الكاتب : « فنَاقَتْ رِفْقَةُ وَفِتْيَاتِهَا وَرَكِبَنَ عَلَى الْجَمَالِ وَتَبَعَنَ الرَّجُلُ . فَأَخْذَ الْعَبْدَ رِفْقَةً وَمُضِيًّا . وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ أُتْتَى مِنْ وَرَوْدِ بَشَرِ لَحْيٍ رَّفِيًّا . إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ » إلى أن قال : « فَادْخُلُهَا إِسْحَاقَ إِلَى خَيْرِهِ سَارَةَ أُمَّةٍ ، وَأَخْذَ رِفْقَةً ، فَنَصَارَتْ لَهُ زَوْجَهَا وَأَحْبَبَهَا »

لاحظ :

- ١ - أن إسحق كان ساكنا في أرض الجنوب . وهي أرض مكة .
- ٢ - وكان سكته عند بئر زمزم ، والتي سمتها هاجر « لَحْيَ رَنَى » أي بئر الحى الناظر . والتي سماها إبراهيم : « يَهُوَهُ يَرَأُهُ » أي « الله ينظر » وفي التوراة السامرية : « وَإِسْحَاقَ آتَ فِي بَرِّيَةِ بَئْرِ الْحَىِ النَّاظِرِ ، وَهُوَ سَاكِنٌ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ »
إرث إسماعيل في إبراهيم :

في الأصحاح السادس عشر من سفر التكويرن أن هاجر لما حبتت ؛ صفتت سيدتها في عينيها ولذلك أذلتها حتى اضطرتها إلى الهرب . وقد وجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ، وبشرها بإسماعيل . ودعت اسم الرب « أنت إيل رَنَى » ودعت البئر « بئر لَحْيَ رَنَى »

وفي ترجمة كتاب الحياة : « أنت الله الذي رأىني » - « بئر الحى الذي يرانى » ثم ولدت هاجر إسماعيل .

وفي الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكويرن : أن إسماعيل وهو بالغ من العمر أربعين عشر عاماً أحببت سارة إسحق أخاه .

اضبط هنا . وقال الكاتب : لما كبر إسحق ونظم ، صنع إبراهيم ولبمة عظيمة . فإذا فرضنا أنه نظم بعد الستين . مع أن الفطام في التوراة لثلاث .

نفرض أن عمر إسماعيل وقت الواليمة كان ستة عشر عاما . واضبط هذا .

« ورات سارة ابن هاجر المصرية التي ولدته لإبراهيم يمزح » هنا هو نص التوراة .. ويقول بولس : إنه لم يكن يمزح ، بل كان يضطهد إسحق { غالاطية ٤:٢٩ } وفي ترجمة كتاب الحياة « يسخر » - « يضطهد »

وهذا الذي يسخر ويضطهد لا يتصور العقل أنه يسخر من ربىع . واتصى ما يتصوره هو أنه يداعبه . ويقول الكاتب : إن بسبب الإضطهاد طلبت سارة من إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها ، وعللت الطرد بأنه بسبب الإرث ، لا بسبب الإضطهاد « اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق » وقد رد الله على إبراهيم بأن إسماعيل وارث . شامت سارة أو لم تشا . لأنه ابنها بموجب الشريعة وهو أيضا ابن إبراهيم وهاجر . فلماذا يحرم من الميراث في إبراهيم أو في سارة ، أو في هاجر إن ملكت شيئا ؟ « يا سحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لأنه نسلك »

نم اقرأ ما هو بعد ذلك :

« فبكرا إبراهيم صباحا ، وأخذ خبزا وقربة ماء ، وأعطاهما لهاجر وانصاعا إياهما على كتفها والولد وصرفها . فمضت وتأهت في بربة بئر سبع » كيف تحمل هاجر ابنا في سن السادسة عشر من عمره على كتفها ، ولا تحمل الابن على كتفها فقط ، بل مع الابن خبزا وقربة ماء ؟

وقوله إنها تاهت في بربة بئر سبع . ينفيه ما جاء في التوراة بعد هذا النص . وهو أن « أبيمالك » عقد ميثاق صلح مع إبراهيم ، أن لا يغدر أحدهما بصاحبه . « فقطعا كلامهما ميثاقا . وأقام إبراهيم سبع نعام من النعم وحدها . فقال أبيمالك : ما هي هذه السبع النعام التي أتمتها وحدها ؟ فقال : إنك سبع نعام تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأنني حضرت هذه البئر . لذلك دعا الموضع بئر سبع ... »

قطعاً ميثاقاً في بئر سبع ، وتسمية المكان بئر سبع بسبب الميثاق الذي جرى بعد قول الكاتب إن هاجر حملت ابنتها على كتفها وتأهت في بربة بئر سبع ، يدل على كذب الكاتب في نقل المكان من مكة إلى بئر سبع .

ويقول الكاتب : إن الله سمع صوت الغلام ، وقال لهاجر : « قرئي احملي الغلام وشدي يدك به . لأنني سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بتر ماه فذهبت وملأت القرية ماه وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكير . وسكن في البرية ، وكان ينمو راسماً قوس . وسكن في بريه فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر »

وهذا الذي سكن في بريه فاران . سيظهر من نسله نبي ، وسيتوجه بجنته إلى أعدائه وهو محاطاً بعشرات الآلوف من أصحابه الشبيهين بالملائكة . وهذا النبي محب للشعوب ، وجميع أتباعه الصالحين في قبضته . لا يخرجون عن إرادته ، ويلغون شريعته .

وهذا هو النص من الكتاب المقدس / كتاب الحياة / عربي إنجلزي /
سنة ١٩٩٩ م طبعة بريطانيا العظمى :

« وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته .
قال : أقبل الرب من سيناء ، وأشرف عليهم من سعير ، وتالق في جبل فاران ،
 جاء محاطاً بعشرات الآلوف من الملائكة . وعن يمينه يومض برق عليهم . حقاً أنت
 الذي أحبب الشعوب ، وجميع القديسين في يدك ، ساجدون عند قدمك ،
 يقبلون منك أقوالك ... »

مجد البيت الأول والبيت الأخير :

أمر الله بنى إسرائيل بإقامة مساجد لذكر الله فيها . وهذه المساجد تكون من تراب - أى غير مشيدة - وأمرهم أن لا يتوجهوا في الصلاة إلى جهة محددة ، فأى جهة تصلح قبلة . ذلك قوله : « مذبحاً من تراب تصنع لي ، وتبني عليه محرقاتك
 وذبائح سلامتك . غنمك وبقرك . في كل الأماكن التي فيها أصنعن لاسمي ذكراً ،
 أتى إليك وأباركك . وإن صنعت لي مذبحاً من حجارة ، فلا تبني منها منحونة .
 إذا رفعت عليها إرميلك ، ثُنتها ، ولا تصعد بدرج إلى مذبحي ، كيلاً تكشف
 عورتك عليّ » [خروج ٢٤ : ٢٦ - ٢٨]

وأمر الله بنى إسرائيل على لسان نبيه موسى عليه السلام أن يصنعوا تابوتاً
 وأن يضعوا فيه نسخة من التوراة ، ولوحاً العهد . وأمرهم أن يضعوه في خيمة .

وكانتوا يقدمنه أمام الجيش المتوجه إلى حرب أعدائهم . فلما نجحوا أرض فلسطين رأى داود عليه السلام أن يبن بيته بدل الجبعة لوضع التابوت فيه . ومات ولم يكمله ، فاكمله ابنه سليمان عليه السلام . وعرف بيت التابوت . ثم كذب اليهود بعد رجوعهم من سبي بابل فقالوا : إنه في حرب نبوخذ ناصر ملك بابل لليهود سنة ٥٨٦ هـ هدم هذا البيت وضاع التابوت . ولما رجع اليهود من بابل ، بنوا مسجداً مشيناً مكان بيت التابوت وسموه بهيكيل سليمان . وجعلوه مكاناً للحج بدلاً عن الكعبة اليت الحرام ، والزموا اليهود بالاتجاه إليه في الصلاة . هنا هو ما قاله كتابهم كلباً وذوراً .

وستيني هنا في كتابنا « المسجد الأقصى »

والذي نريد بيانه هنا هو : أن اليهود قسموا زمن هيكل سليمان إلى زمنين .
الزمن الأول : من عهد سليمان إلى رجوعهم من بابل . والزمن الآخر من
رجوعهم من بابل إلى يوم القيمة . فهل هذا التقسيم صحيح ؟

في سفر عزرا يقول الكاتب : إن اليهود لما رجعوا من بابل إلى أورشليم «
ابتدأوا من اليوم الأول من الشهر السابع يُصلدون محركات للرب . وهيكل الرب لم
يكن قد تأسس » {عز ٣ : ٦} « ولما أسس الباتون هيكل الرب » {عز ٣ : ١} «
وكل الشعب هتفوا هتفاً عظيماً بالتسبيح للرب ، لأجل تأسيس بيت الرب »
{عز ٣ : ١١}

إن هذه النصوص تدل على تأسيس بيت لم يكن موجوداً من قبل . والا
كان يعبر بما يناسب التجديد أو رفع القواعد من البيت . ومعلوم أن سليمان بنى من
أنبياء الله . والنبي لا يخالف شريعة الله التي تتبع على عدم تحديد قبلة ، وتتص
على أن المساجد تبنى من تراب أو طوب لبن . فيكون التقسيم ١ - من سليمان إلى
ما بعد الرجوع من بابل ٢ - ومن بعد الرجوع إلى يوم القيمة ، تقسيم باطل ، لأنه
أوهم بمنة أولى لم يكن لها وجود . وعلى كلامه يكون لهيكيل سليمان ملة واحدة .
هي تبدأ من بعد الرجوع من بابل . وإنما كان له هذه الملة ، فما هو البيت الذي له
ملة أخرى ؟

١ - إنهم يقولون : إن هيكل سليمان رمز لشريعة العبرة . فإذا هو مؤسس

من بعد بابل ، فلتكن له ملة . والمدة الموعمة من سليمان إلى النبي : فتكون له مدنان . والمدة الثانية أحسن لليت من المدة الأولى .

٢ - ثم يقولون : والنبي المتظر سيأتي في زمان المدة الثانية ، وسيعطي شريعة للأمم من هيكل سليمان . أي أنه سيجيء من اليهود .

٣ - وسيصاحب مجئ هذا النبي حروب يشنها على الأمم .

٤ - وهذا النبي مشتهي كل الأمم .

هذا هو كلامهم .

وهذا هو النص : « لَأَنَّهُ هُكْنَا قَالَ رَبُّ الْجَنُودِ . هُنْ مَرَةٌ بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَأَزَلَّ زَلَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْيَابَسَةَ ، وَأَزَلَّ زَلَّ كُلَّ الْأَمْمَ ، وَيَأْتِي مشتهي كُلَّ الْأَمْمَ ، فَامْلَأَ هَذَا الْبَيْتَ مَجْدًا . قَالَ رَبُّ الْجَنُودِ . لِي الْفَضْلَةُ وَلِي الْذَّهَبُ . يَقُولُ رَبُّ الْجَنُودِ . مَجْدُ هَذَا الْبَيْتِ الْآخِيرِ يَكُونُ أَعْظَمُ مِنْ مَجْدِ الْأَوَّلِ . قَالَ رَبُّ الْجَنُودِ . وَفِي هَذَا الْمَكَانِ أَعْطِيَ السَّلَامُ . يَقُولُ رَبُّ الْجَنُودِ » { حَجَّ ٢ : ٦ - ٩ }

والرد عليهم :

١ - إذا حذفنا المدة الأولى الموعمة . يكون للهيكل مدة واحدة تبدأ وتنتهي من قبل مجئ « مشتهي كل الأمم » فإذا جاء « مشتهي كل الأمم » تبدأ مدة ثانية ، وتظل إلى يوم القيمة . فهل مشتهي كل الأمم يأتي من اليهود ؟ إن من أوصاف النبي المتظر أن يكون مثاثلاً لموسى . لقوله : « بِقِيمَتِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ : نَبِيًّا مِّنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْرَتِكَ مَثَلِي . لَهُ تَسْمِعُونَ » { تَهْ ١٨ : ١٥ } وفي التوراة أنه لن يأتي في بنى إسرائيل نبي مثل موسى « وَلَا يَقْرُونَ أَيْضًا نَبِيًّا فِي إِسْرَائِيلَ كَمَا مُوسَى ، الَّذِي نَاجَاهُ اللَّهُ شَفَاعًا ، فِي جَمِيعِ الْأَيَّاتِ وَالْمَعْجزَاتِ الَّتِي أَرْسَلَهُ لِلْفَعْلِ إِلَى أَرْضِ مَصْرُ ، بِفَرْعَوْنَ وَبِكُلِّ عَبْدِهِ وَبِكُلِّ أَرْضِهِ ، وَبِكُلِّ الْبَدْ الشَّدِيدَةِ ، وَبِكُلِّ الْمَاظِرِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي صَنَعَهَا مُوسَى بِمَشَاهِدَةِ كُلِّ إِسْرَائِيلَ » { تَهْ ٣٤ : ١٠ - ١٢ } سامرًا وفي التوراة أن لإسماعيل بركة ، فيكون النبي الآتي منه . فيكون الكعبة التي ظهر من ناحيتها مجلدة به . وهي البيت الحرام . فيكون المجد الآخر مجده .

٢ - إن مشتهي كل الأمم لا ظهر - وهو محمد رسول الله ﷺ - صاحب

ظهوره حروب شديدة على اليهود والنصارى وأمم الكفر ، وهذا يشهد به الواقع ،
ويدل عليه التاريخ .

٣ - إن اليهود موصوفون بأنهم أشرار . نفى سفر إشعيا : « لا سلام . قال
الرب للأشرار » { إش ٤٨: ٢٢ و ٥٧: ٢١ } وقال عيسى عليه السلام لليهود : « يا
أولاد الأفاسى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصلحات وأنتم أشرار ؟ » { مت ١٢: ٣٤ }

٤ - إن إشعيا وهو يتكلم عن مجد الكعبة ، رمز لهاجر بالعابر وقال : « وكل
بنيك تلاميذ الرب ، وسلام بنيك كثيرا » { إش ٥٤: ١٣ } وقد استدلل المسيح بهذه
النبوة على محمد عليهما السلام فقال لليهود الذين استاهوا من كلامه ، وهو يشير به : « لا
تنتمروا فيما بينكم . لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتنبه الآب الذي أرسلني ،
وأنا آتيه في اليوم الأخير . إنه مكتوب في الأنبياء : ويكون الجميع المتعلمين من
الله » { يوحنا ٦: ٤٣ - ٤٥ }

٥ - ولقب « مشتهى كل الأمم » في اللغة العبرانية وهو « حِمْدَة » هو لقب من
القاب « المَسِيْح » وهو محمد رسول الله ، وهو الذي « تطلع إليه الأمم » فمترجم
إنجيل بنَنَا إلى العربية يعلق على « الذي تطلع إليه الأمم » بقوله : « تفسير تقليدي
لِمَسِيْحًا في حجى ٢ : ٧ الخ »

والنص هو : « ذهب يسوع مع تلاميذه إلى البرية^(١) وراء الأردن . فلما
انقضت صلاة الظهيرة ، جلس بجانب شجرة ، وجلس تلاميذه تحت ظل الشجرة .
حيثند قال يسوع : أيها الأخوة إن سبق الاصطفاء لسرّ عظيم ، حتى أقول لكم
الحق : إنه لا يعلمه جلبا إلا إنسان واحد فقط ، وهو الذي تطلع إليه الأمم ، الذي
تجلى له أسرار الله تجليا . نطروني للذين سيصيغون السمع إلى كلامه متى جاء إلى
العالم . لأن الله سيظلهم . كما تظللنا هذه الشجرة . بلى إنه كما تقينا هذه
الشجرة حرارة الشمس المتلذبة ، هكذا تقى رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من
الشيطان . أجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تكلم
عنه الذي سيأتي إلى العالم ؟ أجاب يسوع بابتسام قلب : إنه محمد رسول الله .

(١) ما هي البرية التي وراء الأردن ؟ إنها ليست برب اليهودية .

ومتن جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغيرية التي يأتي بها ، كما يجعل المطر الأرض تعطى ثمراً بعد انقطاع المطر زمناً طويلاً . فهو غمامه بيضاء ملائى برحمة الله . وهي رحمة ينشرها الله رذاناً على المؤمنين كالغيث ^{أبر:٣}

التحريف في لقب «مشتهي كل الأمم» :

في الكتاب المقدس / عربى وإنجليزى / كتاب الحياة سنة ١٩٩٩ ببريطانيا العظمى حذفوا «مشتهي كل الأمم» من النص . وهذا هو : «لأنه هكذا يقول رب القدير : ها أنا مزمع مرة أخرى عما قليل : أن أُرْلِزَ السماء والأرض والبحر والبابسة ، وأزعزع أركان جميع الأمم ، فتُجلب تقاضهم إلى هنا المكان ، وأملاً هنا الهيكل بالمجده . فالذهب والنفحة لي . يقول رب القدير . يكون مجد هذا الهيكل الأخير أعظم من مجد الهيكل السابق . وأجعل السلام يسود هنا الموضع . يقول رب القدير »

مشتهي كل الأمم هو شيلون :

يقول مفسرو التوراة : إن «مشتهي كل الأمم» هو «المسيّا» وهو شيلون ، أي «الذى له الحكم» في قول يعقوب لبنيه لما حضره الموت : «لا يزول نصيبي من بهودا ، ومشترع من بين رجاله ، حتى يأتي شيلون ، وله يكون خضوع شعوب» ^{إنك ٤٩ : ١٠} وفي ترجمة الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - الكتاب المشودد : وضع حرف النال على مشتهي كل الأمم . وقال في الهاشم : نكتوبن ٤٩ : ١٠ ووضع رقم ١ على شيلون وعلق بقوله : أي أمان . وعند البعض معناها الذي له . انظر حزقيال ٢١ : ٢٧ ووضع حرف التون على شيلون وقال في الهاشم : إشعياء ١١:١ و٤٢:١ و٤٩:٦ و٦٠:٣

الفصل السادس

في

تهلل إبراهيم بمحنة المسيح

كان من عادة اليهود إطلاق لقب «الروح النجس» الذي هو «الشيطان» على كل شرير وفاسق ، وإطلاق لقب «الروح القدس» على كل صالح وتقى ، دلالة على أنه يستمد صلاحه ونقوه من الله الظاهر ، عن طريق الإلهام ، وقد لقب اليهود نبي الله يحيى عليه السلام بأنه «شيطان» أى أن أفكاره التي يديها لهم على غير مرادهم هي من شيطان متليس به [لو ۱۷: ۳۳] وقال اليهود عن عيسى ما قالوه عن يحيى «فأجاب اليهود وقالوا له : أنسنا نقول حسناً : إنك سامرى ، ويک شيطان ، أجاب يسوع : أنا ليس من شيطان ، لكنني أكرم أباً ، وأنتم تهينونني» ثم قال عن محمد رسول الله : «أنا لست أطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدبن» أى سيأتي غيري من بعدي ليطلب مجده ، وبذلك اليهود .لى حروب طويلة لعدم إيمانهم به ، كما قال عنه المعلمان : «ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى منى ، الذى لست أهلاً أن أحمل حذاءه ، هو سيعدمهم بالروح القدس ونار ، الذى رفعه فى يده ، وسينقى بيده ، ويجمع قمحة إلى المخزن ، وأما التبن ، فيحرقه بنار لا نطفا» [متى ۱۱: ۳ - ۱۲]

ثم استمر المسيح فى كلامه عن محمد فقال : «الحق الحق أقول لكم : إن كان أحد يحفظ كلامى ، فلن يرى الموت إلى الأبد» يعني بالموت والحياة : العمل بالشريعة وعدم العمل بها ، فالعمل بها حياة ، وعدم العمل بها موت ، ومن سمع كلامه عن النبي الأمى الآتى ويستعد للدخول فى دينه ؛ يحيا ، ومن يسمع ولا يستعد ؛ يموت . وقد أخذ علماء اليهود كلامه على ظاهره ، فقالوا له : لا أحد إلا ويموت ، وقد مات إبراهيم والآباء .

وقد رد عليهم بأنه يقصد المعنى الكنائى ، وهو أن العمل بالشريعة حياة نفى سفر الأمثال : «احفظ وصيای، فتحیا» [أم ۴: ۴] ، وفي لوقا : «افعل هنا ؟ فتحيا» [لو ۱۰: ۲۸] ، وأيضاً : هو يقصد المعنى الكنائى فى حياة إبراهيم وهو : هل إبراهيم عليه السلام حى الآن أم هو ميت ؟ يقول المسيح : إنه حى ،

واليهود يقولون إنه ميت ، وكلام المسيح هو الصحيح ، وذلك لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ولأن الله حي ؛ فإنه لما ظهر لرسول العلية ورأى لهيب النار ، قال له : اخلع نعليك إنك بالرادي المقدس طوى ، وقال له : أنا إله آبائك إلى إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، فإذا هو حي ، يكونون هم أحياء ، لأنهم لو كانوا أمواتاً ما تحدث الحى عنهم ، وعلى هذا المعنى يكون إبراهيم حي ، ففى سفر الخروج : «وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعِي غَنْمًا يَثْرُونَ حَمِيمًا كَاهِنَ مَدِيَانَ ، فَسَاقَ الْفَنَمَ إِلَى وَرَاءَ الْبَرِّيَّةِ ، وَجَاءَ إِلَى جَبَّالَ اللَّهِ حَوْرَبَ ، وَظَهَرَ لَهُ مَلَكُ الرَّبِّ بِلَهِبِّ نَارٍ مِّن وَسْطِ عَلِيَّةِ ، فَنَظَرَ إِذَا الْعَلِيَّةَ تَوْقَدَتْ بِالنَّارِ ، وَالْعَلِيَّةَ لَا تَحْتَرِقُ ، فَقَالَ مُوسَى : أَمِيلَ الْآنَ لِأَنْتَرِهِ هَذَا الْمَنْظَرُ الْعَظِيمُ ، لَمَّا لَا تَحْتَرِقَ الْعَلِيَّةُ ، فَلَمَّا رَأَى الرَّبَّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظَرَ ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسْطِ الْعَلِيَّةِ ، قَالَ : مُوسَى . مُوسَى . فَقَالَ : هَا أَنَا . فَقَالَ : لَا تَقْرُبْ إِلَيَّ مِنْهَا ، اخْلُعْ حَذَاءَكَ مِنْ رَجْلِكَ ، لَأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مَقْدَسَةٌ .

ثم قال : أنا إله أريك ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ... إلخ » آخر { + ١:٣ }

وقد جاء فى التحقيق المتنى : أن المسيح استدل على يوم القيمة من التوراة فقال : «وَأَمَّا مِنْ جَهَةِ قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ ، أَنَّمَا قَرَأْتُمْ مَا قَبْلَ لَكُمْ مِّنْ قَبْلِ اللَّهِ الْقَائِلِ : أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ ، إِلهُ إِسْحَاقَ ، إِلهُ يَعْقُوبَ ، لَيْسَ اللَّهُ إِلَهُ أَمْوَاتَ ، بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٌ» {متى ٢١:٣٢ - ٣٢:٢٢}

وفى التوراة : أن الله وعد إبراهيم بالبركة فى إسماعيل ، ذلك قوله : «وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ ، هَا أَنَا أَبَارِكُهُ .. إلخ» {تك ١٧: ٢٠ - }

والنبي الذى سيظهره الله من إسماعيل ، لتبدأ منه بركة إسماعيل هو «محمد» عليهما السلام ويلقبه أهل الكتاب بلقب «المسيح» ويبدل «محمد» فى بركة إسماعيل موضوع «بِعَادِ مَادِ» أى «كثيراً جداً» و «بِجَوَى جَدْلُو» أى «أمة كبيرة» ذلك قوله : «وَإِمَامُ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ ، هَا أَنَا أَبَارِكُهُ ، وَأَتَمِرُهُ ، وَأَكْثُرُهُ ، كَثِيرًا جَدًا ، اثْنَيْ عَشْرَ رَبِيْسَا يَلْدُ ، وَأَجْعَلُهُ أَمَّةً كَيْسَرَةً» ومحمد كمعظم ومجده أى محمود من أهل الله كلهم . وهو أحمد منهم لله تعالى .

فلو فرضنا أن إبراهيم على ظهر الدنيا حى يُرْزق ، وفرضنا أنه شاءه
«محمدًا» قد ظهر ليقود الأمم إلى الله ، فهل يفرح إبراهيم بمشاهدة محمد أم لا
يفرح ؟ هل يتلهل بصدق الموعيد الإلهية في حينها أم لا يتلهل ؟ من المؤكد أنه
يفرح ويتهلل ، ويؤمن بصدق الموعيد في حينها . وهذا هو المعنى المقصود من قول
ال المسيح لليهود : «أبواكم إبراهيم تهلهل بأن يرى يومك ، فرأى وفرح . فقال له اليهود
: ليس لك خمسون سنة بعد ، أفرأيتَ إبراهيم ؟ قال لهم يسوع : الحق الحق أقول
لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»

أى أن الله تعالى فى سابق علمه ، وعد إبراهيم بالمسيا من نسل إسماعيل
بدليل : أن خبر الوعد فى التوراة موجود منذ زمان بعيد ، وفي سابق علمه ، أيضا
منذ زمان بعيد إظهار نبى ، يُمهّد له الطريق ، وما أنتا أمهّد له الطريق ، وما هو
قادم ، وأنا ومحمد واحد فى الهدف ، أنا أميده وهو يجلّنى ، فمن لقينى فكان
قد لقيه ، ومن رأى فكان قد رأه ، ولو قدرنا أن إبراهيم حى بين أظهرنا الآن ؟
نقوله مسروراً بصدق الموعيد فى حينها .

وهذا هو النص بتمامه :

فى الأصحاب الثامن من الجيل يوحنا :

«وبينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون . فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به :
إنكم إن ثبتم فى كلامي فالحقيقة تكونون تلاميذى ، وتعرفون الحق ، والحق
يححرركم . أجابوه : «إننا ذرية إبراهيم ، ولم نستعبد لأحد نظر ؛ كيف تقولون
أنت: إنكم تصيرون أحرارا ؟ أجاب يسوع : الحق أقول لكم : إن كل من يعمل
الخطيئة هو عبد للخطيئة ، والعبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد ، أما الابن فيبقى إلى
الأبد ، فإن حرركم الابن فالحقيقة تكونون أحرارا ، أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم
لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم ، أنا أنكلم بما رأيت عند
أبى ، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم ، أجابوا وقالوا له : أبونا هو إبراهيم . قال
لهم يسوع : لو كتّم أولاد إبراهيم ، لكنتم تعملون أعمالاً إبراهيم ، ولكنكم الآباء
تطلبون أن تقتلوني ، وأنا إنسان قد كلّمكم بالحق الذى سمعه من الله ، هنا لم
يعمله إبراهيم ، أنتم تعملون أعمالاً أبيكم .

قالوا له : إننا لم نولد من رنا ، لنا أب واحد وهو الله .

قال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لكتبتם تعبونى ، لأنى خرجت من قبل الله وآتيت ، لأنى لم آت من نفس ، بل ذاك أرسلى ، لماذا لا تفهمون كلامي ؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى ، أنتم من أب هو إيليس ، وشهوات أبكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان فتالا للناس من الده ، ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب ؟ فإنما يتكلم ما له ، لأنه كذاب وأبو الكذاب ، وأما أنا فلانى أقول الحق لست تؤمنون بي ، من منكم يicketنى على خطبة ؟ فإن كنت تقول الحق ، فلماذا لست تؤمنون بي ؟ الذى من الله يسمع كلام الله ، لذلك أنت لست تسمعون ، لأنكم لستم من الله .

فأجاب اليهود وقالوا له : ألسنا نقول حسنا : إنك سامرى ويك شيطان ؟ أجاب يسوع : أنا ليس بي شيطان ، لكنى أكرم أبي وأنتم تهينونى ، أنا لست أطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدين ، الحق الحق أقول لكم : إن كان أحد يحفظ كلامي ؛ فلن يرى الموت إلى الأبد .

قال له اليهود : الآن علمنا أن بك شيطانا ، قد مات إبراهيم والآباء ، وأنت تقول : إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد ، العلك أعظم من آبينا إبراهيم الذى مات ؟ والآباء ماتوا . من تحمل نفسك ؟ أجاب يسوع : إن كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئا . أبى هو الذى يمجدى ، الذى تقولون أنت ابنه إلهكم ، ولست تعرفونه ، وأما أنا فأعرفه ، وإن قلت إنى لست أعرفه ؛ أكون مثلكم كاذبا ، لكنى أعرفه وأحفظ قوله

أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح . قال له اليهود : ليس لك خمسون سنة بعد ، أفرأيت إبراهيم ؟ قال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كانن . فرفعوا حجارة ليترجموه ، أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجذزا في وسطهم ومفس هكذا
ومن كلام منسى الإنجيل في هذا النص :

« عدنا مترايد من جانب اليهود (٨: ٥٢ - ٥٩) اليهود الآن متذمرون تماماً أن به شيطاناً ، إنهم يفسرون قوله «لن يرى الموت» حرفيًا ، هل كان هو أعظم من إبراهيم

والآتياء ؟ (٥٣ و ٥٤) يسوع ينكر نعمة تمجيد نفسه ويحبيب بأنه مشوق فقط ، بالرغبة في أن يتم إراقة الاب (٥٤، قلنون عدد ٥٠، ٣١: ٥ الخ) إنه يعرف الاب ولكنهم لا يستطيعون أن يعرفوه (٥٥) إن الله سيمجد فيه ب بواسطة معرفته الفريدة للاب (لأنه لو انكر لانكر صلاح مهمته) ويولاه للسامورية التي سلمها ، فهو حافظ لقول الله (٥٥) «إِبْرَاهِيمْ تَهَلَّلْ بَأْنَ يُرِيْ يُومِ» (٥٦) أي يوم الميسي ، إنه توقيع مجن الميسي ونال يقين إتمام الموعيد ، على أن إبراهيم لم يسبق ليري فقط مجن المسيح ولكنه يستطيع الآن أن يتهلل بيسمه ، والتضمين : هو أن إبراهيم لا يزال له وجود واع صالح ، ولذا فإنه يستطيع أن يتمتع بفرح مجن الميسي ، فبسائل يسوع إذا كان قد رأى إبراهيم ، لأنه لم يبلغ بعد سن الخمسين (٥٧) وهنا تحوى إجابة المسيح الترامية تأكيدا الخطير لوجوده السابق ، «قبل أن يكون إبراهيم ، أنا كائن» (٥٨) الفرق بين الفعلين اليونانيين : (جيئنوماى) (مولود أو يكون) و(أيى) (كائن) كالفرق بين (المخلوق) وبين (غير المخلوق) يقرر يسوع : أنه (الكائن) الأعلى . إن حياته شتركت في صفة الآلة اللازمنية . يقدر اليهود أهمية تقريره ، إن سبق الوجود المطلق يعني المساواة بالله . إن هنا في عرفهم تمجيد ، فتناولوا حجارة ليرجموه ، أما يسوع فيختفي ، ويجوز في وسطهم ، يظهر أن الكلمات التي تختتم عند (٥٩) «مجتازاً وسطهم وممضى هكذا» إضافة متأخرة للنص (١) ١ هـ .

الماقشة :

هل عيسى عليه السلام هو «الميسي»؟ بالتأكيد: لا ، فالميسي هو محمد عليه السلام .
والإمام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ يستدل بقول المسيح : «أبوكم إبراهيم تهطلل بآن يري يومى ، فرأى وفرح» على أن المراد به : عيسى ، كما هو رأى النصارى .

في الرد النسوب إلى الإمام الغزالى ما نصه : «ذكر يوحنا في الفصل الخامس والعشرين (٢) : «إِبْرَاهِيمْ أَبُوكُمْ أَشْتَهِيْ أَنْ يُرِيْ يُومِ» ، فرأى وفرح ، فقال اليهود : لم يأت لك بعد خمسون سنة ، وقد رأيت إبراهيم؟ فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : إنني قبل أن يكون إبراهيم» هنا آخر كلامه .

(١) تشير الكتاب المقدس بجماعة من الlamotif برواية الدكتور فرنسيس داليلسن.

(٢) الأصحاح الثامن .

نقول إذاً : هنا الكلام ناطق بالمجاز ، لأن إبراهيم - عليه السلام - لم ير يوم ولادته ، ولا يوم حصول الحقيقة الثالثة له - كما يزعمون - لأن هذه كلها حدثت بعد إبراهيم ، بل المراد من ذلك : أن الآيات يجرون دوام طاعة الله ، ودوام إظهار شرائعه التكفلة بمصالح العباد ، فلما أعلم إبراهيم - عليه السلام - برسالة عيسى ، عليه السلام - وهدایته للعالم ، وما يظهر على يده من مصالح العباد ، على ما اقتضته شريعته^(١) ، سُرّ بذلك ، فالرؤى هنا محمولة على البصيرة التي هي العلم ، لا على البصر ، وقد صرخ بولُضن في رسالة سيرها إلى قورنيثية ، فبلغ من ذلك ، وهذا يدل على أنه أراد عين ما أردناه ، فقال : «ولكتنا نطق بحكمة الله الخفية ، بالسر الذي لم يزل مسترا ، فكان الله تقدم ، فقررها قبل العالمين»^(٢) هـ

المناقشة : إنه صرخ بالمجاز على معنى رؤية البصيرة لا رؤية البصر ، وهذا صحيح ، ثم صرخ بأن تهلل إبراهيم وفرحة هو لعيسى على أنه «المسيّا» أى النبي الامر المأثر لوسى {تنبأة ١٨ : ٢٢} والصواب : أن محمدا هو «المسيّا» وعيسى ويحيى يهدان له الطريق ، ثم صرخ بأن لعيسى شريعة ، وهذا يرده قوله المسيح نفسه : «لا نظننا أئمّة جئت لأنقض الناموس أو الآيات» وقول المسيح : «إبراهيم أبوكم أشتمني أن يرى يوم» معناه : أن المسيح يتكلّم نيابة عن محمد صلوات الله عليه الذي يشير به فيقول : إن العهد كان في إسماعيل من محمد قبل ولادة إسحق ، والآن سيظهر محمد وسيتم العهد فيه . فلو كان إبراهيم حيا ، لرأى صدق الموعيد في حينها ، وفرح بصدقها . والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وقد قال الله لوسى : أنا إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . والله حي . ولو كانوا أماتا ما تحدث عنهم.

ولترجع بعدهما الاستطراد الذي فرض نفسه إلى قول عيسى عليه السلام عن

محمد صلوات الله عليه «بير كلبت الروح القدس» ونقول :

(١) يعتقد المؤلف أن لعيسى شريعة مستقلة عن شريعة موسى ، وهذا الاعتقاد خطأ ، لأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة ، ولم يأت بجديد عليها ولم يتثنّي بيانه ولم يحل من حكماتها ما هو محرم ، ولم يحرم من حكماتها ما هو محلل ، وإنما أحل ما حرمه العلماء على الناس من تلقاه أنفسهم .

(٢) في الأصحاح الثاني من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس : «بل تكلّم بحكمة الله في سرّ ، المحكمة المكتومة التي سبق الله فعيّنها قبل الدخور لجتنا ، التي لم يعلّمها أحد من عبيّدنا هذا النهر» [٤: ٢-٧]

- ١ - إن «بيركليت» الكلمة عبرانية معناها «أحمد» وهي في الترجمة القديمة «فِيرْنِيلْبَطْ»
- ٢ - وإنها تترجم في اليونانية «بيركليتوس» وحرف السين يؤكد أنها اسم أحمد، لأن السين في اليونانية توضع في آخر الكلمة إذا كانت اسماء مثل يوسيفوس وأدريانوس وأوغسطوس قيصر .
- ٣ - وأحمد هذا ليس نيا كاذبا ، به شيطان ، وإنما هو صادق ، والدليل على أنه صادق : وصفه بالروح القدس الظاهر ، أى الذي يسكنه ملاك من ملائكة الله وبهله وبحركه ويرسله .
- ٤ - بمرور الزمان صار «الروح القدس» يدل على اسم «أحمد» ولو لم ينطق «أحمد» فأحمد اسم والروح لقب له .
- ٥ - ولما حرف النصارى كلام عيسى عليه السلام زعموا : أن الروح القدس هو روح الذات الإلهية ، فهو الله اسمه أحمد ؟ وهل روحه افضلت عنه ، ونزلت إلى الأرض في عيد الخمسين ؟
- ٦ - ومن أوصاف «أحمد» أنه يعلم ويذكر ويخبر بأمور آتية ، والروح الذي نزل في عيد الخمسين - كما يزعمون - لم يعلم ، ولم يذكر ، ولم يخبر بأمور آتية ، ففي الجليل يوحنا عن بيركليت : «وأما المُعْزَى الروح القدس ، الذي سيرسله الآب باسمه ، فهو يعلمكم كل شيء^(١) ويذكركم^(٢) بكل ما قلته لكم»
- ٧ - والمُعْزَى موضوعة بدل «باركليت» ومعناها : النائب عن المسيح ، ولكن المسيح لم ينطق باركليت وإنما نطق الاسم المبارك ، بدليل وضع السين في آخره في الأصل اليوناني .
- ٨ - وفي مجتمع القسطنطينية سنة ٣٨١ مـ ألم النصارى «الروح القدس» الذي هو في الأصل لقب لأحمد عليه السلام وذلك لغرضه الغزو في حقيقته .

(١) «وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» أى وما أُوتِيتُمْ من عِلْمٍ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا .

(٢) «ص . والقرآن في الذكر»

مجيء يحيى وعيسي بالحكمة :

خواطر الشیع

وأنا أكتب في هذا الكتاب فراتُ في «اللواء الإسلامي» العدد ٩٥٤ السنة العشرون ، خواطر لشيخ من الشيوخ عن المسيح عيسى بن مريم ودعوته ، ومن كلامه ما نصه : «كل شئ عند اليهود كان ماديًا ، والغيبيات لا مكان لها عندهم ، ولذلك إذا قرأت التوراة لا تجد فيها أى كلام عن اليوم الآخر ، وإذا قرأت التلمود ، لن تجد للبيوم الآخر ذكرا ، مع أن اليوم الآخر دفن من أركان الإيمان ، وحتى من اعترف منهم باليوم الآخر : قال : إن العذاب أيام معدودات وتنتهي ، قال تعالى : «وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات» إذا فهم ماديون ، وإذا أتى دين من بعدهم ، لابد من أن يحارب النقص ، الذي وُجد في البشر ، ليكملاه ويعده ، فجاءت المسيحية كلها روحانيات ، ولذلك ليس عندهم تقنيات أو أحكام للمجتمع» ثم شرع في تفسير الروحانية في المسيحية ، فقال : «فالحكمة : أن رسالة السيد المسيح ، جاءت بعد قوم ماديين ، فلا بد أن تكون روحانية صرفة ، ولذلك لما جاءوا ليترجموا واحدة رأته ، قال لهم : «من كان منكم بلا خطبته ، فليترجمها» ومن وصاياه أيضاً : «من ضربك على خلك الآمين ، أدر له خدك الآيسر» .

ثم قال : «واليس المسيحية كلها روحانيات ، وليس فيها شئ من تنظيم المجتمع» ثم فسر قوله تعالى : «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحمة بينهم تراهم ركعا سجدا ، يبتلون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة» بقوله : «لأن التوراة مادية صرفة ، جاء بالمثل الأول عن المسلمين بالروحانية ، المعبر عنها بالركع السجود ، وأيضاً بالذين يتغون من فضل الله ، وأيضاً سيماهم في وجوههم»

ويعدما فرغ من تفسير مثلهم في التوراة بالذى نقلناه عنه ، نتكلم في تفسير مثلهم في الإنجيل فقال : «ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، فازره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقة» هنا المثل في الإنجيل كله مادي ، والمثل في التوراة كله روحاني .

ثم فسر الحكمة في قوله تعالى : «فَدَجْتَكُمْ بِالْحَكْمَةِ» بقوله : هي وضع

الشئ في موضعه ، وأنت يا عالم اليهود مُحتاجون إلى حُقْنَة قيم ، فجاءت المسبحة كلها قيم حتى تعدل مادية اليهود .

وانتقل إلى تفسير «ولأيّن لكم بعض الذي تخالفون فيه» فقال : فمثلاً كانت الإبل محرمة على اليهود ، فالمسيح عدل هذه الأمور ، وأحل ما كان محرماً عليهم ، ولذلك قال في موضوع آخر : «ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم» ولذلك الجمال والإبل والأوز والبط ، كل هذه الأشياء كانت محرمة على اليهود ، فأحلها الله في دين المسيح عليه السلام [إلى آخر ما قال الشيخ في خواطره] وختم كلامه بأبيات من الشعر ، لم يصححهم الناشر ، وهم :

ولما التقينا ، قرب الشوق جهده

خليلين ، ذاباً لوعة ، وعاباً

كان خليلاً في خلال خليله

تسرب أثناء العناق وغاباً

* * *

خطرات ذكرك تستثير مودتي

فأحس منها في الفؤاد ديباً

لا عضولي إلا وفيه صبابة

فكان أعضائي خلقن قلوبًا

تصحيح الكلام :

١ - وصف المسلمين للبيانة اليهود بأنها ديانة مادية ، هو وصف خاطئ ، ولذلك لأنها دين سماوي ، قال عنه الله في كتابه : «موعظة وتقديلاً لكل شئ» ووصف الله هذا الدين بقوله إنه من قبل الإسلام كان «نوراً وهدى للناس»

ذلك قوله تعالى أيضاً : «وانزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس» فدين هذا وصفه في القرآن كيف يكون ديناً مادياً خالياً من الروحانيات ؟ وفي القرآن : أن الله أمر اليهود في التوراة بالروحانيات ، ذلك قوله تعالى : «هُوَ رَبُّ الْأَنْفُسِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُنَّ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْأَوَّلِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْبَنِينَ وَالْمَسَاكِينَ ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»

والي يومنا هذا ، نجد في التوراة هذه المعانى : «لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشنّه بيت قريبك ، لا تشنّه امرأة قريبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شبنا ماماً لقربيك»

[آخر ١٣:٢٠ - ١٧]

«ومن ضرب أباه أو أمه ، يُقتل قتلاً ، ومن سرق إنساناً وياقه أو وجد في يده ، يُقتل ، ومن شتم أباه أو أمه ، يقتل قتلاً» - «ولا تغضبه الغريب ، ولا تضايقه» - «لا تسىء إلى امرأة ماماً ، ولا يتسم» - «إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له» - «لا تقبل خبراً كاذباً ، ولا تضع يدك مع المافق لتكون شاهد ظلم ، لا تتبع الكثرين إلى فعل الشر» ، وهكذا كبير .

وفيها أدلة كثيرة على يوم القيمة منها : «لنت نفسى موت الأبرار ، ولكن آخرتكم» [عدد ٢٣: ١٠] «عزيز في عيني الرب موت أتقيائه» [مز ١٣: ٦] «ليس ذلك مكتوراً عندى ، مختوماً عليه في خزانتي ، لمي القمة والجزاء ، في وقت تزل أقدامهم» [اث ٣٤: ٢٢ - ٣٥] «أنا ترس لك ، أجرك كثير جداً» [إنك ١: ١٥] وقد ذكرنا نصوصاً كثيرة في كتابنا «حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب»

وقد حرف علماء بنى إسرائيل التوراة في مدينة «بابل» سنة ٥٨٦ ق م وجعلوا أحكامها الفقهية لهم وليس للأمم ، ومن أمثلة التحريف في اللفظ والمعنى : «لا تفرض أخاك برياً ، ريا فضة أو ريا طعام أو ريا شئ ماماً ، مما يفرض برياً ، للأجنبي تفرض برياً ، ولكن لا أخاك لا تفرض برياً» [اث ٢٣: ٢٣ - ٢٠]

ثم عمل بها الأتقياء من بنى إسرائيل ، فقد كانت منهم جماعات تخشى الله وتهابه ، ومنهم يحيى وعيسى وأباءهما . وفي القرآن عن أهل الكتاب أنهم : «ليسوا سواء» ولما ظهر محمد ﷺ أمن به من أهل الكتاب كثيرون ، ومن لا يؤمن به منهم فإنه يكون من الخاسرين ، وذلك لأن شريعة التوراة قد نسخها الله بالقرآن الكريم ، وفي التوراة نبي أمى مثل موسى : سوف يأتي يطلقون عليه لقب «المسيح الرئيس» الذي هو «المسيح» والكافرون منهم إلى هذا اليوم في انتظاره ، ويقول علماؤهم : إن طغيان الشر بين اليهود الآن ، سببه : تعطيل الشريعة ،

وتعطيل الشريعة لا يعني أنها شريعة مادية ، وإنما يعني أن الناس تركوا الحق إلى ما تهوي أنفسهم . فما تهواه أنفسهم هو شريعتهم المادية ، وما أنزل الله لهم من الحق هو شريعته ، وهو شريعة حياة للجسد والروح معا ، للأكل وللصوم معا ، وهكذا يقول الخبر إسحق لوريا ١٥٢٤ - ١٥٧٢ م : «كل فعل إنساني محسوب على صاحبه ، وللأفعال تأثيراتها الظاهرة ، ومعاناتها الباطنة بعد وأوغل في نتائجها ، وهي جزء من حركة الكون العامة ، وغايتها غاية كونية ... وليس طغيان الشر إلا لأن الشريعة معطلة والفساد الروحي لابد أن يقابله فساد كوني ، وكلما زاد الفساد واستشرى الشر ، كانت الحاجة إلى مجن المسبح أمّن»^(١) أ.هـ .

يقول : إن الله قد خلق الإنسان حرا ، وحمله نتيجة أعماله ، وأن «المسيح الرئيس» لم يأت بعد ، وقد بينا من هو المسيح .

٢ - وهل عيسى عليه السلام ، أتى بدين روحي لا مادي ؟ يقول الشيخ في خواطره : نعم ، وليس هو عن الروحانيات التي جاء بها ، ما هي ؟ لأننا نعلم أن عيسى عليه السلام كان يقول لاتباعه : أنا على شريعة التوراة التي في زمني ، لأنسخها ولا انقضها ، ذلك قوله : «لا تظنوا أتني جئت لانقض الناموس أو الآباء» {متى ١٧:٥} وعلى ذلك فكل ما أتني به هو التصديق للتوراة ، ثم إنه بشر محمد ﷺ بتفسير نصوص التوراة عنه تفيرا يدل عليه . والبشرى من الإنجيل ، وهذا ما جاء عنه في القرآن الكريم في سورة الصاف .

وكان علماء بنى إسرائيل يحرمون على الناس أشياء قد أحلها الله لهم في التوراة ، مثل : العمل المعتاد في يوم السبت ، فاللحرم : هو العمل اليومي المعتاد ، لا الأعمال التي تفرضها الضرورة ، فالجبرع يفرض قطف سنابل بين الزروع ، ووقوع الحروف في الحفرة يوم السبت يفرض انتشاله ، وأما العلماء فإنهم من ذات أنفسهم حرموا أشياء مثل : غسل الأيدي قبل الطعام وغسل الكرووس ، فإنهم فرضوا أن الأكل بدونه محرم ، وما شابه ذلك ، فأجلَّ المسيح ما حرمه العلماء على الناس من تلقاء أنفسهم .

(١) موسوعة فلاسفه متصوفة اليهودية - تأليف الدكتور عبد المنعم الحفني - مكتبة مدبولي بالقاهرة.

وكان علماء بنى إسرائيل يختلفون في الأحكام الفقهية ، فيرجح المسيح أحد الرأيين ، ويدرك دليل الترجيح من الشورة ، ومن ذلك : اختلافهم في النبي الأمي الآتي إلى العالم ، هل سياط من السامريين أم سياط من العبرانيين ؟ فرجح مجيهه من نسل إسماعيل عليه السلام واستدل على الترجيح بنبوة العهد ، ونبوة سيد داود ، ونبوة النبي الأمي ومن ذلك اختلافهم في معنى القريب . هل هو قريب الجنس أم هو النافع للإنسان ؟ وهكذا .

وكل ما جاء به يحيى والمسيح متقول من التوراة باللفظ وبالمعنى .

والالمثلة على ذلك من كلام يحيى وعيسى عليهما السلام :

(١) - «لا تظلموا أحداً، ولا تشعروا بأحدٍ، واكتفوا بعلاقتكم» أخذه من الخروج ٣٣:١ ولأوهن ١٩:١١ .

(٢) - «من له ثواب نبيان فليعطي من ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا» أخذه المسيح فقال : «بل أعطوا ما عندكم صدقة ، فهوذا كل شئ يكون ثوابا لكم» وهذا قد أخذه من التوراة من إشعياء ٥٨:٧ وداتيال ٤:٢٧ .

(٣) - «أنتم نور العالم» أخذه من الأمثال ٤:١٨ .

(٤) - «لا تقاوموا الشر» أخذه من الأمثال ٢:٢ .

(٥) - «من لطرك على خدك اليمين ، فتحول له الآخر أيضاً» أخذه من إشعياء ٥٠:٦ .

٣ - ومن تصحح الكلام قوله : إن المسيح لم يقم الخد على الزانية ، والرد عليه : هو أن المسيح لم يقف الزانية من العقوبة - إن صحت الرواية - وإنما طلب إيقاع الرجم من الشهود أولاً ، وذلك لأن التوراة تنص على أن الشاهد هو الذي يبدأ بالرجم ، ففي سفر التثنية : «على فم شاهدين أو ثلاثة شهود ، يُقتل الذي يقتل ، لا يقتل على فم شاهد واحد ، أيدي الشهود تكون عليه أولاً لقتله ، ثم أيدي جميع الشعب أخيراً» {ث ٦:١٧ - ث ١٧:٦} ودل انصرافهم على عدم قبول شهادتهم ، وذلك لأن الفاسق لا تقبل شهادته .

٤ - ومن تصحح الكلام : قوله إن مثل الأمة الإسلامية لم التوراة يشير إلى

صفات المسلمين الروحية ، لأن التوراة مادية صرفة .

والرد عليه : إن نص المثل يظهر صفتين هما «أشداء على الكفار ، رحماء بينهم» وقال : إن مثلهم في الانجيل مادي . والرد عليه : أن المثل متصوّب لبيان أن المسلمين في البدء سيكثرون قلة ، ثم يكتسرون رويدا ، رويدا ، ومثل التوراة مذكور في [مز ١٤٩] ومثل الانجيل مذكور في [مر ٤: ٣٠ - ٣٢ ونظيره]

٥ - وأما الحكمة : والمراد بها وضع الشئ في موضوعه ، فإنها تشمل المعاوظ والنصائح ، ويوضح ذلك : ما في سورة الإسراء من القرآن الكريم وهو عبادة الله وحده ، والبر بالوالدين ، وإكرام اليتامي والمساكين وابن السبيل ، والبعد عن الزنا وقتل النفس ظلما ، والوزن بالقسط ، والنهي عن التجسس ، والتحث على التواضع ، وبعدم فرغ من ذلك كله قال : «ذلك مما أوصى إليك ربك من الحكمة» ومن الحكمة : أنه نصح اليهود بالإيمان بمحمد إذا جاء ، لئلا يهلكوا .

وما في الانجيل عن حكم المسيح : «ومتنى صليت ، فلا تكون كالمرأتين ، فإنهم يحبون أن يصلوا قائنين في المجامع ، وفي زوايا الشوارع ، لكن يظهروا للناس ، الحق أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجراهم ، وأما أنت فمتنى صليت ، فادخل إلى مخدعك ، وأغلق بابك ، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء ، فأبوك الذي يرى في الخفاء ، يجازيك علانية ، وحينما تصلون ، لا تكرروا الكلام باطلا كلام ، فإنهم يظلون أنه بكثرة كلامهم ، يستجاب لهم ، فلا تشيبوا بهم ، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه »

فصلوا أنتم هكذا ، أبانا الذي في السموات ، ليتقىس اسمك ، ليأت ملكتك ، لكن مشيتك ... » [متى ٦: ٥ + ٦] .

ملاحظة :

ند أنت الملائكة ، وهو ملكت محمد عليه السلام فلماذا يطلبونه ؟ إذا صلواتهم باطلة ؟ لأن الملائكة قد أنت .

انتهت الردود على خواطر هذا الشيخ . وخواطره تظهر للنصارى ما يعرفه المسلمون عنهم . وغرضى من ذكر الخواطر وتصحيحها : هو أن يجتهد المسلمون في معرفة ما عند أهل الكتاب على وجهه ، ليكون ردهم عليهم ردا مفيدة .

الأمةُ القائمةُ

يقول الله تعالى في القرآن الكريم : « قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله . والله شهيد على ما تعملون ؟ قل : يا أهل الكتاب . لم تصلون عن سبيل الله من آمن ؟ تبغونها عوجا . وأتتم شهداء ؟ وما الله بغافل عما تعملون » إلى أن قال عن أهل الكتاب : « كتم خبر أمة أخرجت للناس . نأمرن بالمعروف ، وننهون عن المنكر ، ونؤمن بالله »

ثم قال عن أهل الكتاب : « منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون » أي « ليسوا سواه » في الصد عن سبيل الله . فبيان « من أهل الكتاب أمة قائمة . يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله ، واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات . وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير ، فلن يُكفروه . والله عليم بالمتغيرين » وفي سورة المائدة : « أمة مقتضدة » .

البيان :

أهل الكتاب هم اليهود والصابئون والنصارى . فمنهم يصد ، ومنهم يدعوا إلى الله ؟

يقول : إنهم من زمان موسى عليه السلام كانوا مأمورين بالجهاد في سبيل الله ، مثل المسلمين سواه . وأنهم جاهدوا وفتحوا بلاد الكفر ، ونشروا فيها الإسلام على شريعة موسى ، وملکوا على أهلها ، وأروهم ما في التوراة من الأحكام . ومن أحكامها الدخول في دين محمد رسول الله المكتوب عنه فيها : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك . من إخوتك . مثلى له تسمعون »

وبعد رجوعهم من سبي بابل سنة ٥٨٦ ق . م أذاعوا بأن هذا النبي الامي سيظهر من بنى إسرائيل : لئلا يدخل الناس في دينه إذا جاء . وهذا هو الصد عن سبيل الله . مع أنهم يشهدون بأنه سيأتي من بنى إسماعيل ، لأن إسماعيل مبارك فيه ، ولأنه لن يقوم نبي في إسرائيل كموسى . ومن أوصاف النبي الآتي أن يكون كموسى . وقد كانوا من قبل سبي بابل يدعون إلى الله ، لأنه اختارهم من بين

الأمم الوثنية للدعوة إليه . ومن بعد سبي بابل ، امتنعوا عن دعوة الأمم ، وقتصروا التوراة عليهم . وكان امتناعهم بعدم الجهاد والفتح . فإن منهم من دعا الأمم من نفسه بالكلام الذين وحسن المعاملة . كما قال عنهم عيسى عليه السلام : « تطوفون البحر والبر ليكسنوا دخيلاً واحداً ، ومني حصل ؛ فتصنعنوه أبناً لهم أكثر منكم مضاعفاً » { متن ٢٣ : ١٥ } فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم للدعوة إلى الله بالكلام الحسن وبالحرب ؛ صار هو وأتباعه خير أمة ، بدل أهل الكتاب الذين كانوا من قبله خيراً أمة . ولذلك قال : « ولو آمن أهل الكتاب » بمحمد رسول الله « لكان خيراً لهم » وذلك لأن الخيرية التي كانت لهم قد انتقلت منهم إليه . وبه لم يعودوا خيراً أمة .

وشرعية موسى كانت قائمة في العالم على ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن يلغها بنو إسرائيل للأمم .

الأمر الثاني : أن يعمل بها بنو إسرائيل والأمم إلى أن يظهر محمد رسول الله

عليه السلام

والأمر الثالث : يتقسم إلى قسمين هما : ١ - العمل بالتوراة ٢ - وانتظار

محمد رسول الله عليه السلام

فعتقدنا ثلاثة أمور :

١ - العالمية ٢ - العمل بأحكام التوراة الفقهية ٣ - الدعوة إلى ترك التوراة

في حالة ظهور محمد عليه السلام

موقف اليهود من الأمور الثلاثة من بعد السبي البابلي :

١ - أما عن العالمية : فإن اليهود قد اتفقوا على عدم فتح البلاد بالجيوش المنظمة ، وامتنعوا عن دعوة الأمم بالحرب ، وأباحوا دعوة الأمم بالحكمة والوعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن . كما قال عيسى عليه السلام : « إنهم يطوفون البحر والبر ليكسنوا دخيلاً واحداً »

٢ - وأما عن العمل بالتوراة : فإن اليهود قد حرفوها لتكون شريعة لهم من

دون الناس ، وأباحوا لأنفسهم فيها أكل أموال الأمم بالباطل ، والتعدي على حرماتهم ، وكتبوا فيها عن سوء الخلق ما ينفر الناس عنها ، إن أرادوا الدخول فيها. مثل زنا رأوين بجازية أبيه ، وزنا أمنون بأخته ئامار

٣ - وأما عن محمد رسول الله : فإن اليهود قد حذفوا من التوراة اسمه «محمد» ووضعوا بدله ما يدل عليه بحسب الجمل . وتركوا أوصافه كما هي . وأذاعوا في الناس : أن النبي الأنبياء على مثال موسى سيكون من بنى إسرائيل . وهم يعلمون أنه لن يكون من بنى إسرائيل . فلذلك قالوا : إن التوراة شريعة لنا إلى يوم القيمة.

تقسيم الجهاد :

والجهاد إما أن يكون بالحرب ، وإما أن يكون بالحكمة والوعظة الحسنة . وقد جاهد بنو إسرائيل الأمم بالترويع معا . إلى زمان سبي بابل . ومن بعده ، صرفوا الأموال التي كانت تتفق على الجيوش الغاربة في مصاريف أخرى ، وهدموا الربط التي كانت على التغور واكتفوا بالحكمة والوعظة الحسنة . ولما انفصل النصارى عن اليهود ، قال لهم بولس : لا تماهدوا في سبيل الله ، وانخفضوا للرياسات والسلطان في كل بلد تكونون فيها . ومن أجل ذلك حرموا الختان لأنه كان علامة على الجهاد ، وأحلوا العمودية محله . وما يزال اليهود والنصارى والصابرون إلى هذا اليوم على الجهاد بالحكمة لا بالسيوف .

موقف الصابرين أتباع يحيى من هذه الأمور الثلاثة :

- ١ - حدّ أتباعه على دعوة الأمم . بالتوراة التي كانت في زمانه مع اليهود .
- ٢ - أوجب على أتباعه العigel بكل أحكام الشورة ، إلى أن يظهر محمد رسول الله ﷺ

٣ - أظهر اسم «محمد» الذي كان في التوراة الأولى . وفسر نبوءات التوراة عن محمد لأتبعه تفسيراً حسنا . وأمرهم بتعريف الناس به في جميع البلاد .
موقف النصارى أتباع يحيى من هذه الأمور الثلاثة :

هو نفسه موقف الصابرين منها

الأمور الثلاثة من بعد يحيى وعيسى - عليهما السلام - :

١ - أما عن اليهود . فإنهم لم يغيروا أمرا من الأمور الثلاثة بأى أمر غيره .

٢ - والصابئون مثلهم لم يغيروا أمرا بأى أمر .

٣ - وأما النصارى . فإن منهم طائفة غيرت من بعد عيسى مباشرة ، وصرحت بأن تدعوا الأمة إلى الله ، ولكن على غير أحكام التوراة . وذلك بأن الأئمَّى الذى يتضمَّن إليهم يتضمَّن عيسى على :

١ - الاعتراف بالله ٢ - والعمل بقوانين البلد التى يعيش فيها ٣ - والاعتراف بأن عيسى هو النبي الأمى المأتمل لموسى ، ولا نبي من بعده إلى يوم القيمة .

الأمور الثلاثة فى ستة للشمامنة وخمسة وعشرين ميلادية :

١ - أما عن اليهود : فإنهم ثبتوا على ما كانوا عليه من زمان سبى بابل .

٢ - وأما عن الصابئين والنصارى : فإن الامبراطور قسطنطين امبراطور روما ، الذى كانت تحكم على فارس وبلاط الشام ومصر وقتذ جمعهم فى مدينة « نيقية » بتركيا . وطلب منهم إنكار مجيء محمد . وسبب طلبه هذا الطلب : هو أن من أوصاف محمد فى سفر دانيال وفي الأنجليل أنه فى بدء ظهوره سيحارب الروم ، وسيطردهم بالقوة من جميع البلاد . وإذا استمر هذا الخبر ساريا فى الناس ، فإنه فى بدء ظهوره سينضمون إليه ، وسيقضون على الروم بسرعة خاطفة . أما عن العمل بالتوراة أو عدم العمل بها ، فإنه لم يطلب منهم أن يعملوا أو أن لا يعملوا . فاجتمعوا فى « نيقية » وقرروا - تحت سلاح الخوف والبطش - أن يكونوا جميعا « مسيحيين » لا صابئين ولا نصارى . ومعنى « مسيحيين » أن عيسى بن مریم هو النبي الأمى المأتمل لموسى . لا محمدا رسول الله . ولما أنكروا محمدا ، علموا أنه لا فائدة من الشريعة . ولذلك الغرها .

ولما زالت هيبة الروم بسبب انقسامهم إلى دولتين . واحدة فى الشرق وأخرى فى الغرب . انقسم الذين كانوا فى الأصل نصارى تابعين لعيسى بن مریم إلى أرثوذكس وكاثوليك . وانقسم المسيحيون الذين كانوا فى الأصل صابئة تابعين

لبحي بن زكريا إلى مندائيين وحرانيين . وال المسيحيون الذين كانوا في الأصل نصارى يدعون إلى : العالية وهي عندهم ١ - معرفة الله ٢ - ونبيذ التوراة ٣ - والعمل بقوانين البلاد التي يعيشون فيها ٤ - وأن عيسى هو النبي الأمي ولا نبي من بعده إلى يوم القيمة . ولسوف يأتي مرة أخرى عند قيام الناس من الأموات .

وال المسيحيون الذين كانوا في الأصل صابحة . يدعون إلى : العالية . وهي عندهم :

١ - إلزام الأمي بالعمل بالتوراة

٢ - وأن النبي الأمي ليس هو عيسى بن مريم - كما يزعم المسيحيون اليوم -

٣ - ولا يتكلمون مع الأمي في أمر النبي الأمي . فالراسخون في العلم منهم يعلمون أنه هو محمد ، وهم أحرار في عقائدتهم . ومن يعرف لا يعرف غيره بحقيقة ، ويتركه حتى يعرف كما عرف هو . شأنهم شأن السامريين من بني إسرائيل ، فإنهم يصرحون في توراتهم بأن النبي الأمي الآتي من أوصافه أنه مثال لموسى ، ويقولون : ولا نبي مثل موسى سيأتي من بني إسرائيل . ويصرحون بأن «باد ماد » تعنى محمدا بحسب الجمل . ويكتفون بهذا . والجمهور قلوبيهم لاهية في أمور المعاش . ويشبه هذا في المسلمين : أن الجمهور يكون له أحيانا اعتقاد بأمر ما . والراسخون في العلم لا يعتقدونه ولا يصرحون به للجمهور . ففي القرآن الكريم : أنه يجوز للمرأة أن تكون قاضية وأن تكون ملكة ، والجمهور يأبى لهذا كل الإباء . وفي القرآن : أن المحرمات من الأطعمة أربعة هي :

١ - الميتة ٢ - والدم المسفر ٣ - ولحm الخنزير ٤ - والمذبوح للأصنام .

والجمهور يأبى أن يتناول كلبا وحمارا وخفافis ووطاويط . وفي القرآن : أن المرأة إذا قتلت رجلا خطأ وهي فقيرة . يلزمها صوم شهرين متتابعين . والله يعلم أنها ستحيض في كل شهر حبضة . والجمهور يمنعها من الصوم والصلاه في أيام الحبض . وهم غافلون عن التابع .

وهذا الذي ذكرته موجود في كتب تفاسير القرآن . وقليل من قرأه ، وقليل من فهمه . وقليل من علم به

دعوة الصابرين الأم إلى الصابحة :

يقولون : « إن لتعميد يحيى قوة تبشيرية . ويقبل فيه من يعتمد من غير الصابرين إلى الصابحة . ويقولون : إن شيث بن آدم أبو المحدثين الأول »
وفي كتب الصابرين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :
في كتاب « أدراشاً أيديهما » أى تعاليم يحيى عليه السلام وصايا خلقة .

منها :

١ - يمكن سر السعادة في أن لا تكون كذابة أو منافقا .

٢ - من يعمل خيرا ، يرى خيرا .

٣ - الويل لعالم لم يعلم شيئاً من علمه للآخرين .

تحريف المسيحيين لنبوءات التوراة عن محمد صلوات الله عليه :

كتب كاتب سفر أعمال الرسل : أن بطرس وقف خطيباً في بنى إسرائيل فائلاً : إن موسى عليه السلام نبه على نبي يأتي من بعده ، على مثاله ، من أنفسكم . وكلامه في التنبية عن مجني هذا النبي ، منطبق على عيسى عليه السلام ويقوله هنا يكون قد قفل بباب النبوة في وجه محمد صلوات الله عليه وجعل نبوءات التوراة كلها عنه ، على عيسى عليه السلام . فسيكون عيسى عليه السلام ؛ هو النبي الأمى المماثل لموسى الذي يلقبونه بالمسيح وبالمسيا ويابن الله ويابن الإنسان ، وعبد الرب المتألم . يقول الكاتب : « فتوبوا وارجعوا لتمحي خطاياكم ، لكي تأتى أوقات الفرج من وجه ربنا . ويرسل يسوع المسيح ، المبشر به لكم قبل ، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شئ التي نكلم عنها الله بضم جميع أتبیانه القديسين منذ الدهر . فإن موسى قال للأباء : « إن نبياً مثلى سيقيم لكم رب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون في كل ما يكلمكم به . ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي ، تُباد من الشعب » {أع ٣ : ١٩ - ٢٣ - تنبية ١٨ : ١٥ - ١٩ - ٧ : ٢٧} والصابرون لم يعترفوا بأن عيسى عليه السلام هو النبي الأمى الذي نبه على مجنيه موسى ودليل إنتظارهم : عدم تطبيق نبوءة ابن الله عليه ، واعترافهم بأن المسيح الرئيس ليس هو عيسى . وجميع نبوءات التوراة هي كنبوءة واحد في الدلاله على

ال المسيح الرئيس . وقالوا : إننا ننتظره وإلى الآن لم يأت . والآميون منهم لا يقرأون الكتب ، ولا يسمعون من علمائهم عنه شيئاً .

ويكفينا منهم هنا : أنهم ردوا قول المسيحيين في اللغو في نبوءات التوراة التي هي لـ محمد عليه السلام كما رد اليهود لغوا المسيحيين فيها .
محرفي المسيحيين لشريعة التوراة :

كتب كاتب سفر أعمال الرسل : أن بطرس وقعت عليه غيبة ^(١) . فرأى ملائكة عليها كل دواب الأرض والوحش . وصار إليه صوت : « قم يا بطرس اذبح وكل » فتعجب بطرس لأن التوراة تحرم كثيراً من الدواب والوحش . فصار إليه صوت ثانية : « ما طهره الله لا تدنسه أنت » أى أن المحرم في التوراة صار حلالاً ^{أع} : ١ ونصح عن هذه الغيبة أن رؤساء المسيحيين اجتمعوا وقرروا أن يحرموا على الناس ما ذُبْح للأصنام ، والدم ، والخنوق ، والزنا ^{أع ١٥ : ٢٩} { ثم أحل لهم برسان ما حرمه الله في التوراة بقوله : « فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عبد أو هلال أو سبت ... إلخ » ^{{ كولوسي ٢ : ١٦ - ٢١} }

وقال بولس : « دُعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف . دعى أحد في الغرفة فلا يختن . ليس المختان شيئاً ، وليس الغرفة شيئاً بل حفظ وصايا الله . الدعوة التي دُعى فيها كل واحد ، فليليت فيها » ^{{ كورنثوس الأولى ٧ : ١٨ - ٢١}

الأمة القائمة :

يجب البحث في معنى « قائمة » ويعندها : أنها أمة موجدة في الحياة الدنيا، وقت نزول القرآن ، وتظل موجودة إلى يوم القيمة . والتاريخ يقر بأن أمة الصابئين ما تزال موجودة - كما يبينا - وفي كتب التفسير اختلاف في معنى « قائمة »

١ - قائمة في الصلاة ٢ - قائمة بمعنى ثابتة على التمسك بالدين الحق
٣ - قائمة بمعنى مستقيمة عادلة .

هذا ما في تفسير شيخ الإسلام الرازي محمد بن عمر رضي الله عنه . وهو يدل على أن « قائمة » بمعنى موجودة في الحياة الدنيا ، وتظل موجودة إلى يوم

(١) يسمون الغيبة أهداً : مرأى النبوة . وهي حالة تشبه حالة الصرع

القيامة . وذلك لأن القيام في الصلاة يدل على أن القائم موجود . والشبات يدل على الوجود ، والاستقامة تدل على الوجود . فالثلاثة بمعنى واحد . ومن كلامه رضى الله عنه : « والقول الثاني في تفسير كونها قائمة : أنها ثابتة على التمسك بالدين الحق . ملازمة له ، غير مضطربة في التمسك به . كقوله : « إلا ما دمت عليه قائما » أي ملازما للإقضاء ، ثابتة على المطالبة ، مستقصيا فيها . ومنه قوله تعالى : « قائما بالقسط » ۱ . هـ

المائنة :

إنه لم يعين هذه الأمة من هي من أهل الكتاب . حتى ننظر في الدين الحق الذي لازمت عليه . ومعلوم أن أهل الكتاب جميعا غير ملازمين للحق من بده ظهور محمد عليهما السلام ومعرفتهم به . إلا أن تكون هذه الأمة أمية لا حرج عليها . ومع ذلك لا يعندها الله بالجهل . والحق :

أن هذه الأمة القائمة هي أمة الصابئين . وهي الأمة الثالثة من أمم أهل الكتاب اليهود والمسيحيون والصابئون .

وبيان ذلك :

أنه قسم أهل الكتاب في سورة المائدة إلى ثلاثة طوائف . ومدح طائفتين وبين أنها انقرضت بالدخول في الإسلام . وهي طائفة النصارى الامتهان . ولم يبق بعد انفراطها إلا طائفتين هما ۱ - اليهود ۲ - المسيحيون الذين أشركوا . ذلك قوله تعالى : « لتجدرن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين أشركوا » مما معا أشد عداوة . فمن هما ؟ إن الذين أشركوا هم المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك . لقوله في سورة التوبه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وال المسيح ابن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إليها واحدا لا إله إلا هو . سبحانه عما يشركون » والصابئون لم يشركوا . فإنهم موحدون . ولا يقولون آب وابن وروح القدس . إلا وهم مكرهون على القول . وذلك لأنهم لم يعترفوا بأن عيسى هو ابن الله في المزמור الثاني ، ولا أنه الروح القدس في الأصحاح الرابع عشر من الجيل يوحنا - كما يبينا في كتابنا أقانيم النصارى -

ثم قال تعالى : « ولتجدُن أقربهم مودةً للذين آمنوا ، الذين قالوا : إنا نصارى » وهم أتباع عيسى عليه السلام الذين ثبتو على الحق في أمر محمد رسول الله ، ودعوا الأمم إلى العمل بالتوراة إلى حين ظهوره « ذلك بان منهم » الآن « قسيسين » شيخ متواضعون « وربانًا » منعزلين عن الدنيا وريتها « وأنهم لا يستنكرون » مثل اليهود على الأمم « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول » محمد ﷺ ولو قدر له ولأى مسلم رؤيتهم حال السماع « ترى أعينهم تفيف من اللعن ما عرفوا من الحق . يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » فالنصارى الأماء الذين ظلوا ظاهرين بعقائدهم إلى عصر الشهداء ، وعصر قسطنطين ؛ كانوا يدعون إلى مجئ محمد علينا . ولما اشتد الأذى عليهم ، استخروا بعقائدهم وأظهروا عقائد التحريف ، ومن يتواضع من سلفهم لله ؛ فإنه يعلم من الكتب ما كان عليه النصارى الأماء . فيفرحون بما أنزل الله على رسوله . ولو سُنحت لهم الفرصة بالخروج إلى أتباعه ، لخرجوا وجاهدوا معهم . وإذا استبعدنا اليهود والسيحيين الذين أشركوا من دعوة الأمم إلى الله . فإن الأمة القائمة تكون هي أمة الصابرين .

يقول تعالى : « من أهل الكتاب أمة قائمة . يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمدون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المكر »

ويقول تعالى عن اليهود : « كتم خير أمة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتهون عن المكر »

إنه يقول : في الزمان السابق يايهود كتم خير أمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الوثنين . ويقول : إن منهم أمة ما تزال قائمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الوثنين . وأمة المسيحيين من زمان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م أمة قبلت عقائد شبه عقائد الوثنين ، ودعت بها الأمم إلى الله . أما الصابيون فلأنهم لم يقبلوا . ويدلل على ذلك قوله تعالى عن عقائد اليهود والسيحيين : « يضاهتون قول الذين كفروا من قبل » في قوله تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأنواعهم . يضاهتون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله . أني يؤمنون ؟ » كيف يصلون وبصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل ؟ لقد شتمهم بقوله « قاتلهم الله » شتم ١ - اليهود ٢ - والسيحيين الذين

أشركوا . ولم يشتم الأمة القائمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المكر ، بل مدحها بقوله **« وأولئك من الصالحين »** لأنهم قبلوا المسيحية من الرومان كرها واضطرارا . وهم من بعد الرومان . أميون وعلماء . وإذا طائف أهل الكتاب ثلاثة هم اليهود والمسيحيون والصابرون وقد ذم اليهود والمسيحيين ولم يتم الصابرين ، فإن الصابرين يكونون هم الأمة القائمة ، وهي تجاهد بالحكمة والوعظة الحسنة ولا تحارب بالسيوف .

أوصاف الأمة القائمة :

١ - أنها **« قائمة »** .

٢ - **« يتلون آيات الله آناء الليل »**

٣ - **« وهم يسجدون »**

٤ - **« يؤمنون بالله واليوم الآخر »**

٥ - **« وياً مارون بالمعروف »**

٦ - **« وينهون عن المكر »**

٧ - **« ويشارعون في الخيرات »**

٨ - **« وأولئك من الصالحين »**

حال الأميين من الصابرين في الدعوة إلى الله :

في كتاب الصابرين المتذمرون :

« والكتب المقدسة لدى الصابرة ليست مطبوعة . وقد قام بنسخها الكتاب الكهنوتيون طيلة قرون عديدة . وكانتوا يحصلون على قسم من دخفهم بالقيام بهذا العمل للمتدينين من أفراد الطائفة الذين يعتقدون بأن امتلاكهم للكتب المقدسة يحفظهم من الشرور في الدنيا والآخرة . وقليل من العامة من يستطيع أن يقرأ أو يكتب هذه اللغة . فتعلمتها مقصورة في الأغلب على الطبقة الكهنووية ، ويفضلون به على العامة ، حتى لا يتآثر نفوذهم ، وحتى تكون احتكاراً كهنوتياً »
حال العلماء الصابرين في الدعوة إلى الله :

هم كما قال عيسى عليه السلام في علماء اليهود من بعد سبي بابل : **« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ؛ لأنكم تطوفون البحر والبر ؛ لنكسروا دخيلا واحداً . ومتى حصل تصنفونه ابنًا لجهنم أكثر منكم مضاعفاً . ويل لكم أيها القادة العمييان ... الخ »**

الثلاثة الذين خلُّوا

يقول الله تعالى في القرآن الكريم : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين »

إما أن يراد بالشركين اليهود والذين قالوا إنا نصارى ، وإما أن يراد بهم العرب بنو إسماعيل عليه السلام . ولا جائز أن يراد بهم العرب بنو إسماعيل . وذلك لأن الله تعالى في نفس السورة وصف اليهود والنصارى بالشرك في قوله تعالى : « اتخذوا أحبابهم ورہبائهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم . وما أمروا إلا ليبعدوا إليها واحداً . لا إله إلا هو . سبحانه عما يشركون » ولأن الله في القرآن قد نهى عن العرب بنى إسماعيل الشرك بالله . فإن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة المعظمة هو وابنه إسماعيل الذي لم يكن له ولد غيره في ذلك الوقت ؛ دعا الله دعوتين اثنتين هما : أن يجنب بيته من إسماعيل عبادة الأصنام ، وأن يرسل من بيته محمداً إلى العالم للدعاء إلى دينه . وإذا استجابت الدعوة في محمد ، وبُعث حقاً ، فإنها تكون قد استجابت في تحنيب العرب عبادة الأصنام ، لأنهما دعوان مترابطان وليس من فرق بينهما حتى تقبل واحدة وتترك الأخرى . ولأن الله في القرآن قد بين أنه عقد عهداً بينه وبين إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا الكعبة للطائفين والعاكفين والركع السجود . وقد ظهرها نسل إسماعيل من عباد الأصنام ، ولم يذكر أنهم نقضوا العهد .

ثم إنه من بعد إعلان البراءة من المشركين . أعلمهم أنهم إن تابوا ودخلوا في الإسلام مع أبناء عمومتهم بنى إسماعيل « فهو خير لكم » وإن تولوا عن الإسلام فلهم « عذاب أليم » سيأتى عما قريب ، فيفتح المسلمين للفلسطين . وسيكون لهم عذاب أليم في النار الآخرة . ودليل توبتهم : هو إقامة الصلاة على دين الإسلام وإتیان الزكاة . وأشار بالصلاحة إلى التواضع لله وأشار بالزكاة إلى عدم التكبر على خلق الله . وذكر من أوصاف اليهود التي كررها عنهم في القرآن كثيراً : أنهم « لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة » وأنهم منافقون « يرضونكم بأفواههم ، وتأتي قلوبهم بحروف قال : « وأكثرهم فاسقون » وأنهم « لا إيمان لهم » ولا عهد لهم . وبين أنهم هم البادرون بالعنوان على المسلمين . فإن محمداً عليه السلام لما ابتدأ

في الدعوة ، لم يكن له من الأنصار عددا يبدأ به في العدوان . وهم لهم أنصار ذوي عدد . بهم بدأوا بالعدوان وهموا بخروج الرسول من مكة .

ومن هم الأحق بالبقاء في مكة عند المسجد الحرام ؟ محمد وأنصاره أم اليهود المشركون ؟ من هم الأحق بإقامة الشعائر عند الكعبة ؟ المسلمين الطاهرون أم المشركون النجسون ؟ إنهم يشهدون على أنفسهم بالكفر ، لأنهم يشهدون أن موسى والنبيين من بعده قد كتبوا عن محمد ، وهم اليوم ينكرون هذه الشهادة . وإنكارها كفر به . والكفر به هو كفر بالله . إذ هو رد لشريعته عليه . كأنهم يقولون : لا تلزمنا ولا شريعتك تلزمنا . وقد أعطاهم جزاءه هو الخلود في النار . وليس الخلود للMuslim ، لأن له أحقاباً ينقطع العقاب بعدها ، ثم قال لأهل الكتاب : أنتم من قبل ظهور محمد . كان لكم الحق في سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام . لأن بركة إسحاق فيكم وشريعة موسى معكم . وبها أنتم ملوك على الأمم إلى أن تظهر بركة إسماعيل من محمد . وإذا ظهرت لا يكون لكم الحق في السقاية والعمارة والملك . ويكون الحق لمحمد عليه السلام وأصحابه . وما هو اليوم قد ظهر . وتميزت أعمالكم وأعماله . ومن أعماله : أنه يؤمن بالله وبال يوم الآخر ويجاحد في سبيل الله . وأنتم كتم مكاليفن بأعماله من قبل أن يظهر ، فهل أنتم اليوم دعاة إلى الله ؟ هل أنتم مجاهدون ؟ أنتم جعلتم صلاتكم عند البيت مكاه وصدا عن سبيل الله . فهل تستوى السقاية والعمارة والصد عن سبيل ، مع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ أنتم ظالمون بنى إسماعيل إن قلتم بالمساواة .

وقد فصل الله فصلاً تماماً بين بنى إسماعيل وبين بنى إسحاق وذلك بأن عقد مقارنة بين إبراهيم المؤمن وبين أبيه الكافر . فهل هما أقرباء ؟ إنهما في الظاهر أقرباء ، لأن آزر أب لإبراهيم وبهـما في الحقيقة غرباء . لأن إبراهيم مع الله ، وأزـر مع الشيطان . وهـما جماعتان . كل واحدة منها ضد الأخرى . وهـكذا هو حال بنـو إسماعيل المؤمنين بالله مع محمد عليه السلام وبين إسرائيل المؤمنون بالشـيطان . كل جماعة منها ضد الأخرى ... والإيمان هو الذي فرق بينهما . وقد قرر الله هذا الفصل في نفس السورة فقال: « يا أيها الذين آمنوا لا تخذلوا آباءكم وإخوانكم أولياء . إن استحبوا الكفر على الإيمان » - « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركون ولو كانوا أولى قربى »

وين الله أن النصر من عنده ، وقد نصرهم يوم حنين . فعلى من نصرهم ؟
من هم أعداؤه الذين كفروا ؟ هل هم هوازن ونقيف ؟ وهوazen ونقيف هل هم من
العرب أم هم من اليهود ؟

ثم قال تعالى عن اليهود والنصارى : « إنما المشركون لجس » والوصف
بالنجاسة خاص بهم : وذلك أن الله أمرهم في التوراة بذبح بقرة صفراء فاقع لونها
تسر الناظرين . وأن يحرقوها بعد ذبحها . ويضعوا ترابها في قارورة . ليستظر
بالرماد كل كاهن تنجس بوطه قبر أو بلامسة ميت . وإذا نفذ التراب ؛ فذلك إيدان
بظهور محمد عليه السلام ولا يذبحون غيرها . وإذا ظهر فإنهم يلزمهم إما الدخول في
دينه ليخلصوا من النجاسة وإما البقاء على دينهم وبذلك يكونون أنجاسا ، والكافر
النجس لا يقرب المسجد ولا يمس كتاب التوراة ، فكيف يكون إماما على الناس ؟

يقول مؤلف بذل المجهود في إفحام اليهود : « نقول لهم : هل أنتم اليوم
على ملة موسى عليه السلام ؟ فإن قالوا : نعم . قلنا لهم : أليس في التوراة أن
من سُن عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته ، فإنه يصير من النجاسة في
حال لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاشمي يحرقها ؟ فلا يمكنهم
مخالفة ذلك ، لأنه نص ما يتناولونه . فنقول لهم : فهل أنتم اليوم على ذلك ؟
فيقولون : لا نقدر عليه . فنقول لهم : فلم جعلتم أن من لس العظم والقبر والبيت
هو طاهر يصلح للصلوة وحمل المصحف ، والذى في كتابكم بخلافه ؟ فإن قالوا :
لأننا عدمنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام المطهّر المستغفر قلنا : فهل ترون
هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغفرون عن الطهارة عنه أم لا ؟ فإن قالوا : نعم
قد تستغنى عنه . فقد أقرروا بالنسخ لتلك الفريضة ، حال انتضاعها هذا الزمان . وإن
قالوا : لا تستغنى في الطهارة عن ذلك الطهور ، فقد أقرروا بأنهم الأنجاس أبداً ، ما
داموا لا يقدرون على سبب الطهارة (١) ١ . هـ

وبعد وصف اليهود والنصارى بالنجلاء ، حكم بيقائهم بين المسلمين إذا ظلوا
على دينهم ودفعوا الجزية . والسبب في دفع الجزية : أنهم يعرفون أن دين الإسلام

(١) بذل المجهود في إفحام اليهود - أيضاً إغاثة الهمفان لابن قيم الجوزية وتنبيح الابحاث لابن كثونة
ودلالة الحاذرين لموسى بن ميمون . والأرجوحة الفاخرة للقرافي .

حتٰن ولا يدخلون فيه بحجة أن محدثاً من نسل جارية وضيعة ، وهم من نسل حرة عظيمة . ولعزمهم هذه وانفاسهم ، حكم عليهم بالجزية ليكونوا أذلاء تحت يد المسلمين أبد الدهر . والدليل لا يترأس على مسلم .

ويبين من معتقداتهم قول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى المسيح ابن الله . شبه ما يقول الذين كفروا من قبل أن يكفروا .

ويبين أنهم ياخذون «بنهم من الفقهاء» ، ويعتبرون قول القديس عماليل لقول الله . وأنهم بهذا الاعتقاد يكونون قد أشركوا مع الله غيره من الاخبار والرهبان .
﴿سبحانه عما يشركون﴾

ويبين أنهم يريدون إطفاء نور الله . والله لا يريد ذلك **﴿ولو كره الكافرون﴾** .
وهم رؤساء اليهود والمسيحيين .

ثم نفر الله الناس من فعل الاخبار والرهبان بقوله **﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون على سبيل الله﴾**

ثم أمر بقتال المشركين وهم اليهود والمسيحيين فقال : **﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾**

ثم قال : **﴿إنما النساء زبادة في الكفر﴾** والنساء في اليهود والمسيحيين لا في العرب . وذلك لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية ، وشهور الزراعة القبطية تزيد خمسة أيام . ولذلك قال : **﴿يُضل به الذين كفروا﴾** والذين كفروا هم الذين كفروا في قوله **﴿ولو كره الكافرون﴾** وهم كما يقول المفسرون : رؤساء اليهود والنصارى .

ثم خاطب المؤمنين على شريعة التوراة فقال ما معناه: لماذا لا مجاهدون مع محمد في سبيل الله **﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟﴾** لماذا لا تنصرون محمد؟ **﴿إلا تنتصروه فقد نصره الله﴾** ثم بين سبب المعركة التي نصره فيها بقوله : **﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾** من هؤلاء الذين كفروا؟ ليسوا غير اليهود، لأن الذين نصروه وحاربوا معه هم العرب المؤمنون بنو إسماعيل في مقابل الذين كفروا، الذين بينت السورة أنهم هم اليهود. ومن بيانها: أنه **﴿جعل كلمة الذين كفروا السفل﴾**

ثم خاطب اليهود بقوله : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله . ذلكم خير لكم إن كتم تعلمون » كما قال عنهم : « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم » يزيد منهم أن ينضموا إلى المسلمين وأن يتفرقوا معهم ويقول بعض المفسرين : إن الخطاب للمناقفين الذين كانوا في « المدينة » وليس على قولهم من دليل . وذلك لأن وصف النفاق من الصفات اللازمـة لليهود على طول الزمان . والكلام من أول السورة إلى آخرها فيهم . والأوصاف الواردة في السورة مكررة في القرآن عن اليهود . يقولون : إن هؤلاء المناافقين تخلـفوا في غزوـة تبوك . وقولهم هذا يدل على أن الغرض من الآية قد تم في زمان رسول الله ﷺ فـما فائدة أن يتـلى على مسامع الناس إلى يوم الدين وقد تم غرضـه ؟ وإن قالـوا : إن خصوص السبـب لا يـمنع من عموم اللفـظ . فالقول بعموم اللفـظ أولـى من القول بهذه الحـيلة . والذـى دفعـهم إلى القـول بـخصوص السبـب أمرـان . أولـهما : تـفسيرـهم للمـدينة بمـدينة يـثرب . وثـانـهما : قوله « عـفـا اللـهـ عـنـكـ » حيث فـهمـوا منه أنه خطـاب خـاص لـرسـولـ ﷺ في هـذاـ الوقت . أما عن تـفسيرـهم للمـدينة يـثرب . فإن « يـثـرب » عـلـمـ عليها في القرآن ولم تـسمـ بالمـدينة في حـيـةـ رسولـ اللهـ ، وإنـما سـمعـتـ من بـعـدهـ بمـديـنةـ رسولـ اللهـ . أما « المـدـيـنـةـ » بـالـأـلـفـ والـلـامـ فـإـنـهاـ مـعـروـفةـ للـعـالـمـ مـنـ قـبـلـ الإـسـلـامـ بـكـثـيرـ . وهـىـ « أـورـشـلـيمـ » عـاصـمـةـ مـلـكـ اليـهـودـ العـبرـانـيـنـ فـىـ « فـلـسـطـيـنـ » وأـمـاـ عنـ آنـ الخطـابـ لـرسـولـ اللهـ فـىـ وقتـهـ . فـقـىـ القرآنـ آنـ اللهـ يـخـاطـبـ الـسـلـمـينـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ فـىـ شـخـصـهـ . فـيـكـونـ المـعـنىـ : يـاـ مـسـلـمـ إـنـ كـنـتـ تـهـمـيـ الـسـلـمـينـ لـلـقـتـالـ فـلـاـ تـأـذـنـ لـهـمـ . وـمـاـ كـادـواـ بـهـ لـمـحـمـدـ ﷺ : أـنـهـ « اـبـتـغـواـ الـفـتـتـةـ مـنـ قـبـلـ » بـعـثـتـهـ وـتـشـاـورـواـ فـىـ أـسـبـابـ يـثـونـهاـ فـىـ كـتـبـهـ تـشـكـكـ النـاسـ فـىـ اـسـمـهـ وـصـفـاتـهـ . وـظـلـواـ قـلـقـينـ مـنـ أـمـرـهـ إـلـىـ آنـ ظـهـرـ « وـهـمـ لـهـ كـارـهـونـ » لـآنـ سـيـاخـذـ الـمـلـكـ مـنـهـ . وـسـتـخـضـعـ لـهـ الـأـمـ وـالـشـعـوبـ . ثـمـ قـالـ تـعـالـىـ عـنـهـ : « وـيـحـلـفـونـ بـالـلـهـ إـنـهـ لـنـكـمـ » وـحـلـفـهـمـ صـحـيـعـ عـلـىـ مـعـنـىـ أـنـهـمـ مـنـهـمـ مـنـ نـسـلـ إـبـرـاهـيمـ « وـمـاـ هـمـ مـنـكـمـ » فـىـ الـإـيمـانـ . إـلـاـ اـنـضـمـوـاـ إـلـيـكـمـ فـلـانـهـمـ لـاـ يـنـضـمـوـنـ لـلـهـ ، إـنـماـ لـطـلـبـ صـدـقاتـ . فـلـانـهـمـ هـمـ الـمـؤـلـفـ قـلـوبـهـمـ^(١).

(١) في التوراة في سفر حزقيال نبوءات عن أن النبي الأنبياء هو الذي سيُؤلف بين السامريين واليهود . ولذلك قال : « وَلَفَّ بَيْنَ قَلْوَبِهِمْ » .

وفي التوراة نبوة عن محمد ﷺ في المزمور ٤٠ يقول فيها عن نفسه بظاهر الغيب : إنه أذن خير للمؤمنين ، ويسع من الله ويبلغ « أنت فتحت » أي أنه حر وليس عبدا إلا لله وحده . فقالوا : « هو أذن » أي ليس حرا . وإنما هو عبد ونحن سادته . وهو يقول : أنا حر ، النكون عبيدا له . ولن تكون عبيدا له . وبين ذلك : أن اليهودي إذا اشتري عبدا عبرانيا فست سفين يخدمه ، وفي السابعة يخرج حرا مجانا . فان فضل العبد العبودية على الحرية ، بأخذه سيده إلى المسجد الجامع ، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة . ويثقب أذنه بالثقب فيخدمه إلى الأبد [خروج ٢١ : ٥ - ٦]

وأول المزמור هو : « انتظارا انتظرت الرب ، فمال إلى ، وسمع صراغي »

ونص المزמור هو : « انتظارا انتظرت الرب . فمال إلى ، وسمع صراغي ، وأصعدنى من حب الهلاك . من طين الحمأة ، وأقام على صخرة رجل . ثبت خطواتي ، وجعل فى فمى ترنيمة جديدة ، تسبحة لإلها . كثيرون يرون ويغافون ويتوكلون على الرب .

طوى للرجل الذى جعل الرب متكله . ولم يلتفت إلى الغطaris والمنحرفين إلى الكذب كثيرا ما جعلت أنت أيها الرب إلهى عجائبك وأنكارك من جهتنا . لا تقوم لديك . لأنخبرن وأنكلمن بها . رادت عن أن تعد بنبيحة وتقدمة لم تُسر . أذنى فتحت . محرقة وذبيحة خطية لم تطلب . حيثذا قلت : هأنذا جئت . بدرج الكتاب مكتوب عن أن أفعل مشيتك يا إلهى سرت ، وشريعتك فى وسط أحشائى . بشرت بير فى جماعة عظيمة . هو ذا شفناى لم أمنعهما . أنت يا رب علمت . لم أكتم عدلك فى وسط قلبى . نكلمت بأمانتك وخلاصك . لم أخف رحمتك وحقك عن الجماعة العظيمة .

اما أنت يا رب فلا تمنع رأفك عنى . تنصرنى رحمتك وحقك دائما . لأن شرورا لا تُحصى قد اكتفتني . حاقت بي أيامى ، ولا أستطيع أن أبصر . كثرت أكثر من شعر رأسى ، وقلبى قد تركنى . ارتفع يا رب بأن تنجينى . يا رب إلى معونتى أسرع . ليجز وليخجل معا الذين يطلبون نفسى لإهلاكها . ليترد إلى الوراء ولبخز المرورون بآذيني . ليستوحش من أجل خزيهم القاتلون لي : هـ . هـ . ليتبهج ويفرح بك جميع طالبيك . ليقل أبدا محبو خلاصك : يتعظم الرب . أما أنا

فمسكين وبائس . الرب بهتم بي . عوني ومنقذى أنت . يا إلهي لا تطني
﴿مزور٤﴾ .

ورد عليهم بقوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ من التوراة ﴿أَنَّهُ مَنْ يَحَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ . خَالِدًا فِيهَا﴾ ؟ وقد نقلنا نصوصاً في ذلك المعنى في كتابنا حياة القبور . وفي كتابنا الشفاعة بين المسلمين وأهل الكتاب . والخطاب بقوله ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ ؟ لا يدل على المافقين من العرب ، لأن العرب أهل الله . وهم أمنيون .

ويبين أنهم يحدرون من نزول ﴿سُورَةُ تَبَّوْهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وحدتهم ضاع سدي . فقد نزلت سور ، وأبئات . وقوله ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يدل على أن الخذرين هم اليهود . فإنهم كانوا مؤمنين على شريعة التوراة . ولما رفضوا شريعة محمد عليهما السلام صاروا برفضها كفارا . وهم قد استهزأوا بالله ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لِيَقُولُنَّ: إِنَّا كَنَا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ﴾ وقولهم هذا يدل على كفرهم بعد إيمانهم . ثم إنهم يحللون ما قالوا : ﴿إِنَّا كَنَا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ﴾ وهي كلمة كفر ، قالوها ويقولوها . ولذلك قال بعدها في المرتين : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ نستهزئ بال المسلمين ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلْمَةُ الْكُفَّارِ﴾ وهي : ﴿إِنَّا كَنَا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي نستهزئ بهم .

ووصف اليهود على طول الزمان بأنهم يبدلوا بأمرهم بالمعروف وينهوا عن المنكر كما كانوا في zaman من موسى إلى سبي بابل . أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف ويخلوا عن الإنفاق في سبيل الله . ومن أمرهم بالمنكر : أنهم أباحوا الربا لهم من الأميين . و ﴿قَالَ الَّذِينَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْيَانِ سَبِيلٌ﴾ وصدوا الناس عن محمد عليهما السلام وصدتهم عنه هو أمر بالمنكر .

ويبين أن اليهود في نظر المؤمنين على نوعين . نوع يتظاهر بالنفاق . ونوع لا يتظاهر به . ويجتمعهم وصف الكفر . فالمتظاهر كافر والمصرح كافر . ثم قال عنهم جميعاً : ﴿لَعْنُهُمُ اللَّهُ﴾ ووصف اللعنة في القرآن خاص باليهود . وشجرة نسلهم ملعونة في القرآن في قوله : ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ وأعطاهم جزاء هو الخلود في جهنم ثم ذكرهم بمصير أمم من قبلهم فقال : ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ بِنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَنِكَاتِ﴾ وليس في التوراة

ن يؤهم وقد أنبأهم بهم عن طريق القرآن ، ليعتبروا بهم ، ول يكن إنباء النبي بهم معجزة له ، لأنه أمن لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان .

وبين الله للنبي وكل مسلم من بعده أن اليهودي التظاهر بالنفاق واليهودي الجامر بالكفر . مما من أعدائه و يجب عليه أن يجاهدهم . ثم فضح طوائف منهم فقال : « و منهم من عاهد الله » المراد : جمع كثير منهم لا فرد واحد . لقوله : « بخلوا » بصيغة الجمع . وقال : إنهم تخلفوا عن الإيمان ب محمد ﷺ ولم يجاهدوا معه جبا في الدنيا وكراهية في الموت « فرح المخالفون بمقعدهم خلاف رسول الله ^(١) » المعنى : فرح اليهود بمخالفتهم عن الجهاد ، بيقاهم في ملتهم التي يقيمون فيها . وهم مخالفون لأمر رسول الله الذي هو : « انفروا خفافا ونقاذا وجاهدوا » وليس الخطاب لمن كانوا في زمانه ، ولا لشخصه . وإنما هو سجية فيهم على طول الزمان ، المسلمين لن يكفوا عن الجهاد في سبيل الله إلى الأبد . والله بهذا البيان يعلم المسلمين كيفية التعامل معهم .

ثم قال تعالى « وجاء المغترون من الأعراب ، ليؤذن لهم » من هم الأعراب ؟ لما كان القرآن للعالم أجمع على طول الزمان ، وما كان هو يعلم المسلمين أحكام دينهم ، مع المسلمين وغيرهم ؛ قسم الله أهل العالم إلى أقسام : قسم يتكلم العربية ، وقسم يتكلم العبرانية ، وقسم يتكلم السريانية - وهي لهجة من العبرانية - واللغات الثلاثة متقاربة في النطق وفي النطاق . وقسم يتكلم اليونانية ، وفي العالم لغات غير هذه اللغات والمجاورة لارض العرب هم المتكلمون بهذه اللغات . والله يقارن بين العرب المتكلمين بالعربية ، وبين غيرهم من المتكلمين بغير العربية . فالأعراب هم اليهود والمسيحيون والصائبون في مقابل العرب أهل الإسلام . وهذا في بلد الإسلام . ولأن القرآن للمسلمين على طول الزمان . والله يعلم أنهم سيخالطون الأمم . قال : إنه سيكون : حسولكم أعراب . أى أمم يتكلمون غير

(١) إن كان المراد برسول الله ، موسى عليه السلام . فلائهم كفوا عن الجهاد بشريعته - وفيها أن محينا سيائى - من زمان سبى بابل وإلى هذا اليوم . وهذا يهدى منهم عمود مخالفة لرسول الله . وإن كان المراد برسول الله ، محمد ﷺ فلائم لم يجاهدوا معه بشريعته فحسب ، وإنما لغوا في دعوته وأنكروها إنكارا تاما . فعلى العذين هم لا يسيرون مع الله كجهاد إبراهيم واسحق ويعقوب

لعرية . ويعرفون . العربية ويتكلمون بها بلكتة ولسان غير فصيح . ومن الأعراب الذين سيكونون حولكم مخالفين ومارحين ؛ ستجدون منافقين . يامنونكم ويأمنوا قومهم . ستجدون من أهل المدينة أو دشليم منافقون . وهم اليهود .

وقال كثيرون من أهل العلم : إن **«الأعراب»** هم سكان البوادي . الذين يتكلمون العربية الفصحى . ولو كان قولهم صحيحا ، لكان نزول القرآن بهم أولى من نزوله في العرب أهل «مكة» لأن القرآن بلسان عربي مبين . ولو أنهم قالوا : إن العرب هم يتكلمون بغير العربية الفصحى . وغيرهم من اليهود والصابئين والمسيحيين هم أعراب يتكلمون بغير العربية الفصحى ؛ لكان قولهم معتبرا . له قيمة . وإذا لم نصرح بهذا المعنى فإننا نبطل حكما من أحكام القرآن في سكان العالم . فإن الأعراب - على تفسيرهم - قد سكنوا القصور ، وبنوا الدور ، وملكوا وحكموا وفسقوا وعدلوا وجاروا وأجاروا . والعرب فيهم خير . واليهود من والاهم لا خير فيهم . وذلك لأن منهم من هو **«أشد كفرا وتفاقا»** ولأن منهم من **«يتربص بكم الدوائر»** ولأن منهم **«من يؤمن بالله واليوم الآخر»** وأعم العالم على هذا التقسيم . والعرب قد آروا ونصروا . وسيجيئ المعنوروون من الأعراب اليهود لقائد جند المسلمين قائلين له : إنما وإن كنا من بلاد بعيدة عن بلادكم ، وفيها الضعفاء والمرضى ، وفيها من لا يجد ما ينفقه ، فإننا نحسب أن نقاتل معكم لتنازل بواسطتكم إحدى الحسنين . ذلك قوله تعالى : **«وجاء المعتذرون من الأعراب ليؤذن لهم، وقد الذين كذبوا الله ورسوله . سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم»**

وقال تعالى : **«والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضى الله عنهم ورضوا عنه»** يخبر عن أولين قد رضى عنهم . فعنهم؟ وقسم الأولين إلى مهاجرين وأنصار .

يقول شيخ الإسلام محمد بن عمر رضي الله عنه : **«والصحيح عندي : أنهم السابقون في الهجرة وفي النصرة ؛ ثم يقول : إن السابقين هم العرب . والحق : أن النبي الذي يقوم بالدعوة يكون له كارهون من قومه ، يضطرونه إلى الهجرة هو ومن آمن به . فلما هاجر عليه السلام **«آمن له لوط»** . وقال : إنما مهاجر إلى ربى **«وَلَا هَاجَرَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ فِي الْبَلَادِ الَّتِي قَصَدَهَا هُوَ وَمَنْ هَاجَرَ مَعَهُ، صَارَ لَهُ أَنْصَارٌ وَأَتَبَاعٌ . وَكُلُّ مَهَاجِرٍ أَنْصَارٌ، وَلَبِسَ كُلُّ أَنْصَارٍ مَهَاجِرًا . وَهَذَا****

كان الحال مع نبي الله موسى عليه السلام اضطهده ألا فرعون ، فآمن به منهم ذريه ، انضموا إلى بني إسرائيل في الإيمان . ثم هاجروا من مصر إلى سيناء ، ومنها إلى أرض فلسطين في زمان طالوت وداود عليهما السلام . وهكذا كان الحال مع نبي الله عيسى عليه السلام آواه الله إلى رسوة ذات قرار ومعن . وكان له من بني إسرائيل أنصار . وكل مؤلاء وأمثالهم يطلق عليهم في زمان محمد صلوات الله وآله وسلامه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار . في مقابل المستاخرين عنهم في زمان شريعته ، لأنها آخر الشرائع . والمعنى المراد من قوله : **«السابقون الأولون»** هم بنو إسرائيل المؤمنون من قبل محمد خاصة . لأنها أمّة قد خلت في مقابل أمّة ما تزال باقية . وهو يتحدث في هذه السورة عن الكافرين من أهلها وهم اليهود .

ومثله قوله تعالى : **«ولقد علمنا المستقدمين منكم ، ولقد علمنا المستاخرين»** فهما أمّتان . أمّة قد تقدمت ، وأمّة قد جاءت بعدها .

ويقول المفسرون في قوله تعالى : **«ومن أهل المدينة مردوا على التفاق»** أنهم أهل مدينة «يشرب» ويرد قولهم : **«سنذهبهم مرتين»** على طول الزمان ، قوله : **«إنكم عاذلون»** للمرتدين في الاصحاح الثامن والثانية عشر من سفر دانيال ، وفي سورة الإسراء عن بنى إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض ، وسيغسلون فيها علوا كبيرا . وعقب كل مرة يذهبهم الله على أيدي المسلمين عذابا شديدا . فتكون **«المدينة»** مدينة «أورشليم» في فلسطين . واليهود فيها منافقون .

وقال بعد ذلك : **«والذين اتخذوا مسجدا ضرارا»** ولم يقل و منهم . فإن و منهم تدل علي طائفة منهم كما في قوله : **«ومنهم الذين يؤذون النبي ، ويقولون: هو أذن»** فإن النص على كونه أذن خير هو في الزبور عند البرهانيين فقط . والسامريون لا يقدسون الزبور . وقصة هذا المسجد : هو أن داود عليه السلام لما نفع **«فلسطين»** شرع في تأسيس بيت لوضع التابت فيه . ولما وضع أساسه ، مات ناكمله سليمان ابنه ووضع التابت فيه ، وأغلق عليه الباب . وكان اليهود مأمورين ببناء مساجد متواضعة في جميع القرى والمدن . مساجد من تراب ليس فيها موضع قبلة . وذلك لأنهم ليسوا مأمورين بالاتجاه في الصلاة إلى أي جهة . فلله المشرق والمغارب ، وليتوجهوا إلى أي جهة .

وفي حادثة سى اليهود إلى بابل ، ضماع التابوت وهدم البيت الذي كان فيه . وفي بابل حرف اليهود التوراة ، ورأوا أن يحولوا الحج من جهة الكعبة في مكة إلى جهة بيت التابوت في فلسطين وادعوا أن أول من جعل الحج والقبلة إلى بيت التابوت هو سليمان نبى الله . ولما رجعوا من بابل ، أسسوا بأمر من كوروش الفارسي هيكل سليمان ، وادعوا أنه قد أحسن في بيت التابوت . وجعلوه مسجدا ، وأمرروا الناس بالحج إليه وأن يتوجهوا إليه في الصلاة . وقد خالفهم يهود السامرة فبنوا لهم هيكلًا على جبل جرزيم وادعوا أنه هو القبلة ومكان الحج . وغرضهم من ذلك : الضرر والكفر والتفرق بين المؤمنين . وأن يكون الهيكل أى المسجد مكان تجسس على الأمم لصالح أهل فارس ، الذين حاربوا المسلمين على شريعة موسى من قبل . وقد هدم يوحنا هرقلانوس المكابي في سنة ١١٠ق . م هيكل السامريين ، وهدم أدريانوس الروماني في سنة ١٣٢م هيكل سليمان . وفي ليلة إسراء النبي ﷺ إلى أرض المسجد الأقصى كانت أرضه خالية منه . ولذلك جاء في التفسير آراء . منها أنه كان في حلم ليل . وعلى هذا الرأي أحاديث كثيرة مصدرة بقوله : « بينما أنا نائم » وختومه بقوله : « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » ومنها : من المسجد الحرام المبني الآن إلى المسجد الأقصى الذي سيني في ما بعد ، دلالة على تحقق وقوع الخبر . ومنها : من أرض المسجد الحرام الموجود الآن ، إلى أرض المسجد الأقصى الذي كان وهدم . ومنها : من المسجد الحرام الذي باركتنا حوله إلى المسجد الأقصى الذي اتخذوه مسجدا ضرارا وكفرا وتفرقوا بين المؤمنين . وذلك لأن « الذي باركتنا حوله » صفة للمسجد الحرام وحده ، لقوله : « إن أول بيت وضع للناس للذى يبكة مباركا » وقد نهى الله المسلمين في شخص نبيهم بقوله : « لا تقم فيه أبدا » أي لا يكون قبلة لك في أي صلاة . ولا يكون لك جهة حج .^(١) فالمسجد الذي أحسن على التقوى وهو الكعبة هو الذي يكون لك قبلة صلاة . وجهة حج . وهو مبني من أيام نوح عليه السلام من بعد الطوفان وجلده إبراهيم عليه السلام .

ثم أعطى وصفا لازما لمسجد الضرار وهو هيكل سليمان الذي أحسن به بأمر

(١) كتاب الأحاديث خالقوها قوله « لا تقم به أبدا » بقولهم : « لا تشد الرجال إلا إلى .. الخ » فشد الرجال إلى الثالث ، يُشبه بالكمبة في الإقامة في جهة الحج ، لا في جهة القبلة . والنهي في « لا تقم » للجهتين .

من كوروش الفارسي فقال : « لا يزال » ولو كان المراد مسجد الفرار الذى بناه المافقون كما يقول المفسرون ، ما كان يعبر بقوله « لا يزال » الذى يدل على أن الذى بنوه ما زالت لهم بقية من نسلهم وأيضاً يدل على أن العرض منه باقىا . واليهود والمسيحيون إلى هنا اليوم يحجون إليه و يجعلونه قبلة بلا دليل من كتاب موسى . وحجهم إليه وجعلهم له قبلة بدلاً على أنه « لا يزال »

ثم حث على المجاهد فى سبيل الله بقوله : « إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ورجع إلى الكلام الذى قاله فى البدء عن فصل المؤمنين عن الكفار بالإيمان . واعتبار الإيمان صلة القربي لا النسب . فقال : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفرو للمسر��ين ولو كانوا أولى قربى » ومن قبل قد قسم أمة بنى إسرائيل إلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وإلى الذين خلطوا علا صالحًا وأخر سيئا . وقال : منهم آخرون مرجحون وبعد كلام فى هنا التقسيم ، قسم أمة بنى إسماعيل فقال : ليس فيهم إلا مهاجرين وأنصارا ، إلى يوم القيمة . فالذين خلطوا فى بنى إسرائيل ، لن يكون لهم مثل فى أمة بنى إسماعيل ، لأن الله يحفظ القرآن إلى يوم القيمة . وهم سيحاسبون على أعمالهم . إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وسيمتد دينهم إلى أن يعم العالم أجمع . وإذا استد دين المسلمين ، فإن اليهود والمسيحيين والصابرين ، سيكونون أقل عددا . وكلما زاد الاستداد كلما قل العدد . وفي هذه الحالة إلى أين يذهبون ؟ هل يذهبون إلى المسلمين ؟ إنهم إن ذهبوا إليهم ، فإنهم لن يقبلونهم إلا على الإسلام أو الجزية ، وفي الجزية ضيق لهم . وإن ذهبوا إلى غيرهم ، فإنهم لن يجدوا . لأن الإسلام وقتذ يكون قد عم العالم . وفي هذا المعنى يقول : « لقد تاب الله على النبي » ولما كان هو يقصد رئيس جند المسلمين إلى يوم القيمة فى شخص النبي ، عبر بالتورية ، لأن النبي نفسه معصوماً من الذنب . وعبر بالماضى لأن القرآن قد نزل بواقعة قد مضت لا يريد السكوت عن ذكرها ، وسيأتي غيرها شبهها بها . وتاب أيضاً « على الثلاثة الذين خلقوا » وهم اليهود والمسيحيين والصابئون . وذلك لأنهم على شريعة موسى مكلفون بالجهاد فى سبيل الله إلى أن يظهر محمد رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم قد تركوا الجهاد من سبى بابل . أى من قبل هجرته بآلف ومائتي عام تقريباً . وكان عليهم فى حال ظهوره أن يؤمّنوا به ، وأن يجاهلوا معه . ولما ظهر

لم يؤمنوا به ولم يجاهدوا معه . ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف . وسيقون في العالم على ما هم عليه الآن إلى أن يروا أهل الإسلام قد ضيقوا عليهم الخناق ، وأخذوا العالم منهم . وأصبحوا على خوف وجوع . ذلك قوله : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما راحت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إلية » بالدخول في الإسلام مع الداخلين .

ومن رحمة الله بهم في هذا الرقت أنه سفتح عليهم باب التوبة وسيهدى لهم « ليتوبوا ، إن الله هو السواب الرحيم » ثم شرع في تربیة اليهود والمسيحيين والصابرين على عدم الجهاد مع المسلمين بقوله : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخللوا عن رسول الله ، ولا يرغبو بأنفسهم عن نفسه » و« المدينة » بالآلف واللام . مدينة معروفة للعالم من قبل ظهور المسلمين بزمان طريل . وهي مدينة « أورشليم » التي جعلها داود عليه السلام مقراً لحكم اليهود فيها على العالم بشريعة موسى . وفيها يقول تعالى : « ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم » إلى حين ظهور محمد ﷺ لأن لإسماعيل بركة . والمراد بقوله « ومن حولهم من الأعراب » الناس الذين يتكلمون غير العربية وهم الأمم . ومنهم اليهود النصارى الذين يتكلمون السريانية . والصابرون الذين يتكلمون السريانية . ثم أمر الله بقتل اليهود والمسيحيين والصابرين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلعنكم من الكفار » وفي الحقيقة أنهم كفار بآيات الله . وذلك لأنهم مأمورون بالجهاد في سبيل الله . وأباوهم قد جاهدوا . وسلميماً نفسه أغفلت القول للملائكة سبأ فقال : « أن لا تعلوا على ، وأنتون مسلمين » وهم قطعوا عن الجهاد ، وتركوا الأمم في طغيانهم يعمهون . ولما جاء من يدعوا ويخلصن الأمم من الشيطان ، كانوا مع الشيطان عليه . فما فرق بينهم وبين الكافرين ؟

وفي سورة البقرة يقول عن اليهود : « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا » وفي هذه السورة يقول : « وإذا ما أنزلت سورة . فمنهم من يقول لل المسلمين على جهة الاستهزاء « أياكم زادته هذه إيماناً؟ » كما حكى عنهم : « وإذا لقوا الذين آمنوا . قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إننا معكم إنما نحن مستهزءون » فهم مع المسلمين يقولون : آمنا . وهم مع علمائهم يقولون : « إننا معكم . إنما نحن مستهزءون » ولماذا لا يُسلمون ؟ ولماذا لا يجاهدون ؟ « أو لا يرون أنهم يُفتنون في

كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتذوبون ، ولا هم يذكرون » ؟ لو كان هذا الكلام في منافقى أهل يثرب ما كان يعبر بصيغة الاستمرار في « يفتون » ويرجع الفتنة على طول الزمان بأنها في كل عام . واليهود في كل عام تحدث لهم مصيبة عامة يوم فيها خلق كثیر ، أو مصيبيتين . ومن يمت منهم في مصابب الدنيا التي هي الحرق بالنار والغرق في الماء وما أشبه ذلك فإنه يدخل النار مع الداخلين . ومن يمت منهم في الجهاد مع الله ، فإنه يدخل الجنة مع الداخلين . وإذا كان الموت واقعاً وحاصلأ . فلأنى به أن يعقبه مصيرًا حسناً .

إنزال السورة على الحقيقة هو في إزالتها من السماء على محمد ﷺ وهو يبلغها للناس مؤمنهم وكافرهم . والمؤمن الذي تلقاها من فم النبي ﷺ وبلغها إلى اليهود فإنهم حال ساعتها منه تكون السورة متزلة عليهم مجازاً ، لا حقيقة . فإذا استصحبنا المجاز على عصر سياتي . وقرأ فيه قارئ ما تيسر من القرآن ، وتصادف أن سمع اليهودي ما تيسر منه ؛ فإن الله يكون متولاً عليهم آية عن طريق هذا القارئ . وعندئذ ينظر بعفهم إلى بعض كأن كل واحد يقول في نفسه : هذا صحيح . وعندئذ يلزمهم الإيمان وترك الكفر ، ولكنهم لا يفعلون لأنهم « قوم لا يفقهون » وفي التوراة عن محمد ﷺ : « يقيم لك الرب إلهك نبياً . من وسطك . من إنحنيتك . مثلـي . له تسمعون » - « أقيم لهم : نبياً من وسط إنحوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيـه به » { تبة ١٨ : ١٥ - ٢٢ } واليهود والعرب أولـادـ العم . وجدهم الأول هو إبراهيم عليه السلام فهو منهم لأنـهـ منـ وـسـطـ إـخـوـتـهـمـ . ولـذـلـكـ خـاطـبـ اللهـ الـيـهـودـ فـيـ الـقـرـآنـ بـقـوـلـهـ : « لـقـدـ جاءـكـمـ رـسـوـلـ مـنـ أـنـفـسـكـمـ » أـىـ مـنـكـمـ . وـمـنـ أـوـصـافـهـ فـيـ التـوـرـاـةـ فـيـ الـزـيـرـوـرـ الـمـائـةـ والتـاسـعـ عـشـرـ أـنـ يـعـزـ عـلـيـهـ عـدـ إـيمـانـهـ ، وـأـنـ حـرـيصـ عـلـىـ إـيمـانـهـ ، وـأـنـ بـالـمـؤـمـنـينـ رـءـوفـ رـحـيمـ .

ثم يسلـى نـيـهـ عـلـىـ عـدـ إـيمـانـ الـيـهـودـ بـهـ بـقـوـلـهـ : « فـإـنـ تـوـلـواـ » عـنـ الإـيمـانـ بـكـ « فـقـلـ حـسـنـ اللـهـ » سـيـكـفـيـنـ اللـهـ شـرـكـ « لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ . عـلـيـهـ تـوـكـلـتـ وـهـوـ رـبـ العـرـشـ العـظـيـمـ »

وقـالـ المـفـسـرـوـنـ : إـنـ الـثـلـاثـةـ الـذـيـنـ خـلـفـوـهـ مـثـلـثـةـ رـجـالـ : كـعـبـ بـنـ مـالـكـ الشـاعـرـ ، وـهـلـلـاـ بـنـ أـمـيـةـ - الـذـيـ نـزـلـتـ فـيـ آـيـةـ اللـعـانـ - وـمـرـاـةـ بـنـ الـرـبـيعـ . وـاـخـتـلـفـواـ

في أنهم هل خلقو أم ذهبوا خلف رسول الله ولحقوا به ؟ وانختلفوا في ذلك على أنهم ليسوا هم المرادون من الآية . وانختلفوا في ساعة العسرة هل هي غزوة تبوك ؟ أم المراد بساعة العسرة جميع الأحوال والأوقات الشديدة على الرسول وعلى المؤمنين ، فيدخل فيه غزوة الخندق وغيرها ؟ وانختلفوا في المدة هل هي خمسين يوما أو أكثر ؟ وتقوله عنهم « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » يدل على أنه هاجروا فيها ، ولم يجدوا فيها ملجأ . وقول المفسرين : إنه نهى عن مجالستهم . ونهى نساءهم عن مجالستهم . وهذا هو ضيق الأرض عليهم برحبتها ؛ هو قول لا تساعد عليه اللغة.

* * *

وليعلم المسلمون جميعا أن في كتب التفسير إسرائيليات . قد نبه العلماء على كثير منها . وما ذكرته هنا هو تنبية . وأذكر هذه الأمثلة لثلا يقول قائل : إن كتب التفسير خالية من الإسرائيليات :

في كتاب المزار للشيخ الفيد محمد بن النعمان رضي الله عنه تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام :

١ - حدثني أبو القاسم جعفر بن محمد قال حدثني محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار عن أبيه عن جده على بن مهزيار ، عن الحسن بن سعيد عن على بن الحكم عن عرفة عن ربيع قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : « شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى جل جلاله في كتابه هو الفرات ، والبقعة المباركة هي كربلاء ، والشجرة هي محمد عليه السلام »

٢ - حدثني أبو القاسم جعفر بن محمد عن على بن الحسن بن موسى عن على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن على بن الحكم عن سليمان بن نهيك عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل : « وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعن » قال : الريوة : نجف الكوفة . والمعن : الفرات »

٣ - وفي باب التوادر عن عبد الله عليه السلام قال : « ما من نبى ولا وصى نبى ، يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء . وإنما تؤتي مواضع آثارهم . ويلغفهم السلام من بعد ، ويسمعونه في مواضع آثارهم من قريب » وعنده عليه السلام : « لا تكث جثة نبى ولا وصى نبى في

الارض أكثر من أربعين يوماً ، وفي هذين الحديثين تعارض بين الثلاثة والأربعين . وأيضاً إشكال من جهة منافاتهما لكتير من الأخبار الثالثة على بناء أبدانهم في الأرض كأخبار نقل عظام يوسف عليه السلام من مصر . ويمكن الجمع - كما قال الشيخ المجلس رحمة الله في البحر - بأن يكون رفع الآخر هو الثالثة ، ويذكر بعضهم إلى أربعين ثم يرفع ، أو بأنه يرفع كل منهم بعد الثلاثة ، ثم يرجع إلى قبره بعد الأربعين ... الخ

وأسباب نزول القرآن فيها القرى وفيها الضعيف . ففي بدء سورة الروم كلمة «بضع سنين» هل البعض من انتصار الروم على فارس إلى انتصار المسلمين على الروم في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم البعض من انتصار فارس على الروم في البدء ؟

ففي أسباب الترول أنه من بعد انتصار فارس على الروم . وأن البعض ما بين الثلاث إلى التسع . وفي كتاب التاريخ : أنه من انتصار الروم على فارس إلى مدة انتصار المسلمين على الروم مدة ست سنوات وقيل ثمانية . وبيان ذلك :

١ - غلت الفرس الروم في سنة ٦١٣ م بـ - غلت الروم الفرس في سنة ٦٣٠ م فالبعض هنا سبع عشرة سنة .

وفي سفر دانيال : أن انتهاء الملك والنبوة في بني إسرائيل سيكون بعد سبعين أسبوعاً . أي ٤٩٠ سنة . وأن تشتت اليهود من فلسطين إلى أرض العرب في زمان إدريانوس الروماني كانت سنة ١٣٢ م فلو أذلك جمعت $490 + 132 = 622$ وهجرة النبي محمد عليه السلام إلى يثرب كانت في سنة ٦٢٢ م فهل هذا قد حدث مصادفة ؟ لقد تعبنا في الحساب على جهة التقارب . وفي كل حسبة كان العدد يقرب من ظهور النبي عليه السلام ولكنه لم يتم يقينا على الهجرة إلا إذا كان التاريخ من «إدريانوس» .

وفي المسائل الفقهية خلافيات كثيرة

ففي علم المواريث : أن امرأة ماتت عن زوج وام وأخرين لأمها دون أبيها ، وأخرين آخرين لأمها وأبيها معاً . فاختل فيها حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كما روى الرواية - ففي مرة أسقط أخويها الشقيقين وأعطى الزوج النصف

وأعطى الأم السادس وأعطى للأخرين لام الثالث . وفي مرة أراد أن يحكم بذلك أيضاً . فقال له أحد الشقيقين : هب أن أباًنا كان حماراً ، فأشركتنا في تراية أمناً . فأشرك بينهم بتسوية الثالث على الأخوة الاربعة بالسوية . فقال له رجل : إنك لم تشركهما عام كذا . فقال عمر : تلك على ما قضينا يومئذ ، وهذه على ما قضيائنا الآن .

أما قضاء الشيعة الإمامية فإنهم أعطوا الزوج النصف ، وأعطوا الأم السادس فرضاً وأعطواها الباقى رداً . ولم يورثوا واحداً من الإخوة في وجود الأم^(١) .

وما يجب تعليمه للناس في إصلاح الشريعة . عقيدتهم في «المهدي المتظر» وهو أن الأميين يعتقدون أن «المهدي» وينطقونه خطأ بفتح الياء سيظهر في آخر الزمان ، وسيكون ظهوره من علامات يوم القيمة . والراسخون في العلم من المسلمين يعرفون أن «المهدي المتظر» هو محمد رسول الله عليه السلام بحسب لسان أهل الكتاب . ذلك لأن موسى عليه السلام نبه على نبي سيأتي على مثاله في قوله : «يُقْيِمُ لَكُمْ رَبُّكُمْ إِلَهُكُمْ : نَبِيُّكُمْ وَمِنْ وَسْطِكُمْ مِنْ إِخْرَوْتُكُمْ مِثْلِي . لَهُ تَسْمِعُونَ» {١٨ - ٢٢} . وهو محمد عليه السلام وقد لقبه أهل الكتاب باللقب كثيرة منها : النبي - المسيح - الميسيا - المهدي - ابن الله - ابن الإنسان - عبد رب العالم - عبد رب العالم - ابن داود - رئيس الحياة . . . الخ وكان علماء النصارى من قبل التحريف يقولون : إن «المهدي المتظر» سيظهر من قبل «الساعة» التي سيهلك فيها اليهود في فلسطين على يد محمد رسول الله ، بعد العلامات التي ذكرها المسيح عيسى عليه السلام من قبل مجى «المهدي» الذي هو محمد رسول الله ، ومنها : قيام أمّة على أمّة ، وملائكة على ملائكة ، وحدوث زلازل ومجاعات وأوبئة

.. الخ

وانتشرت هذه الفكرة في العالم بهذا المعنى . فلما ظهر محمد رسول الله عليه السلام قال المحرفون من اليهود والمسيحيين : إن المراد بالساعة : يوم القيمة ، والمهدي سيظهر قبل «الساعة» التي هي يوم القيمة . وغضضهم من قولهم هذا : هو إنكار

(١) أخرج جماعة اليهود وابن أبي شيبة في سنتهما ، وعبد الرزاق في جامعه . راجع أيضًا : حاشية الشيخ الشرقاوي على التعريف للشيخ زكريا . الأنصاري . وكتاب الاجتهاد في مقابل النص للشيخ الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسى - رضي الله عنه -

نبوة محمد ﷺ وقوروا هذا المعنى عن طريق أهل الحديث : ومن هذه الأحاديث : « لو لم يق من الدنيا إلا ليلة ، لتملك فيها رجل من أهل بيتي » - « كيف تهلك آمة أنا أولها ، والمهدى في وسطها ، وعيسى في آخرها ؟ ... الخ »
والأكآن ذكر كلام أهل الاديان :

في كتاب « موسوعة فلسفه ومتصوفه اليهودية » للدكتور عبد المنعم الحفني
ما نصه :

المُهَدِّى المُتَظَهِّر : Messiah

اسمه عندهم وفي الآرامية « الشیع » وفي اللاتينية والمعربة هو « المسيح »
ومعناه :

المسوح بالزيت على عادة شعوب الشرق الأوسط القديمة في تعميد ملوكهم،
وتطور المعنى بعد السنسن ليعنى المُهَدِّى (بضم الميم) المُنتَظَر ، والمهدية
أو المسيحانية هي فلسفة أو حركته ، ومعنى المهدى أنه المخلص
الذى يحرر اليهود من العبودية لضطهديهم ، ويعيدهم من المفى ، ويحكمهم
بالشريعة ؛ فنعم العدل ، ويسود السلام ، وتخصب الأرض .

ومن الطبيعي أن يكون الشتان هو وحده البيئة الملازمة التي ينبغى أن تنمو بها
بذرة الأمانى المهدية ، فإن النظرية منذ بدايتها احتاجت على النفي ، واستثكار
لناهضة الأمم لحق اليهود الإلهي في العودة إلى أرضهم ، ولإبطالهم لهذا الحق
بالقهر والاغتصاب اللذين أصبح اليهود من وجهاً نظرهم ضحية لهما .

وكان ظهور هذه العقيدة بما تتطوى عليه من آمال وأمان كزفراً يصعدونها في
غبار الحالات السياسية والاجتماعية التي لم تقطع ثورتهم عليها ، واعتمادهم
فيها على أحاديث تسمى كما عند المسلمين أحاديث آخر الزمان ، وتنشر في كتب
الرؤى وخاصة في سفر دنيا .

والمهدى المتظر عندهم من نسل داود النبي - في رأى - وقيل : بل هو داود
نفسه يبعثه الله ليعمل سيفه البثار في أهلياء الشعب المختار ، وليقيم دولتهم ، وأنه
سيقدم راكباً السحاب ، أو متطفياً حماراً كذاب الأنبياء في تواضعهم ، وهو قول
يذكرنا بوصف عبد الله بن سبا اليهودي مؤسس التشيع عن علي بن أبي طالب .

وقيل: إن المهدى هو سليمان الذى سيعث. وقيل: بل اسمه داود من غير أن يكون نفسه النبي داود . وقيل: سيكون فى بيت لحم ، وقيل: إنه ولد فى أورشليم يوم خراب المعبد ، ولا يزال على قيد الحياة منذ ذلك الحين فى مكان خفى ، جاً لا يراه الناس ، وسيظهر فى آخر الزمان ، ونظريتهم هذه كنظرية الإمام الخفى عند الشيعة ، والرجعة عند هؤلاء وأولئك إحدى عناصرها ، ونكرتها عند الشيعة من الإسرائيليات وتأثير قول اليهود برجعة إلياس النبي الذى رفع إلى السماء ، وهم يؤمنون بأنه لابد راجع إلى الأرض فى آخر الزمان ليقيم الحق والعدل ، وكان إلياس (إيليا) نموذج آئمة الشيعة المختفين الغائبين يحيون فلا يراهم أحد ، ويسعدون يوماً كمهدىين منقذين للعالم ، وإن كان أهل السنة كذلك يعتقدون بمجيئ مصلح إلى العالم فى آخر الزمان يعيش الله ، ويسمونه أيضاً بالإمام المهدى ، ويعتمدون فى اعتقادهم على عدد من الأحاديث . أو ردّها أبو داود فى سنته ، ولكن نظريته عندهم لم تصل إلى مرتبة العقيدة الدينية ، ويرفضون العقيدة المهدية على صورتها الشيعية أو اليهودية .

ويرى جولتسهير فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الإسلام » أن نظرية المهدى المتظر أكمل عند الشيعة منها عند اليهود ، وظهورها عند الشيعة فى بيات الثُّنى والورع بعكس ظهورها عند اليهود فى بيات الاضطرابات السياسية .

ويهزاً أهل السنة بفكرة الإمام المختفى وحياته الطويلة . والأحاديث التي يعتمد عليها اليهود كانت دائماً مثار بحث من قبل فقهائهم ومتصوفتهم ، ودبوا لها الحسابات التأويلية لتحديد وقت ظهور المهدى المتظر ، وقد سار متصوفة المسلمين والشيعة على منوال اليهود ، واتهجهوا مثلهم تأويلات قبالية لأيات القرآن وسورة ، وتجمیعات للعرف والأعداد فصلوا بها تحديد اللحظة التي سيظهر فيها .

وقد ندد المعتدون من هنا وهناك بمن سموهم بالوقاتين ، ووصموهم بالخداع والتداجيل ، وحظروا الاشتغال بهذه المسائل الدقيقة استناداً على أقوال وروايات إسنادها ضعيف ، ويورد مسلم والبخارى أحاديث كثيرة عن الدجال في باب الفتن . وقد ظهر دجالون كثيرون عبر التاريخ اليهودى ، نذكر منهم فى البلاد الإسلامية أبا عيسى الأصفهانى الذى ظهر فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان ، وداود الراتى الذى ظهر فى كردستان (١١٣٥) ومنهم - من وجهة نظر اليهود - المسيح

عيسى بن مريم ، وقد صلبوه كزعمهم عقاباً له .

ويعد كتاب «رُبِّيَّابُل» من أفضل المؤلفات اليهودية في هذا الباب ، وهو من مصنفات كاتب مجهول في أواخر القرن السادس أو أوائل السابع الميلادي . ورُبِّيَّابُل هنا الذي سُمِّي الكتاب باسمه كان النبي حَجَّي قد ظنه المهدى المستظر ، لأنَّه عاد باليهود من بابل وبنى المذبح ووضع أساس الهيكل ووَكِّي أمر أورشليم .

وقيل : إن دولة المهدى أو فردوسه الأرضي ستعمـر ألف سنة . ومن مؤلاء الآفـين من يرى أن مجيء المهدى يكون متـماً لـلـآلفـية وـفي خـاتـمـها . وأـمـا اـفـتـاحـ الـآـلـفـيـةـ فيـكـونـ عـلـىـ يـدـ سـابـقـ لـلـمـهـدـىـ مـنـ بـيـتـ النـبـيـ يـوـسـفـ يـقـدـمـ لـهـ وـيـمـوتـ دـفـاعـاـ عـنـ الـلـهـ . وـتـعـتـقـدـ طـائـفـةـ مـنـ الـمـسـبـحـيـنـ فـيـ الـآـلـفـيـةـ . وـيـقـولـونـ إـنـ رـجـعـ الـيـهـودـ إـلـىـ فـلـسـطـيـنـ ؛ يـعـنـىـ رـجـوعـهـمـ إـلـىـ اللـهـ ، وـمـنـ ثـمـ إـمـكـانـ هـدـايـتـهـمـ إـلـىـ الـمـسـيـحـيـةـ .

ويقوم إيمان اليهود بدولة آخر الزمان على دعوى أن نهاية التاريخ لن تصلح إلا بما اتصـلـحتـ بـهـ بـدـايـتـهـ ، وـأـنـ بـدـايـةـ التـارـيـخـ كـانـتـ الخـروـجـ مـنـ أـرـضـ الـعـبـودـيـةـ فـيـ مـصـرـ ، وـالـدـخـولـ فـيـ أـرـضـ الـمـيـعـادـ ، وـلـذـاـ سـتـكـونـ نـهـاـيـةـ التـارـيـخـ هـيـ الخـروـجـ مـنـ أـرـضـ الـعـبـودـيـةـ فـيـ كـلـ مـصـرـ ، وـالـدـخـولـ أـيـضـاـ فـيـ أـرـضـ الـمـيـعـادـ ، أـىـ أنـ النـهـاـيـةـ لـابـدـ أـنـ تـسـقـىـ مـعـ الـبـداـيـةـ .

وفلاـسـفـةـ الـيـهـودـ مـتـفـقـونـ عـلـىـ القـوـلـ إـمـاـ بـالـعـودـةـ الشـخـصـيـةـ لـلـمـهـدـىـ ، إـمـاـ بـقـيـامـ دـوـلـهـ أـوـ فـرـدـوـسـهـ . دـوـنـ الـمـهـدـىـ نـفـسـهـ ، وـيـسـمـيـ «ـمـوـسـىـ هـيـسـ»ـ هـذـاـ الـعـصـرـ الـذـهـبـيـ سـبـبـ التـارـيـخـ .

ومهدى الفلسفـةـ عـنـدـ «ـبـرـجـسـونـ»ـ هـوـ الـوـثـيـةـ الـحـيـوـيـةـ ، وـعـنـدـ «ـبـرـنـشـفـيكـ»ـ هـوـ الـوعـىـ الـمـطـلـقـ ، وـلـبـيـسـتـ الـمـارـكـسـيـةـ إـلـاـ طـوـبـياـ مـهـدـيـةـ لـاـ تـخـلـفـ فـيـ مـضـمـونـهـاـ عـنـ التـصـورـاتـ الـدـيـنـيـةـ التـقـليـدـيـةـ إـلـاـ مـنـ اـسـتـبعـادـ شـخـصـيـةـ الـمـهـدـىـ نـفـسـهـ . وـالـصـهـيـونـيـةـ كـذـلـكـ أـيـدـيـولـوـجـيـةـ مـهـدـيـةـ دـوـنـ الـمـهـدـىـ ، فـأـصـبـحـ مـنـ الـمـكـنـ أـنـ تـزـلـفـ بـيـنـ الـمـؤـمـنـينـ وـالـمـلـحـدـيـنـ ، وـأـنـ تـكـوـنـ الصـهـيـونـيـةـ هـيـ النـسـخـةـ الـلـادـيـنـيـةـ مـنـ الـمـهـدـيـةـ ، وـهـيـ مـحاـوـلـةـ لـاستـرـجـاعـ الـعـصـرـ الـذـهـبـيـ عـنـ طـرـيقـ الـعـنـفـ السـيـاسـيـ دـوـنـ اـنـتـظـارـ لـبـعـوثـ إـلـىـهـ ، وـمـنـ

ثم تعمل باستمرار على إذكاء لشاعر والتوقعات المهدية لدى اليهود في كل بلاد العالم ، بتصعيد إحساسهم بالاضطهاد ، وعدم الاستئاء لبلادهم ، حتى يفقدوا صلتهم بالزمان والمكان ، فيسهل إدخالهم في ماضي التاريخ ، وتهجيرهم إلى فلسطين » أ . ه

الفصل السابع فى كلام اليهود فى عباد الأوثان

الذين عبدوا الأصنام في زمان إبراهيم عليه السلام لم يكونوا يُعرفون بالصابئة. ولا الذين خرجوا عليهم وعبدوا الله تعالى يُعرفون بالصابئة . ومنها «الصابئة» من الصيغ في الماء ، من يحيى عليه السلام كعلامة تميّز لليهودي الذي سيقبل محمدا رسول الله عن اليهودي الذي لن يقبله . وإذا ترك اليهود هذا اللقب على أتباع يحيى ، فإن العالم سيرى منه أن محمدا هو النبي الآتي على مثال موسى {نث ١٨ : ٢٢ - ١٥} فلذلك أطلقوه على عباد الأصنام المعاصرین لإبراهيم عليه السلام للإيهام والخداع . وزعموا : إنهم هم الصابئة . ليخفوا عن الناس حقيقة دعوة أتباع يحيى عليه السلام وهي التبشير بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظافرين أنهم إن أخفواها لا يسع الناس إلى الدخول في دينه . ولأن أتباع يحيى هاجروا من بعله إلى أرض آباء إبراهيم وسكنوا فيها وكان فيهم يهود من قبلهم يعبدون الأصنام ، الصن اليهود ما فيهم على أتباع يحيى . وقالوا : إنهم هم بقايا عباد الأصنام القدماء ، و كانوا يسمون بالصابئة ، وهؤلاء مثلهم صابئة . لا يعني الصيغ في الماء ، بل لأنهم عباد أصنام . ذلك هو قول اليهود فيهم .

يقول الحَبْر موسى بن ميمون ، عن الوثنين عباد الأصنام القدماء . في دلالة الحائزين :

« معلوم أن أبا إبراهيم عليه السلام نشأ في ملة الصابئة . ومذهبهم : أن ليس ثم إلا إلا الكواكب . فإذا أعلمتك في هذا الفصل بكتابهم الموجود الأن بأيدينا التي أخرجت للسان العربي وتاريخهم القديمة ، وكشفت لك مذهبهم منها وأخبارهم ، يتبيّن لك منها تصريحهم . وكذلك أيضا قالوا : سائر السبعة كواكب آلهة لكن النيران أعظم ، ومجدهم يقولون بتصريح : إن الشمس هي التي تدير العالم العلوى والسفلى . بهذا النص . قالوا : ومجدهم قد ذكروا في كتابهم تلك وتاريخهم حديث أينا إبراهيم وقالوا بهذا النص :

وأما إبراهيم الذي تربى في « كوثا » فإنه لما خالف الجماعة ، وادعى أن ثم

فاعلاً غير الشمس ، احتاج عليه بالكتنا والكتنا . وذكروا في حجتهم : ما هو ظاهر بين من أفعال الشمس في الوجود ، فقال لهم - يعنون إبراهيم - : صدقت مى كالفالس في يد النجار . ثم ذكرروا طائفة من احتجاجه عليه السلام عليهم . وأآخر تلك القصة ذكروا : أن الملك سجن أبانا إبراهيم عليه السلام ، وأنه دام في محاججتهم أيام ، وهو في السجن ، ثم خاف الملك أن يفسد عليه سباته ، ويرد الناس عن أدیانهم ، فنفاه لطرف الشام بعد استصال كل ما له . هكذا حكوا .

وتجدد هذه القصة مشروحة هكذا في الفلاحة النبطية ، ولم يذكروا ما جامت به آثارنا الصادقة ، ولا ما آتاه من الوحي ، لأنهم مكتبون له لخالفته لرأيهم الفاسد . ولا شك عندي : أنه عليه السلام لما خالق مذهب الناس كلهم ، كان يشتمه ويذمه ويستقصيه أولئك الفسالون . فلما احتمل ذلك في حق الله تعالى وأقر الحق على كرامته قال له : « وأبارك مباريكك وشاتمك العنة ، ويتبارك بك جميع عشائر الأرض » { تلك ١٢ : ٣ }

وكان مآل أمره ما نراه اليوم من إجماع معظم أهل الأرض على تعظيمه والتبرك بذكره حتى أنه يتسبب إليه من ليس من نسله ، ولا مخالف عليه ، ولا جاحد بعظمته إلا بقایا تلك الملة المتضررة الذين بقوا في أقصى الأرض ، مثل كافر « ترك » في أقصى الشمال ، و « الهند » في أقصى الجنوب . فإن هؤلاء هم بقایا ملة الصابحة لأنها كانت ملة عمّت الأرض . وأغيا ما انتهى إليه نظر من تغلّف في تلك الأزمنة : أن تخيل أن الله روح الفلك ، وأن الفلك ، والكواكب هي الجسد ، والإله تعالى روحه .

قد ذكر هنا أبو بكر بن الصاتن في شرح « السماع » ولهذا اعتقادت الصابحة كلهم قدم العالم ، إذ السماء عندهم هي الإله ، ويزعمون أن آدم شخص مولود من ذكر وأنثى كسائر أشخاص الناس ، ولكنهم يعظمونه ويقولون : إنه كان نبيا ، رسول القمر ، وأنه دعا لعبادة القمر وأن له تأليف في فلاحة الأرض . وكذلك قالوا الصابحة : إن نوحًا فلاح وأنه ليس كان يربى بعبادة الأصنام . ولذلك تجد الصابحة كلهم ينمون نوحا ، ويقولون : إنه ما عبد صنماً فقط . وكذلك ذكرروا في كتبهم : أنه غرب وسجن من أجل عبادته لله ، وحكوا من حديثه ما حكوا ،

وزعموا : أن شيت خالف رأى أبيه . عقل عظيم ، وعلى كونهم كانوا أبعد الناس من الفلسفة .

ولأنهم كانوا في غاية الجهالة قالوا عن آدم : إنه لما خرج من إقليم الشمس المجاور للهند ، وتوغل في إقليم بابل ؛ جاب معه عجائب منها . شجرة ذهب نابتة ذات أوراق ، وأغصان ، وشجرة حجر كذلك . وجاب ورق شجرة حضراء ، لا تحرق النار ، وأخبر عن شجرة تظل على عشرة آلاف رجل طولها قامة . وجاب معه ورتين ، كل ورقة يلتحف بها شخصان . ويخبرون من هذه الخرافات بعجائب ، فاعجب من قوم يرون أن العالم قديم ، ويعتقدون مع ذلك وجود هذه المتعتات بالطبع لمن يعلم النظر الطبيعي . وغرضهم في ذكر آدم ، وكل ما ينسبون إليه : تقوية مذهبهم في قدم العلم حتى يتبع ذلك بأن الكواكب ، والفلك هو الإله . فلما نشا عمود الدين^(١) ، وتبين له : أن لها مفارقا لا جسم ولا قوة في جسم ، وأن كل هذه الكواكب والأفلاك مصنوعاته ، وفهم محال تلك الخرافات التي روى عليها ، أخذ في نفس مذهبهم ، وتزيف آرائهم وأشهر خلافهم ونادى : «باسم رب الإله السرمدي » { تك ٢١ : ٣٢ } دعوة تجمع وجود الإله وحدث العالم من قبل ذلك الإله .

ويحسب تلك الآراء . الصابئة أقاموا الأصنام للكواكب . أصنام الذهب للشمس ، وأصنام الفضة للقمر ، وقسموا المعادن ، والأقاليم للكواكب ، وقالوا : الإقليم الفلامي آلة الكوكب الفلامي ، وبنوا الهياكل واتخذوا فيها الأصنام ، وزعموا : أن قوى الكواكب تفيض على تلك الأصنام فتكلم تلك الأصنام وتفهم ، وتنقل وتروحى للناس - أعني الأصنام - وتعلم الناس منافعهم .

وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب : إذا أفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب ، وغرست له ، و فعل لها ، وفعل بها كذا ؛ فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة ، وتروحى للناس ، وتكلّمهم في النوم . تجد هنا كلّه منصوصا في كتبهم التي أنبهك إليها . وهؤلاء كانوا أنبياء العشرون . المذكورين عندنا^(٢) . الذين تمكنت عندهم هذه الآراء حتى « تركوا رب »

(١) يعني ليراهيم عليه السلام .

(٢) يعني المؤلف بقوله عندنا . أي عند اليهود . المؤلف يهودي .

{إش . ٤ : ٤} ونادوا: «أيها البعل أجنا» {الملوك الأول ١٨ - ٢٦}

كل هذه لشهرة تلك الآراء وفشه الجهل . وكثير هذيان العالم حيثنى في هذا النوع من الخيالات ، فنشأت فيها آراء وصار منهم «مشعبذ ومتقائل وساحر ومن يرقى رقة ومن يسأل جانا أو تابعة ومن يستشير الموتى» {أثث ١٨ : ١٠}

وقد بينا في تاليفنا الكبير «مئنة التوراة» أن آبانا إبراهيم بدأ بنقض هذه الآراء بحجج ، ودعوة ضعيفة باستعطاف الناس ، وجذبهم للطاعة بالإعتمام لهم . حتى نبي سيد النبيين^(١) نكمل الفرض ، وأمر بقتل أولئك ومحو آثارهم ، واستحصال شأنهم : «واهدموا منابعهم» {قض ٢ : ٢} الخ .

ومنع من تبع شئ من سيرهم تلك ، وقال: «ولا تمروا على رسوم الأمم» {الخ ٢٠ : ٢٣}

وقد علمت من نصوص التوراة في عدبة مواضع أن القصد الأول من الشريعة كلها : إزالة عبادة الصنم ومحو آثرها ، وكل ما يتعلق بها حتى ذكرها ، وكل ما يؤدي إلى شيء من أعمالها مثل : «الجحان والتابعة والإمرار من النار والعرفان والشعبذ ، والمتقائل والساخر ومن يرقى رقة ويستشير الموتى» {أثث ١٨ : ١ - ١٤ لا ٢٠ : ٢٧} والتحذير من التشبه بشئ من أعمالهم هذه . تكيف بتبعهم؟ وصرح في نص التوراة بأن جميع ما ظنوا عبادة لألهتهم وتقربا لها هو الشئ المبغوض المقوت عند الله وهو قوله: «فإنهم قد صنعوا لألهتهم كل النجاسات التي يكرهها رب» {أثث ١٢ : ٣١} . وأنت تجد لهم بذلك في كتبهم التي سأخبرك بها أنهم يقررون للشمس إلههم الأكبر سبعة خنافس ، وسبعة فيران ، وسبعة وطاوط في بعض الأمور .

وكتفى بهذه نجاشة عند الطبع الإنساني . فجميع الفرائض التي جاءت في النهي عن عبادة الصنم . وكل ما يتعلق بها ، أو يؤدي إليها ، أو ينسب لها ؛ بينما القائمة ، لأنها كلها للخلاص من تلك الآراء السقية الشاغلة عن كل ما ينفع في الكمالين ، بأمور هذيانة . هي التي كان ربّن عليها آباً ذُرنا وأجدادنا «فَنَعْلَمَ الظَّهَرَ سُكُونَ آبَاؤُكُمْ مِنْذَ الظَّهَرِ» . تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى » {بشن ٢٤ : ٢} وهي

(١) يقصد موسى عليه السلام

التي قال الأنبياء الصادقون فيها: «إلى الاباطيل التي لا تنفع ولا تخلص» {أم ٢١:١٢}

فما أعظم فائدة كل فريضة تخلصنا من هذه الغلطة العظيمة وتردنا إلى الاعتقاد الصحيح ، وهو أنَّهُم إلَّا هُم خالقُ كُلِّ هُنْدٍ ، وهو الذي يبني أنْ يعبد ، ويحب ، ويخاف منه. لا تلك المظنون بها ، أنها آلهة . وأنَّهُمْ أَكْلُهُمْ لا يحتاجُنَّ إلى القرب منه وحصول رضاه ، الأمور التي فيها مشقة بوجهه ، بل «محبته وخوفه» لا غير وهما الغاية في العبادة . كما تبين : «وَالآن يَا إِسْرَائِيلْ مَا الَّذِي يَطْلُبُهُ مِنْكُمْ الرَّبُّ؟» {أنت ١٠ : ١٢}

وسنستوفى هذا المعنى في ما بعد . وأرجع إلى غرضي الآن .

فأقول : إنَّ كثيرًا من الشرائع إنما بين لى معناها وعرفني عللها ، وقوفي على منهاج الصابحة وأرائهم ، وأعمالهم ، وعبادتهم كما مستمع عند تبيني تعليل تلك الفرافض التي يظن بها أنَّهُمْ لا علة لها . وإنَّا ذكر لك الكتب التي يتبيَّن لك منها كل ما علمته أنا من منهاج الصابحة وأرائهم حتى تعلم يقيناً صحة ما أقوله في تعليل هذه الشرائع .

أكبر كتاب في ذلك «الفلاحة النبطية» إخراج ابن وحشية .

واسخرك في فعل يأتي لا يشين جعلت الصابحة مذاهبيهم مدونة مع فلاحة الأرض ؟

وهذا الكتاب ملء من هذيبات عابدى الصنم ، وما أنفس العوام مائة إليه ومرتبطة به . أعني أعمال الطلسمات ، واستزال الروحانيات ، والسحر ، والجن ، والغيلان التي تأوى البراري . ودرج أيضاً في ذلك الكتاب هذيبات عظيمة يضحك منها ذوق العقول ، يزعم بها القدح في العجزات البينة التي علم بها أهل الأرض : أنَّهُمْ إلَّا هُنْدٌ حاكماً على أهل الأرض كما قال : «لَكَ تعلم أنَّ للرب الأرض» {آخر ٨ : ٢٩} وقال : «إني أنا الرب في الأرض» {آخر ٩ : ٢٢}

فحكى عن آدم الأول أنه ذكر في كتابه أنَّ في الهند شجرة ، إذا اتَّخذت منها أغصان ، فإنَّ الغصن منها إذا رمى في الأرض يسعى متتحركاً كما تسعى الحيات ، وأنَّ ثمَّ شجرة أصلها صورة إنسان تُسمَّى له مهمَّة ، وتتنقل منه الكلمة ،

والكلمة ، وإن حشيشة صفتها كذا وكذا إذا أخذ الإنسان من ورقها ، وجعلها في جيده ، خفى عن الناس ولا يرى حيث يدخل ويخرج ، وإن بُخر منها تحت السماء سمع الناس في الجو دويا وأصواتا هائلة طالما ذاك الدخان يصعد .

ومثل هذه الخرافات كثير يجيئ بها في معرض الأخبار بعجائب النبات ، وخواص الفلاحة حتى يطعن في المعجزات ، ويروهم أنها تم بحيلة .

ومن خرافات ذلك الكتاب : أن شجرة خطمي من تلك المشتورة التي كانوا يعلمونها كما أعلمتك ، ذكر أن إقامة تلك الشجرة في «نينوه» اثنى عشر ألف سنة ، وإنها تخاصمت مع «الببروج» لأنه أراد أن يأخذ مكانها ، وأن الشخص الذي كانت تتوحى إليه هذه الشجرة انقطع عنه وحيها مدة فلما أوحى إليه بعد تلك المدة أخبرته أنها كانت مشغولة بالخصام مع الببروج ، وأمرته أن يكتب للكلذاتين ، أن يحكموا بينهما ويقولوا أيهما أفضل في سحرهم وأكثر عملا ؟ هل الخطمي أو الببروج ؟ وتلك الشرافة الطويلة التي نستدل منها ، إذا وقفت عليها علمت عقول أهل تلك الأزمة ، وعلومهم كيف كانت ، وهؤلاء كانوا حكماء بابل المشار إليهم في تلك الأيامظلمة ، لأن هذه كانت أدبياتهم التي رروا عليها . ولو لا هذا القدر لما شُهر الآن في الملل من اعتقاد وجود الإله ؛ لكنه أيامنا في هذه الأزمة أشد ظلاما من تلك . لكنها في أنواع أخرى . وأرجع إلى غرضنا :

وفي ذلك الكتاب : حكى عن شخص من آنياء عبادة الصنم كان اسمه تمور . دعا ملكا ليعبد السبعة كواكب والاثنتي عشر برجا . فقتله ذلك الملك قتلا شيئا . فذكر أن ليلة موته اجتمع الأصنام كلها من أقطار الأرض إلى الهيكل في بابل إلى صنم الذهب الكبير الذي هو صنم الشمس ، وكان ذلك الصنم معلقا بين السماء والأرض . فوقف في وسط الهيكل ، والأصنام كلها حوله . وأخذ يعدد على تمور . ويصف الأصنام ، وأنها رجعت لهيا كلها في أقطار الأرض ، وصارت هذه سنة دائمة في أول يوم من شهر تمور ، بناح وبكي على تمور ، وتنديه النساء ويعذبن عليه . فاعتبر ، وانفهم ، وارأكيف كانت آراء الناس في تلك الأزمان . وهذا حديث تمور قد يجل في الصابحة . ومن هنا الكتاب تقف على أكثر هذين الصابحة ، وأعيادهم .

وأما تلك القصة التي حكوها عن قصة آدم والحياة وشجرة العلم الطيبة والخبيثة والإشارة إلى لباس ما لم تغير العادة بلباسه ، فاحذر ، ثم احذر أن يتoshوش عقلك ، ويختصر يالك أن ذلك الذي قالوه هو فقط أمر جرى . لا . لأدم ، ولا لغيره ، ولا هي قصة وجودية بوجهه ، ويأيده تأمل ، وبين لك معالهم في كل ما ذكروه في تلك الخرافات ، ويتبين لك أنها قصة فرضوها من بعد التوراة ، لما شهرت التوراة في الملل ، وسمعوا ظاهر قصة الخلق ، أخذوه كله على ظاهره وعملوا تلك القصة حتى يسمعها الغير ، فيفتر ، ويظن أن العالم قديم ، وأن تلك القصة الموصوفة في التوراة هكذا جرت كما حكروا ، وإن مثلك لا يحتاج تبيها على هنا ، لأنه قد حصل عندك من العلوم ما يمنع ذهنك من أن تتعلق به خرافات الصابحة وهذيان الكبسانيين والكلدانيين العريين عن كل علم . هو علم بالحقيقة . لكن حذرت من ذلك احتياطاً لغيرك لأن كثيراً ما يميل الجمهور لتصديق الخرافات .

ومن تلك الكتب : كتاب « الأسطمانخس » النسوب لارسطو ، وحاشاه ثم حاشاه . وكذلك كتب الطلسمات التي منها كتاب « ططمط » وكتاب « السرب » وكتاب « درج الفلك » والصور الطالعة في درجة درجة منه . وكتاب منسوب أيضاً لارسطو في طلسمات ، الصابحة ، وكتابه الكبير في نواميس الصابحة ، وجزئيات دينهم ، وأعيادهم وفرايتيهم . وغير ذلك من أمور دينهم .

فهذه كلها التي ذكرت لك هي أسفار عبادة الصنم التي أخرجت للسان العربي ولا ريب أنها جزء يسير جداً مما لم يخرج ، ولم يوجد أيضاً ، بل تلف وياد على مرور السنين . وهذه التي هي موجودة لدينا إلى اليوم مشتملة على أكثر آراء الصابحة ، وأعمالهم . المشهور بعضها اليوم في العالم ، أعني بنيان الهياكل ، واتخاذ الصور من المسبوكات والحجارة فيها ، وبنيان المذابح - والتغريب عليها . إما ذاتع ، أو أنواع الطعام ، ورسم أعياد ، واجتماع للصوت ، ولأنواع عبادات في تلك الهياكل . و يجعلون فيها مواضع معظمة جداً يسمونها هيكل الصور العقلية واتخاذ الصور : « على الجبال الشامخة » { تث ١٢ : ٢ } الخ .

وتعظيم تلك العشورات وإقامة الأعمدة وغير ذلك مما مستطلع عليه من هذه الكتب التي نبهتك عليها .

ومعرفة تلك الآراء ، وتلك الاعمال هو باب كبير جدا في تعليل الفرائض .
لأن شريعتنا كلها . أصلها ، وقطبها الذي عليه تدور ، هو مسوح تلك الآراء من
الأذهان ، وتلك الآثار من الوجود لمحوها من الأذهان .

قال : « أن تغوى قلوبكم » { تث ١١ : ١٦ } الخ . « الذي قلب مائل اليوم »
{ تث ٢٩ : ١٩ }

ولمحوها من الوجود قال : « تقضون مذاجهم وتكسرن أنصابهم » { تث ٥ : ٧ }

« وتحون أسماءهم من ذلك الموضع » { تث ١٢ : ٣ } هذان الغرضان في
عدة مواضع . وهو كان القصد الأول الجامع لجملة الشريعة .

كما أعلمونا - عليهم السلام - في تفسيرهم المروي لقوله تعالى : « جميع ما
أمركم به ربكم على لسان موسى » { عدد ١٥ : ٢٣ } قالوا : من هنا نعلم أن كل
من يعترف بعبادة الصنم ؛ يكفر بالتوراة كلها ، وكل من يكفر بعبادة الصنم ،
يعترف بالتوراة كلها . فاعرف هذا .

* * *

إذا تأملت تلك الآراء القديمة السقيمة بين لك أن الأمر المشهور كان عند
الناس كلهم : هو أن بعبادة الكواكب تعمرا الأرض وتخصب البلاد ، وكانوا
علماؤهم ونساؤهم وأهل التقوى منهم يعظون الناس ، ويعلمونهم بأن الفلاحة التي
بها قوام وجود الإنسان إنما تتم ، وتبين على اختيار بأن تعبدوا الشمس والكواكب ،
وإن أسططتموها بعصيانكم ، ففترت البلاد وخربت ، قالوا في كتبهم تلك : إن
المشتري سخط على البراري والصحاري . فلذلك صارت عادمة الماء ، عادمة
الأشجار ، تأويها الغيلان ، وكانوا يعظمون الفلاحين والأكارين جدا ، لاشتغالهم
بعمارة الأرض التي هي من إرادة الكواكب وهو رضاها ، وعلة تعظيم عابدى الصنم
للبقر : إنما هو من أجل نفعها في الفلاحة حتى أنهم قالوا : إنه لا يجوز ذبحها ،
لأنها جمعت القوة وحسن التأثير للإنسان في فلاح الأرض ، وإنما فعلت هذا ،
وأذعنلت للإنسان مع قرتها ، لرضا الآلهة بعبادتها في فلاح الأرض ..

فلما كانت هذه الآراء مشهورة جدا ، قيدوا عبادة الصنم بالفلاحة لكون
الفلاحة أمرا ضروريا في قوام الإنسان وأكثر الحيوان ، وكانوا أولئك كهان الشرك

يغاطبون الناس عند اجتماعهم في الهياكل ويقررون في أذهانهم أن بهذه العبادات تنزل الأمطار وتتمر الأشجار وتحصب البلاد وتعمير . وتأمل ما ذكره في الفلاحة النبطية في الكلام على الكرم ، تجد هنا النص من كلام الصابئة : قالوا : « الحكماء القدماء كلهم ، بين أيدي الأصنام قالوا لهم الصادقون : إن الآلهة يعجبها ذلك . وإنها تكافئ فاعليه أحسن مكافأة » وأكثروا في هذا الفعل من الوعد . ومن الوعد على ذلك ؛ تطويل الأعمار ودفع الآفات وصرف العاهات ، وتحصب المزارع وزكاة الشار »

إلى هنا نص كلام الصابئة .

فلمما شهرت هذه الأمور حتى ظلت يقينا ، وأراد الله تعالى رحمة لنا محو هذا الغلط من أذهاننا ودفع التعب من أجسامنا بتعطيل تلك الأعمال الشاقة الغير مفيدة ؛ شرع لنا على يدي سيدنا موسى ، فأخبرنا عنه تعالى أنه إن عبدت هذه الكواكب والأصنام ، فإن عبادتها سبب في أن يتقطع المطر وتحرب الأرض ولا تبت شيئاً وتسقط ثمر الأشجار وتتأني الآفات للأموال ، والعاهات للأجسام ، وتقصر الأعمار . وهذه هي أغراض : « كلام النهد الذي أمر الرب » {تث ٢٩ : ١} الخ . وأنت تجد هذا الغرض متكرراً في جميع التسورة أعني : أن يلزم عن عبادة الكواكب ، ارتفاع المطر ، وخراب الأرض وفساد الأحوال ، وأمراض الجسم ، وتقصر الأعمار . ويلزم عن ترك عبادتها ، والإقبال على عبادة الله ؛ نزول المطر ، وتحصب الأرض ، وصلاح الأحوال ، وصحة الجسم ، وطول الأعمار . ضد ما كانوا يغاطبون به المشركون للناس حتى يعلووها ، لأن أصل الشريعة إزالة ذلك الرأي ، ومحو أثره . كما يبنا ! هـ .

* * *

هذا هو قول الحَبْر ابن ميمون في عباد الأصنام القدماء ، وظن كثيرون أن القدماء هم أتباع يوحنا المسمان . أو تشبه بهم في الوثنية أتباعه . والحق : أن القدماء شئ ، والصابئة أتباع يحيى شئ آخر .

وابن ميمون يستدل على أن الصابئة عبدوا الأصنام . بقوله : إن الأمم من قبل موسى كانت تعبد الأصنام والصابئة من الأمم . فما هو دليله على أن الصابئة كانوا موجودين من قبل موسى ؟ وفي التوراة « فأولئك الأمم الذين تمتلكون أرضهم ؛ يسمعون للمشعوذين والعرافين » {تث ١٨ : ١٤ و ١٩} ولم يقل : إن الصابئة من أولئك الأمم . فالقول بأنهم من الأمم يلزم منه دليل . وليس من دليل . على أن قوله

«أولئك الأمم» يدل على أن العالم كله عباد أصنام ويسمون للمشعوذين والعرافين. فهل يسمون جميعاً صابته؟ وقد نقل هو من التوراة في كلامه هذا : أن اليهود تركوا الله ، وعبدوا صنم البعل . فهو لاء العابدون والتاركون ؛ يُعتبرون صابتين عن شريعة التوراة وخارجين عليها . إذا كان معنى الصابتين هو الخارج عن دين . وكل ما قاله المؤلف عن السحر مذكور في كتاب التلمود . وعلماء بنى إسرائيل هم الذين أفسدو ، وهم الذين استخدمو نصوصي الكتب المقدسة عندهم في عمل السحر . وهم أسبق في الزمان من نبي الله يحيى عليه السلام .

والرد على العبرانيين ميمون يكون من جهتين :

الجهة الأولى : إثبات الكذب على الرواية من اليهود والمزريخين .
والجهة الأخرى : بيان عقيدة الصابرين في الخالق - جل جلاله - أما عن الجهة الأولى : فإن أنبياء بنى إسرائيل وبولس قد وصفوا اليهود بالكاذب . والكافر يُرد قوله . ففي المزمور الثامن والسبعين . يقول داود عليه السلام عن اليهود : «وذكروا أن الله صخرتهم ، والله على ولائهم . فخادعوه بأفواهمهم ، وكذبوا عليه بالسليم» ويقول النبي إشعياء على لسان اليهود : «تعلينا وكلنا على الرب ، وحدنا من وراء إلينا» {إش ٥٩:١٣} «أولاد المعصية ، نسل الكتب» {إش ٥٧:٤} «فإنهم يحلفون بالكذب» {إر ٢:٥} «الشعب يتكل على الكتاب» {إر ٢٨:٢٥} «استبدلوا حتى الله بالكذب» {رو ١:٢٥}

وأذكر هنا المثال كشاهد على كذب المزريخين :

يقول السيد محمد رشيد رضا في كتابه «الوحى الحمدى» تحت عنوان «أعجوبة من خوارق الهند» ما نصه :

روت إحدى الجرائد المصرية في هذه الأيام^(١) من أخبار سائحتي الإفريقي في الهند حادثة لفقيه من هؤلاء الفقراء اسمه «سارجورهاردياس» وقعت في سنة ١٨٣٧ م خلاصتها : أن هذا الفقير جاء تصر المهراجا «النجيب سنجا» أمير «بنجاب» وعرض عليه أن يريه بعض كراماته ، وكان المهراجا لا يصدق ما ينقل من خوارق هؤلاء الفقراء فسأله عما يريده إظهاره ؟ فقال : إنه يُفنن أربعين يوماً ثم يعود إليها حياً، فاحضر المهراجا نفراً من الأطباء الإنكليز والفرنسيين وأمراء

(١) هي جريدة الانجليز وكأن ملأ في أثناء الطبعة الأولى للكتاب في أوائل عام ١٣٥٢ هـ.

بنجاب فجلس الفقير القرصاء أمامهم فكفنوه بعد أن وضعوا القطن والشمع على أذنيه وأنفه - كما أوصاهم - وخطروا عليه الكفن ووضعوه في صندوق من الخشب السميك وسمروا غطاءه ووضع المهراجا عليه ختمه ؛ ودفنه في قبة داخل حجرة صغيرة في حديقة القصر وأغلقوا بابها ووضع المهراجا ختمه بالشمع على أقفالها ، وأمر اثنين من رجال حرسه الأمانة بحراستها وطائفة من جنده بمعاونتهم ، وكان ذلك كله بشهادة من حضر من الأوربيين والبنجاليين وحاشية المهراجا .

ولما تمت الأربعون حضر هؤلاء كلهم في قصر المهراجا وشاهدوا ختم الحجرة كما كان ، والعشب أمامها في الحديقة ولم تطأه قدم أحد ، ثم فتحوا باب الحجرة وامتحنوا أختام القبور ثم أخرجوا الصندوق وامتحنوا أختامه فوجلدوها كلها على حالها ، ففتحوه وأخرجوا الفقير منه فإذا هو كما وصفه أحد أولئك من الإنجليز قال :

لما فتحوا الصندوق وأخرجوا الفقير منه وجدت النراعين والساقيين صلبة والرأس مائلًا على إحدى الكتفين ، فخلقتني أمام جثة هامدة فارقتها الحياة منذ أمد بعيد ، فطلبت من طببي أن يفحصها فاتخنى عليها وجس القلب والصلدين والنراعين وقال إنه لم يوجد أثر للنبع البدنة ، ولكنه شعر بحرارة في منطقة الدماغ... الخ .

ثم نفذ ما أوصى به الفقير أن يعمل بعد إخراجه . فغسل الجسم بالماء الحار . فرد على الأوصال لينها السابق بالتذرع ، وأزيل القطن والشمع عن الأذنين والأنف ووضعت أكياس دافئة على الرأس فدببت الحياة في الجسد المسبغي ، وتقلصت الأعصاب والأطراف ثم اضطررت فسال منها عرق غزير وعادت الأعصاب إلى حالتها الأولى ، وبعد دقائق اتسعت حدقتا العين وعاد إليهما لونهما الطبيعي . فلما رأى الفقير المهراجا شاحصا إليه داهشاً متبحراً قال له : «أرأيت يا مولاي صدق قولى وفعلى؟» وبعد نصف ساعة خرج من التابوت ، وأنشأ بحدث الحاضرين أحسن حديث ويطرفهم بما يحيّر العقول»^أ هـ .

وقد علّق عليها بقوله : «إن هذه الحادثة من آيات الله ، التي أظهرتها الرياضة المكتسبة» ؛ وتعليقه هذا لا يليق بمقامه وأما تعليقنا نحن : فهو أن هذه الرواية من وضع رويها ، ولا أصل لها من الصحة لأن المؤرخ كاذب .

وأما عن الجهة الأخرى : فإن ما يرد قوله ابن ميمون عن أتباع يحيى

عليه السلام : عقيدتهم في الخالق جل جلاله .

العقيدة في الخالق :

١ - في كتاب « الكنز ريا » عن الله تعالى :

« ملك الآثار السامي ، رب الخلق ، ذو الحول الشامل ، الذي لا شبيه له ،
النور النقي ، الذي لم يُر ولم يُسمع بمثله ^(١) ، الغفور التواب ، الرحمن ،
الرحيم ، العالم بكل شئ الحكيم ، العليم ، لا شريك له في سلطانه ، رب الخير ،
المنفذ لكل مؤمن ، المقوم لكل صالح ، العزيز ، العليم ، المتسلط على كل رغبة ،
لا شريك له في سلطانه . لا خاب من اتكل عليك ، وسبح باسمك »

٢ - وفي كتاب « حران كوثيه » أي « حران السفلى » : « أنهم كانوا يعيشون
في جبل « المادى » حيث الينابيع الساخنة في الشتاء ، والباردة في الصيف . وهذا
الجبل يمتد إلى حران »

ومعنى هنا : أن الحرانيين يقدسون الماء الجارى . كما يقدسه المذاييون .
وهذا يدل على أن أصل نشأتهم معاً من الصبغ على يد يحيى عليه السلام .

٣ - ويرى المذاييون أن أرواح الموتى لها صلة بأرواح أسلافها ويترابرون وهم
في القبور ، ويستعمون بالصدقات وبالادعية . ولا يقولون بتناصح الأرواح من جسد
إلى جسد . كما يقول الحرانيون .

والقول بتناصح الأرواح مفروض على المسيحيين والصابئين من زمن تحريف
الإنجيل في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م فلما خف اضطهاد الرومان لهم ، رجع
المذاييون إلى قول اليهود في الأرواح - وهو مكتوب في سفر المكابيين - ويقى
الحرانيون مع التصارى في التناصح .

وي بيان ذلك : أن محرفى الإنجليل وضعوا اسم « إيلياه » بدل اسم « أحمد »
في إنجليل متى لتدل إيلياه على اسمه بحسب الحمل . وقالوا : إن إيلياه مزمع أن
يأتى . فيعرف العلماء ولا يعرف الآسيون . وأشاروا للعلماء في بهذه إنجليل يوحنا بأن
يحيى ليس هو « إيلياه » وفي التجلی على جبل طابور تراهى موسى وإيلياه ليعيسى

(١) في التسورة أن الله لا يُرى ولا يقدر أحد على رؤيته [خروج ٣٣ : ٢٠] وليس كمثله شئ [اثت ٢٦:٣٣] .

ولثلاثة من الحواريين ثم اتصروا . وطلب منهم عيسى عليه السلام أن لا يخبروا أحدا بما رأوا حتى يظهر « ابن الإنسان »^(١) فقالوا له : كيف يظهر « ابن الإنسان » وإلياه لم يظهر ليهده له الطريق - كما يقول الكتبة العلماء - ؟ فأجاب بقوله : « إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما أرادوا . . . حيثند فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » أي أن روح إيليا قد حلت في جسد يوحنا المعمدان .

٤ - اشتهر من المخرانيين « بابا المحرانى » الذي ذكره « ديو نسيوس ابن الصليبي » في كتابه « الرد على العرب » ونسب « ديونسيوس » إليه قوله : « بعد زمن طويل سبجي اسم كبير من الشمال ، وفقيم داخل ؟ عزور » - مدينة العزى حران - وكل من لا يتبع كلامه ، يتحكم فيه الغراب » يريد أن يقول إن مدينة صنم « العزى » هي « حران » وأن اسمها كثيرا سيأتي من الشمال ليحكم المدينة .

والذين كانوا يعبدون « العزى » هم اليهود ، والاسم الكبير من المؤكد أنه هو محمد عليهما السلام إذ لا ترى متظرا إلا هو .

وإذا قيل عن حران إنها « عش الوثنية » فذلك لعبادة اليهود فيها صنم العزى ، وأصنام أخرى . وقد رفع اليهود عنهم عبادة هذه الأصنام ووضعاها على الصابئين أعداءهم . ويدل ذلك على أن عبادة اليهود للأصنام كانت من قبل ظهور الصابئين بزمان طوبل : أن في سفر الزبور لداود عليه السلام ما يدل على ذلك . ففي المزمور المائة السادس « بل اختلطوا بالأمم ، وتعلموا أعمالهم ، وعبدوا أصنامهم ، فصارت لهم شركا . وذبحوا بنיהם وبناتهم للأوثان ، وأهرقوا دم ركبا . دم بنיהם وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كتعان . وتدنسن الأرض باللئاء ، وتنجسوا بأعمالهم ، وزنوا بأفعالهم » { مز ١٠٦ : ٣٥ - ٣٩ }

وغير معقول أن يخرج الصابئون أتباع يحيى على اليهود في زمان يحيى عليه

(١) ابن الإنسان لقب لمحمد عليهما السلام في الأصحاح السابع من سفر داتيا . وهو صاحب ملوك السموات الذي نادى يحيى ويسى معا ياقترابه . ومعرف الأنجيل يريد أن يجعل عيسى بذلك محمد . ولذلك ابتدع حادثة التجلى منه ، وابتدع بدعة تاسخ الأرواح .
ويكتفى في رد البدعتين : اعتراف المعمدان بأنه ليس هو إيليا . ففي بهذه الجميل يوحنا : « وهذه من شهادة يوحنا ، حين أرسل اليهود من لورشليم كهنة ولا وين ليالله من أنت ؟ فاعترف ولم ينكح ، وأقر أني لست أنا المسيح . فسأله إلهما مالا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا »

السلام ويحاربون اليهود من أجل محمد صلوات الله عليه وسلم إلى القرن الرابع الذي أجبر أهل الروم في النصارى والصابئين على إنكاره . ويعبدون الأصنام في هذه الفترة . وهم يحاربون في الله ويرجحون نصرته . ولما أجبروا على إنكاره لم تدم هيبة أهل الروم لأشغالهم بأهل فارس . ولا تترافق جيشهم إلى عدة فرق . ثم بعد قليل ظهر الإسلام . ولما ظهر الإسلام دخل كثيرون من صابئة حران فيه . فابن حزم الأندلسي . المتوفى سنة ٤٥٦هـ يقول عن الحراتية : « إنهم في جميع الأرض لا يلعنون أربعين نفساً » وعندما زار ابن جبير حران سنة ١١٨٥ كان أهلها كلهم على دين الإسلام . وفيهم صلاح .

ويذلك على صلحهم : ما قاله « الهجريري » ٦١٣هـ في كتاب « كشف الأسرار » : « رأيت بحران رجلاً من بنى سasan ... » إلى أن قال : « فترق قلوب الناس ، ويرفقه كل واحد بما يسره الله له » أى أنهم محسنون .

٥ - وما يدل على أن الحراتيين موحدون : قولهم « إنه قبل خلق العالم كان روح الله يرفرف فوق المياه السائلة » وهذا هو قول النصارى . فإنهم يترجمون بهذه التوراة بقولهم : « في البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية . وعلى وجه الفجر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه » ويترجمها اليهود بقولهم : « وريح الله يروف على وجه المياه »

وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض؟ ليقولن الله » يعني سؤال أهل الكتاب^(١) لا العرب . فإن العرب لم يكفروا بالله كما أشاع السفهاء عنهم .

٦ - وما يدل على أن الحراتيين مؤمنون بالله : أنهم وهم يعمدون الطفل ، يقولون له : « طبواك إذا صرت من أهل الاستئمان لهذه الأسرار ، فإن الله يظهرك »

٧ - وما يدل على أن الحراتيين مؤمنون بالله : اختلافهم مع المذاهب في بناء المساجد : فإن المذاهب يسمى المسجد « مندى » وهو عبارة عن كوخ من قصب ، منصوب على شاطئ نهر جار ، أو نبع ماء جار حتى . باب المذنب يتجه نحو الجنوب ، ومحرابه نحو الشمال . نحو نجم الجدي في السماء .

(١) أول آية في التوراة هي : « في البدء خلق الله السموات والأرض ... » .

بينما بنى الحراني معابدهم الحجرية على الطرز المعمارية للمعابد الوثنية الرومانية .

والاختلاف في بناء المعابد سببه : مناخ الجو ، والمياه المتداة باستمرار ، والفيضانات التي تدمر معالم الحياة على شواطئ نهر دجلة والفرات .

ولكن ما هو السبب في بناء المساجد على الطرز المعمارية للمعابد الوثنية الرومانية ؟ هو لأن قسطنطين الروماني سنة ٣٢٥ م أجبر الصابئين والنصارى على دين واحد ، صاغوا عقائده على مثال عقائد أهل روما .

فلما خف الضطهاد ، انفطرت عقد الجميع - كما يبنا في هذا الكتاب -

وقال الأستاذ محمد عبد الحميد الحمد بعدما ذكر ما قدمنا خلاصة : « حكى عنهم ذلك الحارث بن سنان بن سبط الحراني . وهو من ملكانية النصارى ذو معرفة ودرية بمذهب القوم » يعني من النصارى الكاثوليك الذين كان قسطنطين على مذهبهم . وهذا يدل على أنه سمع من خصومهم ودون .

٨ - وما يدل على أن الحرانيين موحدون : أنهم يصلون ثلات صلوات في اليوم والليلة مثل اليهود . الأولى : قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل ، لتنقضى مع طلوع الشمس . وهي ثمان ركعات وثلاث سجادات في كل ركعة . والثانية : قبل زوال الشمس . وهي خمس ركعات وثلاث سجادات في كل ركعة وتتنقضى مع زوال الشمس . والثالثة قبل غروب الشمس وهي في العدد والهيكل مثل الصلاة الثانية .

وصلواتهم النافلة هي بمنزلة الوتر عندنا نحن المسلمين ثلاثة في كل يوم . الأولى في الساعة الثانية من النهار ، والثانية في الساعة التاسعة من النهار ، والثالثة في الساعة الثالثة من الليل . ولا صلاة عندهم إلا على ظهور . والساعة الأولى بدؤها من طلوع الشمس ، والغروب في الساعة الثانية عشرة .

الصابية يدعون الجزية للمسلمين :

ويقول المذاهيون في كتاب لهم اسمه « حران كرتيا » : إنهم انتقلوا من أرض فلسطين إلى حران ، ومنها إلى بلاد ما بين النهرين . وأن العرب وصلوا إلى العراق

زمن رئيسهم « انش بن ذفنا » الذي تفاوض مع سعد بن أبي وقاص ، وأخذ منه عهد الأمان ، وأدوا الجزية ، عند جبل أرساى . ولا يزالون إلى هذا اليوم يدعون في صلواتهم : « أيها المسلمون لا تراجعوا عن عهدمكم الذي عاهدتم الله عليه »

لاحظ :

١ - أنهم استقرروا مدة من الزمن في « حاران » فيكون المذمومون والمحرّمون أصحاب بلدة واحدة . وأصحاب مذهب واحد . هاجروا به من فلسطين على أثر حروب بينهم وبين اليهود .

٢ - وجّال « ماداى » في حaran . تندى إلى بطائح « البصرة » وأهوار جنوب العراق .

ولأنهم طائفنة من طوائف أهل الكتاب ، دفعوا الجزية لل المسلمين في وقت الفتح الإسلامي لبلادهم . وقالوا لل الخليفة المأمون - رضي الله عنه وأرضاه - لما رأهم في مدينة حaran سنة ٢١٨هـ : « نحن نزدی الجزية » أى أنهم إما مسيحيون بحسب ما فرض عليهم من أهل الروم في زمن قسطنطين حينما فرض عليهم هم والنصارى أن لا يجهروا باسم محمد ﷺ وإما صابئون على أصلهم الأول الذي هاجروا بسببه إلى حاران . ولم يفصحوا له عن اللقب الأول . إما لأن الذين شاهدوهم ، وإما لأنهم لم يريدوا لفت أنظار الناس إلى حقيقتهم . يعرفون حقيقتهم وهي أنهم يهود متخلصون عن اليهود من أجل محمد ﷺ .

وقد صاغ مؤرخ هذه المقابلة بصيغة تشكيك الناس فيها . فقال :

إن الخليفة المعظم سالم : أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال : أني يهود أنت ؟ قالوا : لا . قال : ألم يجعوس أنتم ؟ قالوا : لا . قال لهم : أفل لكم كتاب أو نبى ؟ فجمجموا في القول . أى نحن الحرنانية . وهذا يكفى في بيان من نحن ؟ وهم لم ينكروا أن لهم كتاباً ونبياً . هو التوراة ويعنى عليه السلام ولكنهم سكتوا حتى لا يوصفوا بالكذب . ومعنى أنهم حرنانية : أن فى ديوانه عن أهل الجزية أنهم يدفعونها من زمن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلماذا الإحراج ؟ ولماذا التشهير بنا ؟

وقال المزركش : إن الخليفة العظيم قال لهم : فأنتم إذا الزنادقة عبدة الأولئان . وهذا هو الخطأ بعينه . لأن عبادة الأولئان منقطعة من هذه البقعة من الأرض من قبل ظهور الإسلام ومن بعده . واليهود فيهم شواذ كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة وصنم البعل . والنصارى جعلوا الله هو المسيح ، وجعلوا المسيح مع الله . وقد فرض على الصابئين ما فرض على النصارى من أهل الروم . وهم لم يعبدوا أصناما . وإنما عبدوا الله الذي انقلب إلى المسيح . أو عبدوا الله مع المسيح والروح .

وقال المزركش : إنه اتهمهم بأنهم أصحاب الرأس ^(١) . يعني أنهم لو كانوا وثنين مسالين ، لتركهم وشأنهم . ولكنهم يقتلهم صاروا وثنين مفسدين في الأرض . ويلزمهم إما الإسلام وإما الدخول في اليهودية أو المسيحية أو الصابئية ؛ ليدفعوا الجزية . فإن الجزية لا تؤخذ من المجروس ولا من الكفار المسلمين . وقال المزركش : إنهم جعلوا يحتالون ويضطربون حتى انتدب لهمشيخ من أهل حران فقيه ؛ وأشار عليهم بأنه إذا رجع المأمور إليهم وسائلهم عن دينهم أن يقولوا له : نحن الصابئين .

ومن كلام هذا المزركش قال المتكلمون في الملل والنحل : « هذه هي أول إشارة إلى واقعة تاريخية تدل على اتحال الحرانية لاسم الصابئة »
ولم يسألوا أنفسهم عن أهل حران في وقت الفتح الإسلامي هل كانوا يؤدون الجزية للمسلمين أم لا ؟

٩ - وما يدل على أن الحرانيين موحدون : أن الحرانيين يحبون « هرمس الحكيم » ويصغون إلى حكمته . وكان هرمس يدعو لإقرار توحيد الله ، ومحظر النفس عن الشهوات والأمور المحبوبة بأسرها ، وترك الرخصة في كل شيء منها للوصول إلى إبراك الحقائق . وقد سُئل هرمس عن تكوين الشمس . فأجاب بقوله : « إنها ظهرت بعناية الله » والحرانية يعدونه من آباءاتهم .

١٠ - وما يدل على أن الحرانيين يؤمنون بالله وهم مع اليهود والنصارى في عقيدة القضاء والقدر : « أن الحرانية تعلم أنه لا ينفع من أحد فعل ولا يتيسر له عمل

(١) سيأتي الكلام عنها بعد قليل .

إلا ما قد سبق له في علم الباري . الذي هو القضاء المبرم والقدر المحتوم «(١)

١١ - وإن حوان الصفا ويقال إنهم كانوا من صابنة حران - والحق أنهم يهود - كانوا يقولون في صلواتهم لله : «للهم إني أسألك يا واجب الوجود ، وبما علة العلل . يا قدبيا ولم يزل ، أن تمحصني من الزلل . يا إله المشارق والمغارب ، ويا رب الجوار الكنس السبع التي انبجس عنها الكون انبجاس الأبهر . هن الفواعل عن مثبتة التي عممت فضيلتها جميع الجواهر ، أصبحت أرجو الخير منك ، وأمترى رحلا ، ونفس عطارد والمشترى . اللهم أنقذنى من عالم الشقاء والفناء ، واجعلنى من إخوان الصفاء وأصحاب الوفاء ، وسكان السماء مع الصديقين والشهداء »

وسبب قولهم بزحل وعطارد والمشترى .. إلخ: هو أنهم يعتقدون أن الأفلاك حية ناطقة، وأنها تصرف بالعالم الأرضي ١- إما بطائع أجسادها ٢- وإما بنفسها .

ولما سبق أن ذكرنا من أن اليهود هم الذين عبدوا الأصنام وقتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ، يكون إخوان الصفا من اليهود الذين ألفوا الكتب في الخطأ من شأن الصابنة ، كما ألفوا الكتب في الخطأ من شأن العرب . والعرب هم أهل الله وخاصته . من قبل الإسلام ومن بعده .

وقد انخدع البعض بما قالوا ، ونسبوا للحرانية - نقلًا عنهم وعن غيرهم من اليهود - أنهم كانوا يتعمدون من شهر الكواكب بصلوات لهم . فقالوا : «ومنهم من كان يصلى للكوكب زحل يوم السبت ، وللشمس يوم الأحد ، وللقمري يوم الاثنين ، وللمريخي يوم الثلاثاء ، ولعطارد يوم الأربعاء ، وللمشترى يوم الخميس ، وللزهرة يوم الجمعة .

ومنهم من كان يصلى للكواكب مجتمعة ويقول : «تقبلوا مني دعائى لإصلاح ما فسد فينا ، وتسهيل ما عسر علينا ، وتسليد ما عدل عن الصواب من أنكارنا وآرائنا ، ليحصل لنا طيب العيش في الدنيا ، والتمكن من الخلاص في الآخرة »

(١) في إنجيل برنابا : أن الفريسين من اليهود كانوا يقولون بالجبر . وأن المسيح كان يقول بالحرية . واستدل بالتوراة على أن الله خلق الإنسان حرا ، وحمله نتيجة أعماله . ونص التوراة هو : « هذه الرصبة التي أنا أمركم بها اليوم ، لا تصعب عليكم ، ولا من بعيدة عنكم ... » { تث ٣٠ : ١١ - ١٤ }

١٢- وما يدل على أن الحراثين من الصابئة المنفصلين عن اليهود : أنهم يحرمون من اللحوم لحوم الإناث من الماعز والضأن والإبل والبقر ، ويحرمون الجزارو من الإبل ويحرمون سمك الجرّي والأربّ واللّفب ، وكل طير وحيوان جارح ذي مخلب .

ويقول مؤلف صاينة حران تعليقاً على محرماتهم هذه من الأطعمة : « هذه المحرمات من الأطعمة هي نفس المحرمات عند التحفة الفياغورئية » ١ . هـ

وقوله باطل فإن هذه المحرمات في التوراة . ففي الاصحاح الرابع عشر من سفر التثنية : « لا تأكل رجماً . هذه هي البهائم التي تأكلونها . البقر والضأن والمعز والأيل والظبي واليحمور والوعول والرئم والثيتل والمهاة . وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفاً وتقسمه ظلفين وتجتر ، فإذا ما تأكلون . إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر وما يشق الظلف المقسم : الجمل والأربّ والواير . لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفاً ؛ فهي نجسة لكم . والختير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر ؛ فهو نجس لكم . فمن لحمها لا تأكلوا . وجتها لا تلمساً .

وهذا تأكلونه من كل ما في الماء : كل ما له زعناف وحرشف ؛ تأكلونه لكن كل ما ليس له زعناف وحرشف ؛ لا تأكلوه . إنه نجس لكم .

كل طير ظاهر تأكلون . وهذا ما لا تأكلون منه . النسر والأنق والعقاب والحدأة والباشق والشاهين على أجناسه . وكل غراب على أجناسه . والنعمامة والظليم والأساف والبار على أجناسه والبوم والكركى والبجع والقرداق والرخم والغواص واللقلق والبيّنا على أجناسه والهدده والخفاش . وكل دبيب الطير ؛ نجس لكم . لا يؤكل . كل طير ظاهر تأكلون .

لا تأكلوا جنة ما » { تث ١٤ : ٣ - ٢١ }

١٣- وما يدل على أن الصابئين من اليهود : أن المذابح ين gypsumون في الماء، وأن الحراثية يتوضأون بالماء . وكلهم يتظهرون من الجنابة . وإذا مر الصابئ المذائب أو الحراثي بالقرب من ماء جاري يقول : « السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش رب الذي يحيي بك كل من في الأرض » وفي التوراة : « وإذا حدث من رجل اضطجاع ذرع ، يرمحن كل جسله بماء ، ويكون نجسا إلى المساء . وكل

ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع ذرع ؛ يُغسل بماء ويكون نجساً إلى المساء .
والمرأة التي يفاضلها رجل اضطجاع ذرع ؛ يستحمان بماء ، ويكونان نجسین إلى
المساء » {لألا : ١٦ - ١٥}

القربين البشرية والحيوانية :

نسب اليهود إلى الصابئة الحراتين عبادة الكواكب وتقديم القرابين البشرية والحيوانية لها ، وانخدع بعض الناس بهذه النسبة . وهي ؛ خدعة لأن الصابئين أصحاب حق من أيام يحيى عليه السلام وفي سيرته تحملوا المشاق . إلى زمن قسطنطين امبراطور روما . ولا يعقل في هذه الملة أن يكفروا بالله ويعبدوا الكواكب ، ويقتلوا النفس الذكية ويعيشوا في الأرض فساداً . ولما دخلوا مع النصارى في مسيحية روما ، اشغلوها بها . إلى مبعث محمد ﷺ وعلى ذلك يُستبعد من الصابئين حراثية ومنذانية عبادة الأصنام ، ولا يُستبعد على اليهود ، لأنهم سمعوا الحق من يحيى ولم يؤمنوا به ، وسمعوا الحق من عيسى ولم يؤمنوا به . وهم يعلمون أن رفض النبي ، رفض لله الذي أرسله . ورفض الله بذلك على أنهم سيدخلون في النار مع الداخلين . من عباد الأصنام وغيرهم . كأنهم يقولون لله: إذا نحن وعباد الأصنام مسترون في الرفض ؛ فليس لنا إلا مذهب المفعة .

وقد سجلت التوراة على اليهود عبادة الكواكب ، وتقريب النبائح البشرية والحيوانية لها . وعلى هذا التسجيل يكون القول بعبادة اليهود للكواكب هو الحق ، ولا يكون القول بعبادة العرب والصابئين للكواكب هو الحق . لكن اليهود كذبوا على الناس ووضعوا ما كان فيهم في العرب وفي الصابئين .

ففي الأصحاح الثامن من سفر حزقيال :

أنه في مدخل الباب الداخلي المتجه نحو الشمال ، كان مجلس تمثال الغيرة المهيج للغيرة « ونظرت فإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط على دائرة »

ثم قال عن تمثال صنم تموز :

« وقال لي بعد : تعود تنظر رجاسات أعظم . هم عاملوها . فجاء بي إلى

مدخل باب بيت الرب الذى من جهة الشمال . وإذا هناك نسوة جالسات ي يكن على
« ثبور »

ثم قال : « نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم
نحو الشرق . وهم ساجدون للشمس نحو الشرق »

وفي الأصحاح السابع من سفر إرمياه : « والأباء يوقدون النار ، والنساء
يعجن العجين ، ليصنعن كعكا لملكة السموات ، وتسكب سكاب لآلهة أخرى .
لكى يغيطونى . ألم يغيطون ؟ » يقول الرب

وفي الأصحاح الرابع والأربعين من سفر إرمياه : « فاجاب إرمياه كل الرجال
الذين عرفوا أن نساءهم يُخرون لآلهة أخرى وكل النساء الواقعفات . محفل كبير .
وكل الشعب الساكن في أرض مصر ، في فتروس قائلين : إننا لا نسمع لك الكلمة
التي كلمتنا بها باسم الرب . بل سنعمل كل أمر خرج من فمك لتبشر ملكرة
السموات ، وتسكب لها سكاب . كما فعلنا نحن وأباونا وملوكنا ورؤساونا في أرض
يهودا وفي شوارع أورشليم . فشيئنا خبزا ، وكنا بخير ولم نر شرا ، ولكن من
حين كفينا عن التبشير ملكرة السموات ، وتسكب سكاب لها ، احتجنا إلى كل ،
ونفتينا بالسيف والجوع ... الخ »

وفي التوراة عن تقديم القرابين البشرية للأصنام نصوص كثيرة منها :

- ١ - « ذبحوا بنיהם وبناتهم للأوثان ، وأهرقوا دما ذكيا . دم بنיהם وبناتهم
الذين ذبحوهم لأصنام كنعان » { مزמור ٣٧: ٣٨ - ٤٠ } حزقيال ١٦: ٢٠ - ٢١ -
- ٢ - « أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي ، وذبحتكم لها طعاما . أهو
قليل من زنك أنك ذبحت بنى وجعلتهم يجوزون في النار لها ؟ » { حزقيال ١٦: ٢٠ - ٢١ -

- ٣ - « أما أنتم أولاد المعصية ، نسل الكذب . المتقدون إلى الأصنام تحت
كل شجرة خضراء . القاتلون الأولاد في الأودية تحت شفوق العاقل » { إشعياء ٥٧: ٤ - ٦ -

- ٤ - « بل سار في طريق ملوك إسرائيل حتى إنه عَبَر ابنه في النار ، حسب

أرجاس الأمم ، الذين طردهم رب من أمام بنى إسرائيل وذبح وأوقى على
المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء » { ملوك ٢ : ٤ - ٣ }

فعل اليهود مع الأصنام :

وهذا هو بعض ما فعله اليهود مع الأصنام ، ونسبة ظلماً وزوراً إلى العرب ،
والى صابنة حران :

يقول الاستاذ محمد عبد الحميد الحمد في كتابه صابنة حران ما نصه :

« كانت الأنساخ قدماً ، تقدم للأله لإطالة العمر ، وقد اتهم الحراني
بتقدیمهم أنساخ بشرية للكواكب . ولكن أبي الريحان البيروني نفى عنهم تلك
التهمة قائلاً : « ولم يثبت عنهم سوى القرابين الحيوانية ^(١) » والقرابين الفلسفى
عند ثابت بن قرة الحراني « ترك النفس محبة الدنيا والزهد فيها ، وقلة الخوف من
الموت ، وهذه هي قرابين الحكماء والصديقين . أما القرابين الشرعية عند العامة ،
 فهي لكل ميكل ساوي من السيارات والشوايات . نحتوا له صورة ، وبنوا له معبداً
يتقربون إليها بالدعاء والأنساخ »

وجاء في كتب المؤرخين المسلمين حول قرابينهم ^(٢) أن لكل كوكب قريباً
خاص به ، من البشر أو الحيوان :

قريان المشترى :

يقربون إليه طفلاً وذلك أنهم يشترون جارية ، ليطأها السلنة للأصنام السبعة ،
وترك حتى تضع حملها ، ثم يأتون بها والصبي على يدها ، ابن ثمانية أيام
فينخسونه بالمسال (المخارق) والإبر وهو يسكت على يد أمه فيقولون له : أيها رب
الخير الذي لا يعرف الشر قد فربنا لك من لم يعرف الشر . يجاتسك في الطبيعة ؟
نقبل قريانتنا وارزقنا خيراً أرواحك الخيرة .

(١) لم يثبت عنهم ولما ثبت عن اليهود .

(٢) القرابين كان اليهود يقربونها للشتري وفيه . ووضعوا ما كان فيهم في الصابين أثياع يحيى . ولم يتبه
المؤرخون القدماء للملك ؛ لأن فيهم يهود متظاهرون بأنهم مسلمون لو مسيحيون أو صاببة .

قريان زحل :

صنعوا لزحل مثلاً عظيماً من الآنك (البرونز) وهو أعمى ، لذا تراهم يقتربون إليه ثوراً حسناً ، يؤتى به إلى بيت ، تحته خندق محفور ، وفوقه درابزين من حديد ، على ذلك الخندق ، فيدخلن الثور ، فتغوص رجلان ويلاه بين فتحات الدرابزين . ثم توقد تحته النار حتى يحترق . ويقول له المقربون : « مقدس أنت أيها الإله الأعمى ، المطبوخ على الشر ، الذي لا يفعل خيراً . قربنا لك ما يشبهك . فتقبل منا واكتنا شرك وشر أرواحك الخبيثة »

قريان الريح :

يقربون له رجلاً أشقرأ أمش الوجه ، أبيض الرأس من الشقرة ، يأتون به ، فيدخلونه في حوض عظيم ، ويشلون قبوده إلى أوتاد في قعر الحوض ، ويلعون الحوض ريثاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه إلى حلقه ، ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب والمعفنة للحم والمجلد ، حتى إذا مضى عليه الحول فيضوا على « رأسه » فملخوا عصبه من جلده ، ولو فهو تحت رأسه ، وأنروا به إلى صنمهم الذي هو على صورة الريح . وقالوا : أيها الإله الشير ذو الفتنه والجوانع . قربنا إليك ما يشبهك ، فتقبل قريانتنا واكتنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة . وهم يزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام ويكلمهم بعلم ما يصيّهم تلك السنة من خير وشر . وفي يقيني أن هنا الخبر عار من الصحة .

إلا أن ابن النديم يورد خبراً تاريخياً عندما سألهما سالمهم المؤمن : الست أصحاب الرأس في أيام والدى رحمة الله ؟ وكان الجشهيارى - محمد بن عبلوس المتوفى ٣٣١ هـ - قد روى في كتابه الورزاء « نصبة الحرانى » الذي صلب سنة ١٢٤ هـ في الرقة وهو صاحب نصبة الرأس قال : قال محمد بن حصين الأهزارى : كنا مع جعفر بن يحيى بالرقة ، وخلا بآنس بن أبي شيبة ، ناجية ونعم نراه ، فادخل صاحب الشرطة رجلاً من أهل اللمة الحرانية . وقال جعفر : أحضرت الرجل الذي أمرت بإحضاره . فقال جعفر للرجل : ما اسمك ؟ قال : فلان بن فلان . قال : أنت الحرنانى ؟ قال : نعم . قال جعفر لصاحب الشرطة : خذه فإن أمير المؤمنين أمر بقتله وبصلبه . فأخذه صاحب الشرطة وقال له آنس بن أبي شيبة :

اصلبه على أطول عمود بالرفة . فالتفت إليه المحرناتى فقال : إن شاء الله على أطول عمود ، وإن شاء الله على أقصره . ليس والله بعدى غيرك .

قال محمد بن الحسين الهموارى : فعجبنا من صرامته ، ومن تحقيق ذلك القول ، وذهب به وصلب وقتل .

القريان للشمس :

يقربون للشمس المرأة التي قتلوا ولدها للمشتري .

القريان لعطارد :

يقربون إليه شاباً أسمراً كاتباً متادياً . يأتون به بحيلة ، ثم يخدرونه ، ويقدمونه إلى صنم عطارد . ويقولون له : أيها الرب الظريف . أتبناك بشخص ظريف يطبعك فتقبله هنا . ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات ، ويضرم في كل خشبة النار حتى يحترق ، ويحثون رماده في وجه التمثال .

القريان للزهرة :

يقربون لها عجوراً شمطاً ماجنة ، يقلدونها بين يدي تمثال الزهرة . ثم يأتون بالخطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن تخترق فيحثون رمادها في وجه صنم الزهرة .

القريان للقمر :

يقربون له رجلاً آدم شديد السمرة ويقولون : « يا أبُرُد الْأَكْلَهُ وَخَفِيفُ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ، تَقْبِلُهُ مَنَا » ثم يحرقونه ويحثون برماده وجه تمثال القمر .

نلاحظ أن القرابين التي رواها من يكتنون العلاء للحرانية هي قرابين بشرية بينما القرابين التي ذكرها ثابت بن قرة الحراني وإخوان الصفا هي قرابين حيوانية من بقر وضأن وديوك وحمام . وإلى هذا أشار البيروني .

هل كان الحرانية يأكلون القرابين ؟

اختلقت الأجرمية في هذه المسألة :

القول الأول : ذكره إخوان الصفا وهو أن الحرانية كانوا يأكلون القرابان أو

الأضجية وسائر لحوم ذيائهم كيما شاءوا إلا لحوم ديك نهر السر ؛ فإنها مخصصة للكلة ومتناول السر .

القول الثاني : لا يأكلون القرىان بل يحرقونه . وهذا قول ابن العبرى : « أنه ثرا فى كتاب ثابت بن قرة . ذكر فيه ما يصلح من الحيوان لتقبيل الفسحابا . ذكر فيه : أن أكثر فرائينهم من البقر والماعز وسائر ثوى الأربع إلا الجوزر من الإبل . ثم قال : « وفرائينهم الكثيرة لا يأكلون منها بل يحرقونها »

القول الثالث : « يأكلون اللحم ويحرقون العظام وشحم الكلى » وهذه رواية طاهر بن المطهر المقدس . وهذه الرواية تتفق وما يقوله مايكيل جيمس : « لقد أتمنى الإله زيوس بالناس فنحر له بروميثيوس ثوراً قسمه قسمين : احتفظ باللحم والأشلاء وأبقى في الجلد الكرش وللفائف من الشحم تقطي العظام . ثم سأله زيوس : أن يختار كومة فإذا به مع فضل علمه يختار مالا قيمة له ، من الدهن والعظام اللذين ظلل الناس من بعد ذلك يحرقونها على المذابح للألهة »

لِمَ حُرِمَ الْخَرَاتِيَّةُ أَكْلُ إِنَاثِ الْبَقَرِ وَالْفَضَانِ ؟

حَرَمُوهَا لِأَنَّهَا خَلَقَتْ لِلْخَرَاتِيَّةِ وَالسَّبَبِ وَإِنْتَاجِ الْحَلِيبِ .

وَلِمَ حُرِمَ الْخَرَاتِيَّةُ ذَبْحُ إِنَاثِ الْمَاعِزِ ؟

جاء في رسائل إخوان الصفا : « أن من المعتدين عند الخراتية (فولوس وأسر الرومي) لعل في اسم (فولوس) تصحيف ، والاسم الصحيح (فونا) زوجة (فونوس) ربة الأرض والحقول التي كانت كامنة لها قدرة على التنبؤ ، وهي التي حرمت ذبح الماعز ، وجعلتهن للقرىان فقط . وأن لا تقربهن حامل ولا تأكل لحومهن .

* * *

وقد ذكرنا أن الصابئين موحدون على شريعة التوراة وعقيدتهم جبرية في القضاء والقدر . وهو المسمى بالجبر والقدر أو الخير والشر ، وعند المسيح عيسى عليه السلام في الخير والشر ضد ما عند اليهود الفريسيين ، ويتافق هو في الخير والشر مع يحيى عليه السلام . ولكن في كتاب « الصابئون ماضيهم وحاضرهم » :

أن الصابرين يقولون : إن فاعل الخير والشر هو الإنسان ، وأن الله جل شأنه مكون الأشياء كلها ، والعبد يملك إرادة جزئية و اختياراً مطلقاً .

فيحيى عليه السلام يوينج اليهود على عصيانهم لله بقوله : « يا أولاد الأفاغي . من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي . فاصنعوا أمصاراً تلقي بالتربيه . ولا تفكروا أن تقولوا في أنفسكم : لنا إبراهيم أبا . لأنني أقول لكم : إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . والآن قد وضعتم القاسم على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تتقطع وتلقى في النار » {متى ٣ : ٧ - ١٠} ولو كان اليهود مسيرون لا مخربون ، لما كان لتوبيخه معنى .

وعيسى عليه السلام يقول لليهود : « يا أولاد الأفاغي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأتكم أشراراً ؟ فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم . الإنسان الصالح من الكثر الصالح في القلب ، يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من الكثر الشرير ، يخرج الشرور . ولكن أقول لكم : إن كل كلمة بطاله يتكلم بها الناس ؛ سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين ، لأنك بكلامك تستبرر ، وبكلامك تُدان » {متى ١٢ : ٣٤ - ٣٧} ولو كان اليهود مسيرون لا مخربون ، لما كان لتوبيخه معنى .

ويدعى علماء اليهود القرّيين أن الإنسان مسيّر لا مخّير . وذلك لتبرير شرورهم وأثائهم . وقد رد المسيح عيسى عليه السلام ادعاءهم بنصوص من التوراة تدل على أن الله قد خلق الإنسان حراً ، وحمله نتيجة أعماله . ومن هذه النصوص : « إن هذه الوصية التي أوصيتك بها اليوم ؛ ليست عسرة عليك ، ولا بعيدة منك . ليست هي في السماء حتى تقول : من يصعد لأجلنا إلى السماء ، ويأخذها لنا ، ويسمعنا إياها ، لتعمل بها . ولا هي في غير البحر ، حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ، ويأخذها لنا ، ويسمعنا إياها ، لتعمل بها . بل الكلمة قريبة منك جداً . في فمك ، وفي قلبك ، لتعمل بها » {متينية ٣٠ : ١١ - ١٤}

وفي التوراة : أن الله تعالى نسق قلب فرعون ، ومنعه عن الإيمان ، ليهلكه [آخر] ٤ : ٢١} وظاهر هنا يدل على مذهب الجبر . وقد قال المسيح عيسى عليه السلام في ذلك : إن فرعون بغي على بنى إسرائيل وقتل ذكورهم واستعبأ نساءهم .

وأن الله طالب بالإيمان على يد عبده موسى ، فرفض ، وأراه من العجزات ما يستيقن به أن الله موجود ، ثم أذير واستكبر . ولأن ذلك قد حصل من فرعون . فإنه يكون مستحقا للعقاب . و لما أراد معاقبته ؛ صرفة عن الإيمان . وأملكه [آخر] : ٣ } وعلى ذلك لا يكون الله مقسياً قلب فرعون ابتداء ، وإنما لما رأغ فرعون ، أراغ الله قلبه .

وفي التوراة : أنه إذا حصلت شرور في مدينة ما ، فإن الله يكون صانعها . وهذا يدل على مذهب الجبر { عاموس ٦:٣ } وقد قال المسيح عيسى عليه السلام في ذلك : إن الناس يعتقدون أن الخير من الله . فإذا حدث شر ؛ ربما يعتقدون أن الشيطان هو الذي صنعه . فيقربون له القرابين انتقاماً لشره . فأبراهيم أن الخير منه والشر منه ، لئلا يعبدوا إليها غيره .

وفي العالم أشياء مزدبة قد كون الله عليها العالم منذ نشأه . كالبراكين والزلزال والأعاصير وما شابه ذلك . فإذا حدث زلزال في مدينة وأصاب الناس بشرور كثيرة ، فإنه يمكن القول بأن هذا الشر من الله ، لأنه كون العالم على ذلك . وكل ما في العالم من الله ، والناس قادرون بقدرة أودعها الله فيهم على تسخير ما خلقه الله في الخير أو في الشر . فالأشجار خالقها الله . والإنسان يقدر أن يصنع من الأخشاب باباً وستراً . ويقدر أن يصنع منها صنماً . وعلى هذا المعنى يقال : كل ما في الكون من الله . والخير منه . والشر من بني آدم ، لأنهم بدلوا نعمة الله كفرا .

وفي التوراة آيات كبيرة في هذا المعنى . ففي سفر النبي إشعيا : « أنا رب وليس آخر . لا إله سواي . نطقتك وأنت لم تعرفني . لكنني يعلمون من شرق الشمس ومن مغاربها أن ليس بيدي . أنا رب وليس آخر . مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر . أنا رب صانع كل هذه » { إش ٤٥: ٥ - ٧ } ولكن « بُولس » قد أرجع المسيحيين إلى مذهب علماء اليهود الفريسيين في الجبر ، رغم أنف يحيى ويعيسى عليهم السلام . وذلك في الأصحاح التاسع من رسالته إلى أهل روما وما بعده . ومن كلامه : « لأنني يقول لموسى : إنني لرحم من أرحم ، وأنترأف على من أنتراءف . فإذاً ليس لمن بشاء ولا لمن يسعى ، بل لله الذي يرحم ، لأنني يقول الكتاب لفرعون : « إن لي لهذا بعبيه ، أنتك ، ولكن أظهر فيك قوتي ، لكنني بنادي باسمي في كل الأرض » [آخر] ٩ : ١٦ } فإذاً هو يرحم من بشاء ، وبقى

من يشاء . فستقول لى : لماذا يلوم بعد ؟ لاته من يقاوم مشيته ؟ بل من أنت أيتها الإنسان الذى تجاذب الله ؟ أهل الجلة تقول جاذبها : لماذا صنعتنى هكذا ؟ ألم ليس للخزاف ... الخ

ومذهب الجبر ليس فى التوراة . ومن النصوص الدالة على حرية الإنسان : « إن أحست أعلا رفع ؟ » {تك ٤ : ٧} « نفس داتما فى كفى . أما شربتك فلم أنها » {مز ١١٩ : ١٠٩} « النفس التى تخطئهى تموت . الابن لا يحمل من إثم الآب ، والآب لا يحمل من إثم الابن . بر البار ، عليه يكون . وشر الشرير ، عليه يكون . فإذا رجع الشرير عن جميع خططيه التى فعلها ، وحفظ كل فرائضه وفعل حقاً وعدلاً ، فحياة يحيا . لا يموت . كل معااصيه التى فعلها لا تذكر عليه . فى بره الذى عمل ، يحيا . هل مسراً أسر بموت الشرير ؟ يقول السيد المسيح . إلا برجوعه عن طريقه ، فيحيا ... الخ» [مزقيال ١٨ : ٢٠ -]

وما ذكرناه من نصوص التوراة والإنجيل على مذهب الحرية ؛ يهدى مذهب المسيحيين فى قتل المسيح وصلبه ؛ تكفيراً عن خططيها بني آدم عليه السلام . وذلك لأن كل امرىء بما كسب رهين . وبهدم تبريرات اليهود لشروطهم وأثامهم ؛ فإنهم يقولون : لا يقع فى ملكه إلا ما يريد . وهم يعلمون أن الله لا يريد ظلماً للعباد ، ولا يرضى لعباده الكفر .

* * *

١٤ - وما يدل على أن المحرابين موحدون على شريعة التوراة : أنهم يصومون ثلاثة أيام ، أولها لثمان مضيفين من اجتماع آزار ، وتسعة آخر . أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول . وسبعين أيام آخر أولها لثمان مضيفين من شباط . وهي أعظمها ، ولهم تنفل من صيامهم ، وهو ستة عشر وسبعين وعشرون يوماً . روى ذلك عنهم ابن التديم فى الفهرست .

ويقولون عن المذنبين : إنهم يمتنعون عن أكل اللحوم ستة وثلاثين يوماً مقسمة بين أيام السنة على نحو امتاع النصارى عنها . ويقولون : إن المذنبين يمنعون الصيام من طقوسهم الدينية ؛ لاته من باب تحريم ما أحله الله .

واعتراف الناقلين عن الحرانيين بصومهم لا يدل على عبادتهم للكواكب والنجوم بل يدل على عبادتهم لله تعالى .

وهم قد أخذوا صيامهم من التوراة ، ومن يحيى عليه السلام . وفي الإنجيل ما يدل على ذلك . أما من التوراة ففى سفر اللاويين : « ويكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فىعاشر الشهر تذللون نفوسكم . وكل عمل لا تعملون .
الوطني والغرب النازل فى وسطكم » { إلا ١٦ : ٢٩ }

أى فى اليوم العاشر من الشهر السابع خروجهم من مصر ؛ صوم ولا عمل .
لليهودى وللأعمى الداخل مع اليهود فى شريعة التوراة .

وفى سفر أعمال الرسل : « ولما مضى زمان طويل ، وصار السفر فى البحر خطراً ؛ إذ كان الصوم أيضا قد مضى ؛ جعل ... الخ » { أع ٢٧ : ٩ }
وفى الإنجيل : « حيتى أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين : لماذا نصوم نحن والغرسيون كثيراً . وأما تلاميذك فلا يصومون؟ » { متى ٩ : ١٤ }

بهذه السنة عند الصابية :

وتتألف السنة عند المذاقين من ثلاثة وستين يوماً . وهى تقسم إلى اثنى عشر شهراً ، فى كل شهر ثلاثون يوماً . وتبدأ السنة من شهر نisan (ابريل)
وفى التوراة « أنتم خارجون فى شهر أبيب » { بخر ١٣ : ٤ } « هنا الشهر يكون لكم رأس الشهور : هو لكم أول شهور السنة » { بخر ١٢ : ٢ }

الفصل الثامن فى الفرق بين المندائية والحرانية

يفصل المؤرخون بين أ - المندائي ب - والحراني . في العقيدة والشريعة .
رجما بالغيب . والدليل على أن فصلهم من الرجم بالغيب : هو أنهم يذكرون كلاما
ويعتقدون أنه لا تناقض فيه . ومن ينظر فيه بين الإنصاف يجد التناقض فيه .
كالاستاذ محمد عبد الحميد الحمد ، الذي يذكر حججا لنفي العلاقة بينهما . وهي
حجج تدل على إثباتها ولا تدل على نفيها . ولو أنه قال : إن من الحرانيين من
يخالف الجماعة ، لكان لهم منصفا . فإن في كل طائفة عظيمة من طائف الناس ؛
شواذ .

وهذا هو البيان :

- في كتاب «صابة حران وإخوان الصفا»^(١) ، للأستاذ محمد عبد الحميد
الحمد . يقول المؤلف عن الصابرين . المسعون بالصابة :
- ١- إنهم هاجروا من أرض كنعان إلى شمال سوريا على إثر حروب بينهم
وأين اليهود ، هاجروا إلى «حران» واستقروا مدة من الزمن ثم هاجروا إلى
بطائع «البصرة» وهذا مكتوب في كتابهم المسمى «حران كورثا»
 - ٢- إن المندائيين هم الصابيون . وأهل حران الذين هاجروا إلى بلادهم هم
قوم كانوا يبعدون الكواكب من قبل الهجرة . ولسكنى المندائيين وأهل حران في
مدينة واحدة ، ظن الناس أن المندائيين يبعدون الكواكب ، وأطلقوا على أهل حران
لقب الصابئين .
- والحق : أن المندائيين ينكرون أي صلة لهم بالحرانية ، كمذهب ديني .
- ٣- قال المستشرق «خولون» : إن الحرانيين لم تكن لهم وحدة مع
المندائيين .

(١) طبعة سوريا ١٩٩٨ نظر الأمل .

٤- قال المستشرق «أو ليرى» إن الصابئة الحقيقيين هم المندائية في جنوب «العراق» ولا علاقة لهم بـ «حران»

٥- وقال الاستاذ محمد عبد الحميد الحمد : وأنا سأدلى بالحجج التالية لتفيد العلاقة بين الحرانية والمندائية :

و قبل أن نذكر حججه ، نذكر : أن اليهودي كان يعبد الصنم ، ويؤهم الناس أنه حراني أو مندائي ، ليبني المخزى والعار عنه ، وليرى الناس أن الصابئي ليس هو التابع ليعسى الذي كان يبشر بمحمد ﷺ وإنما هو عابد الصنم . وغرضه من ذلك : اللغو في حقيقة الصابئة حتى لا يسع الناس في الدخول في الإسلام .

ومعنى هذه هي حججه :

(١) اختلاطهم في بناء المعابد :

يسى المندائية معبدهم (بالمندي) وهو عبارة عن كوخ من القصب ، منصوب على شاطئ نهر جار أو نبع ماء جار حى ، وياب المندى متوجه نحو الجنوب ، ومحرابه نحو الشمال (نجم القطب)^(١) لاعتقادهم أنه المكان الذي يحكم فيه ، على أعمال الناس بالصلاح ، أو الفساد يوم القيمة .

ومعابد المندائية خالية من أي «تمثال أو صنم » لتقديسهم الماء الحى الجارى . وفي المندى يمارسون صلواتهم العلنية بعد تعمدهم بالماء الجارى ، وفيه يعقدون قران رواجهم ، وفيه يقدمون القرابين في الأعياد . جاء في كتابهم (الكتز ريا) : « كل من صنع تمثلاً ، أو صنماً أو جسماً ليعبده من دون الله ، تكتوى شفاهه ويداه بنار حامية ، ويتمنى الموت ، ولكن الموت لا يدركه^(٢) »

بينما بني الحرانية ، معابدهم الحجرية ، على الطرز المعمارية للمعابد الوثنية الرومانية ، وأقاموا فيها هياكتل وتماثيل للكواكب السبعة ، وفيها يمارسون صلواتهم بصورة سرية . حكى عنهم الحارث بن سنان بن سبط الحراني - وهو من ملکة النصارى ذو معرفة ودرية بمناهب القوم - قال : « إن لهم هياكتل على أسماء

(١) نحو نجم المجلد

(٢) سليم برلمى من ٢١٦ الصابئة المندائية - ترجمة احمد جابر - دار المدى ١٩٩٧

الجواهر العقلية أو الكواكب . فمن ذلك : هيكل العقل ، وهيكل النفس أو الصورة وهذه مدورات الشكل . وهيكل رحل (مكعب) وهيكل المشترى (هرم) وهيكل المريخ (مستطيل) وهيكل الشمس (مربع) وهيكل عطارد (مثلث) وهيكل الزهرة (مثلث في جوف مستطيل) وهيكل القمر (مثمن الشكل) وكانوا يقلدون لها القرابين ، والبخار في أعيادهم^(١) .

إن الاختلاف في بناء المعابد ، كان استجابة لشروط المناخ والجغرافية ، حيث المناخ المعتمل المائل إلى الحرارة ، والمياه المتدايرة باستمرار والفيضانات التي تدمر معالم الحياة ، على شواطئ نهري دجلة والفرات .

التعليق :

إنه اعتمد في حكمه عليهم على رجل من أعدائهم هو من النصارى الملاكانية . وما يدل على أن الذين يقال إنهم الصابئة ؛ من اليهود : هو أن الله أمر اليهود ببناء مساجد متواضعة غير مشيدة . ذلك قوله : « ملبيحا من تراب تصنع لى ، وتنبئ عليه محرقاتك وفبانع سلامتك . غنمك ويقرك . في كل الأماكن التي فيها أصنع لا سمى ذكرها ، آتى إليك وأباركك . وإن صنعت لي ملبيحا من حجارة ؛ فلا تبني منها منحوته . إذا رفعت عليها إرميلك تندسها ، ولا تصعد بدرج إلى ملبيحى ، كيلا تنكشف عورتك عليه » { خروج : ٢٠ - ٢٦ }

ولذلك كانت مساجدهم من القصب . وفي أيام إجبار الرومان لهم على المسيحية الحالية ؛ بنى لهم الرومان مساجد مشيدة على طراز المعابد الوثنية . وقد صلوا فيها كرها .

(٢) اختلافهم في طقوس الصلاة :

الصلاه هي عماد الدين في كل ديانة . وتسمى الصلاه « البراختة » أي المباركة ، وتبثق عند الصابئة (بالرشامة) أي الوضوء . بتلو المصلى المنداني قبل غسل يديه ، ووجهه ورجليه : « بسم الله تعالى ... واسم الملك مندا . وهو الملك المقرب من عرش الله . السلام عليك ، أيها (برباوس) أيها الطاهر الجارى . نوبت الصلاة لله

(١) المسعودي ج ١ ص ٤٦٥ لاحظ : أن هنا هو عمل اليهود في كتب السحر التي يعلمونها لتعليم الناس .
كتاب شمس المعارف الكبرى ، والسبع عود السلمانية وغيرها .

الواحد الأحد . وعليك السلام يا (برياوس) أيها الملك المقرب من العرش ، ويأ
حارس الحياة الجارية^(١) .

ويصلى المذاقى ست صلوات . ثلات في النهار ، وثلاث في الليل .

أما الحرانية فالمفترض عليهم من الصلوات في كل كل يوم ثلاث .

أولها : قبل طلوع الشمس بنصف ساعة ، وأقل ، لتنقضى مع طلوع
الشمس ، وهي ثمانى ركعات وثلاث سجادات في كل ركعة .

والثانية : انقضاؤها مع زوال الشمس ، وهي خمس ركعات ، وثلاث
سجادات في كل ركعة .

والثالثة : مثل الثانية وانقضاؤها عند غروب الشمس .

وصلواتهم النافلة هي بمنزلة الوتر عند المسلمين ، ثلاثة في كل يوم ، الأولى
في الساعة الثانية من النهار ، والثانية في الساعة التاسعة من النهار ، والثالثة في
الساعة الثالثة من الليل (الترقيت بالعربي اليوم ١٢ ساعة يبدأ من طلوع الشمس في
الساعة الأولى والغروب الساعة الثانية عشر) ولا صلاة عندهم إلا على طهور^(٢) .

التعليق :

إنهم يصلون ثلات صلوات على عند صلوات اليهود ، و يصلون صلوات
النواقل . فلمن يصلون إذا كانوا موسومين بعبادة الكواكب ؟

(٣) طقوس قبول الحديث في الديانتين :

يتجلى الاختلاف واضحاً بين الديانتين المذاكية والحرانية ، في شعائر قبول
كل منها للحدث في استلام مبادئ الديانة .

كيفية عمادة طفل عند المذاكية :

العقيدة الأساسية عند المذاكية « كل من تعمد بالمعرودية يسلم » وهي
بالآرامية « إتش صابي بصبته شلمي » في هذه المقوله تتعكس كل عقيدتهم .

(١) سليم برلمى من ٢٢٦ الصابات ..

(٢) المذاكية .

- يحضر الطفل قبل العيادة مع كفليه « الاسكندر » إلى الكاهن « الترميد » ومعهما غصن أخضر من الأ肯 ، ووعاء ملن بالماء (الكبش) وفيه خاتم من نحاس أصفر ، وطير أبيض من حمام ، ويتجه الجميع إلى شاطئ النهر الجارى .

- يؤدى الحدث المراد تعميله « الرشامة » أي الوضوء ، وهو داخل الماء الجارى ووجهه نحو الشمال ، بينما يقف « الترميد » نحو القبلة ، ثم يلف الغصن على شكل إكليل يضعه على رأس الحدث ، ويعلمه عصا من الزيتون « مركته » ويقوم الكاهن بالأدعية ، بعد أن يسأل الطفل عن اسمه في العيادة « ملواشه » ويحدد الساعة والشهر الذى ولد فيها الطفل المعبد .

- ثم يستمر الترميد بالدعاء « البوته » ويوضع على رأس الطفل قطعة من القماش الآييفن فوق إكليل الرأس ، ثم يضع فى خنصر يد الطفل أو الحدث الآمين الخاتم .

ومكتوب عليه بالأكرامية « الشوم يارو » ومعناه « الله العين »^(١) ويظل هذا الخاتم بيده مدى الحياة ليقبر معه .

- ويردد الطفل المتعمد أو وكيله : « أنا المعبد (فلان بن فلان) قد غطست فى الماء الجارى الطاهر المقدس ، وتعتمدت كمعبد (بهرام) ابن الأجداد الكبار ، وإن تعميلي هنا سيخفظنى من شر الشياطين ، ويعملنى عنها ويزيد ، إيمانى ليذكرنى دائمًا، باسم الله الكبير والعظيم^(٢) ، واسم الملك (مندادهى) الملك العظيم ، ثم يغطس فى الماء الجارى ثلات مرات وهو متوجه نحو الشمال^(٣) »

ثم يتوجه الحدث أو كفليه نحو الكاهن ويقول : أنا ويقدرة من الله والانتكال عليه^(٤) ، ويكامل رغبته ، وحرىتى ، دخلت الماء الجارى ، وتعتمدت استناداً لعاداتى ، وقبلت الطهارة ولبست لباس الدين الطاهر ، ووضعت الإكليل المقدس النورانى على رأسي . ويشهد هذا الماء الجارى على أعمالى الحسنة^(٥)

(١) لاحظ : الله العين . وهذا يدل على معرفتهم بالله .

(٢) لا حظ : ويزيد إيمانى ليذكرنى دائمًا باسم الله الكبير العظيم .

(٣) البه والتاريخ ج ٤ ص ٢٢ .

(٤) لاحظ : ويقدرة من الله والانتكال عليه .

(٥) لاحظ : على أعمالى الحسنة .

- ثم يأخذ الكاهن قبلاً من الماء براحتيه ليسقى التعمد .
- ثم يغمس الكاهن يده بزيت السمسم ويسمح على وجه التعمد ، ويطلب المغفرة له ولوالديه^(١) ، ثم يأخذ منه (الكشتا) العهد والميثاق .
- ثم يشرع الترميدة ، بذبح الطير ، وهو يدعوه « عليك اسم الله ، واسم الملك متداهنه الملك المقرب من عرش الله »
- وعندما يتم الفداء عن التعمد يقول الكاهن : « لياركتني اسم الله تعالى واسم الملك متداهنه المقرب من عرش الله ، إنسى أديت عمل الذبح بسکین حديدي بأمر من الله ، وإلهه غافر لذنبوي »^(٢)
- ثم يقدم الترميدة ، الخبز المقدس (البهتان) المكون من القمح والملح والماء ، ويقدم معه بعض فاكهة الموسم ، كالجحور والتمر والرمان والبصل ، وطير الحمام ، ليأكل منها الحدث التعمد .
- ثم يقلد للتعمد لباس الرسته (المكون من خمس قطع) ثوب أبيض وعمامة بيضاء وحزام صوفي (الهريانه) وسروال أبيض (شلوار) وشال أبيض تلتف به الرقبة .
- ثم يبارك الترميدة ، الكفيل ، والحضور . ويعرف البخور (الستانوس) ذو الرائحة الزكية .

كيفية اطلاع الحدث على أسرار الملئع عند الحرانية :

البيانات السرية والمذاهب المغلقة ، تنهي أفرادها قبل استلامهم مبادئ الدين في طقوس خاصة بهم . ومن تلك البيانات وأصحاب المقالات (الحرانية) وفي رسائل إخوان الصفا^(٣) وصف دقيق لكيفية استلام الحدث لدينه . قالوا:

- يحضر الفتى ومعه كفيله ، في يوم معلوم ، يجمع رئيس الكهنة فيه كل الأحداث الذين يودون « سماع السر » في الصباح الباكر من يوم الاحد^(٤) .

(١) لاحظ : ويطلب المغفرة له ولوالديه . أى من الله

(٢) سليم برغمى من ٢٣٧ الصابرة الثانية .

(٣) إخوان الصفا : من اليهود

(٤) يوم عطلة المسيحيين . ومنها يدل على أنهم مسيحيون

فيعرى أحدهم ، ويقبض على عضده كاهنان ثم يدخلانه ، وهو مشدود العصابة على عينيه ويُمشى القهقري حتى يصل إلى (قبر الأقداس) في المعبد فيدخل ويطبق الباب ، والسرج تندد ، والمجامر تدخن بأنواع البخور والدخن العطرة .

يقول الكاهن : أحب أن تدخل في ديتنا ، وتسمع ملائكتنا ؟

يجيب الحدث : نعم .

الكافر : إن أقمت على ديني ، وحفظت سري ، فإن رأسك . يقى عاليًا ، وإكليلك ثابتًا .

يخاطب الكاهن الكفيل : أتكلفه على إقامته على ديني وحفظ سري ؟

الكفيل : نعم .

- يضع الكاهن الحدث على بساط أمام المائدة ، والفتى على جانبه اليسير ، ويتلو على رأسه أسماء الملائكة وهي (٨٧) أسمًا على رأسهم (جرجان) ثم يتبع الكاهن كلامه : « طوباك إذاً من أهل للاستماع لهذه الأسرار فإن الله يظهرك » ويتناول سكبينا من الحديد ليذبحه . فيتقدم الكفيل ويقدم خاتمه رهنا عنه . ويقول : إنه سيفحظ الناسك ، ويقيم على الدعوة ، ويكتم السر . فيعيد الكاهن الخاتم إلى الكفيل ، ويأخذ بدلا عنه الديك ، وهو يقول : « إنني أتبلي نفسي بذلك نفس ، وأندبه بين يدي الشمس ، المحية للنفوس وجرجاس » ويقوم بعملية ذبح رمزية على عنق الحدث وهو يتعمّت : « يا جرجاس ، اقبل هذه الذبيحة ، واترك هذا الغلام لأبوبه »

- ثم يحمي على السراج خاتم من حديد ، ويكون يد الطفل اليمنى ، مكررا ذلك (٩٩) مرة . ثم يكرره ، ببعض عيذان الطرفاء ، كيا لطيفا ، على صدره وجنته ثم يلبسه ثيابا بيضاء ، وخفقا من جلود القرابين الطاهرة ، ويشد وسطه بعمامة بيضاء ، ويعطيه فصا من ملح على صورة مثلث ، رمز عطارد^(١) .

وفي عملية الذبح والفسداء إعادة للموروث الأرامي القديم عندما اندى إبراهيم الخليل ابنه بكبش **« بذبح عظيم»** وأما استبداله بالديك ، فلان سفراط قال

(١) رسائل إخوان الصفاج؛ ص ١٨٣ .

موصياً عند موته : « اذبحوا عنى ديكا في الهيكل فإنه نذر علىَّ »

التعليق :

إنه نقل عن إخوان الصفا . وهم جماعة مشكوك في دينها . والحق : إنهم من اليهود . وظهر من التقل إعترافهم بالله ، وعلمهم الاعمال الصالحة ، وطلب المغفرة من الله واعترافهم بعرش الله العظيم .

اختلافهم في عقيلة الحشر والمعد :

الديانة المندائية ، ديانة موحدة وتؤمن بخلود الروح ، وبالحشر والمعد .
وعندما يموت الإنسان تبقى روحه ، تخوم حول القبر ثلاثة أيام ، ثم تمحاسب في اليوم الثالث قبل أن تنطلق في عروجها نحو السماء السبع ، وفي اليوم السابع ، ترتفع نحو السماء الأولى .

وفي اليوم الثلاثين تصل إلى السماء السابعة ، وفي اليوم الخامس والأربعين ، تصل إلى مكان الحشر (الملاذا إيتاهيل) المكان الذي تورن به الحسنات والسيئات ، ويحكم على الأرواح إما بالثواب أو بالعقاب ، وتظلل تتضرر ، حتى يوم القيمة ، ليعود إليها جسلها ، وتستقر بالجنة (الماد نهورا) أو جهنم (الماد هشوحا)

- أما في الديانة الحرانية ، فإن النفس خالدة أيضا ، ولكن النفس بعد الموت تخل في جسد آخر (تناسن)^(١) إذا كانت ذات أعمال سبعة في الحياة الدنيا ، وتظل تبدل أجسامها حتى تطهر من الأدران ، بالمعرفة الإلهية ، فإذا تطهرت النفس ارتفعت إلى عالم القدرة (عالم الأفلاك) وتظل تنتظر يوم الحساب لتنعم برؤبة الباري سبحانه .

التعليق :

إنهم يتظرون يوم الحساب لرؤبة الله تعالى . فكيف مع اعترافه بهذا ؟ يقول إنهم يعبدون الكواكب ؟

(٥) وفي الديانتين اختلاف في الدفن وتوجيه القبور :

فالمندائيون تتجه قبورهم (القاروا) شمال - جنوب . وللقرير في الأعلى شكل دائري ، ويوجه الوجه باتجاه الشمال . وتدفن مع الميت ، قطعة من الخشب ويضعون في فمه حصاة صغيرة ، أو قليل من التراب ويدفن مع الميت خاتم العمادة.

(١) تناسخ الأرواح موجود عند النصارى .

اما الحراثيون فقبورهم تتجه غرب - شرق . ويكون الرأس باتجاه الغرب . والوجه نحو الاعلى باتجاه الشمال الشرقي ، ويدفن مع الميت متساعه ، وثيابه وخاتمه . وخواتيمهم عليها تماثيل منحوتة على حجلة صغيرة (ومعظم فصوص الخواتم من العقيق) ولقبور الحراثية شواهد طويلة على شكل التماثيل . وفي كلا الديانتين الحراثية والمندائية، لا يظهرون الحزن على الميت . فاللطم والبكاء محظى .

(٦) اختلافهم في عقبية قدم العالم :

للمندائية أسطورة حول خلق العالم مفادها :

أن العالم تم خلقة على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : استغرقت ستة آلاف روبيان (أى ما يعادل سبعين مليون سنة) وفي هذه المرحلة لم تكن الأرض فى البلادية جامدة ولا باردة ، وليس لها حدود واضحة ، ولم يكن عليها أثر للحياة وال عمران .

المرحلة الثانية : استغرقت ستة آلاف روبيان أيضا ، وفي هذه المرحلة بردت الأرض وغطى سطحها مياه آسنة متغيرة ، خرجت منها كائنات صغيرة .

المرحلة الثالثة : استغرقت ستة آلاف روبيان ، وفي هذه المرحلة خلق الله الملائكة والسموات السبع ثم خلق الله بعد مائة سنة (آدم) فهاجمته كائنات شريرة فناداه الله : يا آدم . تقدم وكن صاحب هذ الأرض ، وهبط الملائكة (الملك اميريل زوا) ووضع على رأس آدم إكليلا من الأorns ، وهو رمز النور والطهارة .

ثم تطورت أسطورة خلق آدم الذى هبط فى جزيرة سرنديب . وتقول الاسطورة: إن الله أخذ من طين الأرض ، وصنع بيكل آدم^(١) ثم تقلفت (نشمت) فى الجسم واستغرقت ذلك (٤٤٥ ، ٣٥٦) سنة ثم دب الفساد فى الأرض بعد آدم فظهر آدم شتيل ليعيد العدالة للمجتمع البشرى ثم خلق له من نفسه حواء ، لتكون له زوجا ومؤنسا وانطلقا فى الأرض ، وعاشا على الزراعة ثم صارت حواء تتوجب توأمين ذكرها وأنتى ، ثم أرسل سبعين شخصا من الملائكة مع أسرهم ليتزوجوا

(١) هذه القصة على هذا النحو موجودة فى التلمود ، فيكون الصابية من اليهود .

مع البشر ليكثر العالم ، وكانت تعاليم آدم الأولى هي مضمون كتاب الكتب ربها .

ثم أرسل الله لأدم ملائكة ، فقضى روحه ، وعرجا بها إلى السماء ثم أرسل الله بعد (٢١٦) ألف سنة رجلا صالحاً مسؤلنا يسمى (رام) تسانده زوجته (روود) استطاعا أن يعيدا الهدوء إلى البشرية ، وأزالا الحقد والكفر وعدم الطاعة والفسق ، وأقاما العدالة .

ثم ظهر رجل مؤمن آخر بعد مرور مائة ألف عام ، ثم ظهر (شوريامي) ترافقه زوجته (شرحيل) واستطاعا قيادة الناس ، بعون الله ، ولكن بعد مرور (٩٢) ألف سنة نفشت الشرور وساد الجهل وعدم الفساد ، فأرسل الله (نوح) تسانده زوجته (تورثيا) وأمره أن يصنع فلكاً طوله (٣٠٠) ذراعاً وعرضه (٥٠) ذراعاً ، وارتفاعه (٣٠) ذراعاً ، وكان الفلك من شجر السنديان . ثم أتتهه أن يأخذ من كل الحيوانات ، من كل زوجين اثنين وأمطرت السماء (٤٢) يوماً وليلة حتى غطى الماء أركان الكرة الأرضية بما فيها قمم الجبال ، وطافت السفينة على سطح الماء (أحد عشر شهراً) ثم رست إلى جانب جبل (فاردن) عندما أعلنت له الحماة البشرة بغضن الريتون .

وأخرج (نوح) الحيوانات من السفينة ، ونشرها في الأرض ، وصنع مما يبقى منه من الحبوب طعام (العاشرية) وكان ل Noah أربعة أولاد هم : (شوم بن نوح) أي سام . وبعده الصابئة جدهم الأعلى ، وهو الذي ولد قبل الظوفان ، أما أولاد Noah الثلاثة (يام وحام ويافث) فقد ولدوا بعد الظوفان .

في هذه الأسطورة دليل على امتداج ثقافة بلاد ما بين النهرين بثقافة فلسطين لأن اليهود قد تأثروا بعد السبي بالفكر الكلداني بعد عام (٥٨٦ ق.م.) وعندما دونت التوراة ، كانت مزيجاً من المعتقدات ، التي تأثرت بها المذاهب فيما بعد (١) .

التعليق : المذكور عن آدم وحواء ونوح مذكور في التوراة .

أسطورة خلق العالم عند الحرانية :

إن أسطورة خلق العالم عند الحرانية ، أقرب إلى الفكر اليوناني ، إنها نظرية هرمس الحكم في خلق العالم . قال مار يعقوب الرهاوي : لقد ورد في كتب

(١) مسلم برغم ص ٥٩ .

الحرانية أنهم يقولون : إن السماء والارض والشمس والقمر وسائر الكواكب هي أزلية غير مخلوقة ، وهي آلهة وأرباب ، وهم سادة هذا العالم ، وأولوه اهتمامهم . وقبل خلق العالم ، كان يرفرف فوقه روح الله . ويقولون : في البدء كان كل شيء ظلاماً وما ياماً قبل أن يكون هناك آلهة وبشر . وكان الروح يرفرف فوق المياه السائلة . قال الروح : فخلقت هذه كلها ووضعت لهم أسماء وأرضاً وأبراجاً ، صورت فيها تماثيل جعلتها وجهات ليرتهم ثم خلقت (بعل) أولاً وبعده (ما رود) سيداً للآلهة ، ومن ثم البقية . وجعلت الشمس والقمر سلطانين على الليل والنهار ، وهكذا جاء كلامهم مطابقاً للحق^(١) .

- ثم يتكلم الصابية عن خلق آدم ونوح وإبراهيم طبقاً لما جاء في التوراة وليس كما ورد عند المذاهب .

التعليق :

قوله طبقاً لما جاء في التوراة ؛ يدل على أنهم نقلوا منها . وقولهم بقدم العالم يقول به بعض المسلمين . مع أنه يهدى الدين هنا .

٦ - ومن المفكرين والباحثين في النحلة المندائية الباحث العراقي عبد الرزاق الحسيني كتب عنهم دراستين :

قال في الدراسة الأولى : إنهم عبدة الكواكب ، ووحد بينهم وبين الصابية الحرانية .

ثم قال في الدراسة الثانية بعد أن اطلع على كتبهم وحقيقة شعائرهم : «إنهم قوم يؤمنون بالخالق جل شأنه . واحد أرلى ، لا أول لوجود ، ولا نهاية ، متزه عن المادة ، لاتناله الحواس ، ولا يغوص إليه مخلوق ، وأنه لم يلد ، ولم يولد ، وهو علة وجود الأشياء ومكونها . ولا يختلف اعتقادهم في الخالق عن اعتقاد المؤمنين . وأن الله يفصل بينهم يوم القيمة ، يقول تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة الحج : ١٧)

(١) كتاب الأيام الستة من ١٠٩ مل بعقوب الرهاوي .

إن المندائية طائفة مؤلهة ، يتبعون وصايا نبي الله بحى - عليه السلام -
ويقدسون الماء الحارى ، ويعملون به *

وفي كتاب صابنة حران :

من أطلق على الحرانية اسم الصابنة ؟

الحرانيون لا علاقه لهم بالصابنة الوثنين الذين كانوا في زمان إبراهيم عليه السلام ، وكان أهل الرها يطلقون عليهم أسماء متعددة منها (الكلدان والخروف والحراتيون) ولم يذكر بين تلك التسميات اسم الصابنة كاسم وثني .

وهذه التسمية أطلقت عليهم في القرن الثالث الهجري ، عندما اجتاز الخليفة المأمون سنة ٩٣٢ هـ مدينة حران فتلقاء الناس يدعون له ، وفيهم جماعة من الحرانيين وكان زيهم ليس الأقبية ، وشعورهم طويلة ، بوفرات كوفرة (قرفة) جداً «سنان بن ثابت» فأنكر المأمون زيهم ، وقال لهم : من أنتم من أهل الذمة ؟ فقالوا : نحن الحرانية ، فقال :

أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا ... قال : فيهود أنتم ؟ قالوا : لا . قال :
نجوس أنتم ؟ قالوا: لا .. قال لهم : أنلكم كتاب أم نبى ؟ فجمجموا في القول ،
قال لهم المأمون : فأنتم إذا الزنادقة عبادة الاوثان وأصحاب الرأس أيام الرشيد
والدى ، وأنتم حلال دماذكم ولا ذمة لكم . فقالوا : نحن نزدی الجزرية . فقال
لهم : إما تأخذ الجزرية من خالف الإسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله عز
وجل في كتابه . وأنتم لستم من هؤلاء فاختاروا أحد أمرئين (١) :
- إما أن تتحلوا دين الإسلام .

- أو دينا من الأديان التي ذكرها الله في كتابه . ولا قتلتكم عن
آخركم . وإنى أنظرتكم إلى أن أرجع من سفرتى هذه . ورحل المأمون يريد بلاد الروم
فماذا حدث بعد ذلك للحراتية ؟ إنهم غيروا زيهم ، وحلقوا شعورهم ،
وتركوا ليس الأقبية وتنصر كثير منهم ، ولبسوا الزناتير ، وأسلمت منهم طائفة
ويقى منهم شرذمة ، على حالهم ، وجعلوا يحالون ويضطربون ، حتى اندب لهم

(١) واضح منه القصة يريد أن يظهر دين الإسلام بمظهر إكراه الناس عليه ..

شيخ من أهل حران فقيه . فقال لهم : قد وجدت لكم شيئاً تنجون به وتسلمون من القتل . فحملوا إليه مالاً عظيماً من بيت مالهم الذي أحذثوه منذ أيام الرشيد لهذه الغاية وأعدوه للنواب ، قال لهم الشيخ : إذا عاد المأمون وسالمكم عن دينكم فقولوا له : نحن الصابرون ، فهذا اسم دين ذكره الله في القرآن ، فاتحلوه فائتم تنجون به »

هذه أول إشارة إلى واقعة تاريخية هي اتحال الحرانية لاسم الصابئة . ومن اتحل منهم الإسلام وخشي العودة والارتداد عن الإسلام أعلنوا الإسلام واتخذوا الأسماء الإسلامية غطاء ، وهذه هي التالية عند الحرانية ، أو الصابئة الجدد كانوا يضمرون دياتهم سراً كما فعل آباء محمد بن جابر بن سنان الباتني وهو ابن أخت ثابت بن قرة الحراني، وقد أبى الباتني تسمية زوجه العظيم إلا باسم (الزيج الصابئ) وعندما خضع أهل حران للدين الإسلامي كان اسمهم الحرانية . قال مار يعقوب الرهاوي (المتوفى ٧٠٨) في كتابه الأيام الستة : « عندما اطلع على كتاب هرمس الحكيم وهو من كتاب الحرانية المقدسة قال عنهم : مؤلاء القرم عند الناس لهم أسماء مختلفة منها الكلدان والمحتفون^(١) . ولم يذكر اسم الصابئة بين تلك الأسماء .

أما الكندي فإنه دعاهم بالصابئة ، وقد نقل أحمد الطيب حكاية عنه : « إنه نظر في كتاب قرة مؤلاء القرم وهو مقالات لهرمس في التوحيد لابنه على غاية من الققاوة في التوحيد لا يجد الفيلسوف إذا أتعب نفسه ، متذوحة عنها ، والقول بها ومؤلاء القرم دعوا إلى الله وإلى الخفيفية التي يتسمون بها »

التعليق :

قال : إن الاستاذ عبد الرزاق الحسيني في دراسة له وحد بين المدائني والحرانى . وقال : إنهم دفعوا الجزية على أنهم أهل كتاب في القرن الثالث . وقد قلنا من قبل إنهم دفعوها في بدء الإسلام . وقال : إن الكندي دعا الحرانيين بالصابئة وقال إنهم موحدون .

(١) الأيام الستة ص ١٠٠ مار يعقوب الرهاوي .

عادات وتقالييد حرانية :

شعائر الزواج والطلاق :

كانت الأسرة الحرانية وحلة إنتاجية ، مكفيّة بذاتها من حيث إنتاج الطعام واللباس وكانت المرأة تلعب دورا هاما ، في اقتصاد الأسرة . وهذه الأهمية ورثتها حتى توريث العقبة الدينية للأبناء . فالدين مرتبطة بالام .

وكان الزواج محصورا بين أبناء الطائفة وإن كان يفضل الابتعاد في النسب . لاعتقادهم أن زواج الأقارب يورث الوهن والبهق وكثرة الشعر والإصابة بالصمم .

وكان الحراني الذي يتزوج من خارج الطائفة يعتبر خارجا على الدين بصورة تلقائية^(١) . وكان زواج الآشى لا يتم إلا بولي وشهود ، وزواجهم من واحدة فهم لا يقررون مبدأ تعدد الزوجات على عكس الصاببة المندائية الذين يقررون بل ويمارسون تعدد الزوجات^(٢) .

وكانت الحرانية لا تحض على طلب الملنات فهم لا يطاؤن المرأة إلا من أجل الولد ، ويعتزلون الطامت ، ويحرمون الرضاع من الغير ، خشية العقاب في الآخرة^(٣) .

(١) الفهرست من ٣٨٤ .

(٢) الفهرست من ٣٨٣ . ونعدد الزوجات مسروح به في شرعة التوراة فإن ملود عليه السلام تزوج كثيرا . من الحرائر والإماء . وكذلك سليمان . ففي الأصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول : « وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السريري » . وقوله بالزواج واحدة ، أخليوه من المبixin ، وقوله عن الحرانية : « ويعتزلون الطامت » أخليوه من التوراة ونصله :

ولما كانت امرأة لها سيل ، وكان سيلها دما في لحمها ؛ فسبعة أيام تكون في طئتها . وكل من سهاها ، يكون نهما إلى الماء ، وكل ما يتضطبع عليه في طئتها يكون نهما ، وكل ما تمجلس عليه يكون نهما ، وكل من من فراشها يفضل ثيابه ويستحم به ويكون نهما إلى الماء . وكل من من مناعا تمجلس عليه ؛ يفضل ثيابه ويستحم به ويكون نهما إلى الماء ، وإن كان على الفراش أو على الماء الذي من جالسة عليه عندما يمسه ؛ يكون نهما إلى الماء ، وإن اصطبح معها رجل فكان طئتها عليه يكن نهما سبعة أيام . وكل فراش يتضطبع عليه يكن نهما » [لارين ١٥: ١٩ - ٢٤]

وقوله عن الحرانية : إن نصب الآشى كنصب الذكر ؛ أخليوه من التوراة

(٣) الصاببة المندائية ج ١ ص ٣٩ تأليف سليم برلمجي - ترجمة أحمد جابر - طار المدى ١٩٩٧

أما من حيث البرات فللمرأة كنصيب الذكر سواء سواء . والمرأة المطلقة لا ترد ، وعقد الثيب ينجز الكاهن الذي يقوم به ، ولا يسمح في الطلاق إلا في حالات محددة ، حين ثبوت الزنا والمرض المزمن والسرقة أو ترك الصلاة عن عدم .

اللباس والزيمة :

اللباس من المفاخر الثقافية الملموسة في حياة الشعوب ، فإذا كنت في أكبر مدن العالم مثل (نيويورك) تمجد هناك تعدد الأعراق والأجناس ويمكنك أن تميز بسهولة الرجل (اليهودي) من لبسه اليرموكة على رأسه ، ومن لحيته الكثة ، وجداه شعر رأسه ، وستره الطويلة قبل أن تسأله عن اسمه أو دينه .

ويمكنك التعرف على الرجل الهندي من طائفة (السيخ) من عمامته الملونة ولحيته الكثة وسوار يده اليمنى ، والرجل المسلم من عمامته والكافن اليسوعي من لباسه .

فاللباس إذاً إحدى السمات الثقافية التي يتوارثها الأفراد جيلاً جيلاً .

وكان الحرانيون يلبسون الأقنية القطنية البيضاء ويمكنك معرفتهم من وفرات شعر رءوسهم المكشوفة وهم الذين أثاروا انتباه الخليفة المأمون عندما مر بحران وسألهم عن ديانتهم فقالوا له : نحن الحرانية^(١) . وعندما هددهم المأمون ، غيروا أزياءهم وقصوا شعورهم . وكان الحرانية يحرمون لبس اللون الأزرق على الرجال كالمنادية اليوم ولباسهم المفضل الثياب القطنية البيضاء .

وكانت نساؤهم يلبسن الجلابيب الطويلة السوداء ، المطرزة بخيوط حريرية ملونة ويتلشنن بالخمر الحريرية السوداء أو الملونة . ويتحلبن بالذهب والفضة والأحجار الكريمة .

وكان الرجال يضعون في خناصر أيديهم خواتم من الفضة . عليهما نصوص ملونة مزينة بصور ، قال ابن النديم : « وشاهدت بأصابعهم خواتم منقوشة على نصوصها تماثيل حيونات تصلح - بزعمهم - لفنون شتى . فسألتهم عن مصدرها

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٩ .

فزعوا له أنهم يصيونها في قبور موتاهم القدية فيتركون بها ،^(١)

طقوس الموت والدفن :

إن الأساطير التي تضمنتها (محاورة فيدون) لافلاطون قد تناولت أصل الروح وهبّوها ثم انتقالها من جسد إلى آخر . لقد وثبت تلك المحاورة فيضًا من القوة في معاكسة فكرة الموت ، واستمرار الحياة بعد الموت (بالناتسخ) وساعدت تلك الفكرة في إثارة نشاط الناس وتنظيم فعالاتهم^(٢) .

قال هيروميروس : (النوم صنو الموت) هذه العبارة خلاصة عقيدة انحللت من أحقاب بعيدة في تاريخ البشرية . وكان الحرانية يعتقدون بها . وهي أن نفس الميت حتى بعد تقمصها بجسد آخر تتخلل قرية من اليت الذي عاشت فيه .

كان الحرانية يقدمون الطعام لروح الميت لمدة سبعة أسابيع ، ويسمون ذلك الطعام (اللوفاني) والغريب أن هذه الطقوس لا زالت دارجة في مدن الجزيرة وعلى ضفاف الفرات ، وتدعى تلك الصدقة (عشيات الميت) وهذه من رواسب ثقافة قديمة.

ومن عادة الحرانية الاستعداد لتجنيز الميت قبل خروج الروح من الجسد ، لأن الروح لا تظهر إذا لم تخرج من بدن ظاهر ، لذلك يجب غسل الميت ساعة احتضاره وإلا تغير تطهيره وحرمه^(٣) .

وفي كتاب «أصول الصابئة المندائيين ، وعقاداتهم الدينية» ، تأليف الأستاذ عزيز سباهي - دلو المدى بسوريا ١٩٩٦ .

١- «إن النصوص التي توغل في القدم لاتشير إلى أن المرأة قد شغلت مركزاً دينياً لدى المندائيين ، وربما كان هذا الموقف استمراً لتقليد سابق ، يرجع إلى يوحننا المعمدان ، وطوائف البحر الميت التي كانت تحفظ إرث المرأة »

(١) القهرست ص ٣٨٦

(٢) الصابئة نديما وخطيبا ص ٤ عبد الرارق الحسيني ، مكتبة الحاخامي بالقاهرة ١٩٣١ .

(٣) القهرست ص ٣٨٦ .

- ٢- « ولد يوحنا المعمدان . إما في ٧ أو ٦ ق م في «جبرون» أو في القرية التي تدعى الآن «عين كارم» إلى الشمال الغربي من «بيت لحم» والتي تبعد بحوالى ٢٠ ميلاً عن «قمران»
- ٣- «عديد من الباحثين يعتقدون أن يسوع عاش مع يوحنا بين الأسبعين أو طائفة البحر الميت منذ أن كان صبياً . ومنهم من يعتقد أنه زامل يوحنا ، وكان من أتباعه ثم ابتعد عنه»
- ٤- «أخذت الكلمة التعميد Baptism عن اليونانية Baptein وتعنى الانغمار أو الارتماس في الماء ، ويعابها في الآرامية مصبوئاً أو مصبوتاً . وهى تؤدى ذات المعنى»
- ٥- «تميز تعميد يسوع بكونه قد مارسه مع اليهود وغير اليهود أيضاً ، وأنه يجرى لمرة واحدة»
- ٦- «تحذثنا المصادر المسيحية أن أتباع يسوع ، و جداً في القرن الأول في أماكن بعيدة عن فلسطين . ففي أفسس ، وهي تقع في الإقليم الجنوبي الغربي للأناضول ، وجدت جماعة من هؤلاء ، كما استقرت جماعة أخرى منهم في الاسكتلندية في مصر»
- ٧- إن أتباع يوحنا لم يسمعوا منه - طبقاً للإناجيل - أنه وصف نفسه باليسوع^(١) إلا أنه لم يصف يسوع بذلك أيضاً»
- ٨- «التراث المسيحي الأول لم يتضمن من جانبه اعترافاً من يوحنا بأن يسوع هو المنتظر^(٢) (Mead, Ibid p 27) .
- ٩- «إن أتباع يوحنا كانوا يرفضون نسبة «المسيح»^(٣) إلى يسوع ، ويعتبرون الدعوة لذلك دعوة باطلة»
- ١- «إن ديوان «حران كويشا» بين نشأة يوحنا المعمدان بعيداً عن

(١). لاحظ أن المسيح المنتظر عند اليهود ليس هو يسوع وليس هو عيسى وإنما هو محمد رسول الله .

(٢) التعليق السابق .

(٣) التعليق السابق .

«أورشيم» ثم قيامه بالدعوة إلى مذهبة وهو في سن الثانية والعشرين ^(١)

١١ - « ومن المحتمل أنه نشا على يد الأسسين أو طائفة البحر البت ، فقد كانت هذه الطائفة محروص على احتفان الصغار الراغبين في العيش معها ، وربما كانت عوائلهم تدفعهم إلى ذلك ، خوفا عليهم »

المسيح المتظر

ما قاله الأستاذ عزيز سباهى في كتابه « أصول الصابحة المذاقين ومعتقداتهم الدينية » :

أ - « إن أتباع يوحنا لم يسمعوا منه - طبعا للإنجيل - أنه وصف نفسه بالمسيح . إلا أنه لم يصف بسرع بذلك أيهما »

ب - « التراث المسيحي الأول لم يتضمن من جانبه اعتقادا من يوحنا بأن يسوع هو المتظر ^(Meadm Ibid P27) »

ج - « إن أتباع يوحنا كانوا يرفضون نسبة «المسيح» إلى يسوع ، ويعتبرون الدعوة لذلك باطلة »

يريد أن يقول :

١ - إن يحيى ليس هو المسيح المتظر الملقب من داود بلقب ابن الله ^(٢).

(١) «أبيه الحكم صياغة»

(٢) نبوة ابن الله ، وتطييق المسلمين لها على محمد ^{صلواته}

يقول داود عليه السلام : «لماذا لرجمت الأمم ، وتفكر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض ، وتأمر الروساء معا على رب ومسيحه ، فاثلين : لقطع قبورهما ، ولنطرح عنها ريطهما . الساكن في السوابات يضطرك . الرب يستهزئ بهم حتى يتكلم عليهم بخيبة ، ويوجههم بغيظه . أما أنا قد سمحت ملكي على صهيون جبل قيس .

إني أخبر من جهة قصاء الرب . قال لي : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . أساڭنى . فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقصى الأرض ملكا لك . تحطهم بقبح من حليده . مثل إناه خراك تكررم . فالآن . يا أنها الملوك نقلوا . نادبوا بما قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، وأهضروا برعدة . نيلوا الآباء لثلا بقبح ، فسيلوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتجدد غ فيه . طوى جميع التكلين عليه »

{مزמור ٢} يقول مؤلف تمجيد من حرف الإنجيل في البشرى السادسة عشرة : « قال داود في المزمور

==

٢ - ولم يصف يحيى عيسى بأنه هو المسيح المتظر.

ومعنى هذا: أن المسيح المتظر سباتٍ من بعد يحيى ومن بعد عيسى . ولم يات بعدهما غير محمد ﷺ فيكون موسى هو «المسيح المتظر» ونین ذلك فنقول: إن كلمة «المسيح» كلمة يونانية معناها «المسروح من الله» والمسح من اللهحقيقة يكون بزيت أو بدهن مقلس . وذلك بأن يأمر الله نبياً من الأنبياء بمسح رجل بالزيت أو بالدهن ؛ ليكون من بعد مسحة ملكاً أو عالماً أونبياً . فيهبه الناس ؛ لأنه معين من قبل الله . ولما فرغ الزيت أو الدهن المقدس، صارت كلمة المسروح على الملك أو العالم أو النبي تدل مجازاً على أنه مصطفى من الله لاداء رسالة مقدسة . وكلمة «المسيح» في العبرانية «هاما شياه» وفي الآرامية «ماشيشا» وفي اللغات التي تخلو من الماء . تنطق «المسيئا» ففي الإنجيل يوحنا: «أنا أعلم أن مسيبا الذي يقال له المسيح ؛ يأتي» {إيو ٤: ٢٥} «لقد وجدنا مسيباً . الذي تفسيره المسيح» {إيو ١: ٤١}

ولما كان هذا اللقب يطلق على الملك والعالم والنبي ؛ أطلقه اليهود على موسى عليه السلام باعتباره ملكاً وعالماً ونبياً . وأطلقوه على هارون عليه السلام

= الثاني له ، وتبأ به على اتساع خطة الإسلام : «أنت ابني ، وأنا اليوم ولدتك . سلس اعطيك الشعوب ميراثك ، وسلطانك إلى أطراف الأرض . وترحهام بتفحيب من حليبي ، ومثل آية الفخار تحفهم » أعلم : أنه لا يتصور من عارف صرف هذا الزمور عن سيننا محمد رسول الله ﷺ لأنه - عليه السلام - هو الذي ورث الشعوب كلها ، وبلغ سلطانه إلى أطراف الأرض ، ووسع الأمم ، وأحاطهم بيشه . ولا يمكن صرف هذا الزمور إلى داود ؛ لأنه لم يرث سائر الشعوب ، ولا بلغ سلطانه إلى أطراف الأرض . وما ملك سوى ناحية من الأرض . وهي «يت المقدس» ثم خرجت من بعده إلى آلة هنا النبي والأقطار والزواحي .

وقد بلغ سلطان محمد - عليه السلام - جواهير الدنيا ، وأطراف العالم . ففتح الله عليه الحجارة والبيjn والحبنة والتربة والهند والسد إلى الصين ، ودوّنخ آلة الشام والعراق ، وفارس إلى الترك . وفتحوا أرض مصر ، والمغرب الأقصى إلى بحر طنجة ، فقد ورث محمد سائر الشعوب ، وبلغ سلطانه إلى أطراف الأرض ، . فصار هنا الزمور مفاصلاً لبشرى يعقوب في التوراة ، بمحمد ﷺ الذي نقلناه .

فاما قوله : في أول الزمور : «أنت ابني» فجري فيه داود على عادتهم في إطلاق لفظ البناء على النبي والمطيع لله . فقد قال في التوراة : «إسرائيل ابني بكري» وقال المسيح في الإنجيل : «أنا ذايم إلى لى وليككم» {انتهى كلامه بنصه}

باعتباره عالماً ونبياً ، وأطلقوه على داود عليه السلام باعتباره ملكاً . ويحيى مسيح لأنه كان يَعْدَ عندهمنبياً لآن يوحنا عند الجميع مثلنبي {أمتى ٢١: ٢٦} .
وعيسى مسيح لأنه «كان عندهم مثلنبي» {أمتى ٤٦: ٢١}

ومحمد عليه السلام مسيح وذلك لأن موسى نبه على مجتبه من بعده في قوله: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلـي له تسمعون .. الخ» ولكنـهم لم يقولوا إنه «مسيح» وإنما قالـوا: إنه هو «المسيح» وظلـوا في انتظاره إلى زـمن يـحيى وـعيـسـى - عليهـما السـلام - وقد سـأـلـوا يـحيـى عـنـه «فـاعـتـرـفـ وـلـمـ يـنـكـرـ ، وـأـقـرـ : أـنـيـ لـسـتـ آـنـاـ المـسـيـحـ» {أـيـوـحـنـاـ ١: ٢٠}

ويقول أهل الكتاب: إن لقب «المسيح المتـظر» مـاخـوذـ منـ نـبـوـاتـ التـورـةـ عنـ النـبـيـ الـأـكـيـ علىـ مـثـالـ مـوسـىـ . فـفـيـ تـفـسـيرـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ يـقـولـونـ فـيـ قـوـلـ مـوسـىـ : «يـقـيمـ لكـ الـرـبـ إـلـهـكـ نـبـيـاـ مـنـ وـسـطـكـ مـثـلـيـ لهـ تـسـمـعـونـ يـقـولـونـ مـاـ نـصـهـ : «الـنـبـيـ الـأـكـيـ» {تـبـيـةـ ١٨: ١٥ـ ٢٢} يـعـلـمـ مـوسـىـ إـعـلـانـاـ نـبـوـاـ مـسـيـانـاـ ، عنـ النـبـيـ الـذـيـ سـيـأـتـىـ ، الـذـيـ سـيـخـلـفـهـ فـيـ وـظـيـفـتـهـ كـنـىـ»

، وـعيـسـىـ عـلـيـهـ السـلاـمـ أـوـصـىـ تـلـامـيـذـهـ أـنـ لـاـ يـعـلـمـواـ عـلـىـ شـرـيعـةـ مـوسـىـ إـذـاـ ماـ ظـهـرـ الـمـسـيـحـ ، وـأـنـ لـاـ يـدـعـواـ سـادـةـ أـيـ رـؤـسـاءـ مـذـاهـبـ دـينـيـةـ عـلـىـ شـرـيعـةـ مـوسـىـ إـذـاـ ماـ ظـهـرـ الـمـسـيـحـ ، وـذـلـكـ فـيـ قـوـلـهـ : «جـيـتـذـ خـاطـبـ يـسـعـ الجـمـعـ وـتـلـامـيـذـهـ قـائـلاـ : عـلـىـ كـرـسـىـ مـوسـىـ جـلـسـ الـكـبـةـ وـالـفـرـيـسـيـوـنـ . فـكـلـ ماـ قـالـواـ لـكـمـ أـنـ تـخـفـظـوـهـ فـاـحـفـظـوـهـ وـفـاعـلـوـهـ وـلـكـ حـسـبـ أـعـمـالـهـمـ لـاـ تـعـمـلـوـاـ ؛ لـأـنـهـمـ يـقـولـوـنـ وـلـاـ يـفـعـلـوـنـ ؛ فـلـإـنـهـمـ يـبـخـزـمـونـ أـحـمـالـاـ ثـقـيلـةـ عـسـرـةـ الـحـلـمـ وـيـضـعـونـهـاـ عـلـىـ أـكـاتـ النـاسـ وـهـمـ لـاـ يـرـيدـوـنـ أـنـ يـحـرـكـوـهـاـ يـاـ صـبـعـهـمـ ، وـكـلـ أـعـمـالـهـمـ يـعـلـمـونـهـاـ لـكـ تـنـظـرـهـمـ النـاسـ . فـيـعـرـضـونـ عـصـابـهـمـ وـيـعـظـمـونـ أـهـدـابـ ثـيـابـهـمـ ، وـيـحـبـبـونـ الـمـنـكـاـ الـأـوـلـىـ فـيـ الـلـوـائـمـ ، وـالـمـجـالـسـ الـأـوـلـىـ فـيـ الـمـجـامـعـ ، وـالـتـحـيـاتـ فـيـ الـأـسـوـاقـ ، وـأـنـ يـدـعـوـهـمـ النـاسـ : سـيـدـيـ سـيـدـيـ . وـأـنـتـمـ فـلـاـ تـدـعـوـاـ سـيـدـيـ ؛ لـاـنـ مـعـلـمـكـ وـاحـدـ ؛ الـمـسـيـحـ . وـأـنـتـمـ جـمـيـعـاـ إـخـرـوةـ . وـلـاـ تـدـعـوـهـمـ أـبـاـنـ عـلـىـ الـأـرـضـ ؛ لـاـنـ أـبـاـكـمـ وـاحـدـ الـذـيـ فـيـ السـمـوـاتـ ، وـلـاـ تـدـعـوـهـمـ مـعـلـمـيـنـ ؛ لـاـنـ مـعـلـمـكـ وـاحـدـ ؛ الـمـسـيـحـ . وـأـكـبرـكـمـ يـكـونـ خـادـمـاـ لـكـمـ . فـمـنـ يـرـفـعـ نـفـسـهـ ؛ يـتـضـعـ ، وـمـنـ يـقـصـ نـفـسـهـ ؛ يـرـتفـعـ» {أـمـتـىـ ٢٣ـ ١: ١٢}

ثم ختم حديثه عن خراب هيكل سليمان بقوله : « هو ذا يسألكم بِرُّك لكم خرابا » ، كناية عن نسخ التوراة ، ومجيء شريعة جديدة .

ومما مضى يتبيّن :

- ١ - أن يحيى لم يقل بأنه هو المسيح .
- ٢ - وأن عيسى لم يقل بأنه هو المسيح .

أما عن أن يحيى لم يقل بأن عيسى هو المسيح . لهذا هو بيانه : في الأصحاح الحادي عشر من المغيل متى : أن يوحنا أرسل اثنين من تلاميذه إلى عيسى وقال له : « أنت هو الآتي أم تنتظر آخر ؟ » إنه بسأله هل أنت المسيح المتظر أم تنتظر آخر ؟

وهذا السؤال يدل على أن يحيى لم يكن عارفاً بأن عيسى هو النبي الآتي - كما هو مكتوب - وعدم معرفته بحقيقة تدل على أنه لم يقل لاتباعه إن عيسى هو الآتي . ويؤكد على أنه لم يقل لاتباعه إنه هو من النص نفسه : أن عيسى صنع معجزات أمام أعين الرسولين ولم يصرح بأنه هو الآتي . وبعد ما انتهت من معجزاته قال لهما : « طوبي لمن لا يعثر في » ثم مدح يحيى وأثنى عليه . فقال : « الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر في ملوك السموات أعظم منه » فمن هو الأصغر الآتي من بعد المعمدان أعظم منه ؟ إنه هو خاتم النبيين محمد عليه السلام صلوات الله عليه وسلم فيكون عيسى عليه السلام مادحاً لاثنين وواحد منهما أعظم من غيره .

ثم قال عيسى عليه السلام : « وإن أردتم أن تقبلوا ، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي » ومعنى هذا : أن « إيليا » الآتي هو « المسيح المتظر » لا يحيى ولا عيسى . وقد حذف محرسو الأنجليل اسم « أحمد » ووضعوا بدله « إيليا » بحسب الجمل وكل منها ثلاثة وخمسون . وإيليا في العبراني « إلها هو » وهي أيضاً ثلاثة وخمسون .

في موسوعة فلسفية ومتصوفة اليهودية تأليف الدكتور عبد المنعم الحفني - نشر مكتبة مدبولي بالقاهرة عن « المهدى المتظر » Messiah ما نصه :

المطرانى :

وتعتقد الصابحة أن بين الجنة والنار شيئاً ثالثاً ، يسمونه « المطرانى » أي

المطهر . وفي هذا محل تعذب النفوس التي ارتكبت ذنوبها بسيطة ، ويكون عذابها لأمد محدود ، ثم تنتقل إلى مواضعها في عالم الأنوار ، الذي يسمونه « إلى دنهورا » . ومن الأشخاص الثلثمائة والستون ما هو موكل بعداب النفوس في « المطرانى » .

علة أصحاب النار

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عذابهم إلا لفته للذين كفروا ؛ ليستيقن الذين أتو الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيمانا »

وفي كتاب الصابة :

أنه يلى الإله في الترلة ؛ ثلاثة وستون شخصا . وبعفهم يرى أن عدد الذين يتلون الإله في الترلة ؛ لا يعد ولا يحصى . ومؤلاه ليسوا بالآلة ، وليسوا من البشر الصالحين . وهم من الملائكة ، ولا يبعدون منهم . ولكل منهم مكانة متارة في عالم الأنوار - « إلى دنهورا » -

وهم لم يُخلقوا كالملائكة ، ولكن الله ناداهم بأسمائهم فخلقوا ، وتزوجوا بنساء من صنفهم ، وأصبح لهم أولاد وبنات . وهم لا يتسللون كالملائكة ؛ وذلك لأن الواحد منهم يلفظ كلمة ؛ فتحمل امرأته فورا ، وتقطع واحدا منهم . ومؤلاه الثلاثمائة والستون . أو الذين لا يحصون عداؤ . يعبدون الله ويوحدونه . وكلهم تحت رئيس واحد هو « ماري أدريونا »

وقال ناقل عن الصابئين^(١) : إن الثلاثمائة والستين ، لكل منهم ملكة في عالم الأنوار . وهو مكان النعيم للصالحين . قال ما نصه : « إن هؤلاء الثلاثمائة والستين يعبدون الإله ويوحدونه ، وجميعهم تحت إمرة « ماري أدريونا » الذي هو أول رعائمه وأعلاهم مقاما . ويليه « شيشلام زيرا » و « منيل وهى » و « هيل زيرا » و « سام زيرا » و « هو شبه » و « سيمات هى » و « ماهزيل ما لالا » و « أوثار راما » .. الخ »

(١) الصابة - نشر دار ركابي بالقاهرة ١٤١٦ هـ

وقال الناقل : « ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار » أى لا صلة لهم في رأيه بأهل النار .

ثم قال عن الصابئين^(١) : « ومن اعتقاداتهم الطريفة : قولهم : إن الروحاني الكبير « هيل زيوا » كان قد ولّ الروحاني الكبير « فتاحيل » على « المطرائي » - أى المطهر - فرأى هذا المtower أن أهل الأرض قد كثروا كثرة تلتف النظر . فأنزل بهم الأوبئة ؛ لينقص من عددهم . فازداد عدد الوافدين إلى الجحيم . وكان « هيل زيوا » قد سدَّ المنفذ الذي يفضي من هناك إلى « عالم الأنوار » - « آلى دنهورا » - فتضاعف الجحيم بالوافدين ، وانطلق « فتاحيل إلى « هيل زيوا » وسأله إطلاق الانفس التي استوفت . للترفيه عن الجحيم المزدحم . فأبى « هيل زيوا » وقال : ما كنت لأدخل دار النعيم نفسا قد تتنست بالإثم .

وكان سكان عالم الأنوار يتوقعون أن تمتليء دنياهم بالخلافات من الصالحين الثانيين ، ولما علموا أن « هيل زيوا » تسلد في تخليص المثنين ، اطلقا إلى « ماري أدريونا » وسألوه التسامح في أمر أولئك الوافدين على الجحيم ، لأن التشديد سيحول دون خروج أحد منهم . فاستدعاي « ماري أدريونا » ؛ « هيل زيوا » وفاوضه في هذا الموضوع مليا . ولما رأه متشددا ، طلب إليه أن يعود إلى تدبير مملكته في عالم الأنوار .

ونصب « أوثار » واليا على « المطرائي » - المحل الذي تعلب فيه الأرواح التي ارتكبت ذنوبها بسيطة ، ويكون عذابها لأمد محدود - فاستطاع « أوثار » في مدة وجيبة أن يفتح منفذًا في « المطرائي » يسرّ خروج خلق كثير ، التحقوا بعالم الأنوار

لاحظ :

- ١ - أن « هيل زيوا » الذي قال الناقل إنه في « عالم الأنوار » وقال : إنه هو جبريل قد ولّ « فتاحيل » على المطرائي - وهو مكان عذاب - ويسبيه ازداد عدد الوافدين إلى الجحيم .
- ٢ - أن « هيل زيوا » سدَّ منفذ مكان العذاب ؛ لثلا يصل منه أحد إلى عالم الأنوار .

(١) الصابئة - نشر دار رکابی بالقاهرة ١٤١٦ م

٣ - وأن «ماري أدريونا» لما رأى تشنل «ميبل زيو» طلب إليه أن يترك «المطران» ويعود إلى ملكه في عالم الآتونار . وهذا يدل على أنه كان موكلًا بأهل النار (١) .

٤ - فتح «أوئار راما» منفذًا في المطراني . وهذا يدل على أنه كان موكلا بأهل النار .

النتائج هي :

أن هؤلاء الثمانة والستين ، أو الذين لا عد لهم ؛ هم الموكلون بأهل النار . كما جاء في القرآن الكريم : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عذابهم إلا فتنة للذين كفروا ... »

وفي القرآن : أن العدد **«تسعة عشر»** وفي كتب التفسير : أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ... الخ . يعنون أن العرب هم المقصودون بهذه الآيات . والحق : أنها في اليهود . وفي أسباب التزول ما يصرف معانى آيات نزلت في اليهود إلى أنها نزلت في العرب ، ومن ذلك هذا المثال : قوله تعالى : **«ذرني ومن خلقت وحيداً»** له شبيه بما في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية . ومنه : « هكذا رب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي » إلى أن قال : « هم أغماروني بما ليس إليها ، أغاظروني بباطلتهم . فانا أغيرهم بما ليس شعبا . بأئمة غيبة أغظفهم .. الخ »

اعتقاد الصائبة في الجن والشياطين :

يقولون : إن المكلف بغواية البشر ، واستدرجهم إلى المعصية هو الشيطان ونسله وهم الذين يلحقون الأذى بالناس . وليس فيهم من يعبد الله تعالى .
ويأقى الجن - وإبليس كان منهم - فإن منهم من يعبد الله ومنهم من يكفر به .
وهم مكلفون بالشرائم مثل الإنس . ويسعون الجن «مولو خون»

١٤) لامتحن :

ان الناقل عن الصابرين نقل في موضع عن الصابرة قولهم : بيان الارواح باقية من بعد الموت ، ونقل في موضع آخر ان الارواح تندم ولا تبكي . وذلك في حديثه عن موت يورحنا العصدان .
اما في يوم القيمة فلان الله يحيى الجسد ، ثم يحيى الروح ويكون في الجنة او في النار بحسب اعمال المؤمن .

المشابهة بين الصابئين وبين المسلمين واليهود والمسيحيين :

كتابنا نحن المسلمين هو القرآن الكريم . وأعداؤنا حينما يكتبون عنا .
يجمعون كل ما عندنا من عادات وتقالييد وكتب . ويقولون : هنا هو ما عند
ال المسلمين .

والعادات والتقالييد والكتب ؛ كثيرة . مثل الاعتقاد في الرقى ، والسحر ،
والسؤال من الأولياء وهم مدفونون في الأرض ، والاستخاراة واستشارة الموتى .
ومن كتب الأحاجية والشائم ؛ شمس المعارف الكبرى ، والسر المكتوم في مخاطبة
الشمس والقمر والنجوم ، والرحمة في الطب والحكمة . وما شابه ذلك .

ويعتقد كثيرون في زيارة المقابر في أيام معلومة من السنة . منها أيام الأعياد
وشهر رجب . وذبح النبات ليمرنعش الميت عليها . فتكون له كفارة ، والصدقات
على الأموات ، والحج نيابة عنهم . وما شابه ذلك . ويزعمون أن زيارة المقابر
ترفق القلوب ، ويُنضمون أعينهم عن قوله: «كفى بالقرآن واعظاً» وترى الناس
يكون على الأموات . وهم يعلمون أنبقاء لله وحده . ويكافؤهم بذلك على تقصّن
عقولهم ، وقلة إيمانهم بربهم . ويُنكذب بعضهم على بعض في شأن الأرواح من
بعد الموت أنها ترافق على قبر الميت وتسمع وترى . وهم يعلمون أن الروح هواء لا
أثر له من بعد الموت . ويُسلّون أنفسهم بتحضير الأرواح وهم لا يعلمون أن الذي
يحضر لهم ويخاطبهم شيطان .

وكتاب اليهود هو التوراة . وعاداتهم وتقاليدهم وكتبهم كثيرة ، . وهي تشبه
اعتقاد الأميين من المسلمين والمسيحيين والصابئين .

وكتاب المسيحيين هو التوراة والإنجيل الأربعة . وما عند اليهود من عادات
وتقالييد وكتب هو عندهم ، وزيادة .

وكتاب الصابئين هو التوراة والإنجيل الأربعة ، وعندتهم عادات وتقالييد
وكتب فيها أساطير كما عند أصحاب الديانات .

والباحث له الظاهر الذي أسامه ، فيكتبه كما يراه . ويعتقد أنه أصاب كبد
الحقيقة . وليس هذا من الإنصاف في شيء . فإن أعداءنا نحن المسلمين كتبوا عنا ما

شاهدوه عند أضرحة الموتى وموالد الأولياء ، ومرور النعش على ذبائح الكفارات ، واعتقاد الناس في الخل والربط ، وإخفاء المسروقات وإظهارها عن طريق التغزيم على الجان . وقالوا : هنا هو دين المسلمين .

ويعضمهم نقب في كتب الأحاديث ، واستخرج منها اختلافات وتناقضات .
وقال : هذه هي كتب المسلمين .

والذين بحثوا في الصابئين ، بحثوا في الظاهر الذي أمامهم ، وكتبوا كما رأوه . وما كتبوا في الأعياد : العيد الكبير ، وفيه تنحر الخراف وينبع الدجاج . وبعد العيد الصغير بمائة وثمانية عشر يوماً ويقدم فيه القراءين عن أرواح الموتى بابتهاج . وبعد العيد الصغير باربعة أشهر يأتي عيد البنجه . ويستمر خمسة أيام ، وهي الأيام الخمسة التي تكبس فيها السنة ؛ لأن شهورهم ثلاثة يوماً . وبعد عيد البنجه بيستين يوماً يكون يوم عيد يحيى عليه السلام .

وما كتبوا عن تسمية الطفل باسم أمه : إن السبب في ذلك هو أن الله تعالى لما خلق آدم من طين ، خلق حواء من جسمه . وبعد إنجابهما لم يتزوج الآباء إخوتهما ، لأن الأخوات أرسلت إلى عالم آخر . فيه أناس مثلنا ، يسمونه «أشموني كشطة » أي أرض العهد . وجئن بفتيات من «أشموني كشطة » إلى أولاد آدم ؛ فتزوجوهن .

وما كتبوا عن دفن الموتى : أنه يوضع بجاته إناء فيه ماء . . . الخ
وما كتبوا عن ما بعد الموت : أن الصابئي الثالثي إذا مات ، استقبله ملكان .
يدعى أحدهما «صاروبل شروبه » والأخر « قاما ميزريوا » وهما ناقلاً الأرواح .
فيحاسبانه على عمله في دنياه ، حسناً كان أم سيئاً . . . الخ

والظاهر ممكن دفعه من أبناء الله بقولهم : هذه موروثات درج الناس عليها .
ومن يجرؤ من العلماء على إصلاح هذه الموروثات ؛ فإنه يُنذر من قومه ، ولذلك يسكنون . ولكن كتاب الله لا يقترب أحد على إنكاره ، ولا الدفاع عما فيه بأية حيلة . وعلى هنا يتوجب على الباحثين في الصابئة أن لا يهتموا بالظواهر ، وأن لا يأخذوا كلام أعدائهم على أنه الحق الذي لا رب فيه ، وأن يكون بحثهم عن كتاب الله نفسه .

الفصل التاسع في رفض اليهود من السير أمام الله

لولا : نبوة الأمة المرفوضة في سير إشعيا :

تذكّر :

أن الله تعالى اختار إبراهيم عليه السلام من الأمم الوثنية لدعوة الأمم الوثنية إلى الله . وأن الله قسم الاختيار على نسل إسحق ونسل إسماعيل . وأعطى بركة لإبراهيم هي أمم وملوك على الشعوب وبنيو ، وأعطى إسحق بركة ، وأعطى إسماعيل بركة . فإذا انتهت مدة بركة إسحق ، فإن الشعب الذي كان قاتلاً بها وهو شعب بنى إسرائيل ؛ يكون مرفوضاً من السير أمام الله . ويكون الشعب المختار بدلهم هو شعب بنى إسماعيل . فيكون عندنا شعبان - أو أمتان - شعب مرفوض وشعب مختار . وفي القرآن الكريم في سياق الكلام عن بنى إسرائيل : «كتم خير أمة أخرجت للناس» في رمان ما قبل محمد عليهما السلام والأآن لستم خيراً أمة ؛ فإن الخيرية انتقلت إلى بنى إسماعيل أصحاب الشرعية الجديدة . والدليل على أن الخيرية انتقلت منهم إلى بنى إسماعيل : قوله «ولو آمن أهل الكتاب؛ لكان خيراً لهم» لأن الاختيار فاتهم إلى أمة أخرى . فالسلمون أمة مختارة من قوله : «لكان خيراً لهم» لا من قوله «كتم» التي تفيد زمان قد مضى قبل الإسلام .

واشعياء في الأصحاح الخامس والستين ؛ يتكلّم عن الشعرين . ويرى مساوى الشعب المرفوض ؛ فيقول : إن من أسباب رفضه : أن الله اختاره من بين الوثنين لإزالة الأولان . فبعد هو الأولان مثلهم .

وهل كل الشعب اليهودي سيرفض من السير أمام الله ؟ يقول إشعيا : لا . فإن منهم «بقية» ست Zimmerman بالمعنى الآتي من الشعب المختار . وسيسيرون مع الشعب المختار بالشرعية الجديدة التي سينزلها الله على نبي منه . وشعب النبي الآتي ، سينضم إليه كثيرون من الأمم ، وستنضم إليه «البقية» ويكون الشعب المرفوض متساوياً مع الوثنين في البعد عن الله . ولذلك يحاربه المختارون كما يحاربون الوثنين سواء بسواء .

وجمع أمم الأرض هم في نظر اليهود «أميون» والأمم كثيرون . أمة العرب بنى إسماعيل ، وأمة أهل فارس ، وأمة اليونان ، وأمة الرومان ، وأمة المصريين . وغيرهم . والشعب المختار . هم أمة واحدة من بين أمم العالم . وليس هو كل العالم . وهو شعب من جم الشعوب ، وتنضم إليه في الإيمان بالنبي الآتي منه جميع الشعوب ، وليس في التوراة شعب مبارك من الله بعد شعب اليهود بنى إسرائيل إلا شعب بنى إسماعيل . فلان ١ - هاجر مباركة بـ - وإسماعيل مبارك . ذلك قوله : «قومي احملى الغلام ، وشدى يدك به ؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة» {إنك ٢١ : ١٨} «وقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك ؛ فلا يُعد من الكثرة» {نك ١٦ : ١٠} «واما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه ، وأنبره وأكثره كثيرا جدا» {نك ١٧ : ٢٠}

وفي الأصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء كلام عن :

- ١ - دعوة الأمم إلى الله عن طريق شعب جديد مختار .
- ٢ - ورفض بنى إسرائيل من السير أمام الله لأجل كفرهم وريائهم .
- ٣ - وأن بقية منهم تخلص .
- ٤ - وأن الشريعة الجديدة من الشعب الجديد المختار تدل على حسن حال الخلية الجديدة .

كلام النصارى في هذه النبوة :

يقول بولس في رسالته إلى أهل روما :

- ١ - إن الشعب اليهودي سيرفض من السير أمام الله . ولن يرفض كله ، بل سيكون منه «بقية» صالحة .
- ٢ - وإن الشعب المختار هم «الأمم» لا أمة واحدة .
- ٣ - وأن «عبد الله» الذين هم «البقاء» سيكونون من اليهود ، وهم الذين سيقودون «الأمم» إلى الله .
- ٤ - وأن الله قد اختار «المسيح» عيسى من البقاء

٥ - والمسيح والبقية هم المقابلون لبني إسرائيل المرفوضين . وهم الشعب المختار من اليهود للسير أمام الله

٦ - ثم تنضم الأمة إلى البقية . فيكون الجميع شعبا واحدا ، بذلك بني إسرائيل المرفوضين .

هذا هو معنى كلام بولس . والنصارى يؤمنون به .

وكلامه هنا لا يدل على أن الشعب اليهودي مرفوض من السير أمام الله .

وذلك لأن :

١ - بني إسرائيل

٢ - وبني إسماعيل .

شعبان . ولكل منها بركة . وهي ملة من الزمان بملك ونبوة .

وإذا كانت البقية من بني إسرائيل هي التي ستقود الأمة إلى الله . - كما يقول بولس - على كلام المسيح عيسى عليه السلام . فإن معنى ذلك هو استمرار بركة بني إسرائيل ، إلى يوم القيمة . واستمرار البركة لا يدل على رغبة الشعب .

وكلام المسيح في هذا الأمر هو نزع الملكوت من بني إسرائيل إلى أمة أخرى^(١) . وأذ هو من بني إسرائيل ، فإنه لا يكون رأس البقية . ويكون رأس البقية ، ورأس الشعب المختار ؛ هو النبي الآتي من إسماعيل ؛ لأن له بركة .

والآن إلى نص كلام إشعيا ، ومناقشة تفسيره من كتاب « السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم »

النص :

«أُصْبِغْتَ(٢) إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوكُمْ . وَجُدِّدْتَ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلَبُوكُمْ . قُلْتَ هَذَا هَذَا لَآمَةٌ لَمْ تَسْمِ بِاسْمِي . بَسْطَتْ يَدِي طَوْلَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَايَرَ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءِ أَفْكَارِهِ . شَعْبٌ يَغْيِظُنِي بِوُجُوهِ دَائِمًا يَلْبِسُ فِي الْجَنَاحَاتِ وَيَسْعِرُ عَلَى الْأَجْرِ . يَجْلِسُ فِي الْقَبُورِ وَيَبْيَسُ فِي الْمَدَافِنِ يَا كَلْ لَحْمَ الْخَتَرِ وَفِي آتِيهِ

. (٢) إشعيا ٦٥.

(١) متى ٢١ مزمور ١١٨

مرق لحوم نجمة . يقول قف عندك . لا تدن مني لأنى أقدس منك . هؤلاء دخان فى أنفني نار متقدة كل النهار . ما قد كتب أمامي . لا أسكب بل أحازى . أحازى فى حضنهم . آتامكم وأئام آباتكم معاً قبل الرب . الذين بخرروا على الجبال وعيرونى على الأكام فاكيل عملهم الأول فى حضنهم .

هكذا قال الرب . كما أن السلاف يوجد فى العنقود فيقول قائل : لا تهلكه لأن فيه بركة . هكذا أعمل لأجل عبدي حتى لا أهلك الكل . بل أخرج من يعقوب نسلا ومن يهودنا وارثا لجبارى فى رئتها مختارى وتسكن عبدي هناك . فيكون شارون مرجى غنم ووادى عخور مريض بقر لشعبى الذين طلبونى .

اما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى ورتبوا للسعد الأكبر مائدة وملاؤا للسعادة الأصغر خمرا مزوجة ؛ فلأنى أعينكم للسيف وتجشون كلکم للذبح لأنى دعوت فلم تجسدو . نكلمت فلم تسمعوا بل علمتم الشر فى عينى واخترتم مالكم أسر به . لذلك هكذا قال السيد الرب . هو ذا عبدي يأكلون وأنتم تجرونون . هو ذا عبدي يشربون وأنتم تعطشون . هو ذا عبدي يفرجون وأنتم تخزون . هو ذا عبدي يتربون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب ومن انكسار الروح تولدون . وتختلفون اسمكم لعنة لختارى . فيحييك السيد الرب ويسمى عبده اسم آخر . فالذى يتبرك فى الأرض يتبرك باله الحق والذى يحلف فى الأرض يحلف بالله الحق لأن الفيقيفات الأولى قد نسيت ولأنها استرت عن عينى .

لأنى هاندا خالق سمات جديدة وأراضى جديدة⁽¹⁾ فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال . بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فى ما إنا خالق لأنى هاندا خالق أورشليم بهجة وشعها فرحا . فابتھج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراغ . لا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه . لأن الصبي يموت ابن مئة سنة والخاطئ يلعن ابن مئة سنة . ويبتون بيوتا ويسكنون فيها وينغرسون كروما ويأكلون أنمارها . لا يبنون وآخر يسكن ولا يغرسون وآخر يأكل . لأنه ك أيام شجرة أيام شعبي ويستعمل مختارى عمل أيديهم . لا يتبعون باطلًا ولا يلدون للرعب . نسل مباركى الرب وذرتهم معهم . ويكون أنى قبليما يدعون أنا أجيّب وفيما هم يتكلمون بعد ؛ أنا أسمع . النتب والحمل يرعيان معاً والأسد يأكل

(1) « يوم نبدل الأرض غير الأرض والسموات » كتابة من تفسير الشريعة . أى نسخ التوراة بالقرآن .

التبني كالبقر . أما الحية فالتراب طعامها . لا يزنون ولا يهلكون في كل جبل قدسي . قال رب ﴿إِنَّمَا يُؤْثِرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ أَنَّمَاءٌ عَلَى مَثَلِهِمْ﴾

الشرح والبيان :

١ - في النص

- ١ - شعب متمرد : وهم اليهود غير المؤمنين بالنبي الأمي الآتي على مثال موسى ﴿تَنَاهَى عَنْهُ الْمُؤْمِنُونَ فَلَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ مُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يُؤْثِرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ أَنَّمَاءٌ عَلَى مَثَلِهِمْ﴾
- ٢ - والذين لم يسألوا الله هم الأئم .
- ٣ - وعييد الله في قوله : « هكذا أعمل لأجل عييدي » الآية ٨ : هم اليهود الذين سيؤمنون بالنبي الأمي الآتي .

هذا هو كلام المفسرين . وهم يعنون بالنبي الأمي ، المسيح عيسى ابن مريم . والحق : أنه هو محمد رسول الله ، لأن الله جعل كلامه في فمه . والوصاف في النبوة تدل عليه . والذين لم يسألوا الله : هم شعب بنى إسماعيل ، ومن يتضمن إليهم من الأمم . فيكون الجميع رعية واحدة ، وراغ واحد . وذلك لأن اللهبارك في إسماعيل . وبركة الله لا مرد لها . وعييد الله في قوله « هكذا أعمل لأجل عييدي » هم البقية . وهم مع الشعب الآتي ، سيرثون الأرض . لقول داود عليه السلام : « رب عارف أيام الكتمة . وميراثهم إلى الأبد » يكون . لا يخزون في زمن السوء ، وفي أيام الجوع يشعرون . لأن الأشرار يهلكون ، وأعداء الله كبهاء المراعن . فنوا كالدخان فنوا . والشريه يستقرض ولا يغنى . أما الصديق فيترافق ويُعطي ، لأن المباركين منه يرثون الأرض ، وللملعونين منه يُقطعون » [مزמור ٣٧]

ويقول المفسرون : « فالوعد هو للأمم ، الذين سيؤمنون ، فيتضمنون إلى شعب الله ، ولليهود المؤمنين ، والوعيد هو لنغير المؤمنين »

وصححة العبارة : « فال وعد هو لبني إسماعيل المبارك فيه . والأمم ستتضمن إليهم . ولليهود الذين سيؤمنون بالنبي الآتي - الذين هم البقية - والوعيد هو لليهود غير المؤمنين »

٢ - « لامة لم تسمى باسمي » :

أى جميع الأمم ما عدا اليهود الذين كانوا شعب الله بالاسم .

هذا هو كلام المفسرين .

وإنه باطل ؛ وذلك لأن النص يتكلم عن أمة واحدة لا عن جميع الأمم .

فلماذا يفسرون بجميع الأمم ؟

٣ - ثم تكلم عن أسباب رفض اليهود فقال : « شعب يغطيضن » بعبادة الأصنام وأين كانوا يضعون الأصنام ؟ في الجنات والحدائق المشمرة ، والملفوقة لعبادة الأصنام ، فإنهم استخدمو الأماكن الجميلة ، واللذات الجسدية ؛ لترغيب الناس في عبادة الأصنام .

وكانوا يبنون هياكتل من « الأجر » وهو الطوب المصنوع لعبادة الكواكب مثل الشمس والقمر . وفي الأصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني أنهم عبدوا « عشتورت » و « كموسن » و « ملكوم » ويقول إرمياء : إنهم بخروا على السطوح « الكل جند النساء ، وسكبوا سكاب لآلهة أخرى » { إد ١٩ : ١٣ } ويقول إرمياء : « إنهم كانوا يصنعون كعكا للملكة السموات ، ولآلهة آخر » { إرمياء ٧ : ١٨ } ويقول داود عليه السلام : « بل اختعلتوا بالأمم ، وتعلموا أعمالهم ، وعبدوا أصنامهم ؛ فصارت لهم شركا . وذبحوا بنיהם وبناتهم للأوثان ، وأهرقوا دمًا ذكيًا . دم بنיהם وبناتهم الذين ذبحوهم لاصنام كتعان ، وتلذست الأرض بالدماء ، وتنجسوا بأعمالهم ، وزنوا بأفعالهم ؛ فحمن غضب الرب على شعبه ، وكره ميراثه ، وأسلّمهم ليد الأمم ، وتسلط عليهم مبغضوهم ... » { مز ١٠ : ٢٥ - ٤١ }

٤ - وبعدما عدد معاذبهم . ومنها الجلوس في المقابر لأجل سؤال الموتى .

وقد نهاهم موسى عن استشارة الموتى ، وعن الرقى وعن العرافة . . . { ث ١٨ : ٩ } كانوا يبيتون في المدافن ؛ لظفهم أن أرواح الموتى تظهر لهم في الليل أو بواسطة أحلام ، وكانوا يأكلون لحم الخنزير . وهو محروم عليهم . ومع هذا كانوا يقولون للأبرار : نحن الأبرار وأنتم الأشرار . بعد ما عدد معاذبهم . أخبر عن معاقبتهم ، وفزع الملك منهم والشريعة بقوله : « ها قد كتب أمامي . لا أسكب بل أجاري »

وهذا المكتوب مذكور أيضا في نبوة نشيد موسى التي تدل على أن الله قد قد

رفض اليهود من السير أمامه { ث ٣٢ : ٣٤ } وهو : « أليس ذلك مكتوراً عندي ، مختوماً عليه في خزانتي . لى النعمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم »^(١) أيضًا : المزמור ٥٠ : ٧٩ و ١٢ : ١٦ ولأمياه ١٨ : ١٨ وحزقيال ١١ : ٢١

الرد على النصارى في قولهم

بخطبة آدم عليه السلام من النص :

يقول إشعيا عن الله تعالى : « لا أسكن بل أجاري . أجاري في حضنهم . آتاكم وأئمَّةً آباءكم معاً »

يريد أن يقول : إن « الحضن » نوع من المكافيل يُقدر بأكثر من ملء الكف . وأنا أجاريكم بالكافيل على قدر أعمالكم . وأن آتاكم يا بني إسرائيل تجمع عند الله في سِفر ، إلى أن يعني وقت الانتقام على يد النبي الآتي من الشعب المختار .

وفي هذا المعنى يقول المسيح : « لكي يأتي عليكم كل دم ركي ، سُفك على الأرض ، من دم هانييل الصديق إلى دم ذكريا بن برخيا ، الذي قتلتمنوه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم : إن هنا كله يأتي على هذا الجيل .

يا أورشليم . يا أورشليم . يا قاتلة الآباء ، وراجحة المسلمين إليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تربوا . هو ذا ينتكم يترك لكم خرابا ؛ لأنني أقول لكم : إنكم لا ترونني من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتي باسم رب » { متى ٢٣ : ٣٥ - ٣٩ }

ويقول النصارى : إن هذا الخراب قد تم على يد الرومانين في معركة بيطس سنة ٧٠ م وفي معركة إدرياتوس سنة ١٣٢ م وقولهم باطل . لأن الرومانين كانوا يحتلون « أورشليم » من قبل ولادة المسيح بثلاث وستين سنة . وقيل : بمائة عام .

ولأن المسيح نفسه استطرد في الكلام . وقال : إنه ستحدث علامات في العالم . وإذا حدثت ؛ يخرب الهيكل . كتابة عن نسخ الشريعة على يد النبي الآتي . والعلامات لم تحدث من قبل بيطس وإدرياتوس . وهي قيام حروب بين

(١) النص السامي : « في يوم الانتقام » ويفسره الساميون يوم القيمة من الأموات للجنة أو للنار .

الام ، وظهور أنبياء كثبة ، وتكون مجامعات وأوبيثة وزلازل في أماكن ، ويحدث اضطهاد لتابع المسيح ، ويتشير إلى الجليل في العالم ؛ شهادة لجميع الام . ثم يأتي المتهى .

والمتهى : هو قيام حرب بين النبي الامي الائمي وبين اليهود في أورشليم . وبها يتم روال ملك اليهود من العالم وتنسخ الشريعة .

وقولهم بقتل المسيح وصلبه لغفران الخطايا ؛ هو قول باطل . وذلك لأن نصوص التوراة مصرحة بأن آدم تاب وتاب الله عليه . ففي سفر الحكم : «والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول . أب العالم ، الذي خلق وحده . لما سقط في الخطيئة . رفعته من سقوطه ، ومنحته سلطة على كل شيء» ولأن في هذا النص : «فأكيل عليهم الأول في حضنهم » وفي الاناجيل : أن كل امرئ بما كسب رهين . ومن ذلك قول المسيح : « ولكن أقول لكم : إن كل كلمة بطاله ؛ يتكلم بها الناس ؛ سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين ؛ لأنك بكلامك تبرر ، وبكلامك تدان » {أمي ١٢ - ٣٦ }

٥ - ومفسرو التوراة لم يفسروا هذه العبارة «لشعبين الذين طلبوني » ولو كانت هكذا : «لشعبين الذين لم يطلبوني » لفسرواها . وذلك لأنه يتكلم عن شعب يطلب ، وشعب لم يطلب . وغير الطالب هو الوارث .

٦ - قوله : « أما أنتم الذين تركوا ربكم ، ونسوا جبل قدسي ، ورتبوا للسعادة الأكبر مائدة ، وملأوا للسعادة الأصغر خمرا ممزوجة ؛ فإني أعينكم للسيف »

يقول المفسرون : السعد الأكبر هو : « المشترى » وهو أكبر إله عند الوثنين .

والسعادة الأصغر هو اسم للزهرة . فالكتواب السيارة عبدها اليهود . ونسوا جبل الله المقدس . ويقول المفسرون : إن الجبل المقدس هو أورشليم والهيكل . ونسان هذا الجبل ، هو نسان الله . وقولهم باطل . فإن الجبل المقدس هو مكة والكعبة . وليس من دليل في التوراة على تقديس أورشليم والهيكل .

٧ - وقارن إشعيا بين شعيبين : شعب ملعون وهم اليهود ، وشعب مختار . فقال : « وتخلفون اسمكم لعنة لختارى »

٨ - وقال : إن الشعب المختار ، سيكونون عبيد الله . وسيسميهم باسم آخر . يسمون بأسماء تشير إلى أنهم « مباركو الرب »

٩ - ثم تكلم عن كثرة الخيرات في زمن النبي الأمي الأولى . فقال : لا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه » ويقول المفسرون : نفهم من هذا الكلام أن الله يعطي شعبه أفضل الخيرات بلون تعين عمر الإنسان تماماً .

١٠ - ثم تكلم عن الأمن والسلام في زمن النبي الأولى . فقال : « الذئب والحمل يرعيان معاً .. » يقول المفسرون : إن هذا يشير إلى الأمان والسلام بين بنى البشر . فلا يكونون ظالمين وشرسين . بسبب امتداد التقوى في العالم

١١ - وقال عن الدعاء والإجابة : « ويكون أنى قبلما يدعون ؛ أنا أجيب ، وفيما هم يتكلمون بعد ؛ أنا أسمع »

كتابة عن حب الشعب الجديد وإظهار الشفقة والرحمة به .

تعقيب :

ما سبق يعلم : أن اليهود عبدوا الأصنام من دون الله ، وقد ذكرنا عن الصابغين - أتباع نبي الله يحيى عليه السلام - أنهم كانوا طائفة من اليهود صبغهم يحيى من أجل إيمانهم بمحمد عليه السلام واستعدادهم للدخول في دينه إذا جاء . ولو أن اليهود تركوا اسم الصابغة بدون تفسيره بأنه اسم لعباد الأواثان ، الذين كانوا يعبدون الكواكب زمن إبراهيم عليه السلام ؛ لسارع الناس في الدخول في الإسلام . وهم لا يريدون ذلك . فلذلك فسروا كلمة « الصابغة » - وتطلق الصابحة - بأنه لقب كان موضوعاً على عباد الأواثان ، وأتباع يحيى هم بقایا الوثنين القدماء .

وأتباع يحيى إلى هذا اليوم ما عبدوا الأواثان . وعباد الأواثان القدماء لم يطلق عليهم صابحة ؛ لأن العالم كلهم كانوا عباد أواثان . وكان اليهود يعبدون الأواثان ويقولون نحن صابحة ؛ ليلغوا في دعوة يحيى . فشاع بين الناس أن الموجدين إلى اليوم من أتباع يحيى . سواء أكانوا حرانيين أم متذانين . عباد أواثان . والحق أن الذين عبدوا الأواثان هم اليهود . بغض النظر عنهم ، وينص القرآن الكريم .

ثانياً : نبذة موسى في سفر التثنية :

تذكرة :

قول الله ل Ibrahim عليه السلام : « وتبارك فيك جميع قبائل الأرض » وتقسيم بركة Ibrahim بين إسماعيل وإسحق . فإن ملاك الله قال لهاجر عن بركتها : « تكيرا أكثر سلك ، فلا يبعد من الكثرة » وقال الله ل Ibrahim عن سارة : « أباركها تكون أاما ، وملوك شعوب منها ، يكونون »

« وقال Ibrahim لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك » فقال الله : « وأما إسماعيل . فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » وقال عن بركة إسحق : « وأكثر سلك كنجوم السماء ، وأعطي سلك جميع هذه البلاد ، وتبارك في سلك جميع أسم الأرض » وناب بنو إسرائيل عن نسل إسحق في بركتهم . فإن الملاك « باركه هناك » وإسحق قال ليعقوب وهو يباركه : « ليستبعد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل » ومعنى هنا : أن بنى إسرائيل لهم ملة من الزمان تبدأ من نبي الله موسى عليه السلام وأن بنى إسماعيل لهم ملة من الزمان تبدأ من نبي الله محمد عليه السلام الذي كتب عنه موسى في الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، وقال : إنه سيكون مثل . وقال في آخر التوراة : ولن يظهر مثل في بنى إسرائيل .

ونشيد موسى يبين أن الله قد أنعم على اليهود بنعم لا تمحى ولا تعد ، وأنهم لم يشكروا نعمه ، وعبدوا الأوثان ، ونسوا الله الذي خلقهم ، وجعلهم ملوكا ، واتهموا ما لم يؤت أحدا من العالمين . ولأنهم أغذروا الله بعبادتهم الأوثان؛ سوف يغذونهم بأمة غية ، لا تُحسب شعبا في عداد الشعوب المتحضرة . وسوف يسلّهم إلى الهلاك « لأن الرب يدين شعبه ، وعلى عيده يشفق » أى يهلك شعبه الأول الذي اختاره من بين الوثنين لهدايتهم إليه ، ويشفق على عبيده المختارين .

ثم تكلم عن النبي الأمي الآتي من الأمة الأمية الغربية في نظر اليهود فقال : « تهللوا أيها الأمم شعبه » وفي التوراة اليونانية « تهللوا أيها الأمم مع شعبه » وفي الرسالة إلى أهل روما : كتبها بولس كما في اليونانية « مع شعبه » أى أن النبي يظهر من شعب . والأمم تنضم إلى شعبه . كما ظهر موسى من شعب بنى إسرائيل ، وانضمت الأمم إليه .

نهيد للنبوة :

في الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر التثنية ما نصه :

لوقال الرب لموسى : هودا أيامك قد فربت لكى موت . ادع يشوع وفقا في خبمة الاجتماع لكى أوصيه . فانطلق موسى ويشوع ووفقا في خبمة الاجتماع فتراءى الرب في الخبمة في عمود سحاب ووقف عمود السحاب على باب الخيمة . وقال الرب لموسى : ها أنت ترقد مع آباءك فيقوم هذا الشعب ويُفجّر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي نطعنه معه . فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم وأتركه وأحجب وجهي عنه فيكون مأكلة وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليوم : أما لأن إلهي ليس في وسطي أصابتني هذه الشرور . وأنا أحجب وجهي في ذلك اليوم لأجل جميع الشر الذي عمله إذ التفت إلى آلهة أخرى . فالأآن اكتبوا لأنفسكم هنا النشيد وعلم بنى إسرائيل ليأه . ضمه في أنفواهم لكى يكون هنا النشيد شاهدا على بنى إسرائيل . لأنى أدخلهم الأرض التي أقسمت لأبائهم الفانية لبنا وعسلا فيأكلون ويشبعون ويسمتون ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها ويزدرون بي وينكثون عهدي . فمتي أصابته شرور كثيرة وشدائد ؛ يجاوب هذا النشيد أمامه شاهدا ؛ لأنه لا ينسى من أنواع نسله . إنى عرفت نكره الذي يفكّر به اليوم قبل أن أدخله إلى الأرض كما أقسمت .

فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم ، وعلم بنى إسرائيل ليأه .

وأوصى يشوع بن نون وقال : تشدد وتشجع لأنك أنت تتدخل بيني إسرائيل الأرض التي أقسمت لهم عنها وأنا أكون معك .

فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها . أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هنا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إليكם ليكون هناك شاهدا عليكم . لأنى أنا عارف ترددكم ورقبكم الصلبة . هودا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موئى . اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض . لأنى عارف أنكم بعد موئى تفسلون

وتزيفون عن الطريق الذى أوصيكم به . ويسىكم الشر فى آخر الايام لانكم تعلمون الشر أمام رب حتى تغبظوه بأعمال أبيكم .

فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى عمه .

لاحظ :

١) يصيكم الشر فى آخر الأيام ،

على يد النبي الأمى الآتى مثل موسى . فإن نشيد موسى يتكلم عن بركة بنى إسرائيل ، التى ستنتهى فى آخر أيام ملوكهم وبنوتهم ، وبهذه أيام بركة بنى إسماعيل من محمد صلوات الله عليه وسلم فقد قال يعقوب لبنيه : « اجتمعوا لأنتم بما يصيكم فى آخر الأيام » ثم تكلم عن زوال الملك والشريعة منهم بقوله : « لا يزول قضيب من يهودنا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتي شيلون . ولن يكون خضوع شعوب » { نك ٤٩ و ١٠ }

وفي هذا النشيد : التنبية على مجيء أمة جديدة غيبة فى نظر اليهود ، وأنها تبدأ من نبي ستنهى الأمم مع شعبه به ، وسيكون هلاك بنى إسرائيل الكافرين به على يديه .

تطابق نبوة نشيد موسى مع القرآن الكريم :

وفي هذه النبوة يتكلم عن اليهود . فـى شخص أبיהם يعقوب فيقول : « يعقوب حبل نصيبه . وجده فى أرض قفر ، وفي خلاء مستوحش خرب . أحاط به وصانه كحدقة عينه ، كما يحرك السر عشه ، وعلى فراشه يرف ، ويسلط جناحه ، ويحملها على مناكبه . هكذا الرب وحده ، اقتاده ، وليس معه إله أجنبى ... »

وفي هذه النبوة أن الله جعلهم ملوكا على الأمم ، وأنعم عليهم بخبرات عظيمة . وإذا زالت بركتهم ؛ فإن الخبرات ستستقل إلى الأمة الجديدة . وهم يطمعون فى زيادة الخبرات .

وعن هنا يقول الله تعالى : « ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا مدودا ، وبين شهودا ، ومهدت له ثمينات بطعم أن أزيد . كلاما » أى لا يريد محملا عليه السلام ليظل مالكا . فيحصل على ملء تكون زيادة على ملء بركة بنى إسرائيل .

وفي هذه النبوة : « فانا أغيرهم بما ليس شعبا . بأمة غيبة أغيظهم »

وفي القرآن الكريم : « هو الذي بعث في الأميين رسولًا منهم ... »

وفي هذه النبوة : « إنهم أمة عدية الرأى ولا بصيرة فيهم » وفي القرآن الكريم : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفار »

وفي هذه النبوة : « أنا أنا هو ، وليس إله معي » ومعناها : « هو الله أحد » وفي هذه النبوة : أنهم لو تأملوا في آخرتهم . لعلموا أن الله لن ينصرهم على النبي الآتي . فلماذا يحاربون ربنا ، والرب قد باعهم ؟ وفي القرآن الكريم : « ثم لا ينصرون » وفي هذه النبوة : « تهلكوا أيها الأمم مع شعبه » وفي القرآن الكريم : « و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » ويقول تعالى : « فَبِذَلِكَ فَلَيُفْرِجُوا هُوَ خَيْرٌ مَا يَجْمِعُونَ »

تعليق :

ونعيد التعقيب الذي عقبنا به على كلام إشعياه في رفض اليهود أمام الله .
فإن في نبوة نشيد موسى : « ذبحوا لأوثان ليست الله ، ولألهة لم يعرفوها » وقد نقل اليهود ما فيهم إلى الصابئين أتباع يحى عليه السلام . ونقلوا معنى كلمة الصابئين من الصبيح في الماء إلى لقب عباد الأوثان في زمان الخليل إبراهيم عليه السلام ليضللوا الناس في دعوة يحيى ، وليصلدوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وكان اليهودي يعبد الصنم جهارا ، ويقول للناس : أنا لست يهوديا وإنما أنا من أتباع يحيى ، أنا صابئي . فظن الناس أن أتباع يحيى عباد أصنام . وهم ليسوا عباد الأصنام .

ومثل ما فعلوا مع الصابئين ، فعلوا مع العرب بنى إسماعيل . فإنهم كذبوا عليهم ، وقالوا : إن العرب عبدوا الأصنام ووضعوها عند الصفا والمروة وعند الكعبة . والحق : أن العرب لم يسجدوا لصنم فقط ، ولم يضعوا الأصنام في ديارهم . وسبب قولهم هذا عليهم : هو أن الله لما رفض اليهود من السير أمامه ؛ علل الرفض بأنهم عبدوا الأصنام . فوضعوا عبادة الأصنام في العرب ؛ ليقولوا للعالم : إن العرب مثلك . فلماذا رفضنا ؟ لماذا اختار النبي الآتي من العرب عباد الأصنام . ولم يعثه فينا ؟ لأننا عباد أصنام ؟ فهم مثلك فيها . فلماذا الرفض ؟ وقد

كانتا معنا على شريعة موسى ، وأبونا هو إبراهيم ، وعلماً كثيرون كانوا يعلمون الشريعة في ديارهم . فلما أن نُرفض جميعاً ، ويظهر النبي في أمة طاهرة . وإنما أن يبعثه علينا ، لأننا أهل العلم وهم أميون .

ثم ما كان فيهم من الصفات القبيحة والأفعال الذميمة كالزنا والسرقة والقتل والرِّبَا ، وأكل مال الغير ، وما شابه ذلك . نسبوه إلى العرب ؛ للحط من شأنهم ، والتقليل من قيمتهم . والعرب براءة من ذلك كله . وهم إلى هذا اليوم أبرار وبراءة .

نفي القرآن الكريم : أن إبراهيم عليه السلام لما بني الكعبة هو وإسماعيل ولم يكن له ولد غيره في ذاك الزمان ؛ طلب من الله أن يجنب نسله عبادة الأصنام وأن يبعث فيهم نبياً منهم . وقد استجاب الله له وبعث فيهم النبي ﷺ فيكون الأمر الأول وهو إبعادهم عن عبادة الأصنام : قد تم وحصل . وفي القرآن ؛ أن الله عقد عهداً بينه وبين إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا الكعبة من الأصنام ، ولم يذكر الله في القرآن أنهم نقضوا العهد . فيكونون قد وفوا به ، والتزموا به . فكيف مع هذا يقول السباء من الناس : إن العرب تعدوا على حرمات الله ، وعبدوا الأصنام من دونه ؟ إن اليهود قد كذبوا عليهم لينكروا نبوة محمد ﷺ .

نص نشيد موسى :

«انصتى^(١) أيتها السموات فاتكلم ، ولتسمع الأرض أتوال فمى . يهطل كالملطري تعليمى ، ويقطر كالندى كلامى . كالطل على الكلام وكالوابل على العشب . إنى باسم الرب أنادى . أعطوا عظمة لإلهنا . هو الصخر الكامل صنيعه . إن جميع سبله عدل . إله أمانة . لا جور فيه . صديقٌ وعادل هو .

أفسد له الذين ليسوا أولاده . عبيهم . جيل أعوج ملتو . الرب نكاثتون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم ؟ أليس هو أباكم ومقتنيك . هو عملك وأنشأك ؟ اذكر أيام القدم وتأملوا سنى دور فدور . اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك .

حين قسم العلي للأمم . حين فرق بنى آدم ؛ نصب تخوماً لشعوب حسب عد بني إسرائيل . إن قسم الرب هو شعبه . يعقوب حبل نصبيه . وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب . أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه . كما يحرك

^(١) تتبة ٣٢ .

النسر عشه وعلى فراخه يرف ويحيط جناحه ويأخذها ويحملها على مناكبه . هكذا
الرب وحده انتاده وليس معه إله أجنبي . أركبه على مرتقعت الأرض فأكل
ثمار الصحراء وأرضعه عسلا من حجر وزينا من صوان الصخر . وزيلة بقر ولبن
غنم مع شحم خراف وكباش أولاد باشان وتيوس مع دسم لب الخنطة . ودم العنب
شربه خمرا .

فسمن يشورون ورفس . سمنت وغلظت واكتسبت شحما . فرفض الإله
الذى عمله وغوى عن صخرة خلاصه . أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس .
نبعوا لاوثان ليست الله . لاكله لم يعرفوها . أحداث قد جامت من قريب لم
يوربها آباءكم . الصخر الذى ولدك تركته . ونسى الله الذى أبداك^(١) .

فرأى الرب ورذل من الغيط بيته ويناته . وقال : أحجب وجهى عنهم وأنظر
ملائكة آخرتهم . إنهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم . هم أغاثونى بما ليس
إليها . أغاظوني ببابطيلهم . فأنا أغييرهم بما ليس شعبا . يامة هيبة أهيظهم .
إنه قد اشتعلت نار بغضى فتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها وتحرق
أسس الجبال . أجمع عليهم شرودا وأنفذ سهام فىهم . إذ هم خاونون من جوع
ومنهوكون من حمى وداء سام . أرسل فىهم أنابيب السوحوش مع حمة رواحه
الأرض . من خارج السيف يتكل ومن داخل الخدور الرعبة . الفتى مع الفتاة
والربيع مع الأشيب . قلت : أبددهم إلى الزوابيا وأبطل من الناس ذكرهم . لو
لم أخف من إغاظة العدو من أن ينكر أصدادهم من أن يقولوا : يدنا ارتفعت وليس
الرب فعل كل هذه .

إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم . لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا
آخرتهم . كيف يطرد واحد ألفا ويهزم اثنان ريبة لولا أن صخرهم باعهم والرب
سلمهم ؟ لأنه ليس كصخرنا صخرهم ولو كان أعداؤنا القضاة . لأن من جفنة
سلوم جفتهم ومن كروم عمورة . عنهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة . خمرهم
حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل .

ليس ذلك مكنوزا عندي . مختوما عليه فى خزانتى ؟ لى النفقة والجزاء .
فوقت تزل أقنانهم . إن يوم ملائكة فريب والمهيات لهم مسرعة . لأن الرب

(١) «نسوا الله نسيهم» .

يدين شعبه وعلى عبيده يشفق . حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق يقول : أين أكثتهم الصخرة التي التجأوا إليها التي كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكاثتهم . لنقم وتساعدكم ونكن عليكم حماية . انظروا الآن . أنا أنا هو وليس إله معن^(١) . أنا أموت وأحيى . سحقت وإنى أشفى . وليس من يدِي مخلص . إنِّي أرفع إلى السماء يدي وأقول : حَسْنَةٌ إِلَى الْأَبَدِ . إِذَا سُنْتَ سيفي البارق وأمسكت بالقضاء يدي ؛ أرد نعمة على أصدادي وأجازي بغضبي . أسرر سهامي بدم ويأكل سيفي لحما . بدم القتلى والسبايا ومن رءوس قواد العدو . تهلكوا أيها الأمم . شعبه . لانه يتقمب بدم عبيده ، ويرد نعمة على أصدادي ، ويصفع عن أرضه عن شعبه ^{إث ٣٢ - ٤٣}.

وفي النص اليوناني : « تهلكي معه أيتها السموات ، واسجدوا له يا جميع الآلهة . تهلكي أيتها الأمم مع شعبه ، ولتعلن قوته ملائكة الله^(٢) جمِيعا ؛ لأنَّه يثار لدم عبيده ، ويرد الانتقام على خصومه ، ويجازي بغضبيه ، ويُكفر عن أرض شعبه »



كلام النصارى في نبوة نشيد موسى ، ونبيو نبوة إشعيا

يقول بولس في الأصحاح العاشر من رسالته إلى أهل روما :

إنِّي أَتَنِي مِنَ اللَّهِ أَنْ يُنْقَلِبَ الْيَهُودُ إِلَى مَسِيحِيْنَ ، مُؤْمِنِيْنَ بِعِيسَى رِبِّي مَصْلُوبِيَا عن الخطايا ، وبذلك يخلصون من عقاب الله . والإيمان به ربا مصلوبا عن الخطايا ؛ يدخلهم الجنة التي وعد بها الله المتقون ، ولو لم يعملا بأحكام التوراة ، وإذا هم انقلبوا إلى المسيحية ، وقبلوا الأمم معهم ؛ فإنهم يكونون مع الأمم شعباً جديداً هو شعب المسيح . لكن اليهود لن ينقلبوا إلى مسيحيين مع علمهم بأن الله سيرفضهم من السير أمامه في حال ظهور النبي الأمي المثالى لموسى . يقول بولس : « لَكُنِي أَقُولُ : أَعْلَمُ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعْلَمْ ؟ أَوْلًا : مُوسَى يَقُولُ : أَنَا أَغْيِظُكُمْ بِمَا لَيْسَ أُمَّةً . بِأُمَّةٍ غَيْبَةً أَغْيِظُكُمْ » ثم إشعيا يتجرس ويقول : « وَجَدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي ، وَصَرَّتْ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِي » أما من جهة إسرائيل فيقول : « طَوْلُ النَّهَارِ بَسْطَتْ يَدِي إِلَى شَعْبٍ مَعَانِدٍ وَمَقَاوِمٍ » ^{رو ١٠ : ١٩ - ٢١}

(١) **« قل : مو الله أحد » .** (٢) **« إِذْ يَوْمَ يُرِيكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ : فَئِنْ مَعْكُمْ » .**

والرد على بولس :

هو أن الدين أ - عقيدة ب - وشريعة . أو إيمان وأعمال . وال المسيح عيسى عليه السلام من بنى إسرائيل . ولم يؤمن ديانة ، لأنه كان على شريعة موسى لقوله : « لا نظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الآتيا »

وكان يبشر محمد رسول الله ﷺ ذلك قوله في النص : « ما جئت لأنقض بل لاكميل » ومعنى التكميل : هو أن أحكام التوراة الفقهية فيها حكم الإيمان بنبي سيظهر مثل موسى . له يسمعون . واليهود لا يقدرون على العمل بهذا الحكم من قبل ظهور هذا النبي ؛ فتكون عملهم بالتوراة ناقصا . وإذا جاء وأمننا به ؛ فإن عملهم بالتوراة يكون كاملا . فلذلك قال المسيح : أنا جئت لأدعو إلى إكمال الشريعة وذلك بإرشادكم إلى محمد وصفاته . وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم : « إلليوم أكملت لكم دينكم ، وأتمت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا »

وكان المسيح هو ويحيى - عليهما السلام - يدعوان إلى اقتراب ملكوت السموات . وقد ضرب المسيح أمثلة كثيرة ليبيان معناه . وهو ملكوت محمد ﷺ وصرح بأن الأعمال شرط صحة في الدين لا شرط كمال . ومن كلامه : « كل من يأتي إلى ويسمع كلامي ويعمل به ؛ أرىكم من يشبه ؟ يشبه إنساناً بنبي بيته ، وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر . فلما حدث سيل ؛ صدم النهر ذلك البيت ؛ فلم يقدر على أن يزعزعه ؛ لأنه كان مؤسساً على الصخر . وأما الذي يسمع ولا يعمل ؛ فيشبه إنساناً بنبي بيته على الأرض من دون أساس . فصدمة النهر فسقط حالاً ، وكان خراب ذلك البيت عظيماً » {لو 6: 47 - 49}

ثم ناقض بولس نفسه فقال : « العلّ الله رفض شعبه ؟ »

إنه صرخ بالرنف واستدل عليه . فكيف يقول بعد ذلك : إن الشعب اليهودي غير مرفوض ؟

هذا تناقض . وسبب قوله إن الشعب اليهودي غير مرفوض : هو أنه عمل دينا وسماه المسيحية . ونسب كلامه إلى المسيح بقوله : أنا تلقته منه من بعد موته في رؤيا (١) ، وال المسيح من اليهود .

(١) أعمال الرسل - الاصحاح الثاني

وقد ذكرتُ نص كلامه كله وفسرته وردت عليه في كتابنا «اقتباسات كتاب الانجيل من التوراة»^٤
الشرح والبيان:

١ - «أنتهى (١) أيتها السموات فأنكلم ، ولتنسم الأرض أقوال فني»
من المتكلّم؟ هل هو نبى الله موسى؟ ليس هو . لأنّ بنى إسرائيل لم يكونوا قد زاعوا وفسدوا . هل هو نبى الله محمد الأكثى من بعد موسى الذي يقول عنه الله بصيغة الالتفات «تهللوا أيها الأمم مع شعبه»؟

هذا هو الحق . وفلك لأن داود عليه السلام تخيل محمداً متكلّماً ، ونقل كلامه إلى الناس في الزبور . فالمتكلّم في الظاهر داود . وهو بظاهر الغيب ، بقدرة الروح ، ينقل كلام محمد ﷺ للناس . ومثال ذلك : «قال رب لسيدي : اجلس عن يمين حتى أجعل أعداءك موطنًا لقدميك» ^٥ [مز ١١٠ : ١] إنه يقول : إن الله قال لسيدي النبي الأكثى . كن معن ، وأنا أنصرك على أعدائك .

وداود لم يسمع كلام الله مباشرة ، ولم يخبره سيده بما قاله الله له . ولم يحدث ذلك على الحقيقة ، لأنّ محمداً لم يكن موحيداً بجسمه قبل داود .

ومثال ذلك أيضاً : كلام محمد لله في المزמור المائة والتاسع عشر: «أحسن إلى عبده فاحبا . اكتف عن عيني فأرى عجائب من شربعتك . غريب أنا في الأرض . لا تُخف عنّي وصيابيك . انسحقت نفسى شوقاً إلى أحكامك في كل حين . انهرتَ المتكبرين الملعين الضالين عن وصيابيك»

فقد تخيله داود وهو يقول هذا الكلام لله ، ونقل للناس قوله ؛ ليعرفوا حقيقته . وهو إذا جاء . إذا قال في القرآن ما قاله داود عنه ؛ فإنه يكون هو النبي المتظر . ولما جاء محمد ﷺ قال عن نفسه الكلام الذي قاله عنه داود .

ولا يمكن أن يكون داود هو المتكلّم عن نفسه ؛ لأنّه ليس غريباً في الأرض . وفي القرآن الكريم: «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم»^٦ واللاعن لهم هو محمد رسول الله . وقد نقل لعنته لهم داود ، وعيسى بن

(٤) راجع تفسير التوراة المسى «السن القويم في تفسير استخار العهد القديم» - الجزء الثاني

مريم ، لا أنها هما اللاعنان (١) .

وفي النص « ولنسمع الأرض أتسوال فمی » إشارة إلى أن المتكلم هو النبي الذي قال عنه موسى : « وأجعل كلامي في فمه » وفي بده سفر إشعياه : « اسمعي أيتها السموات ، واصغى أيتها الأرض ؛ لأن الرب يتكلّم » ثم سرد أفعال بنى إسرائيل التّعيبة ، وقال بعدها : « ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في دأس الجبال ، ويرتفع فوق التلال ، وتمهرى إليه كل الأمم ، وتسرى شعوب كثرة ويقولون : هل نصعد إلى جبل الرب ... »

ثم تكلّم عن رفسن بنى إسرائيل من السير أيام الله فقال : « فإنك رفست شعبك بيت يعقوب ؛ لأنهم امتلأوا من المشرق ... وامتلأت أرضهم أوثانا »

وآخر الأيام : هو آخر أيام بركة بنى إسرائيل ، وينتهي برقة بنى إسماعيل من

محمد ﷺ

والنبي المتكلّم نيابة عن الله يقول عن نفسه : « إنني باسم رب آنادي .
اعطوا عظمة لإلهنا »

من المتكلّم باسم الله ؟

في قول موسى عن النبي الآتى : « ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمى ؛ أنا أطالبه » {أث ١٨ + ٢٦}

ولا يمكن أن يكون المتكلّم موسى عليه السلام . لأن الله يوحى إليه بكلامه .
وهو يبلغه بقال الله . ولا يقول أنا نائب عنه ، وأنكلّم بالنيابة عنه

إن الله تعالى كان نبيهود كالاب لابنه . في الشفقة والرحمة . وقال لهم :
« أنتم أولاد للرب إلهكم » {أث ١٤ : ١} وقال لهم : « ليس مثل الله » {أث ٣٣ : ٢٦} وكلّمهم عن نفسه بلسان بنى آدم ؛ ليفهموا مراده . ورزقهم من الطيبات . ومع ذلك لم يقابلوا الإحسان بالإحسان ، وإنما قابلوه بالإساءة .

٦ - « اذكر أيام القدم ، وتأملوا سنى دور فدور . اسأل أبيك فيخبرك ،

وشيوك فيقولوا لك »

(٢) راجع البداية والنهاية لامة بنى إسرائيل - أحمد حجازي السقا

هذا يدل على أن النبي المتكلم هو النبي الآتي عوضاً عن الله مثل موسي عليه السلام . وذلك لأنه يقول لليهود : اذكروا الأيام القديمة . وهي لا تكون قديمة إلا في وجود أيام جديدة . هي أيام النبي الآتي . قوله « سني دور فدور » لا يدل على اليهود المعاصرين لموسى . لأن الأدوار الكثيرة في الزمان لا تدل على المعاصرين لموسى . ويدل على زمان كثير أيضاً : قوله : أسأل الشيوخ . ولم يكن في عصر موسى شيوخ معلومون .

٧ - « حين قسم العلی للأمم ، حين فرق بنی آدم ؛ نصب تخوماً لشعوب حسب علد بنی إسرائیل . إن قسم الرب هو شعبه . يعقوب حبل نصيبي »

لما تفرق المؤمنون بالله في الأرض بعد خاجتهم في سفينة نوح عليه السلام . وصاروا شعورياً . جعل لكل شعب جزءاً من الأرض . فشعب إيران له جزء ، وشعب الرومان له جزء ، وشعب مصر له جزء . وهكذا . ويقال : إنهم كانوا سبعين شعباً يتكلمون سبعين لغة ، من بعد بناء برج بابل وهدمه ، وبعد نفوس بنى إسرائيل التي جاءت إلى مصر مع يعقوب ؛ يُعطى الله مدننا في العالم لبني إسرائيل ليعلموا فيها شريعة موسى . وينو إسرائيل لم يكونوا شعباً لهم جزء من الأرض . فلما نزلت شريعة موسى ، وأمرهم الله بنشرها بين الشعوب أعطاهم مدننا علد النفوس ، فإنهم إذا فتحوا بلد شعب لنشر الشريعة فيها ؛ يسكنون فيها ؛ فيكونون مالكين لراضي الشعوب . وملكيتهم على الشعوب هو في الحقيقة ؛ ملك الله على الشعوب . ولذلك يسمى « بملکوت الله » أو « بملکوت السموات »

فإذا جاء النبي المتظر ، وفتح شعبه بلاد العالم ؛ فلأنهم يكونون ساكنين فيها . ويكونون مالكين لراضي الشعوب ، وملكيتهم على الشعوب هو في الحقيقة ؛ ملك الله على الشعوب . ولذلك يسمى بملکوت الله أو بملکوت السموات ، وفي هذا المعنى يقول عيسى عليه السلام لعلماء بنى إسرائيل : « إن ملکوت الله يتزع منكم ، ويعطى لامة تعمل أمراء »

وهذا هو معنى قوله **بُولُس لأهل آثينا**^(١) : « أيها الرجال الآثينيون . أراك من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً . لأنّ بينما كنت أجتاز ، وأنظر إلى معبوداتكم ؛ وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه : « لاله مجهر »

فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه . هنا أنا أنادي لكم به . الإله الذي خلق العالم

(١) أعمال الرسل ١٧ .

وكل ما فيه . هذا هو رب السماء والأرض لا يسكن في هيكل مصنوعة الأيدي ، ولا يُخدم بأيدي الناس ؛ كأنه يحتاج إلى شيء . إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسا ، وكل شيء . وصنع من دم واحد من الناس يسكنون على كل وجه الأرض ، وحتم بالأوقات المعينة ويحدود مسكنهم كل أمة . لكن يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه . مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيدا ؛ لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد ، كما قال بعض شعرائكم أيضا : « لأننا أيضا ذريته » فإذا نحن ذرية الله لا ينبغي أن نظن أن الالاهوت شيء بذهب أو فضة أو حجر . نقش صناعة واحتزاع إنسان . . . » { أعمال ١٧ : ٢٩ - ٤٠ }

واوضح من كلامه : أنه كان يدعو الأمم إلى الله ، كما كان يدعو اليهود من قبل سبي بابل .

٨- « وجده في أرض قفر ، وفي خلاء مستوحش خرب ...»

الارض القفر . هي وطن بنى انس-ماعيل . والكاتب يشير بالقفر وبالخلاء إلى النبي الآتى منه . لأن يعقوب مولود في مدن مأهولة بالسكان ، وتحيط بها المدائق والبساتين من كل جانب . ثم ابتدأ فى الكلام عن يعقوب فقال : « مكنا رب وحده اقتاده ، وليس معه إله أجنبي » ولذا نجينا هنا المعنى جاتبا وفسرنا بحسب ظواهر النصوص . ففإن الكلام كله يكون عن يعقوب وبنيه جميعا مكنا : وجده فى أرض قفر ، فأحاط به ورياه تربية حسنة . ثم اقتاده إلى مصر ، ثم أخرجه منها ليقيم له على الشعوب ملكا . من موسى عليه السلام . والإشكال على هذا المعنى هو القفر والخراب ، وهو لا يزول إلا بأسلوب الالتفات ، أو بأسلوب تحريف الكاتب للكلام عن مواضعه .

۹ - « فسمن پشورون ورفس »

كلمة « يشرون » ترجمت في السعینية بالمحبوب ، وفي ترجمة إسرائيل .
والمعنى : أن الله لما أكرم بنى إسرائيل ماروا كالفرس الذى من كثرة العلف
وجودته ؛ يوفى من البطر .

١٠ - « هم أغأروني بما ليس إلها . أغاظوني ببابطيلهم ؛ فانا أغيرهم بما ليس
شعيا . يامة غيبة أغطيّهم »

يفسر بولس الامة الغبية بقوله : « كل أمة من الأمم الوثنية » والتفسير الصحيح : أنها أمة واحدة فقط . وهى أمة بنى إسماعيل عليه السلام المبارك فيه من الله . وأمة بنى إسماعيل ليست أمة وثنية ؛ لأنهم كانوا على شريعة التوراة ، ولأنهم طهروا الكعبة من الأصنام . ولم يقل في هذه التبرة إنه سيغيرهم بآمة وثنية ، بل قال بأمة جاهلة وغبية . أي غير متعلمة .

١١ - ثم نكلم عن بعض الله لليهود وإهانته لهم ونصره إعداءهم عليهم .
فقال : « أجمع عليهم شرورا »

١٢ - ووصف علماء بنى إسرائيل بالغباء فقال : « إنهم أمة عدبة الرأى ، ولا بصيرة فيهم »
لأنهم لو كانوا حكماء ، ما ردوا إرادة الله . وهى التمكين لمحمد فى الأرض .

١٣ - « تأملوا آخرتهم »
أى أنهم في آخر أيام بركة بنى إسرائيل ، سيهلكون على يد النبي الأنبياء .
وقد تم هذا الهلاك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٦٣٨ م

١٤ - « لانه ليس كصخرنا صخرهم ، ولو كان أعدلنا القضاة »
يقول المفسر اليهودي « راشى » في هذه العبارة :
« لأن صخرهم . أى إله الأعداء ليس كصخرنا » أى الله . ومع ذلك
أعداؤنا فضلاء . أى أسياد يسودوننا » أى هم

من هم الأعداء ؟ هم شعب بنى إسماعيل التي سبباً برتكه من محمد عليه السلام .
لأنه يتكلم عن أمة أمية ستانى لتزع من اليهود الملك . وعبر عن النبي الأنبياء منها
بقوله : « تهللوا أيها الأمم مع شعبي » وقال : إن الله الذي كان صخرة لهم « باعهم »
و « أسلّهم » واتقسم إلى الشعب الأنبياء الذي سيهلك اليهود هلاكاً رديماً . فكلام
الحبر راشى المفسر هو الصحيح . ومعناه : أن أعداء اليهود سيسلطون على اليهود .

١٥ - « أليس ذلك مكتوراً عندي . مختوماً عليه في خزانى ؟ »
ومعناه : أن أعمال بنى إسرائيل رديتها .

١٦ - « لى النعمة والجزاء » أى لله الأمر من قبل ومن بعد .

١٧ - « في وقت تزل أقدامهم »

ما هو الوقت الذي سيهلك فيه اليهود لقوله : « إن يوم ملاكمهم قريب » ؟ هو الوقت الذي سيظهر فيه محمد رسول الله . وسيكون ملاكمهم على يديه . وقوله « وقت » يشير إلى وقت بعلمه . فيكون ظهور محمد عليه السلام غير معلوم سينه . وإن كان معلوما أنه « قريب » إذ هو الذي سيهلك اليهود ملائكا رديا . ويوم الهاك على يديه يسمى يوم الانتقام ؛ فيكون يوم الانتقام : هو يوم الهاك على يديه . فإذا قلنا « وقت » أو قلنا « يوم الانتقام » فإن المعنى واحد . ولكن السامريين يفرقون بينهما بقولهم : إن يوم الانتقام هو يوم القيمة من الأسموات ، وإن وقت . قد يكون في الدنيا وقد يكون في الآخرة .

١٨ - « لأنَّ الرَّبَّ يَدْنِي شَعْبَهُ ، وَعَلَى عَبْدِهِ يَشْفَقُ » هُنَا يَقَوْنُ بَيْنَ شَعْبَيْنِ .
شعب سيدنيه الله وبهلكه . وهم شعب اليهود . وشعب سيرحمه الله . وهم شعب بنى إسماعيل . والدينونة : هي العقاب ؛ لقول بولس : « وأيضاً : الرب يدین شعبه ، مخيف هو الواقع بيد الله الحى » {أعب ١٠ : ٣١} فبيان أن الدينونة هنا تستلزم العقاب .

١٩ - « تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الْأَمْمُ شَعْبَهُ . لَأَنَّهُ يَتَّقَمُ بَدْمَ عَبْدِهِ ، وَيَرِدُ نَقْمَةً عَلَى أَصْنَادِهِ ، وَيَصْفُحُ عَنْ أَرْضِهِ . عَنْ شَعْبِهِ »
وفي النص اليونانى :

« تَهَلَّلُ مَعَ أَيْتَهَا السَّمَوَاتِ ، وَاسْجُدُوا لَهُ يَا جَمِيعَ الْأَكْلَهَ . تَهَلَّلُ أَيْتَهَا الْأَمْمُ مَعَ شَعْبِهِ ، وَلَتُعْلَنْ قَوْنَهُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ جَمِيعًا ؛ لَأَنَّهُ يَثَارُ لَدْمَ عَبْدِهِ ، وَيَرِدُ الْأَنْتَقَامَ عَلَى خَصْرُومَهُ ، وَيَجَازِي مَبْخَصِيهِ ؛ وَيَكْفُرُ عَنْ أَرْضِ شَعْبِهِ » {تَث ٤٣ - ٤٤ : ٣٢} تَهَلَّلُ مَعَهُ : أَى مَعَ النَّبِيِّ الْأَمِّ الْأَنْتَى مِنَ الْأَمْمَةِ الْأَمِّيَّةِ . وَهُوَ مُحَمَّدٌ عليه السلام وَاسْجُدُوا لَهُ يَا جَمِيعَ الْأَكْلَهَ : أَى تَخْضُعُ سَادَةُ الْأَمْمَ لِشَرِيعَتِهِ .

تهاللى أيتها الام مع شعبه : أى شريعته لشعبه ولجميع الام .
ولتعلن قوته ملائكة الله جمیعا : أى ان ملائكة السموات تساعده في حرره ضد اعدائه من اليهود وغيرهم .

يتأثر لهم عبيده : لأن الأعداء سيحاربونهم ويقتلون منهم ، والله هو الذي سينهار لهم .

وقد تحقق هذا مع محمد عليه السلام فان الملائكة نصرته على أعدائه في غزوة بدر . وما تزال مع المسلمين .

التطابق مع القرآن الكريم :

قد بينا وجهاً للتطابق من قبل . وه هنا نركز على كلام كريم في سورتين :

أولاً : التطابق مع سورة المدثر :

في سورة (١) المدثر يقول الله تعالى : « يا أيها المدثر . قم فأنثر » كنابة عن أن النبي وقومه كانوا بعيدين عن السير أمام الله . وكان بنو إسرائيل هم الذين يسيرون أمامه بشريعة موسى . فكانهم كانوا نائمين ، وهم يقطفين . فلما جاء دور بنى إسماعيل في السير أمام الله عوضاً عن بنى إسرائيل ، قال له : « قم فأنثر » ثم بين لهم في شخصه : « ولربك فاصبر » لأن اليهود الذين نزع الله منهم الملك ، لن يكفوا عن إيدانكم .

ثم نتكلم عن ملاك اليهود في الساعة التي أنبأ دانيال والمسيح أنهم سيهلكون فيها على يديه . فقد بين دانيال في الأصحاح التاسع أنه بعد أربعين سنة وسبعين سنة يزول ملك اليهود من العالم بالحرب على يد النبي الآتي . ذلك قوله : « سبعون أسبوعاً فُحيت على شعبك ، وعلى مديتك المقدسة ؛ لتكميل المعصية ، وتتميم الخطايا ، ولکفارة الإثم ، وليؤتى بالبر الأبدي ، وختنم الرؤيا والنبوة ، ولسع قدوس القدوسين . فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وينتها إلى المسيح الرئيس . . . الخ »

واستدل المسيح بكلام دانيال هنا على أن النبي الآتي ، الملقب بالمسيح الرئيس سيهلك سليمان ، وسيخرب أورشليم ، ومن كلامه : « فمتى نظرتم رجمة الحراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس » إلى أن قال : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات » {منى ٢٤}

(١) راجع كتابنا البداية والنهاية لامة بنى إسرائيل .

ثم تكلم عن هلاك اليهود في الساعة هذه ، وبين شدة وطأتها بأسلوب كنائى هو «فإذا نقر في الناقدور . فذلك يوم حسير ، على الكافرين غير يسير» والكافرون هم اليهود . لأن الآلف واللام تدل على قوم معروفين للمخاطب . والمراد بالنصر في الناقدور : الكناية عن تجمع الجيوش للحرب . كما هي العادة في دعى الطبول ، والنفخ في الأبواق .

ثم ابتدأ في إنذار اليهود فقال : «ذرني» أي أنا الذي سأقود الحرب ضدهم . وقد كنت من قبل ، أنصرهم على أعدائهم ، وأجعلهم تحت أقدامهم .

وين لهم أنه أكرمهم وأنعم عليهم وجعلهم ملوكا على الشعب . فقد كان يعقوب أبوهم مع يوسف وأخواته في أرض مصر . وقد كانوا يعيشون في الباذية ، ثم أرسل إليهم موسى فأخرجهم من مصر بقدرة الله وجعلهم ملوكا على الشعب ، فأكلوا خيرات الأرض ، ولا كث عددتهم ولما مالهم ؛ لا يريدون لغيرهم أن يتمتع بما تتعوا به . إنهم بعنادهم لله كأنهم يريدون أن يقولوا له : دعنا مالكين ، ولا تلك بنى إسماعيل . وإنه إذا لم يملكون قد أخذوا أكثر من حقهم . وهل يوجد إله غير الله ؟ أنا خلقته وحدى . يعني : هم وأباوهم . خاطبهم في شخص أبيهم . ولما خلقته «جعلت له مالا محدودا» أي أكتسبت المال لبني إسرائيل «وينين شهودا» وجعلتهم أكثر أموالا وأولادا . والأولاد يشهدون على ما حصل لهم ، وما سوف يحصل ، مما هو مدون في كتب التوراة عن هذه الأمور «ثم يطبع أن أزيدا» له مدة من ملة بركة بنى إسماعيل . أو يريد كل مدة بركته وهذا هو المعنى الصحيح للزيادة . «كلا» لن أزيدهم . والزيادة معناها : أن لا أرسل محمدا ، وأنا قد وعدت به ، ونبهت عليه ، ولأنهم شعب معاند كما قال إشعياء : «تركوا الله ، واستهانوا بقدوس إسرائيل . ارتدوا إلى وراء» {إيش ١ : ٤} «بسقط يدى طول النهار إلى شعب متمرد» {إيش ٦٥ : ٢} وقد نقلها بولس فقال : «طول النهار سقط يدى إلى شعب معاند ومقاومة» وفي القرآن الكريم «كلا إنه كان لأياتنا عديدة»

ثم هدده بقوله : إنه من اليوم فصاعدا «سأرهقه صعودا» لماذا ؟ لأنه تخلف عن الإيمان بمحمد رسول الله ﷺ وقال عن القرآن : «إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر»

وقد وصفهم الله بالظلم ، وأجرى هدا القول على لسانهم فقال : **«وقال الظالمون : إن تبمون إلا رجلا مسحورا»**

ثم قال عن جهنم : **«عليها تسعه عشر»** لبين اختلاف اليهود في عدة أهل النار، وليظهر لهم الصواب فيها ، وليسين الذين أوتو الكتاب أن محمدا رسول الله حقا وصادقا ؛ لأنه وهو أمن لا يدرى ما الكتاب ولا الإيمان قد أخبر بكثير ما عندهم . كأنه دارس للكتب . وما هو بدارس .

وهذا يدل على أن الله هو الذي علمه من فضله ومن كرمه

* * *

ثانيا : التطابق مع سورة آل عمران :

يقول الله تعالى : **«وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتنيكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ؛ لتؤمنن به ولتنصرنـه . قال : أقررتـم وأخذتم على ذلـكم إصرـى ؟ قالـوا : أقرـنا . قال : فأشهدـوا وأنا معـكم من الشـاهـدين»**.

نعم الميثاق من التوراة :

«إذا قام في وسطك نبي أو حالم حلاما ، وأعطيك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كملت عنها قائلـا : لنذهب وراء آلهـة آخرـى ، لم تعرفـها ونبـعدـها ؛ فلا تسمعـ لكـلامـ ذلكـ النـبـيـ أوـ الحـالـمـ ذلكـ الحـلـمـ ؛ لأنـ الـرـبـ إـلـهـكـمـ يـتـحـنـكـمـ لـكـىـ يـعـلـمـ هـلـ تـحـبـونـ الـرـبـ إـلـهـكـمـ مـنـ كـلـ قـلـوبـكـمـ وـمـنـ كـلـ أـنـفـسـكـمـ . وـرـاءـ الـرـبـ إـلـهـكـمـ تـسـيرـونـ ، وـإـلـيـاهـ تـسـقـونـ ، وـوـصـاـيـاهـ تـخـفـظـونـ ، وـصـوـتـهـ تـسـمـعـونـ ، وـإـلـيـاهـ تـبـعـدـونـ ، وـيـهـ تـلـتـصـقـونـ . وـذـلـكـ النـبـيـ أوـ الحـالـمـ ذلكـ الحـلـمـ ؛ يـُقـتـلـ ؛ لأنـ تـكـلـمـ بـالـزـيـغـ مـنـ وـرـاءـ الـرـبـ إـلـهـكـمـ الـذـيـ أـخـرـجـكـمـ مـنـ أـرـضـ مـصـرـ ، وـفـدـاـكـمـ مـنـ بـيـتـ العـبـودـيـةـ ؛ لـكـىـ بـطـوـحـكـمـ مـنـ الطـرـيقـ الـتـيـ أـمـرـكـمـ الـرـبـ إـلـهـكـمـ أـنـ تـسـلـكـواـ فـيـهـاـ ؛ فـتـرـعـونـ الشـرـ مـنـ بـيـنـكـمـ ؛ {تـبـيـةـ ١٣ـ :ـ ٥٠ـ} .

ومحمد عليه السلام من وسط اليهود يعني أنه من ذريه إبراهيم عليه السلام وذرية إبراهيم جماعة واحدة . وهو من نسل إسماعيل ، واليهود من نسل إسحق أخيه . فهم جميعا أولاد عم . وهو المشار إليه في سفر التثنية بقوله : «أقيمت لهم نبأا من

وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في نفسه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به » وهو مصدق لما معهم . لم يذر عنده أنه قال لهم : « لتنذهب وراء آلهة أخرى » فلا يكون جزاؤه القتل . وهو مع التصديق مهين ؛ لقوله : « فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

نص الإقرار من التوراة :

وقد أخذ الله الإقرار على بني إسرائيل - في الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية - بأن وقف ستة أسباط على جبل جِرْيُم ، وستة على جبل عيَّال . واللاويون يقولون لهم جميعا بصوت مرتفع : « ملعون الإنسان الذي يصنع ثالث منحرتنا أو مسبوكا . ويقولون : أمين » ملون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها ، ويقول جميع الشعب : أمين » وقد أقرروا بأن يعملوا بكل كلمات التوراة . ومن كلماتها : أنه إذا جاءهم رسول مصدق لما معهم ويدعوا إلى الله ؛ فإنهم يتقبلونه ؛ وإذا جاءهم رسول غير مصدق ؛ فإنهم يقتلونه . وهذا حكم شديد من أحكام التوراة الشديدة . ولذلك عبر عنه بقوله : « وأخذتم على ذلکم إصري » أي تشديداً على بقتله .

نص الشهادة :

وقوله تعالى : **﴿قال : فاشهدوا﴾** جاء في معناه في نشيد موسى عليه السلام :

أ - « فالآن اكتبوا لأنفسكم هنا الشديد ، وعلم بني إسرائيل إياه . ضعه في أفواههم ؛ لكن يكون لي هنا النشيد شاهدا على بني إسرائيل » {أث ٣١ : ١٩} .

ب - « قال لهم - أي موسى - : وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم ؛ لكن توصوا بها أولادكم ؛ ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة » {أث ٣٢ : ٤٦} فنائل شهدوا ؛ هونبي الله موسى عليه السلام .

* * *

وفي هذا القول كفاية .

والله أعلى وأعلم ، وأعز وأكرم . وصلى الله على محمد نبي الرحمة وعلى

آله وصحبه وسلم .

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ، وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ؛ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

تم الكتاب . ولله الحمد . وكان الفراغ من تأليفه في شهر ربيع الثاني من سنة ألف وأربعمائة وإحدى وعشرين من الهجرة .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	- التقديم للكتاب
١١	- تمهيدات - أئياء وعلماء بنى إسرائيل للتوراة
١٢	- مصدقا بكلمة من الله
١٣	- نص نبوة كلمة الله
١٣	- تصدقين يحيى بكلمة من الله
١٤	- وأتبناه الحكم صياغا
١٤	- المعمودية
١٥	- معمودية يوحنا
١٦	- تحرير الأنجليل من معمودية المسيح على يد وحنا العاملان
١٨	- الصابئون هم أتباع يحيى عليه السلام
٢٠	- عبادة اليهود للأصنام
٢٠	- نفي عبادة العرب للأصنام بأيات من القرآن
٢٢	- كلام العبر موسى بن ميمون عن الصابئة
٢٥	- مقدمة الكتاب
٢٥	- الصابئون طائفة من اليهود العبرانيين
٢٩	- نبوة ابن الله وتطبيق المسلمين لها على محمد <small>صلوات الله عليه وآله وسلامه</small>
٣٠	- أدلة على أن الصابئون من اليهود
٣٥	- الفصل الأول، في صبغة الله
٣٦	- الحكم على الصابئون
٣٧	- لقب النصارى
٣٧	- آتوال المؤرخون في صابة حران
٣٨	- «صبغ» في اللغة العبرانية
٣٨	- «الصابئون» في كتاب تفسير القرآن
٣٩	- الصبغة موت

الصفحة	الموضوع
٤٢	- الفرق بين المسلمين وبين النصارى في المعمودية
٤٣	- طائفة المندائية
٤٣	- الحروف الأبجدية عند الصابئة
٤٣	- مما يدل على أن الصابئة يهود
٤٥	- صراخ الأنبياء بحق محمد
٤٧	- كلمة «سبعونا»
٤٩	- تعاليم المعمدان ويسوع
٤٩	- يحيى وعيسى مصداقان للتوراة
٥١	- تبشير الصابئين بال المسيحية
٥١	- تحريف بولس للنجيل يحيى
٥٢	- السبب في قلة الصابئين
٥٣	- فرض المسيحية من الرومان
٥٣	- الكتب المقدسة
٥٤	- منشأ اسم الصابئة
٥٥	- وحدانية الله عند الصابئة
٥٥	- اسم محمد ﷺ في كتب الصابئة
٥٨	- الصابئون يدفون العزبة للمسلمين
٥٩	- عدم إيمان علماء بنى إسرائيل بدعوة يحيى عليه السلام
٦٠	- كلمة «الصابئون» في كتب التفسير
٦٢	- رأى الإمام الزمخشري رضى الله عنه في الخطأ النسوب للكتاب
٦٣	- تفسير «ليسوا سواه»
٧٣	- الفصل الثاني : في نبوءات التوراة عن النبي المنتظر
١٠١	- الفصل الثالث : في دعوة يحيى عليه السلام
١٠٢	- قد كمل الزمان
١٠٣	- شهادة يسوع للمعمدان

الصفحة	الموضوع
١٠٥	- عداء علماء بنى إسرائيل للمعдан
١٠٨	- تمهيد المعдан لـ محمد ﷺ
١٠٩	- تلاميذ يوحنا المعدان
١١٠	- شهادة المعدان لـ محمد ﷺ
١١٢	- خطابا العالم
١١٣	- صديق الرئيس
١١٥	- السراج المنير
١١٦	- تطبيق عيسى نبوة « ابن الله » في المزמור الثاني على محمد ﷺ
١١٨	- « و كنت عليهم شهينا ما دامت نبئهم »
١١٩	- خبر قتل يوحنا المعدان
١٢١	- رسالة يحيى عليه السلام
١٢٣	- نسب يوحنا المعدان و عيسى بن مرريم
١٢٤	- نص المحبيل لوقا عن ولادة يحيى عليه السلام
١٢٥	- البشارة بميلاد يوحنا المعدان
١٢٦	- الناصرة
١٢٦	- تعاليم يحيى عليه السلام
١٢٦	- نشأة يحيى عليه السلام
١٢٦	- شريعة الصابئين
١٢٦	- البشارة بميلاد يسوع
١٣٤	- السنة النبوية عند بنى إسرائيل
١٣٨	- نبوءة التجديد
١٤٣	- الفصل الرابع ، من أمثل ملوك الله في الإنجيل
١٤٣	- مثل الكرامين الأردباء
١٤٥	- مثل الزارع
١٥٠	- مثل الوكيل الأمين

الصفحة	الموضوع
١٥٣	- مثل الشجرة الجدباء
١٥٦	- أمثال الرحمة للخاطئين
١٧١	- نص الأصحاح التاسع من سفر دانيال
١٧٣	- مثل القاضي والأرملة
١٧٤	- مثل الأمانة العشرة
١٧٧	- مثل الوزنات العشر
١٧٩	- مثل عرس ابن الملك
١٨٣	- الفصل الثاني عشر : في العج إلى الكعبة من قبل الإسلام
١٨٦	- نص المزמור ٨٤
١٨٩	- من نبوءات الكعبة البيت الحرام
١٩٠	- جبل بيت الرب في آخر الأيام في سفر النبي إشعيا
١٩٢	- تطابق نبوءة جبل بيت الرب التوراة ، وأسفار الأنبياء
١٩٣	- اسم أحمد في الإنجيل (بيراكلبت)
١٩٦	- محاكمة الأستاذ الدكتور طه حسين على كتابه « في الشعر الجاهلي »
١٩٩	- الرد على الأستاذ الدكتور طه حسين
٢٠٢	- الفرق بين الأرض المباركة والأرض المقدسة
٢٠٧	- هجرة إبراهيم عليه السلام إلى مكة
٢١٠	- صنم قصر الشمع في مصر
٢١٤	- « رب أرنى كيف تحيي الموتى ؟ »
٢١٦	- « فصر من إليك »
٢١٧	- قد بلغ العشق متها
٢١٩	- معنى صر في اللغة العبرانية
٢٢٠	- ميلاد إسماعيل عليه السلام
٢٢٢	- بركة هاجر رضى الله عنها
٢٢٣	- تمجيد العهد مع إبراهيم

الصفحة	الموضوع
٢٢٤	- علامة العهد
٢٢٤	- دخول إسماعيل في العهد
٢٢٥	- إسحاق عليه السلام نافلة لإبراهيم وإسماعيل هو صاحب العهد.
٢٢٥	- معنى «من بعد ما استجيب له»
٢٢٦	- تفسير بولس للعهد
٢٢٧	- رأي بولس في عهد هاجر
٢٣٣	- زوجة إسحاق عاشت في مكة
٢٣٤	- إرث إسماعيل في إبراهيم
٢٣٧	- تقسيم زمن هيكل سليمان
٢٣٨	- محمد مشتهى كل الأمم
٢٤١	- الفصل السادس : هي هلال إبراهيم به جنّي الصبا
٢٤٥	- الرد على الشيخ محمد الغزالى في تهليل إبراهيم بمعنى محمد
٢٤٨	- مجىء يحيى وعيسى بالحكمة
٢٤٨	- خواطر الشیخ
٢٥٢	- يحيى وعيسى ينقلان من التوراة
٢٥٤	- الأمة القائمة
٢٥٥	- أصول شريعة موسى
٢٥٥	- موقف اليهود من أصول الشريعة من بعد السى
٢٥٥	- موقف الصابئين من أصول الشريعة من بعد السى يحيى
٢٥٩	- تحريف النصارى لنبوءات عن محمد طلاقش
٢٥٩	- تحريف النصارى لنبوءات عيسى
٢٦٠	- تحريف النصارى لشريعة التوراة
٢٦٠	- معنى الأمة القائمة
٢٦٤	- «الثلاثة الذين خلفوا»
٢٧٨	- الإسرائيليات وال الموضوعات في كتب التفسير والحديث والفقه

الصفحة	الموضوع
٢٨١	- المُهدي المتظر = المسياً عند اليهود بقلم الدكتور عبد المنعم الحفني
٢٨٢	- المُهدي المتظر عند الشيعة
٢٨٥	- الفصل السابع : في كلام اليهود في عباد الأوثان
٢٩٠	- صنم تمور
٢٩٤	- أعيجوبة من خوارق ال�ند
٢٩٦	- عقيدة الصابئين في الخالق عز وجل
٢٩٩	- الصابئة يدفون الجنزة للمسلمين
٣٠٤	- القراءين البشرية والحيوانية
٣٠٥	- تقديم القراءين البشرية للأصنام في التوراة
٣٠٦	- فعل اليهود مع الأصنام
٣٠٦	- قربان المشترى
٣٠٧	- قربان زحل
٣٠٧	- قربان المريخ
٣٠٧	- القرابان للشمس
٣٠٧	- القرابان لطارد
٣٠٧	- القرابان الزهرة
٣٠٧	- القرابان للقمر
٣٠٨	- هل كان الحرانية يأكلون القرابان ؟
٣٠٩	- لم حرم الحرانية أكل إناث البقر والضأن ؟
٣٠٩	- الجبر والقدر عند الصابئين
٣١٢	- الصيام عند الصابئين
٣١٣	- بدء السنة عند الصابئين
٣١٥	- الفصل الثامن : في الفرق بين المذهبانية والحرانية
٣١٦	- اختلافهم في بناء المعابد
٣١٧	- اختلافهم في طقوس الصلاة

الصفحة	الموضوع
٣٢٢	- اختلافهم في عقيدة الخشر والمعاد
٣٢٣	- اختلافهم في عقيدة قدم العالم
٣٢٤	- أسطورة خلق العالم عند الحرانية
٣٢٨	- عادات وتقاليد حرانية
٣٢٨	- شعائر الزواج والطلاق
٣٢٨	- حكم الحيض في التوراة
٣٢٩	- اللباس والزينة
٣٣٠	- طقوس الموت والدفن
٣٣١	- أتباع يوحنا المعمدان لا يعترفون بأن عيسى هو المسيح المتظر
٣٣٥	- المطرانى
٣٣٦	- عدة أصحاب النار في كتب الصابئة
٣٣٨	- اعتقاد الصابئة في الجن والشياطين
٣٣٩	- المشابهة بين الصابئين وبين المسلمين واليهود والسيحيين
٣٤١	- الفصل التاسع ، في رفض اليهود من السير أيام الله
٣٤١	- نبوءة الأمة المرفوضة في سفر إشعيا
٣٤٧	- الرد على النصارى في قولهم بخطبة آدم عليه السلام
٣٥١	- نبوءة نشيد موسى على رفض الله لليهود من السير أيامه
٣٥٢	- تطابق نبوءة نشيد موسى مع القرآن الكريم
٣٥٦	- كلام النصارى في نبوءة نشيد موسى ونبيو إشعيا
٣٦٦	- ميثاق النبئين

الصابئين

الله عز وجل
الله عز وجل
الله عز وجل

هذا البحث استغرق إعداده سنوات طويلة لمعرفة الحق في ملة الصابئين.

التي تحيّر العلماء في أصلهم ونشأتهم وعقائدهم ، وهدى الله المؤلف إلى الحق بالأدلة القاطعة . فقد بين أن كلمة " صباً " أصلها في اللغة العبرانية " صبغ " في الماء . وكان يحيى عليه السلام يبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم بين اليهود . وكان من يؤمن بدعوته من اليهود يأخذه ويصبغه في نهر الأردن ليتميز عن اليهود الذين لم يؤمنوا بدعوته . وصبح في العبرانية تنطق " صبع " بالعين ، أو " صباً " بالهمزة ، لأن العبرانية ليس فيها حرف الغين . فلذلك عرّفوا بالصابئين ، وكانوا يبشرون بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن اليهود شوشاوا على دعوتهم بقولهم إنهم عباد كواكب ونجوم ، وحاربوهم وأجلوهم من فلسطين إلى ناحية الموصل في العراق وسوريا ، ولما تغلب الرومان على الصابئين والنصارى أجبروهم على اعتناق المسيحية ، وصاروا طائفة واحدة ، إلى أن ظهر الإسلام فدخل فيه كثيرون من الطائفتين .
والصابئين طائفة من اليهود ، وكتبهم تدل على أنهم كانوا طائفة من أهل الكتاب (أنهم مكلفوون بالتوراة إلى أن يظهر النبي الذي قال عنه موسى عليه السلام : " يقيم لك الله نبياً من وسطك من إخوتك مثلٍ لم تسمعوا ... " .

الناشر ..